الموسوعة الأم



في



تربية الأولاد



في الإسلام ١

- التربية العقائدية
- التربية الفقهية
- التربية العلمية
- التربية الاجتماعية
- التربية الأخلاقية
- التربية العاطفية
- التربية الجنسية
- التربية الصحية
- التربية الغذائية
- التربية الرياضية
- التربية الأدبية
- التربية النفسية

إعداد

د. أحمد مصطفى متولي



دار ابن الجوزي

القاهرة



موسوعة تربوية في العبادات والمعاملات
والآداب والأخلاق

طبعة جديدة منقَّحة ومزيدة بتعليقات نخبة من العلماء

فضيلة الشيخ
عبد الرحمن ناصر السعدي

وفضيلة الشيخ
ناصر الدين الألباني

وفضيلة الشيخ
محمد الصالح العثيمين

وفضيلة الشيخ
صالح الفوزان

مع فتاوى

فضيلة الشيخ
عبد العزيز بن باز

وفضيلة الشيخ
محمد الصالح العثيمين

دكتور/ أحمد مصطفى

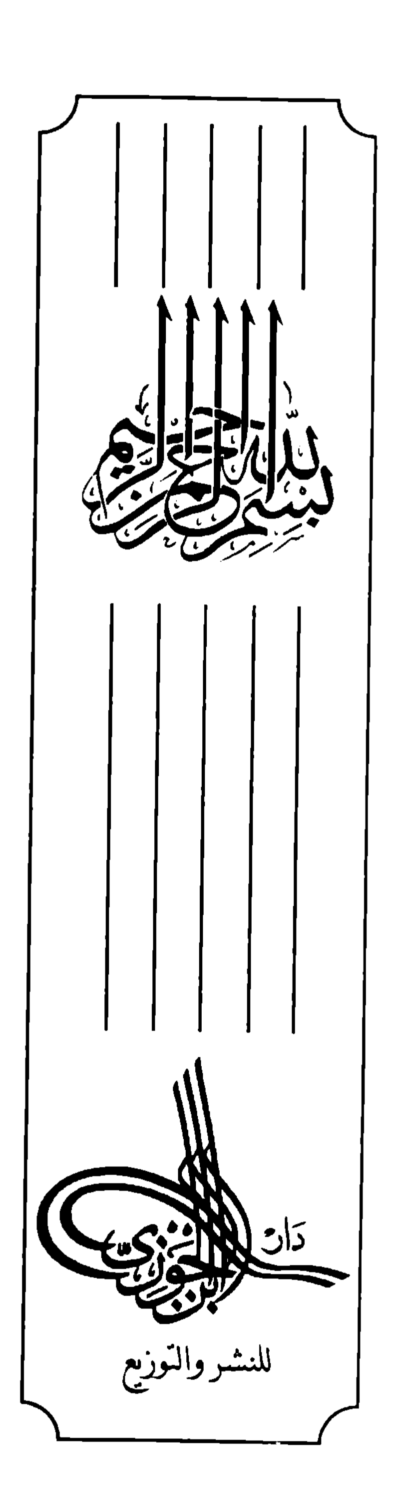


الطَّبعَة الأُولَى

١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م
رقم الإيداع: ٢٣٢١٣ / ٢٠٠٥



جمهورية مصر العربية - القاهرة
٢٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت: ٠٠٢٠٢٢٥١٤٣١٤١
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥١١١٧٥٠





مقدمة

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة

حمــــــدتُ ربي إذ هــــــداني ... إلى الإســــلام والــــدين الحنيــــف

فيــــذكره لــــساني كــــل وقــــت ... ويعرفــــه قلبــــي بــــاللطيف

أحبتي في الله

كم تاقت أنفسٌ إلى أفضل تربية للأولاد، وتمنت لهم في الدنيا طريق الرشاد، بُغية السرور غدًا في دار الإسعاد؛ حيث نعيم الجنَّة ونعم المهاد، ودوام الفرح الذي ما له نفاد، فسلك الآباء في هذا السبيل الطرق الجياد، يبتغون خير أدبٍ للأولاد؛ فمنهم من أصاب وأجاد، ومنهم من خالفه طريق التوفيق والرشاد.

والسبل الأدبية، أهدف بها إلى تربية جامعة إسلامية، بإشارات توجيهية، ومناهج علمية، وصور واقعية، وروايات حقيقية، عسانا أن نصل إلى أفضل طريقة زكية، في تربية أولادنا والذرية، ابتغاء مرضاة باري البرية، والسكنى في المنازل العلية.

وها هو منهج كتابي بين أيديكم، ألخصه في نقاط معدودة، وهي:

أ- مقدمة تربوية: تشتمل على ثلاث نقاط

١ - أسباب انحراف الأولاد وعلاجها.

٢- وسائل التربية.

٣- صفات البيت المسلم ومميزاته.

ب- سنن وآداب تربوية عند الولادة

تشمل البشارة بالمولود والتهنئة والحمد والشكر عليه، والدعاء بالبركة، والتأذين في أذنه اليمنى والإقامة في اليسرى، والتَّحنيك، وحسن التسمية، والعقيقة، والختان.

جـ- أسس التربية وأنواعها

١-التربية العقائدية، وتشمل:

أهداف التربية العقائدية، وكيفية التربية العقائدية، وتعريف العقيدة، وموضوعاتها، وأسماؤها، وتعريف أهل السنة والجماعة، وخصائص العقيدة الإسلامية لأهل السنة والجماعة، وأنواع التوحيد وأقسامه، وفضائل التوحيد، وأركان الإيمان، وأسس العقيدة، وذكر نواقض الإسلام، وتعريف التوحيد، وذكر أنواع الشِّرك ومظاهره، وذكر السحر والكهانة، والتنجيم، والاستسقاء بالنجوم من منظور عقائدي، ثم ذكر الكفر وأنواعه، والنفاق وأقسامه، والجاهلية وأنواعها والفسق وأقسامه والضلال والرِّدة وأقسامها، والبدعة وأنواعها، وحكم الاستهزاء بالدين وأنواعه، والحكم بغير ما أنزل الله، والتوسل وأقسامه، والإيمان وزيادته ونقصانه، ومذهب أهل السنة في أصحاب النبي، وكرامات الأولياء، ثم ختمت بفتاوى هامة في العقيدة.

٢-أهداف التربية الفقهية، وكيفيتها

وذكر مباحث الطهارة وأنوعها وكيفيتها، وصفة الوضوء ونواقضه، والمسح على الخفين وشروطه، والغسل وصفاته وموجباته، والطهارة من الحيض والنفاس، ومباحث

عن الصلاة وأهميتها وحكم تاركها وشروطها وأوقاتها وأركانها وسننها ومبطلاتها، مع ذكر أحكام سجود السهو، وصفة صلاة النبي، وذكر ما يُباح وما يُكره في الصلاة، وذكر ختام الصلاة، وصلاة التطوع كالسنن الرواتب والقيام والوتر، والتراويح، وصلاة الضحى، وذكر أحكام صلاة الجمعة والعيدين، وصلاة الكسوف، والاستسقاء والخوف والجنازة، والاستخارة وذكر فتاوى الصلاة الهامة.

ثم الحديث عن الزكاة وشروطها والأصناف التي يجب فيها الزكاة وختمت بفتاوى هامة في الزكاة، ثم الحديث عن الصيام وحكمه ووقته وكيفية العلم بدخول رمضان ومن يجب عليه صوم رمضان، ومفسدات الصوم وأحكام القضاء والكفارة، وختمت بفتاوى هامة في الصيام.

ثم الحديث عن فقه الحج والعمرة، وذكر حكم الحج والعمرة وشروط الوجوب، ومواقيت الحج والعمرة وصفتهما، وأركان الحج والعمرة وواجباتهما، مع ذكر محظورات الإحرام وبعض المسائل الهامة، وأخطاء في مناسك الحج، والختام بذكر فتاوى هامة في الحج والعمرة.

٣ـ التربية الأدبية، وتشمل:

أهداف التربية الأدبية، وكيفية التربية الأدبية، وذكر الأدب وتعريفه، وذكر الأدب في القرآن والسُّنَّة، وأقوال سلف الأمة، وذكر قصص الأدب، وذكر آداب الطعام والشراب، واللباس، والنوم، والجماع، والسلام، والاستئذان، وآداب المجلس، والحديث، وآداب العطاس والتثاؤب، وآداب حفظ اللسان.

٤ ـ التربية الأخلاقية، وتشمل:

أهداف التربية الأخلاقية وكيفيتها، وتعريف الأخلاق والترغيب فيها من القرآن والسُّنَّة وأقوال سلف الأمة، وذكر الأخلاق الإسلامية الزكية التي ينبغي على كل مسلم أن يتحلى بها، كالإخلاص والاستقامة والأمانة، والإيثار، والبر، والتقوى والتواضع والتوبة، والتوكل، وحفظ الوقت، والفطنة والقناعة، والمسارعة في الخيرات والورع، واليقين.

٥- التربية الاجتماعية، وتشمل:

أهداف التربية الاجتماعية وكيفيتها، والترغيب في حسن المعاملة، وذكر آداب وأخلاق اجتماعية، كالإحسان والإخاء وبر الوالدين، وصلة الأرحام وحسن الجوار، وحسن الضيافة، وعيادة المرضى، والجود، والرأفة والرحمة، والعدل والمساواة، والعطف والعفو والصفح والكرم، واللين والرفق، والمواساة، والوفاء، ثم الختام ببعض الفتاوى الاجتماعية.

٦- التربية العلمية، وتشمل:

أهداف التربية العلمية وكيفيتها، وتعريف العلم، وذكر فضائله، وحكم طلبه، وآداب طالب العلم، وطرق تحصيله، وسبل طلبه، وأخطاء الطلبة في طلبه، وذكر فوائد هامة لطلبة العلم، وآداب المعلم، وذكر صور من علو الهمة في طلب العلم والختام بفتاوى هامة عن طلب العلم وآدابه.

٧- التربية الفكرية، وتشمل:

أهداف التربية الفكرية، وكيفيتها، وذكر شمولية الدين الإسلامي ومحاسنه، والتبصير بالفرق الضالة: كالخوارج، والشيعة، والمرجئة، والقدرية، والجهمية، والصوفية، بالإضافة إلى عرض بعض المخططات الصليبية، والماسونية، والشيوعية، والعلمانية، والختام بفتاوى هامة.

٨- التربية الجهادية، وتشمل:

أهداف التربية الجهادية وكيفيتها، وأنواع الجهاد وميادينه، وذكر قصص عن الجهاد في سبيل الله.

٩- التربية النفسية، وتشمل:

أهداف التربية النفسية وكيفيتها، وذكر الصفات النفسية المحمودة؛ لتنميتها في نفوس الأولاد، كالشجاعة، والعفة، ومجاهدة النفس والمحاسبة، والمحبة، والمراقبة، والمروءة.

١٠-التربية العاطفية، وتشمل:

أهداف التربية العاطفية وكيفيتها، وتشمل: أهمية التربية العاطفية وكيفيتها، وضرورة الاهتمام بالأولاد عاطفيًا، وتقبيلهم وضمهم ومعانقتهم والمسح على رءوسهم ووجوههم وملاعبتهم وملاطفتهم، والعدل بين الأولاد، وتجنب احتقارهم، وتجنب أسباب الحسد والبغضاء بينهم، والدلال المفرط والاهتمام بذوي العاهات والإحسان إلى اليتامى وكفالتهم.

١١-التربية الجنسية، وتشمل:

أهداف التربية الجنسية وكيفيتها، وسبل التربية الجنسية وتشمل: آداب الاستئذان، والتفريق في المضاجع بين الأولاد، والأمر بغضِّ البصر وحفظ الفرج والترغيب في ذلك، وسبل الوقاية من إطلاق البصر والوقوع في الزنا، والحث على الزواج، واجتناب المثيرات الجنسية مع الترهيب بذكر الأمراض الجنسية وأنواعها.

١٢-التربية الصحية، وتشمل:

أهداف التربية الصحية، وكيفيتها وأنواعها وقائيًا وعلاجيًا:

فأما الوقائية: فاستهللتها بذكر بعض القواعد الصحية والنصائح الطبية، والوقاية بسنن الفطرة، والغسل والوضوء والصلاة والصيام والوقاية بالهدي النبوي اتباعًا له واستنانًا به في الطعام والشراب والنكاح، والعطاس والتثاؤب واجتناب الضار بالجسم والعقل كالتدخين والخمر والمسكرات والوشم، واجتناب الميسر، واقتناء الكلاب إلا فيما أجازه الشرع، والالتزام بالهدي النبوي في الطاعون.

وأما العلاجية: فصدَّرتُ لها بذكر أنواع الأمراض، وأحوال البدن، والأمر النبوي بالتداوي وذكر هدي النبيﷺ في التداوي وحكم التداوي بالمحرمات والعلاج بالقرآن والرقى، والعلاج بالعسل، وبحبة البركة، وبالتلبينة، والعلاج بماء زمزم، والعلاج بالحجامة، والهدي النبوي في علاج بعض الأمراض.

١٣- التربية الرياضية، وتشمل:

أهداف التربية الرياضية وكيفيتها وآداب الرياضة وفضائلها والترغيب فيها ووقتها، وذكر الرياضة المعتدلة، وأنواع الرياضة وصورها وأقسامها، وما هي الرياضة المشروعة؟.

مقدمة غذائية ونصائح وإرشادات هامة وماهية الغذاء الذي يحتاجه الإنسان، وماهية الغذاء الجيد ومكوناته، وماهية غذاء الرُّضَّع وذكر أطعمة مفيدة في علاج بعض الأدواء.

هذا وقد اقتصرت في استدلالاتي على الحسن والصحيح من الأحاديث ففيهما غناء -إلا نادرًا من كلام العلماء الذي يحتوي على حديث ضعيف مع التنبيه على ذلك- مكتفيًا بتعليقات علماء الحديث الأعلام كالألباني وأحمد شاكر رحمهما الله.

كما اكتفيتُ بالصحيح الوارد من كلام السلف الصالح -عليهم رحمة الله- وذكرت في كل نوع من أنواع التربية صورًا حقيقية وقصصًا واقعية لإعلاء الهمم، وشحذ العزائم والاستئناس بها والاقتداء بأفعالهم وهممهم للحاق بهم في زمرة الصالحين بإذن رب العالمين.

وتوخيت العبارات السلسة والجمل السهلة في التعبير عن الأسس التربوية والسبل التأديبية، واقتصرت على الصحيح الكافي -وأحسبه الشافي بإذن الله- في تحقيق المراد من تربية محمودة لأولادنا ذكورهم وإناثهم، وصغارهم وكبارهم، هذا وقد ابتعدت في عرضي وتقديمي عن التفريط المخلّ والإفراط المملّ؛ بحيث ينهل الآباء العلم والحكمة من كل صفحة من صفحات الكتاب.

فهو كتاب علم وحكمة، وكتاب آداب وأخلاقيات، وكتاب عبادات ومعاملات، وكتاب زهد ورقائق، وكتاب لغة وأحكام، وكتاب عقيدة وفقه، وكتاب خطب ومواعظ، يحتاج إليه الصغار ولا يستغني عنه الكبار، يستفيد منه طلاب العلم، ولا يُحرم من الاستفادة منه العلماء، يحتاج إليه المربون، ولا يستغني عنه الخطباء والواعظون.

يـــا منــــزل الآيـــات والفرقـــان ... بينـــي وبينـــك حرمـــةُ الفرقـــان

اشرح بــــه صــــدري لمعرفــــة الهــــدى ... واعــصم بــه قلبــي مــن الــشيطان

يــسِّر بـــه امـــري واقــض مـــآربي ... وأجـــرْ بـــه جـــسدي مـــن النـــيران

واحطـــط بـــه وزري وأخلـــص نيتـــي ... واشــدُد بــه أزري وأصــلح شــاني

واكــشف بــه ضُرِّي وحقــق تــوبتي ... وأربـــح بـــه بيعـــي بـــلا خُـــسران

طهــر بـــه قلبـــي وصـــفِّ سريـــرتي ... أجمـــل بـــه ذكـــري وأعْـــلِ مكـــاني

واقطــع بــه طمعــي وشرِّف همتــي ... كثِّـــر بـــه ورعـــي وأحيـــي جنـــاني

أســـهر بـــه لـــيلي وأظـــم جـــوارحي ... أســـبل بفـــيض دموعهـــا أجفـــاني

أمزجـــه يـــا رب بلحمـــي مـــع دمـــي ... واغـــسل بـــه قلبـــي مـــن الأضـــغان

أنـــت الـــذي صـــوَّرتني وخلقتنـــي ... وهـــديتني لـــشرائع الإيـــمان

أنـــت الـــذي علمتنـــي ورحمتنـــي ... وجعلـــت صـــدري واعـــي القـــرآن

أنـــت الـــذي أطعمتنـــي وســـقيتني ... مـــن غـــير كـــسب يـــد ولا دكـــان

وجبرتنـــي ونـــصرتني وســـترتني ... وغمرتنـــي بالفـــضل والإحـــسان

أنـــت الـــذي آويتنـــي وحبـــوتني ... وهـــديتني مـــن حـــيرة الخـــذلان

وزرعـــت لي بـــين القلـــوب مـــودَّة ... والعطـــف منـــك برحمـــة وحنـــان

ونـــشرت لي في العـــالمين محاســـنًا ... وســـترت عـــن أبـــصارهم عـــصياني

وجعلـــت ذكـــري في البريـــة شـــائعًا ... حتـــى جعلـــت جمـــيعهم إخـــواني

فلـــك المحامـــد والمـــدائح كلهـــا ... بخـــواطري وجـــوارحي ولـــساني

ولـــك المحامـــد ربنـــا حمـــدًا كـــما ... يرضـــيك لا يفنـــى عـــلى الأزمـــان

مـــلء الـــسماوات العُـــلى والأرض ... والموجـــود بعـــد ومنتهـــى الإمكـــان

ممـــا تـــشاء بعـــد ذلـــك كلـــه ... حمـــدًا بغـــير نهايـــة بزمـــان

وعــلى رســولك أفــضل الــصلوات والتــسليم منــك وأكمــل الرضــوان
صــلى الإلــه عــلى النبــي محمــد مــا نــاح قمــريٌّ عــلى الأغــصان
وعــلى جميــع بناتــه ونــسائه وعــلى جميــع الــصحب والإخــوان
وعــلى صــحابته جميعًــا والأولي تبعوهــو مــن بعــد بالإحــسان
أمــوتُ ويبقــى كــلُّ مــا كتبتُــهُ فيــا ليــت مــن قــرأ دعــا ليــا
عــسى الإلــه أن يعفــو عَنِّــي ويغفــر لي ســوء فِعاليــا

بقلم الفقير إلى عفو ربه الرحمن

أبو عبد الرحمن

أحمد مصطفى

مصر- المنصورة- ت: ٠٥٠٢٣٤٤٦٣٩

E-mail: dr_ahmed moustafa@yahoo.com



مقدمة تربوية

مقدمة

الحمد لله القديم في مجده، الكريم في رفده[١]، الرحيم فكل خيرٍ من عنده، اللطيف في كل حالٍ بعبده، مدَّ الأرض بقدرته والعجب في مَدِّه، وزينها بنباتها وألوان ورده، وسقاها كأس القطر بواسطة برقه ورعده، وجمع في الغصن الواحد بين الشيء وضده، وقَوَّم الثمار بالماء من حرٍّ الشمس وبرده.

فسبحان من لا يعترض العقل على أفعاله بل يقف عند حدِّه، ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣].

أحمده حمدًا لا يقدر الخلائق على عدِّه، وأُصلِّي على محمد رسوله وعبده، وعلى صاحبه أبي بكر الذي قوَّى الله الإسلام بقوة شدِّه، وعلى عمر وحيد التدبير في السياسة وفرده، وعلى عثمان القائم بالليل والدمع على خدِّه، وعلى عليٍّ الذي أسلم قبل بلوغ رُشده[٢].

---

(١) عطاياه.

(٢) التبصرة (٢/ ١٩٦) بتصرف.

مقدمة تربوية

١ - أسباب انحراف الأولاد وعلاجها

لانحراف الأولاد أسباب عديدة ومختلفة، ولكن يمكن تلخيصها في نقاط معدودة للتنبيه عليها والإشارة إليها:

أ-الخلل التربوي

وهذا الخلل التربوي يحدث من الأبوين أو أحدهما، إما بتقصير في التربية أو بترك التربية أصلًا، والانشغال بالأعمال أو الأسفار أو نحوها.

أما التقصير في التربية ففي الغالب يكون تقصيرًا في الجوانب الدينية والأخلاقية، وعلى هذا الأساس يتم المعالجة:

أي يُشَخَّص الداء أولًا، ثم يُعالج ثانيًا، فإن كان القصور في الجانب الديني بالتقصير في العبادة والطاعة أو نحو ذلك، يبدأ الأبوان في الموعظة والإرشاد والتوجيه والتذكير بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، ولا بأس من الاستعانة بالصالحين من أصدقاء الأب أو الابن أو الجيران الصالحين أو الأقرباء الأتقياء في هذا الشأن، وإن كان القصور في الجانب الأخلاقي يتم التركيز عليه في العلاج عن طريق الكتب والأشرطة والصحبة الصالحة والموعظة وحضور مجالس الوعظ والعلم والأخلاق.

ب-الفراغ

إياك أن تترك لولدك فراغًا، أو تعوِّده على التساهل في عدم استغلال الأوقات في الطاعة والعبادات والمباحات.

فالوقت أغلى من الذهب والفضة؛ لأن الذهب والفضة يمكن تعويضهما والإتيان بغيرهما عند فقدهما، أما الوقت فلا يمكن أبدًا، لأن ما مرَّ من الأوقات لا يعود أبدًا وما يتحسَّر أهل الشقاء في الآخرة إلا على ضياع أوقاتهم في الدنيا في غير طاعة، ثم إن من تعوَّد على الفراغ تعوَّد على السكون والراحة، ولا تنال الراحة (أي في الآخرة بدخول الجنة) بالراحة (أي بالراحة في الدنيا بعدم الانشغال بالطاعات).

وقد أفردت في التربية الخلقية حديثًا خاصًا عن حفظ الأوقات وضربت صورًا رائعة ونماذج فريدة لأناس كانوا ذوي همة عالية في المحافظة على الأوقات والاشتغال بالطاعات، فليراجع لفائدته.

جـ-الفقر

لا يخفى على عاقل ما للفقر من آثار سيئة ونتائج سلبية؛ وذلك لأن الهمَّ الأول والهدف الأوحد لدى الفقير غالبًا؛ هو تحصيل المال ولا يهمه إن كان من حلال أو من حرام، بل الأدهى من ذلك والأَمَرّ أن الكثيرين من الأولاد ينجرفون في تيار الفساد والانحلال وطريق الضياع، فبعضهم يسرق، وبعضهم يتاجر في المحرمات من الخمور والمخدرات، وبعضهم -خاصة البنات- ينجرف في طريق الفاحشة والرذيلة والدعارة ولا حول ولا قوة إلا بالله. أما عن علاج الفقر فيمكن أن يكون ذلك عن طريق:

١-الدعاء والاستغفار: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾[نوح:١٠- ١٢].

٢-التوكل على الله والأخذ بأسباب الرزق الحلال: كالبيع والشراء والعمل في الوظائف المشروعة.

٣-التكافل الاجتماعي: فإنه من سمات المجتمعات المسلمة، وما لنا لا نُعيد هذه المبادئ القيمة والأخلاق الفاضلة، من المواساة والجود والإيثار وإحساس الغني بالفقير، وإزالة كربته بعطيته والحثِّ على ذلك والترغيب فيه من الكتاب والسُّنَّة وأخلاق سلف الأمة.

٤-الزكاة: فإن الزكاة تُعطى لطوائف وفئات معينه (منها الفقراء) فإن أُعطي الفقراء من الزكاة؛ لاستغنوا بذلك عن السؤال.

د-البطالة

والبطالة سببٌ من أسباب الفقر، ونتائج الفقر نتائج لها؛ لذا وجب على المجتمع والأفراد علاج هذه الظاهرة السيئة التي ما عُرفت في المجتمعات السالفة ولا في القرون

الماضية بمثل ما عُرفت في زماننا، وانتشرت في عصرنا، وعلاج هذه الظاهرة بالطرق الآتية:

١- توفير الحكومات والمؤسسات والشركات العامة والخاصة فرص عمل للأفراد.

٢- ندب الأعضاء؛ لعمل مشاريع تنفع العديد من الشباب.

٣- ندب الشباب؛ لتعلم المهن الطبية والحرف النافعة لهم حتى يتسع مجال عملهم وتُتاح لهم فرص للعمل.

٤- ندب الشباب للسعي والبحث عن عمل مشروع مناسب عن طريق: الجرائد والمجلات، الإنترنت، المعارف والأصدقاء والجيران، وسؤال الشركات والمؤسسات بصفة دورية ومستمرة عن وظائف خالية.

٥- ندب الشباب للسفر للبلاد العربية لتوفر فرص أفضل وأكثر للعمل هناك.

هـ- اليتم

من مشكلات العديد من الأولاد مشكلة اليتم، ومظاهره، ونتائجه، فإن الولد إن مات أبوه، يفقد في الغالب الأسوة والقدوة، ومعها تسوء تربيته وأخلاقه، وربما فسدت معيشته كلها، وقد حثَّ الإسلام على رعاية اليتامى والمساكين وكفالتهم ورغَّب في ذلك كثيرًا، وليس الأمر قاصرًا على الكفالة المالية والرعاية المادية فحسب؛ بل هناك الرعاية التربوية، والأخلاقية، والاجتماعية، والصحية، والنفسية، والعاطفية، والفكرية، وغيرها.

و- الصحبة السيئة

إن كثيرًا من المنحرفين يرجع سبب انحرافهم لأصدقائهم -أصدقاء السوء- وإنني لأعجب كثيرًا من هؤلاء الآباء والأمهات الذين يهتمون بأولادهم داخل البيت، ولا يعرفون عنهم شيئًا خارج البيت -وعجبًا لهؤلاء- ألا يخافون أن يكون صديق ولدهم مدمن خمر؛ فيدمن ولدهم الخمر تبعًا له؟!

أما يخشى هؤلاء أن يكون صديق ولدهم فاسد الأخلاق؛ فتفسد أخلاق ولدهم تبعًا له؟!
أم يخشى هؤلاء أن تكون صديقة بنتهم تعمل في الدعارة؛ فتنساق البنت إلى الرذيلة يومًا ما؟!

فليتقِ الله آباءٌ مقصرون في تربية أولادهم وما هم بحريصين على تفقد أحوال أصدقائهم.

ز- سوء معاملة الأبوين

أفضل خلق الله هو رسول الله ومع هذا قال الله له: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال أيضًا عنه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

فلا بد للآباء والأمهات أن يقفوا على هذه الحقائق، ويتعلموا كيف يربون أولادهم على أسس إسلامية وبأساليب تربوية أخلاقية مع حكمة وفطنة وكياسة. فأحيانًا تكفي النظرة كزجر للولد المخطئ؛ خاصة إن كان حسَّاسًا مرهف الحس، وتعمل النظرة في نفسه وقلبه أشد مما تعمل العصا، لو ضُرب بها.

وأحيانًا تكفي الكلمة، وتكون أفضل من غيرها في موضعها كوسيلة للنهي والزجر، وأحيانًا تُجدي الإشارة، أفضل من غيرها، وأحيانًا لا يُجدي إلا الضرب، ولكن لا بد له من ضوابط وشروط، هي:

١- أن لا يكون الضرب على الوجه، ويُسمح به على اليدين والرجلين فقط.

٢- أن يكون ضربًا غير مبرح.

٣- أن يتناسب الضرب مع عِظَم المنكر وبشاعة الذنب، فلا ينبغي -ولا يجوز- الضرب الشديد على ذنب صغير والعكس بالعكس.

٤- أن يسبق الضرب الوعظ والإرشاد مرات قبل الضرب، ولا يكون كل هذا في نفس المقام إلا إذا كان الولد مستمرًّا في الخطأ.

٥- أن يتولى الضرب أحد الوالدين، ولا يوكل الضرب أو العقاب إلى أحد الإخوة أو إلى الأعمام والأخوال ونحوهم.

٦- أن يوقف عن الضرب فورًا -حتى وإن لم يُبتدأ الضرب- إذا عاهدك الولد على عدم تكرار الخطأ.

٧- إنْ اعتذر الولد عن خطئه لا يُضرب.

٨- لا يجوز الضرب على فعل مباح إلا في أحوال يسيرةٍ كإصرار الولد على النوم وقت الصلاة دونما عذرٍ شرعي من مرض ونحوه.

٩- إن تكرر الضرب من خطأٍ ولم يجدِ مع الولد، يُتنقل إلى وسيلة أخرى كتقليل المصروف مثلًا أو حرمانه من هدية أو نحو ذلك.

١٠- أن يخلص الوالد النية في الضرب كوسيلة للتربية والإصلاح وليس انتقامًا لنفسه أو غضبًا من ولده.

١١- لا يجوز ولا ينبغي قذف الولد بشيءٍ في رأسه أو جسده؛ لأن ذلك ربما يُفضي إلى ضررٍ وأذى.

١٢- لا ينبغي استخدام أداة ضارة أو يتوقع منها الضرر، كعصا غليظة أو حديدة أو سلك أو نحو ذلك.

١٣- يُحرم تعذيب الولد صغيرًا كان أو كبيرًا، سواءً كان ذلك بالضرب، أم بالربط، أم بالكهرباء، أم بالنار ونحو ذلك.

ح- النزاع المتكرر والشقاق بين الأبوين

إن حياة الأبوين إن لم تستقر بنبذ الخلافات والنزاع والشقاق بينهما فإن حياة الأولاد لن تستقر، ثم إنه في الغالب يعمل كل من الأبوين على تنفير الولد من الآخر فيحرص الأب مثلًا على طاعة ولده له وفي نفس الوقت يحمله على عقوق أمه وعصيانها ونحو ذلك، وينبغي ابتداءً رد التنازع إلى الكتاب والسُّنَّة ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩] فترد أية مشكلة إلى الكتاب والسُّنَّة، ثم يُردُّ المخطئ من الزوجين إلى الأمر الصواب الشرعي، أما إن كان الأمر من أمور الدنيا فالأمر فيه سعة، وينبغي التوصل إلى حلٍّ وسط يُرضي الطرفين حتى تستقر الحياة ومن ثَمَّ تنضبط تربية الأولاد.

ط- وسائل الإفساد

وهذه الكلمة عامة، وتشمل: وسائل الإفساد المرئية -كصور المجلات العارية وأشباهها، وكالأفلام الجنسية ونحوها سواءً أكان ذلك في التلفاز، أو الفيديو، أو الدش، أو الإنترنت، أو الكمبيوتر، أو المسرح، أو السينما، وغير ذلك.

وتشمل أيضًا: وسائل الإفساد المسموعة كأشرطة الغناء والموسيقى؛ فإن هذه الوسائل لن تقتصر على إفساد الأولاد؛ بل هي تفسد الآباء ابتداءً، خاصة إن كانت هذه الوسائل داخل البيت كالتلفاز، والدش، والفيديو، والإنترنت، ونحوها.

فأيُّ تربية تنتظرها إن فسد الأبوان؟! وأيُّ أخلاق تريدها بعد انحراف أخلاق الأبوين؟! وأيُّ مصيبة تنتظرها بعد ضياع الكيان الديني الخلقي في البيت؟! فليتقِ الله هؤلاء وهؤلاء؛ فإنهم عن ذلك لمحاسبون وغدًا بين يدي ربهم سيوقفون ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤]

فماذا سيقولون؟! وبماذا سيجيبون؟! وهل لهم حجة بها عند ربهم يحتجون؟! ويا ليت الأمر بموتهم ينتهي؛ ولكن الذنب والمعصية لن تنتهي!! لأنهم قد سَنُّوا سُنَّةً سيئةً بتركهم وسيلة -أو وسائل- للإفساد، فكلما نظر إلى امرأة في التلفاز حمل الولد سيئة، وحمل أبوه في قبره أخرى، فكيف والنظرات تتوالى، والمعاصي تزداد، والذنوب تُقترف والوالد في قبره يحمل الآثام والأوزار؛ لأنه السبب، وتلك النتيجة!!

٢- وسائل التربية

للتربية وسائل وطرق عديدة ومتنوعة، يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

أ- التربية العملية بالقدوة

لا بد أن يكون الوالدان قدوةً عمليةً في جميع النواحي التربوية أمام أولادهم، فينبغي أن يكونا قدوةً لأولادهم في العبادات والمعاملات والأخلاقيات، كما كان رسول الله ﷺ قدوةً لا لأولاده وزوجاته فحسب بل للخلائق أجمعين:

كان قدوة في العبادات؛ كان يصوم حتى يقول القائل: لا يفطر، وكان يفطر حتى يقول القائل: لا يصوم، وكان يصلي حتى تتفطَّر قدماه قيام الليل والناس نيام، وأمر به؛ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[(١)].

وكان أجود الناس، كما قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة[(٢)].

وكان قدوة في حسن الخلق: فعن أنس رضي الله عنه قال: ما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قطُّ أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قطُّ أفٍّ ولا قال لشيء فعلته: لِمَ فعلته، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلتَ كذا؟[(٣)]. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا**»[(٤)].

وكان قدوة في حسن المعاملة؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا

---

(١) البخاري (٨/ ٤٤٩)، ومسلم (٢٨٢٠،٢٨١٩).
(٢) البخاري (٤/ ٩٩)، ومسلم (٢٣٠٧).
(٣) البخاري (٦/ ٤٢٠، ٤٢١)، ومسلم (٢٣٣٠).
(٤) البخاري (١٠/ ٣٧٨)، ومسلم (٢٣٢١).

قطُّ بيده، ولا امرأةً ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيءٌ قطُّ فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيءٌ من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى[١]، وعن أنس ﷺ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابيٌّ فجبذه[٢] بردائه جبذةً شديدةً، فنظرتُ إلى صفحة[٣] عاتق[٤] النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء[٥].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي عن نبي من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم- ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون[٦].

فيا ليت قومي يعلمون ويا ليتهم بأخلاق نبيهم يتشبهون، وبحسن معاملة نبيهم يقتدون، وبعلو همته في عبادته يقتدون.

ب- التربية بالموعظة والإرشاد

ولا بد لذلك من آداب ومظاهر منها:

١- انتهاز الفرصة وملائمة المناسبة للموعظة: ومن ذلك انتهاز النبي ﷺ للفرص والمناسبات ثم وعظه فيها بما يناسبها، مثال ذلك: الموعظة بالتذكير بالله والتخويف من النار والترغيب في الجنة عند دفن أحد الصحابة أحيانًا، فعن علي ﷺ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة[٧] فنكس وجعل ينكت

---

(١) مسلم (٢٣٢٨).

(٢) الجبذة: الجذبة.

(٣) الصفحة: الجانب.

(٤) العاتق: ما بين العنق والكتف.

(٥) البخاري (١٠/ ٢٣٤، ٤٢٠، ٤٢١)، ومسلم (١٠٥٧).

(٦) البخاري (١٢/ ٢٤٩، ٢٥٠)، ومسلم (١٧٩٢).

(٧) المخصرة: عصا ذات رأس معوجة.

بمختصرته، ثم قال: « **ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة** »، فقالوا: أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال: « **اعملوا، فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له** » وذكر تمام الحديث[(١)].

٢- **الإرشاد إلى الأهم ولفت النظر إليه عما دونه:** عن أنس ﷺ أن أعرابيًّا سأل رسول الله ﷺ، فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: « **ماذا أعددت لها؟** » قال: حب الله ورسوله، فقال: « **أنت مع من أحببت** »[(٢)].

٣- **تأكيد الوعظ والإرشاد بالقسم أحيانًا:** فقد كان النبي ﷺ يُقسم أحيانًا للتأكيد على ما يُرشد إليه ويدعو إليه، ومن أمثلة ذلك: عن حذيفة ﷺ قال: **والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن اللهُ أن يبعث عليكم عذابًا منه ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم**[(٣)]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أَوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم** »[(٤)].

٤- **الموعظة بضرب الأمثال والتشبيه:** ومن أمثلة ذلك: عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جارٍ غمرٍ**[(٥)] **على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات** »[(٦)]، وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت** »[(٧)]، وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** »[(٨)].

---

(١) البخاري (٣/ ١٧٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

(٢) متفق عليه.

(٣) الترمذي (٢١٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٦٢).

(٤) مسلم (٥٤).

(٥) غمر: كثير.

(٦) مسلم (٦٦٨).

(٧) البخاري (١١/ ١٧٥، ١٧٧).

(٨) البخاري (١٠/ ٣٦٧)، ومسلم (٢٥٨٦).

٥- الموعظة بالقصة أحيانًا: مثل حديث أصحاب الغار، وحديث الأبرص والأقرع، والأعمى، وحديث هاجر وإسماعيل، وحديث الرجل من بني إسرائيل الذي اقترض مالًا من غيره، وغيرها من القصص الصحيحة الواردة.

٦- الموعظة عن طريق السؤال والإجابة عليه أحيانًا: ومن ذلك: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**»[1] وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟** قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: **إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاةٍ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح في النار**»[2].

٧- الإشارة باليد أحيانًا في الموعظة: ومن أمثلة ذلك: عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا** -وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما»[3]، وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا وشبَّك بين أصابعه**»[4].

٨- الاستعانة بالرسم والتخطيط في الموعظة أحيانًا: عن ابن مسعود ﷺ قال: خطَّ النبي ﷺ خطًّا مربعًا وخطًّا في الوسط خارجًا منه، وخطَّ خُططًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه، الذي في الوسط، فقال: «**هذا الإنسان، وهذا أجله محيطًا به -أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا، نهشه هذا**»[5].

---

(١) مسلم (٢٥٨٩).

(٢) مسلم (٢٥٨١).

(٣) البخاري (١٠/ ٣٦٥).

(٤) البخاري (٥/ ٧٢، ١٠/ ٣٧٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٥) البخاري (١١/ ٢٠٢).

جـ- التربية بالعقوبة

ولكن يتحتم قبل العقوبة الإعلام والتنبيه على المنهيات الواردة في الكتاب والسُّنَّة في مختلف المجالات: العقائد والعبادات والأخلاقيات وغيرها، وفيما يلي عرض موجز لهذه المنهيات:

١ - في العقيدة

ورد النهي عن الشرك بأنواعه، وإتيان الكهان والعرافين والذبح والنذر لغير الله، والتحاكم بغير شرع الله، وتعليق التمائم ومنها الخرز الذي يعلق؛ لدفع الحسد، والتولة شرك، والنهي عن السحر والكهانة والعرافة، والاعتقاد في تأثير الكواكب والنجوم في الحوادث وحياة الناس.

والتفكر في ذات الله، لكن المشروع التفكر في خلق وآلاء الله، وعن موت المسلم وهو لا يحسن الظن بالله، وعن سؤال الله بوجهه أمرًا من أمور الدنيا، وعن سب الدهر، وعن الطيرة والتشاؤم، وعن السفر إلى بلاد المشركين، ومساكنة الكفار واتخاذ اليهود والنصارى وغيرهم من الكفرة أولياء.

وعن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، وعن البناء على القبور واتخاذها مساجد ووضع السرج عليها، وعن سب الصحابة، وعن الخوض في القدر، والجدال في القرآن، وعن مجالسة الذين يخوضون في القرآن بالباطل.

وعن النهي عن مطالعة كتب الكفار وأهل البدع والضلالات إلا للرد عليهم أو ممن ثبتت عنده العقيدة الصحيحة ولا يخشى الفتنة بها، وعن سب آلهة الكفار إن كان يؤدي إلى سب الله -عزَّ وجلَّ- وعن التفرق في الدين، وعن تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحلَّ الله، وعن اتخاذ آيات الله هزوًا.

وعن الانحناء أو السجود لغير الله، وعن مفارقة جماعة المسلمين، وعن التشبه باليهود والنصارى والكفار عمومًا، وعن بدء الكفار بالسلام، وعن تصديق أهل الكتاب في الأمور الشرعية، وعن الحلف بغير الله، وعن قول: ما شاء الله وشئت، وعن قول المالك: عبدي وأمتي، وعن قول المملوك: ربي وسيدي وسيدتي، وعن سبِّ الدهر.

٢- في الطهارة

النهي عن البول في الماء الراكد، وعن قضاء الحاجة على قارعة الطريق وفي ظل الناس وفي موارد الناس، وعن استقبال القبلة أو استدبارها ببول أو غائط إلا ما كان في البنيان، وعن الاستنجاء باليمين والاستنجاء بالعظم والروث، وعن إدخال يد المستيقظ من النوم في الإناء قبل أن يغسلها ثلاثًا وعن مسك الذكر باليمين عند التبول.

٣- في الصلاة

النهي عن التنفل في أوقات كراهة الصلاة إلا ما كان له سبب، وعن جعل البيوت مقابر لا يُتنفل فيها، وعن الصلاة منفردًا خلف الصف، وعن مسابقة الإمام في الصلاة، والالتفات في الصلاة، وعن رفع البصر إلى السماء في الصلاة، وعن قراءة القرآن في الركوع والسجود، وعن صلاة الرجل عاري الكتفين، وعن الصلاة بحضرة طعام يشتهيه أو وهو يدافع البول والغائط والريح.

وعن الصلاة في المقبرة والحمام، وعن نقر الصلاة كنقر الغراب، والالتفات فيها، وافتراش كافتراش السبع، وإقعاء كإقعاء الكلب، وإيطان كإيطان البعير -وهو اعتياد مكان في المسجد لا يصلي إلا فيه- وعن الصلاة في مبارِك الإبل، وعن مسح الأرض أثناء الصلاة وعن تغطية الفم في الصلاة، وعن رفع صوت المصلي في قراءته وصلاته، وعن مواصلة قيام الليل إذا غلبه النعاس، وعن قيام الليل كله دائمًا، وعن التثاؤب والنفخ في الصلاة وعن تخطي رقاب الناس.

وعن كف الثياب وكفت الشعر في الصلاة، والنهي عن الخروج من الصلاة عند الشك في انتقاض الوضوء، وعن مس الحصى والعبث والكلام أثناء خطبة الجمعة، وعن الاحتباء فيها، وعن الصلاة للراتبة أو النافلة إذا أقيمت الصلاة، وعن المرور بين يدي المصلي، وعن ترك الناس يمرون بين يديه، وعن البصاق تجاه القبلة أو عن يمينه.

وعن وضع النعلين عن اليمين، ولكن بين رجليه، وعن النوم قبل العشاء إذا كان لا يأمن فوات وقتها، وعن الحديث بعد العشاء إلا لمصلحة شرعية، وعن إمامة الرجل الرجل في سلطانه أو بيته إلا بإذنه، وعن إمامة قوم هم للإمام كارهون لسببٍ شرعي.

٤- في المساجد

النهي عن البيع والشراء ونشد الضَّالة في المساجد، وعن اتخاذ المساجد طرقًا، وعن التشبيك بين اليدين، وعن الخروج من المسجد بعد الأذان حتى يصلي إلا لضرورة، وعن الجلوس إذا دخل المسجد دون صلاة ركعتي تحية، وعن الإسراع بالمشي إذا أقيمت الصلاة.

وعن الصلاة بين السواري والأعمدة إلا لضرورة الزحام ونحوه، وعن أكل الثوم أو البصل أو ما له رائحة كريهة عند الذهاب إلى المسجد، وعن منع النساء من الذهاب إلى المساجد، وعن وضع الطيب إذا أرادت المرأة الذهاب إلى المسجد، وعن مباشرة النساء في الاعتكاف، وعن التباهي في المساجد وتزيينها وزخرفتها.

٥- في الجنائز

النهي عن البناء على القبور أو تعليتها وتشييدها، وعن الجلوس عليها وعن المشي بينها بالنعال، وإنارتها والكتابة عليها ونبشها، وعن اتخاذها مساجد وعن الصلاة إليها، وعن حداد المرأة على الميت فوق ثلاثة أيام إلا لزوج (أربعة أشهر وعشرة أيام)، وعن وضع المرأة المتوفى عنها زوجها الطيب كالكحل ونحوه، وعن النِّياحة، واستئجار النائحات، وشق الثوب ونشر الشعر، وعن نعي الجاهلية.

٦- في الصيام

النهي عن صيام يوم الفطر والأضحى وأيام التشريق، ويوم الشك، وعن إفراد الجمعة بصيام وكذلك السبت، وعن صيام الدهر، وعن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، وعن الصيام في النصف الثاني من شعبان لمن لم تكن له عادة صيام، وعن الوصال؛ أي وصل صيام يومين بدون إفطار بينهما، وعن صيام يوم عرفة بعرفة إلا لم يجد الهدي.

وعن المبالغة في المضمضة والاستنشاق حال الصيام، وعن صيام المرأة صيام النافلة وزوجها شاهدٌ إلا بإذنه، وعن ترك السحور ولو بجرعة ماء، وعن الرفث والشتائم والمقاتلة وقول الزور خاصة في الصيام، وعن لقاء العدو إلا لضرورة؛ لأن الصيام يضعف المجاهدين.

٧-في الحج والأضحية

النهي عن تأخير الحج للمستطيع بغير عذر، وعن الرفث والفسوق والجدال في الحج، وعن لبس القميص والعمامة والسراويل والبرنس والخف، وعن لبس المحرمة النقاب والقفازين، وعن قلع شجر الحرم أو قطعه أو خطبه، وعن حمل السلاح في الحرم أو الصيد فيه أو تنفير الصيد أو التقاط اللقطة في الحرم إلا للتعريف بها.

وعن تطييب من مات محرمًا وعن تغطية رأسه وعن تحنيطه، وعن ترك طواف الوداع إلا لحائض أو نفساء، وعن ذبح الأضحية قبل صلاة العيد، وعن الأضحية المعيبة، وعن إعطاء الجزار شيئًا منها على أنه أجرة، وعن أخذ شيء من الشعر أو الأظافر حتى يُضحي.

٨- في البيوع

النهي عن أكل الربا، وعن البيوع التي تشتمل على جهالة وتغرير وخداع، وعن بيع الشاة باللحم، وبيع الكلب وثمن الكلب، وبيع الهر، والدم، والخمر، والخنزير، والأصنام، وبيع فضل الماء، وعن بيع كل محرم، وثمنه محرم.

وعن النجش: وهو أن يزيد في ثمن السلعة من لا يريد شراءها كما يحصل في كثير من المزادات، وعن كتم عيوب السلعة وإخفائها عند بيعها وعن البيع بعد النداء الثاني يوم الجمعة، وعن بيع ما لا يملك وعن بيع الشيء قبل أن يحوزه ويقبضه، وعن بيع الطعام حتى يستوفيه، وعن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة إلا مثلًا بمثل يدًا بيد.

وعن بيع الرجل على بيع أخيه، والشراء على شراء أخيه والمساومة على سوم أخيه، وعن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، وعن أكل ثمن ما أصابته العاهة -والتلف ونحو ذلك- وعن التطفيف في المكيال والميزان وعن الاحتكار وعن تلقي الركبان وهو أن تلقى من يقدم من خارج البلد سواء للبيع منهم أو لهم، وعن بيع الحاضر للباد. وعن بيع جلد الأضحية، وعن الأكل بالقرآن، وعن أكل أموال اليتامى ظلمًا، وعن القمار، والميسر، والغصب، والرشوة، والسرقة، والاختلاس، والنهب، وأكل المال بالباطل، والاستدانة بدين لا يريد وفاءه.

وعن بخس الناس أشياءهم وعن كتمان اللقطة، وأخذها إلا لمن يعرفها وعن الغش وعن أخذ المال بغير طيب نفس وعن قبول الهدية؛ بسبب الشفاعة، وعن التبقر في المال، وهو الاستكثار منه والتوسع فيه وتفريقه في البلدان؛ بحيث يؤدي إلى توزع قلب صاحبه وانشغاله عن الله، ونهي الشريك في الأرض أو النخل وما شابهها عن بيع نصيبه حتى يعرضه على شريكه.

٩- في النكاح

النهي عن التبتل: وهو ترك النكاح، وعن الاختصاء، وعن الجمع بين الأختين أو المرأة وعمتها أو المرأة وخالتها، وعن نكاح الرجل امرأة أبيه أو امرأة من محارمه، والنهي عن نكاح المشركة وإنكاح المشركة وإنكاح المشرك، وعن الشغار وهو أن يقول مثلًا: أزوجك ابنتي أو أختي على أن تزوجني ابنتك أو أختك فتكون هذه مقابل الأخرى وهذا ظلمٌ وحرام، وعن نكاح المتعة وهو نكاح إلى أجل متفق عليه بين الطرفين ينتهي العقد بانتهاء الأجل، وعن النكاح إلا بولي وشاهدين وعن تزويج المرأة المرأة، وعن تزويج المرأة نفسها وعن نكاح الثيب حتى تستأمر، والبكر حتى تستأذن، وعن خطبة الرجل على خطبة أخيه، وعن خطبة المرأة في عدتها تصريحًا، إنما يكون بالتلميح.

وعن خطبة المرأة المطلقة طلاقًا رجعيًّا، وعن إخراج المطلقة الرجعية من بيتها، وعن إمساك المرأة المطلقة طلاقًا رجعيًّا، أو تطليقها إن لم يكن له رغبةٌ فيها، وعن كتم المطلقة ما في رحمها، وعن سؤال المرأة طلاق أختها، كسؤال المرأة الرجل أن يطلق زوجته لتتزوجه، وعن التحدث بأسرار الفراش، وعن إنفاق المرأة مال زوجها إلا بإذنه، وعن وطء المرأة في المحيض ووطئها في دبرها.

وعن هجران المرأة فراش زوجها، وعن إيذاء الناشز إذا رجعت إلى طاعة زوجها، وعن إدخال المرأة أحدًا بيت زوجها إلا بإذنه، وعن ترك إجابة الوليمة بغير عذر، وعن التهنئة بقولهم: بالرفاء والبنين؛ لأنها من تهنئة الجاهلية، وعن عزل الرجل من زوجته الحرة إلا بإذنها، وعند قدوم الرجل أهله ليلًا من سفر، إلا إذا أخبرهم مسبقًا، وعن أخذ الزوج من مهر زوجته بغير طيب نفس منها، وعن الإضرار بالزوجة لتفتدي منه بالمال، وعن

الظهار وعن إتيان الزوجة المظاهر منها إلا بعد أداء الكفارة، وعن الميل إلى إحدى الزوجات دون الأخرى، وعن مجانبة العدل بين الزوجات، وعن نكاح التحليل: وهو أن يتزوج مطلقة ثلاثًا؛ لكي يحلها لزوجها الأول.

١٠- في أمور خاصة بالنساء

النهي عن إبداء المرأة زينتها للمحارم، وعن التبرج وعن إتيانها ببهتان وعن المضارة بولدها، وعن التفريق بين الوالدة وولدها، وعن المبالغة في ختان المرأة، وعن سفر المرأة بدون محرم، وعن مصافحة الأجنبية وعن تطيب المرأة عند خروجها، وعن خلوة النساء بالرجال، وعن الدياثة، وعن إطلاق النظر إلى الأجنبية، وعن اتباع النظرة النظرة.

١١- في الذبائح والأطعمة

النهي عن الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله، وما ذبح للأصنام، وعن أكل لحم الجلالة التي تتغذى على القاذورات والنجاسات من الدواب، وعن شرب لبنها، وعن أكل كل ذي ناب من السباع إلا الضبع، وكل ذي مخلب من الطير، وعن أكل لحم الحمار الأهلي، وعن قتل الضفدع وعن صيد البهائم -أي حبسها بلا علف حتى تموت.

وعن أكل صيد الكلب غير المعلَّم، وعن أكل الموقوذة والنطيحة والمتردية، وعن الذبح بالسن والظفر وعن ذبح البهيمة بحضرة أخرى، وعن حدِّ الشفرة أمامها، وعن أكل طعام المتبارين.

١٢- في أقل اللباس والزينة

النهي عن الإسراف في اللباس، وعن الذهب للرجال وعن التختم في الوسطى، وعن خاتم الحديد، وعن التعري، والمشي عريانًا، وعن إسبال الثياب وعن جرها خيلاء - أي تكبرًا وزهوًا- وعن لباس الشهرة وتشبه الرجال بالنساء في ملابسهن، وتشبه النساء بالرجال في ثيابهم، وعن لبس القصير والضيق والرقيق من الثياب للنساء، وعن التشبه بالكافرات من النساء.

وعن الانتعال قائمًا، وعن المشي في نعل واحدة، وعن الوشم وعن تفليج الأسنان ووشرها، وعن حلق اللحية وعدم قص الشارب، وعن التشبه بالكافرين والمشركين، وعن نتف شعر الوجه والحاجبين وعن حلق المرأة شعرها، وعن وصل الشعر بشعرٍ مستعار - كالباروكة ونحوها- وعن تغيير الشيب بالسواد أو الصبغ بالسواد -للتغرير والظهور بمظهر الشباب تدليسًا على الناس-وعن القزع - وهو حلق بعض الرأس وترك بعضه.

وعن تصوير ما فيه روح في الثياب والجدران والورق سواءً كان مرسومًا أو مطبوعًا أو محفورًا أو منقوشًا أو منصوبًا بقوالب تماثيل ونحو ذلك، وعن افتراش الحرير وجلود النمور، وكل ما فيه خيلاء. وعن ستر الجدران.

١٣ـ في آفات اللسان

النهي عن شهادة الزور، وقذف المحصنات، والتشبيب بالمؤمنات وقذف البريء، والبهتان، والهمز، واللمز، والتنابز بالألقاب، والغيبة، والنميمة، والسخرية، والاستهزاء بالمسلمين، وعن التفاخر بالأحساب والطعن في الأنساب، وعن السباب والشتم والفحش والخنا، والبذاءة، والجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، وعن الكذب والكذب على الله ورسوله، والكذب في المنام، وتزكية النفس، وعن تناجي اثنين دون الثالث، وعن التناجي بالإثم والعدوان.

وعن لعن المؤمن ولعن ما لا يجوز لعنه، وعن رفع الصوت فوق صوت النبي، وعن سبِّ الأموات وسبِّ الديك، وسبِّ الريح، وسبِّ الحمى وسبِّ الشيطان، وعن الدعاء بالموت أو تمنيه، وعن الدعاء على النفس والأولاد والخدم، وعن تسمية العنب كرمًا، وعن قول المرء: خبثت نفسي، وقوله: نسيت كذا، وعن قوله: اللهم اغفر لي إن شئت، ونحو ذلك، وعن قوله للكافر والفاسق والمنافق: يا سيد، أو: يا سيدي، ونحو ذلك، وعن التقبيح، وعن التَّمادح، وعن المقاطعة في الكلام.

١٤ـفي آداب الطعام والشراب

النهي عن الأكل مما بين أيدي الآخرين، وعن الأكل من وسط الطعام، وعن ترك اللقمة إذا سقطت، وعن الأكل بدون تسمية وكذلك الشرب، وعن الشرب واقفًا -وهو جائز لكن الأفضل القعود- وعن الشرب من فم الإناء، وعن التنفس في الإناء، وعن

الشرب في آنية الذهب والفضة، وعن النفخ في الطعام والشراب، وعن الأكل والشرب بالشمال، وعن الأكل متكئا، وعن القران -الجمع- بين تمرتين (أو تمرتين) عند الأكل مع غيره إلا إذا استأذن.

وعن استعمال آنية أهل الكتاب إلا إن لم يجد غيرها وعن الجلوس على مائدة يُشرب فيها الخمر، وعن شرب المسكر وأكل لحم الخنزير وأكل المحرمات، وعن إدخال الطعام على الطعام.

١٥- في آداب النوم

النهي عن النوم على سطح ليس له جدار خشية السقوط، والنهي عن النوم جُنبًا -وهو مكروه- وعن النوم في بطن الوادي ومجرى السيل، وعن البيات بمفرده، وعن ترك النار موقدة حين النوم، وعن النوم على البطن، وعن التحدث بالرؤى السيئة.

١٦- في أمور متفرقة

النهي عن قتل النفس بغير حق، وقتل الأولاد خشية الفقر، والانتحار، والزنا واللواط والسحاق، والاستمناء باليد، وشرب الخمر وعصره وحمله وبيعه، وعن السرقة، وعن عقوق الوالدين والفرار من الزحف، وعن إيذاء المؤمنين والمؤمنات، وعن نقض الأيمان، وعن الغناء والطبل والمزمار والمعازف، وعن التعذيب بالنار، وعن تحريق الأحياء والأموات بالنار.

وعن المثلة: وهي تشويه جثث القتلى، وعن انتساب الولد إلى غير أبيه، وعن التعاون على الإثم والعدوان، وعن حمل السلاح على المسلمين، وعن الفتوى بغير علم، وعن الحلف كاذبًا، وعن اليمين الغموس، وعن تحريم الطيبات التي أحلَّها الله، وعن اتباع خطوات الشياطين، وعن التقدم بين يدي الله ورسوله، وعن التجسس، وعن النظر إلى العورات، وعن سوء الظن، وعن التحاسد والتباغض والتدابر، والتمادي في الباطل، وعن الكبر والفخر والخيلاء والإعجاب بالنفس، وعن المشي في الأرض مرحًا وعن تصعير الخد للناس وعن عودة المسلم في صدقته.

وعن قتل الوالد بولده، وعن نظر الرجل إلى عورة الرجل والمرأة إلى عورة المرأة، وعن انتهاك حرمة الشهر الحرام، إلا بمجاهدة الكفار والمشركين، وعن الإنفاق من الكسب الحرام، وعن عدم العدل بين الأولاد في العطية وغيرها وعن الوصية للوارث وعن سوء الجوار وعن هجر المسلم فوق ثلاثة أيام دون سبب شرعي.

وعن الخذف: وهو رمي الحصاة بين أصبعين، وعن الاعتداء وعن الجهر بقراءة القرآن بعض الناس على بعض، وعن التفريق بين اثنين إلا بإذنهما، وعن الجلوس بين الشمس والظل، وعن شهر السلاح على المسلم، وعن الإشارة إلى المسلم بحديدة، وعن تعاطي السيف مسلولًا وعن رد الهدية، وعن التكلف للضيف، وعن الإسراف والتبذير، وعن إعطاء المال للسفهاء، وعن التنازع، وعن إبطال الصدقات بالمن والأذى، وعن كتمان الشهادة، وعن قهر اليتيم، ونهر السائل، وعن التداوي بالدواء الخبيث أو المحرم.

وعن قتل الصبيان والنساء في الحروب، وعن اللعب بالنرد، وعن غش الرعية، وعن لعن الدواب وعن الفخر، وعن إخلاف الموعد والوعد، وعن خيانة الأمانة وعن كتم العلم، وعن الشفاعة السيئة، وعن سؤال الناس دون حاجة، وعن الجرس في السفر، وعن اتخاذ الكلاب إلا كلب حرث، أو صيد، أو ماشية، أو حراسة، وعن الضرب فوق عشرة أسواط للتأديب، وعن كثرة الضحك، وعن إكراه المرضى على الطعام والشراب وعن إطالة النظر إلى المجذومين.

وعن ترويع المسلمين، وعن الأخذ والإعطاء بالشمال من غير عذر، وعن قتل النمل والنحل والهدهد، وعن السلام بالإشارة، وعن قصر السلام على المعرفة، وعن تقبيل الرجل الرجل، وعن القضاء بين المتخاصمين حال الغضب، وعن الجذاذ بالليل، وهو قطع الثمار، وعن الحصاد بالليل، وعن الخروج من بلد الطاعون أو الدخول إليها وعن تشميت عاطس لم يحمد الله، وعن التفل جهة القبلة.

وعن الضحك من الضرطة: وهو صوت الريح، وعن رد الطيب والريحان، وعن التعريس على قارعة الطريق في السفر وهو النزول للنوم والاستراحة[١].

---

(١) التنبيهات الجلية على كثير من المنهيات الشرعية لمحمد صالح المنجد (٣- ١٦) باختصار.

طرق معالجة الخطأ

١- بالكلمة

عن أبي هريرة ﷺ قال: أخذ الحسن بن علي ﷺ تمرةً من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ: « **كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة**»[١].

٢- بالتوبيخ

عن المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر ﷺ وعليه حُلَّة، وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك، فذكر أنه سابَّ رجلًا على عهد رسول الله ﷺ فعيره بأمه، فقال النبي ﷺ: « **إنك امرؤٌ فيك جاهلية، هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**»[٢].

٣- باليد

عن ابن عباس ﷺ قال: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله، إن فريضة الله تعالى على عباده في الحج، أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: « **نعم**» وذلك في حجة الوداع[٣].

٤- بالضرب

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[٤].

---

(١) البخاري (٣/ ٢٨٠)، ومسلم (١٠٦٩).

(٢) البخاري (١/ ٨٠، ٨١)، ومسلم (١٦٦١).

(٣) البخاري.

(٤) الترمذي (٤٠٧)، وأبو داود (٤٩٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٦٥) وقد سبق ذكر آداب وشروط الضرب فليراجع لأهميته.

٥- بالهجر

كما في حديث كعب بن مالك حين تخلَّف عن النبي ﷺ وهو حديث طويل، وفيه: قال كعب: ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة[1] من بين من تخلَّف عنه، قال: فاجتنبنا الناس، أو قال: تغيروا لنا، حتى تنكرت لي في نفس الأرض، فما هي الأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد ... الحديث[2].

وعن سعيد بن عبد الله بن مغفل ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ عن الخذف، وقال: «**إنه لا يقتل الصيد، ولا ينكأ العدو وإنه يفقأ العين ويكسر السنّ**»[3]، وفي رواية: أن قريبًا لابن مغفل خذف، فنهاه وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، وقال: إنها لا تصيد صيدًا، ثم عاد فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم عدت تخذف لا أكلمك أبدًا.

والخذف: هو رمي الحصى بالسبابة والإبهام، وفي الحديث هجر أهل البدع والفسوق ومُنَابذي السُّنَّة مع العلم وأنه يجوز هجرهم أبدًا.

---

(١) يعني: هم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع العمري.

(٢) البخاري (٨/ ٨٦، ٩٣)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٣) البخاري (١٠/ ٤٩٣)، ومسلم (١٩٥٤).

٣- صفات البيت المسلم ومميزاته

يتميز البيت المسلم بمميزات كثيرة وصفات جليلة منها:

١- **بيتٌ أهله صالحون**: فالأب ملتزم بالكتاب والسُّنَّة وكذلك الأم، ومن ثَمَّ فالأولاد ينبتون نبتًا طيبًا بإذن الله.

٢- **بيتُ صلاة وعبادة**: فترى الوالد يحافظ على السنن الرواتب والنوافل من ضحى وقيام ليل وغيرها في البيت، وهذا من السُّنَّةِ، وأما الأم فتسارع إلى الصلاة إذا ما سمعت النداء، فتصلي الفريضة بسننها الراتبة، ويقف بجوارها أولادها الصغار، يقومون بقيامها، ويركعون بركوعها، ويسجدون بسجودها.

٣- **بيتُ أذكار ودعوات**: ذكرٌ عند دخول البيت وعند الخروج منه، وعند الطعام، والشراب، واللباس، والجماع، ودخول الخلاء والخروج منه، وذكر الصباح والمساء، ودعاء في الثلث الأخير، وفي الساعة الأخيرة بعد عصر الجمعة، ودعاء بين الأذان والإقامة، ودعاء في السجود في الصلاة ودعاء عند الفطر ...

٤- **بيتُ صيام وقيام**: فترى الوالدان يحافظان على صيام النوافل، كالاثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر، وصيام ستة أيام من شوال ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، ويكثرون صيام أيام من شعبان ... وهو أيضا بيت قيام بالليل، يؤم الرجل زوجته فيصلون ما شاء الله لهم أن يصلوا، وأحيانًا يصلي الرجل، ثم يوقظ زوجته فتصلي، وأحيانًا تصلي الزوجة، ثم توقظ زوجها فيصلي، فماذا يُنتظر من أولاد من يقومون الليل والناس نيام.

٥- **بيتُ تعليم وتعلم**: فهناك جلسة يومية على الأقل، يجلس الأب فيها مع الأم والأولاد يعلمهم من آداب الإسلام وفقهه وأخلاقه وتعاليمه، وهناك درس أسبوعي على الأقل يصطحب فيه الوالد زوجه وأولاده إلى درس علمٍ شرعي في بيت الله.

٦- **بيتُ ثقافة وفكر**: فهناك الأشرطة العلمية الإسلامية والأدبية والأخلاقية، وهناك الأسطوانات الإلكترونية (أسطوانات الكمبيوتر) وهناك المكتبة العلمية.

٧- **بيتٌ قراءة للقرآن:** فهناك الأوراد اليومية لكل من الوالدين وكذلك للأولاد، أوراد قراءة وتلاوة، وأوراد حفظ ومراجعة.

٨- **بيتُ أخلاق وآداب وحسن معاملات:** فالوالد يتعامل مع زوجه وأولاده بأخلاق النبي ﷺ من رفق، ولين، ورحمة، وشفقة، وحسن معاملة، وعفو وصفح، والمرأة كذلك صالحة الأخلاق زكية الآداب، مع زوجها وأولادها.

٩- **بيتٌ للملائكة والصالحين:** فالملائكة تحبه؛ لكثرة الأذكار فيه، والصالحون من أصدقاء الأب أو صديقات الأم أو أصدقاء الأولاد يزورون ويتزاورون.

١٠- **بيتُ الترتيب والنظافة والنظام:** فالأثاث في البيت منظم، وكل شيء فيه مرتب منظف، وهناك جداول منظمة للأعمال والمذاكرات والدراسات والأوقات، فكل من الأب والأم والأولاد يعرف ما له وما عليه من حقوق وواجبات، والكل يعرف أهمية الوقت وخطر ضياعه، فيحافظون على كل دقيقة ويشتغلون جادين مجدين بالطاعات، والصالحات، والعبادات، والمذاكرات، فكيف بمن يُربى في مثل هذه البيئات الطيبة والأجواء الصالحة الزكية أن يشبَّ؟! وهل سينبتُ الأولاد إلا صالحين كما هو حال الآباء الصالحين؟!. وكيف يجد الإفساد إلى هؤلاء الأولاد طريقًا؟! وهل يُعتقد أن يوجد فيهم من ليس صالحًا رشيدًا؟! كما شبَّ الآباء سيكون الأبناء فحيهلا على الصلاح، حيهلا على الفلاح، حيهلا على النجاح.



سنن وآداب تربوية

مقدمة

الحمد لله العلي المجيد، ذي البطش الشديد، الفعَّال لما يريد، قرَّب الصالحين والشقي منه بعيد، وقسم عباده قسمين فذا شقيٌّ وذا سعيد، وذا مقربٌ وذا طريد، أنزل كتابه المجيد، على محمد خير العبيد، فكم به من بشرى وكم من وعيد، فذكر بالقرآن مَنْ يخاف وعيد، وهل سمعت عن داود إذ ألنا له الحديد.

أحمده ما سُمعت نغمات الوُرق على الوَرق بتغريد، وأصلِّي على نبيه المصطفى الرشيد، وعلى صاحبه أبي بكر نِعْمَ الرفيق في اليوم الشديد، وعلى عمر ذي الرأي السديد، وعلى عثمان وما يُبغضه إلا طريد، وعلى علي الذي قوَّم بسيفه كل شريد.

سنن وآداب تربوية عند الولادة

البشارة عند الولادة

جاءت أدلة الكتاب والسُّنَّة باستحباب البشارة عند الولادة ومنها:

أدلة الكتاب

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [هود: ٦٩].

قال الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي: أي: ولقد جاءت رسلنا من الملائكة الكرام رسولنا إبراهيم الخليل بالبشرى: أي: بالبشارة بالولد، حين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط وأمرهم أن يمروا على إبراهيم فيبشروه بإسحاق، فلما دخلوا عليه ﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾ أي: سلموا عليه وردَّ عليهم السلام[1].

وقال تعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٧].

قال السعدي: أي: بشره الله -تعالى- على يد الملائكة بـ (يحيى) وسمَّاه الله له (يحيى) وكان اسمًا موافقًا لمسماه، يحيا حياةً حسيةً فتتم به المنَّةُ ويحيا حياة معنوية وهي حياة القلب والروح بالوحي والعلم والدين[2].

أدلة السُّنَّة

روى البخاري أن النبي ﷺ لما وُلد بشَّرت به ثُويبة عمه أبا لهب، وكان مولاها، وقالت: قد وُلد الليلة لعبد الله ابنٌ؛ فأعتقها أبو لهب سرورًا بولادته.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٨٥).

(٢) السابق (٤٩٠).

التهنئة عند الولادة

عن أبي بكر بن المنذر أنه قال: روينا عن الحسن البصري أن رجلًا جاء إليه وعنده رجلٌ قد وُلد له غلامٌ، فقال: يهنك الفارس، فقال الحسن: ما يدريك أفارسٌ هو أم حمار؟ قال الرجل: فكيف تقول؟ قال: قل: بورك لك في الموهوب وشكرت الواهب ورزقت بره وبلغ أشده[(١)].

حمد الله وشكره على نعمته

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال السعدي حكايةً عن موسى -عليه السلام- ودعوته لقومه: وقال لهم حاثًا على نعم الله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ أي: أعلم ووعد ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ من نعمي ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ ومن ذلك أن يزيل عنهم النعمة التي أنعم بها، والشكر هو اعتراف القلب بنعم الله، والثناء على الله بها، وصرفها في مرضاة الله تعالى، وكفر النعمة ضد ذلك[(٢)].

وعن كثير بن عبيد قال: كانت عائشة رضي الله عنها إذا وُلد فيهم مولود -يعني في أهلها- لا تسأل: غلامًا ولا جارية، تقول: خُلق سويًّا؟ فإذا قيل: نعم، قالت: الحمد لله رب العالمين[(٣)].

دعاءُ الوالد لولده بالبركة

عن معاوية بن قرة أنه لم وُلد له إياس قال: دعوتُ نفرًا من أصحاب النبي ﷺ فأطعمتهم فدعوا، فقلتُ: إنكم قد دعوتم فبارك الله لكم فيما دعوتم، وإني أدعو بدعاءٍ فأمِّنوا. قال: فدعوتُ له بدعاءٍ كثير في دينه وعقله، وكذا قال: فإني لأتعرف فيه دعاء يومئذ[(٤)].

---

(١) تحفة المودود لابن القيم.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٢٢).

(٣) البخاري في الأدب المفرد (٢/ ٦٥٤) (١٢٥٦).

(٤) البخاري في الأدب المفرد (٢/ ٦٥٤) (١٢٥٥).

التأذين في أذن المولود اليمنى والإقامة في اليسرى

عن أبي رافع ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ أذَّن في أذن الحسن حين ولدته فاطمةُ بالصلاة رضي الله عنها[١]. وكان عمر بن عبد العزيز يؤذن في اليمنى ويقيم في اليسرى إذا وُلد الصبي[٢].

فوائد الأذان والإقامة في أذني المولود عند ولادته

١- أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات النداء العلوي المتضمن لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يُدخل بها في الإسلام فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه، وتأثره به وإن لم يشعر.

٢- هروب الشيطان من كلمات الأذان وقد كان يرصده حتى يولد؛ فيسمع شيطانه ما يُضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به.

٣- ولكي تكون دعوته إلى الله وإلى دينه وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على تنفير الشيطان لها ونقله عنها، إلى غير ذلك من الحكم[٣].

تحنيك المولود

تعريفه

قال ابن منظور: والتَّحنيك أن تمضغ التمر؛ ثم تدلكه بحنك الصبي داخل فمه[٤].

أدلته

عن أبي موسى ﷺ قال: وُلد لي غلامٌ فأتيتُ النبي ﷺ فسماه إبراهيم فحنَّكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إليَّ، وكان أكبر ولد أبي موسى[٥].

---

(١) أبو داود (٥١٠٥)، والترمذي (١٥٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٢٥٨).

(٢) عبد الرزاق (٧٩٥٨).

(٣) تحفة المودود (٢٦).

(٤) لسان العرب (١٠٢٨).

(٥) البخاري (٥٤٦٧)، ومسلم (٢١٤٥).

وعن أسماء بنت أبي بكر ﷺ أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة وقالت: فخرجت وأنا متم[1] فأتيتُ المدينة فنزلت قباء فولدتُ بقباء، ثم أتيتُ به رسول الله ﷺ، فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرةٍ فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنَّكه بالتمرة، ثم دعا له فبرَّك عليه، وكان أول مولود في الإسلام[2].

وعن أنس ﷺ قال: كان ابنٌ لأبي طلحة ﷺ يشتكي، فخرج أبو طلحة فقُبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم -وهي أم الصبي-: هو أسكنُ ما كان. فقرَّبت إليه العشاء، فتعشى ثم أصاب منها، فلما فرغ، قالت: واروا الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ، فأخبره، فقال: «**أعرستم الليلة؟**» **قال:** نعم. قال: «**اللهم بارك لهما**»، فولدت غلامًا فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النبي ﷺ، وبعث معه بتمرات. فقال: «**أمعه شيء؟**» قال: نعم، تمرات، فأخذها النبي ﷺ؛ فمضغها، ثم أخذها من فيه، فجعلها في فِيّ الصبي ثم حنَّكه وسمَّاه عبد الله، وفي رواية البخاري: قال ابن عيينه: فقال: رجلٌ من الأنصار: فرأيتُ تسعة أولاد كلهم قد قرءوا القرآن، يعني: من أولاد عبد الله المولود[3].

وعن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم[4].

قال ابن عثيمين -رحمه الله- معلقًا على حديث أم سليم: قالت أم سليم لابنها أنس بن مالك وهو أخو هذا الحمل الذي وُلد من أمه، قالت: احتمله إلى رسول الله ﷺ، أي: اذهب به، كما هي عادة أهل المدينة إذا ولد لهم ولدٌ يأتون به إلى رسول الله ﷺ، ومعهم تمرٌ، فيأخذ الرسول ﷺ التمرة فيمضغها بفمه ثم يُحنِّك بها الصبي؛ لأن في ذلك فائدتين:

الأولى: بركة ريق النبي ﷺ. **الثانية**: أن التمر فيه خيرٌ وبركةٌ وفيه فائدةٌ للمعدة، فإذا كان أول من يُصيب الطفل مما يصل إلى معدته من التمر كان ذلك خيرًا للمعدة، فحنَّكه رسول الله ﷺ ودعا له بالبركة[5].

---

(١) متم: مقاربة للولادة.

(٢) البخاري (٥٤٦٩)، ومسلم (٢١٤٦).

(٣) البخاري (٣/ ١٣٥، ١٣٧)، ومسلم (٢١٤٤).

(٤) مسلم (٢١٤٧).

(٥) شرح رياض الصالحين (١/ ١٥٥، ١٥٦) باختصار.

الحكمة الطبية من سُنَّة التحنيك النبوية

إن مستوى الجلوكوز في دم الأطفال اليافعين والبالغين يتراوح بين ٧٠- ١٢٠ ملليجرام/ ١٠٠ ملليلتر من الدم في حالة الصيام، ويرتفع بعد الأكل أو الشرب إلى أقل من ١٨٠ ملليجرام/ ١٠٠ ملليلتر، ثم يعود ليهبط إلى مستواه خلال ساعتين، أما بالنسبة للمولودين حديثًا، فإن مستوى الجلوكوز بالدم يكون منخفضًا، وكلما كان وزن المولود أقلَّ كان مستوى السكر منخفضًا، وبالتالي فإن المواليد الذين يقل وزنهم عن ٢.٥ كجم يكون لديهم مستوى الجلوكوز بالدم منخفضًا جدًّا ويعتبر هذا المستوى هبوطًا شديدًا في مستوى سكر الدم، مما قد يؤدي إلى الأعراض والمضاعفات الآتية:

١- رفض المولود للرضاعة

٢- ارتخاء العضلات

٣- توقف متكرر للنفس

٤- مضاعفات خطيرة مثل:

أ- تأخر النمو

ب- تخلف عقلي

جـ- الشلل النصفي أو الكلي

د- إصابة السمع أو البصر أو كليهما

هـ- نوبات صرع دائمة أو متكررة

وإذا لم يتم العلاج في الحال فإنه قد تنتهي الحياة، رغم أن العلاج سهل يسير، وهو إعطاء السكر مذابًا في الماء إما بالفم -إذا كان المولود يستطيع البلع- أو بالوريد -إذا كان المولود لا يستطيع البلع-، وبما أن معظم -أو كل- المواليد يحتاجون للسكر بعد ولادتهم مباشرة فإن إعطاء المولود التمر المذاب يقي الطفل من مضاعفات خطيرة؛ تنتج عن نقص سكر الدم، واستحباب تحنيك الطفل بالتمر، هو علاجٌ وقائيٌ ذو أهمية بالغة، وهو إعجازٌ طبيٌّ لم تكن البشرية تعرفه، وتعرف مخاطر نقص السكر في دم المولود[1].

---

(١) مجلة الإعجاز العلمي- العدد الرابع، باختصار.

البديل عن التحنيك بالتمر إن لم يُوجد

قال ابن حجر في الفتح: وينبغي عند التحنيك أن يفتح فاه حتى ينزل جوفه، وأولاه التمر، فإن لم يتيسَّر تمرٌ فرطبٌ، وإلا فشيءٌ حلوٌ وعسل النحل أولى من غيره؛ أي بعد التمر والرطب - ثم ما لم تمسه نارٌ- أي من الأشياء الحلوة -كما في نظيره مما يُفطر الصائم عليه[١].

صفة المحنك

قال النووي رحمه الله: ويُستحب أن يكون المحنك من الصالحين رجلًا كان أو امرأة، فإن لم يكن حاضرًا حُمل المولود إليه[٢].

حلق رأسه يوم السابع والتصدق بوزنه فضة

عن الحسن بن سمرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**كل غلام مرتهنٌ بعقيقته تُذبح عن يوم السابع، ويُحلق رأسه، ويُسمَّى**»[٣]، وعن أبي رافع أن النبي ﷺ قال لفاطمة لما ولدت الحسن: «**احلقي رأسه، وتصدقي بوزن شعره فضة على المساكين**»[٤].

حسن تسميته

عن ابن عباس ﷺ قال: سبعةٌ من السُّنَّة في الصبي يوم السابع: يُسمَّى ويُختن ويماط عنه الأذى، وتثقب أذنه، ويعقُّ عنه، ويُحلق رأسه، ويلطخ بدم عقيقته، ويتصدق بوزن شعر رأسه ذهبًا أو فضة[٥].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سمُّوا باسمي، ولا تكتنوا بكنيتي**»[٦]، وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن**»[٧].

---

(١) فتح الباري (٩/ ٥٠١، ٥٠٢).
(٢) النووي شرح مسلم (١٤/ ١٢٣).
(٣) أبو داود، والترمذي، والنسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٦٣).
(٤) البيهقي، وحسنه الألباني في الإرواء (١١٧٥).
(٥) الطيالسي، وصححه الألباني في تمام المنة (٦٨)، ويجدر التنبيه إلى أن تلطيخ الصبي بدم العقيقة منهيٌّ عنه.
(٦) البخاري (٦١٨٨)، ومسلم (٤/ ٢١٣٣).
(٧) مسلم (٣/ ١٦٨٢).

قال المباركفوري: ويلتحق بهذين الاسمين ما كان مثلهما كعبد الرحيم وعبد الملك وعبد الصمد، وإنما كانت أحب إلى الله؛ لأنها تضمنت ما هو وصف وأحب إلى الله، وما هو وصفٌ للإنسان وأحب له، وهو العبودية، ثم أضيف العبد إلى الرب إضافة حقيقية، فصدقت أفراد هذه الأسماء وشُرِّفت بهذا التركيب، فحصلت لها هذه الفضيلة[١].

تجنب الاسم القبيح وتغييره

إن الألفاظ قوالب المعاني، والأسماء قوالب المسميات، فقبح الاسم قد يكون عنوان قبح المسمى، وهذا بابٌ عجيبٌ من أبواب الدين، وهو العدول عن الاسم الذي تستقبحه العقول وتنفر منه النفوس إلى الاسم الحسن الذي تطمئن إليه النفوس وتنشرح به الصدور.

عن سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا تُسمّين غلامك يسارًا، ولا رباحًا، ولا نجيحًا، ولا أفلح، فإنك تقول: أثَمَّ هو؟ فلا يكون، فيقول: لا، إنما هن أربع فلا تزيدن علي**»[٢]، وعن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده، قال أتيت إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال: «**ما اسمك؟** قلت: حزن، فقال: **أنت سهل**، قال: لا أغير اسمًا سمانيه أبي»، قال ابن المسيب: فما زالت تلك الحزونة[٣]. وعن يحيى بن سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ غيَّر اسم عاصية، وقال: «**أنت جميلة**»[٤] وغيَّر النبي ﷺ اسم العاصي، وعزيز، وعتلة، وشيطان، والحكم وغراب، وحباب، وشهاب، فسماه: هشامًا، وسمى حربًا: سلمًا. وسمى المضطجع: المنبعث، وأرضا تسمى عفرة سماها خضرة، وشعب الضلاله: سماه: شعب الهدى، وبنو الزينة: سماها: بني الرشدة، وسمى بني مغوية: بني رشدة.

---

(١) تحفة الأحوذي (٨/ ١٢٣).

(٢) مسلم.

(٣) البخاري.

(٤) مسلم (٣/ ١٦٨٦).

قال أبو داود (٥/ ٢٤٢): تركت أسانيدها للاختصار، وأما العاصي، فإنما كرهه لمعنى العصيان، إنما سمة المؤمن الطاعة والاستسلام، و(عزيز) إنما غيَّره؛ لأن العزة لله سبحانه، وشعار العبد الذلة والاستكانة، و(عتلة) معناها: الشدة والغلظة، ومن صفة المؤمن اللين والسهولة، و(شيطان) اشتقاق من الشطن، وهو البعد عن الخير، وهو اسم المارد الخبيث من الجن والإنس، و(الحكم) هو الحاكم، الذي إذا حكم لم يُرد حكمه، وهي صفة لا تليق بغير الله، و(غراب) مأخوذ من الغرب، وهو البعد، ثم هو حيوان خبيث الفعل خبيث الطعم، و(حباب) نوع من الحيات، وروي أنه شيطان، و(الشهاب) الشعلة من النار، وهي مهلكة، و(عفرة) نعت للأرض التي لا تنبت شيئًا[١].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثهُ رجلٌ تسمَّى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله**»[٢]، وعن يحيي بن سعيد أن عمر بن الخطاب ﷺ قال لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة، قال: ابن من؟ قال: ابن شهاب. قال: ممن؟ قال: من المحرقة، قال: أين مسكنك؟ قال: بحرة النار. قال: بأيتها؟ قال: بذات لظى. قال عمر: أدرك أهلك فقد هلكوا أو احترقوا. فكان كما قال عمر ﷺ[٣].

تكنية المولود

يُستحب تكنية الوليد بكنية طيبة، فقد ثبت في السُّنَّة الصحيحة عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقًا وكان لي أخٌ يُقال له أبو عمير، وكان النبي ﷺ إذا جاءه يقول له: «**يا أبا عمير، ما فعل النغير**[٤]؟» قال الراوي: أظنه كان فطيمًا[٥].

ملحوظة: يجوز أن يُكنى المرء باسم غير اسم أولاده، من أمثلة ذلك: تكنية أبي بكر بهذه

---

(١) الخطابي في معالم السنن (٥/ ٢٤٢).

(٢) مسلم.

(٣) موطأ مالك.

(٤) طائر صغير كان يلعب به.

(٥) متفق عليه.

الكنية، ولم يكن له ولدٌ يُسمى بكرًا، وتكنية عمر بن الخطاب بأبي حفص، وليس من أولاده من اسمه (حفص)، وتكنية أبي هريرة بهذه الكنية وما له ولدٌ يُسمى (هريرة)، وتكنية أبو ذر بهذه الكنية وما له ولد يُسمى (ذر) وتكنية عائشة بأم عبد الله وما لها ولد يُسمى (عبد الله).

العقيقة

معناها

عقَّ عن ولده عقًّا: ذبح ذبيحة يوم سُبوعه، والعقيقة: الذبيحة التي تذبح عن المولود يوم سبوعه عند حلق شعره[١].

حكمها

اختلف الفقهاء في ذلك على أقوال:

١ - فمنهم من ذهب إلى القول بالوجوب: كالحسن، والليث بن سعد، وإسحاق.

٢- ومنهم من قال بالندب والاستحباب: وهم جمهور الفقهاء من أمثال مالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي ثور، وطائفة كبيرة من العلماء والفقهاء.

٣- ومنهم من أنكر مشروعية العقيقة، كالحنفية.

وقتها

السُّنَّةُ ذبحها في اليوم السابع من ولادته، فإن فات ففي الرابع عشر فإن فات ففي الحادي والعشرين. فعن بريدة عن النبيﷺ، قال: «**العقيقة تُذبح لسبع أو لأربع عشرة أو لإحدى وعشرين**»[٢]، وعن الحسن بن سمرة عن النبيﷺ قال: «**كل غلام مرتهن بعقيقة تذبح عنه يوم السابع ويُحلق رأسه ويُسمى**»[٣].

---

(١) الوجيز (٤٢٨).

(٢) البيهقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤١٣٢).

(٣) ابن ماجه، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٦٣).

وقال الميموني: قلت لأبي عبد الله: متى يُعقُّ عن الغلام؟ قال: أما عائشة رضي الله عنها فتقول: سبعة أيام، وأربعة عشر، ولأحدٍ وعشرين.

وقال صالح بن أحمد: قال أبي في العقيقة: تُذبح يوم السابع، فإن لم يُفعل ففي أربعة عشر، فإن لم يفعل ففي أحد وعشرين، وقال مالك: والظاهر أن التقييد باليوم السابع إنما هو على وجه الاستحباب وإلا فلو ذبح عنه في اليوم الرابع أو الثامن أو العاشر أو ما بعده أجزأت العقيقة.

قدرها

قدر العقيقة: شاتان عن الغلام، وشاة عن الجارية؛ وذلك لما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نعقَّ عن الغلام شاتين، وعن الجارية شاة[1].

من لا يملك ما يعقُّ به

وسُئل أبو عبد الله: الرجل يولد له وليس عنده ما يعق، أحب إليك أن يستقرض ويعق عنه أم يؤخر ذلك حتى يوسر؟ قال: أشد ما سمعتُ في العقيقة حديث الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ: «**كل غلام مرتهنٌ بعقيقته**» وإني لأرجو إن استقرض أن يُعجِّل الله الخلف؛ لأنه أحيا سُنَّةً من سنن رسول الله ﷺ واتبع ما جاء به.

العقيقة حرزٌ من الشيطان

قال ابن القيم رحمه الله: فيها سرٌّ بديعٌ موروثٌ عن فداء إسماعيل بالكبش الذي ذُبح عنه وفداه الله به، فصار سُنَّةً في أولاده بعده، أن يُفدى أحدهم عند ولادته بذبح يُذبح عنه، ولا يستنكر أن يكون هذا حرزًا له من الشيطان بعد ولادته كما كان ذكر الله عند وضعه في الرحم حرزًا له من ضرر الشيطان.

العقيقة أم الصدقة؟

سئل أبو عبد الله: العقيقة أحب إليك أو يُدفع ثمنها للمساكين؟ قال: العقيقة، فكان الذبح في موضعه أفضل من الصدقة بتثمينه ولو زاد من الهدايا والأضاحي فإن نفس

---

(١) ابن ماجه، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٥٦١).

الذابح وإراقة الدم مقصودة، فإنه عبادة مقرونة كما قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. ففي كل ملةٍ صلاة ونسيكة لا يقوم غيرها مقامها؛ ولهذا لو تصدق عن دم القران بأضعاف القيمة، لم يقم مقامه وكذلك الأضحية.

وقد جعل الله -سبحانه وتعالى- النسيكة عن الولد؛ سببًا لفك رهانه من الشيطان الذي يعلق به من حين خروجه إلى الدنيا، وطعنه في خاصرته فكانت فداءً وتخليصًا له من حبس الشيطان له وسجنه ومنعه له من سعيه في مصالح آخرته التي إليها معاده، فكأنه محبوس لذبح الشيطان له بالسكين التي أعدها لأتباعه وأوليائه، وأقسم لربه أنه لتستأصلن ذرية آدم إلا قليلًا، فهو بالمرصاد للمولود من حين يخرج إلى الدنيا فحين يخرج؛ يبتدره عدوه ويضمه إليه ويحرص على أن يجعله في قبضته وتحت أسره، ومن جملة أوليائه وحزبه، فهو أحرص شيء على هذا، وأكثر المولود من أقطاعه وجنده، كما قال تعالى: ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الإسراء: ٦٤]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٠]. فكان المولود بصدد هذا الارتهان، فشرع الله -سبحانه وتعالى- للوالدين أن يفكا رهانه بذبح يكون فداه فإذا لم يُذبح عنه بقي مرتهنًا به، فلهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**الغلام مرتهن بعقيقته، فأريقوا عنه الدم، وأميطوا عنه الأذى**»، فأمر بإراقة الدم عنه، الذي يُخلص به من الارتهان، فلما أُمرنا بإزالة الأذى الظاهر عنه، وإراقة الدم الذي يزيل الأذى الباطن بارتهانه، عُلم أن ذلك تخليصٌ للمولود من الأذى الباطن والظاهر[1].

فوائد العقيقة

١- طاعةٌ لله ورسوله.
٢- إحياءٌ لسُنَّة نبوية، قلَّ من يفعلها في هذا الزمان.
٣- فكٌ لرهان الوليد وفداءٌ له.
٤- مظهرٌ من مظاهر التكافل الاجتماعي والترابط الإسلامي.
٥- إطعامٌ للطعام، وسبيلٌ لدخول الجنان.
٦- إنفاق في سبيل الله، له أجره العظيم، وثوابه الجزيل.

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (٥٨، ٥٩).

الختان

تعريفُ الختان

خَتَن خُتونًا وختونة: تزوَّج، وختن الصبي وخِتانًا: قطع قلفته، فهو خاتن، ومختون، وختين. والختان: قطع القلفة، أو موضع قطعها، والختَّانة: صناعةُ الخاتن. الخَتَن: كل من كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها وكذلك زوج البنت أو الأخت، والجمع: أختان، والأنثى: ختنة[١].

حكمُ الختان

الختانُ واجبٌ في حقِّ الرجال والنساء؛ لأنه من شعائر الإسلام، وقد قال النبي ﷺ لرجلٍ أسلم: «**ألق عنك شعر الكفر واختتن**»[٢]، وقد اختتن إبراهيم -عليه السلام- وهو ابن ثمانين سنة، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**اختتن إبراهيمُ خليلُ الرحمن بعدما أتت عليه ثمانون سنة**»[٣].

وقتُ الختان

يُستحبُّ أن يكون الختان في اليوم السابع للمولود.

عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ عقَّ عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام، وعن ابن عباس ﷺ قال: سبعةٌ من السُّنَّةِ في الصبي يوم السابع: يُسمَّى ويُختن... الحديث.

وقال الألباني: وإن كان في كل منهما ضعفٌ لكن أحد الحديثين يقوي الآخر إذ مخرجهما مختلفٌ وليس فيهما متَّهم[٤].

---

(١) المعجم الوجيز (١٨٦).

(٢) أبو داود (٢/ ٣٥٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٥١).

(٣) البخاري (١١/ ٦٢٩٨)، ومسلم (٤/ ٣٧٠).

(٤) تمام المنة (٦٨).

فوائد الختان الصحية

١- الختان وقاية من الالتهابات الموضعية في القضيب؛ فالقلفة التي تحيط برأس القضيب تشكل جوفًا ذا فتحة ضيقة يصعب تنظيفها، ويتجمع فيها مفرزات القضيب المختلفة، بما فيها من مادة بيضاء ثخينة تدعى اللخن (**Smegma**)، وبقايا البول، والخلايا المتوسفة والتي تساعد على نمو الجراثيم المختلفة مؤدية إلى التهاب الحشفة.

٢- ختان الوليد يُسهل نظافة الأعضاء التناسلية، ويمنع تجمع الجراثيم تحت القلفة في فترة الطفولة.

وأكد الدكتور/ فرغسون: أن الأطفال غير المختونين هم أكثر عرضةً للإصابة بالتهاب الحشفة وتضييق القلفة عن المختونين.

٣- الختان يقي الأطفال من الإصابة بالتهاب المجاري البولية.

وأكد الدكتور/ جنزبرغ أن ٩٥٪ من التهاب المجاري البولية عند الأطفال تحدث عند غير المختونين، ويؤكد أن جعل الختان أمرًا روتينيًا في الولايات المتحدة منع ٥٠ ألف حالة من التهاب الحوض والكلية سنويًا عند الأطفال.

وأكد الدكتور/ محمد علي البار الخطورة البالغة لالتهاب المجاري البولية عند الأطفال، وأنها تؤدي في ٣٥٪ من الحالات إلى تجرثم الدم وقد تؤدي إلى التهاب السحايا والفشل الكلوي.

الختان والأمراض الجنسية

أكد البروفيسور وليم بيكوز الذي عمل في البلاد العربية أكثر من عشرين عامًا، وفحص أكثر من ثلاثين ألف امرأة، أكد على ندرة حدوث الأمراض الجنسية عند المختونات، بالإضافة إلى أمراض السيلان والكاميديا والتريكوموناز وسرطان عنق الرحم، ويرجع ذلك إلى سببين هامين:

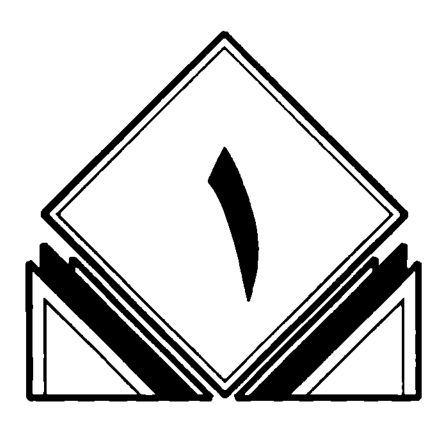
١- ندرة الزنا　　　　　　٢- الختان

ويرى (آريا) وزملاؤه أن الختان له دور وقائي هام من الإصابة بكثير من الأمراض الجنسية؛ وخاصة العقبول والثآليل التناسلية، كما صرح (فنك) بأن أكثر من ٦٠ دراسة علمية أثبتت كلها ازدياد حدوث الأمراض الجنسية عند غير المختونين. كما صرح دكتور/ ماركس: أن ثلاث دراسات قد أثبتت انخفاض نسبة مرض الإيدز عند غير المختونين، في حين وجد (سيمونس) وزملاؤه أن احتمال الإصابة بالإيدز بعد التعرض لفيروساته عند غير المختونين هي تسعة أضعاف ما هو عليه عند المختونين.

الختان وقاية من السرطان

قال البروفيسور/ كلودري: يمكن القول وبدون مبالغة، بأن الختان الذي يُجرى للذكور في سن مبكرة يُخفض كثيرًا من نسبة حدوث سرطان القضيب عندهم، مما يجعل الختان عملية ضرورية لا بد منها؛ للوقاية من حدوث الأورام الخبيثة، وقد أحصى الدكتور/ أوكبرتس (١١٠٣) مريض بسرطان القضيب في الولايات المتحدة، ولم يكن من بينهم رجلٌ واحدٌ مختونًا منذ طفولته، وفي بحث نشره الدكتور/ هيلبرغ وزملاؤه أكدوا فيه أن سرطان القضيب نادر جدًّا عند اليهود، وعند المسلمين، حيث يُجرى الختان أيام الطفولة الأولى، كما توجد أبحاث كثيرة جدًّا تؤكد أن الختان يقي من سرطان القضيب وتذكر هذه الأبحاث أن التهاب الحشفة وتضييق القلفة هما من أهم مسببات سرطان القضيب، ولما كان الختان يزيل القلفة من أساسها؛ فإن المختونين لا يمكن أن يحدث عندهم تضييق القلفة ويندر وجود التهاب الحشفة، ولقد ثبت أن مادة اللخن التي تفرزها بطانة القلفة عند غير المختونين لها دورٌ كبيرٌ في السرطان؛ حيث تشجع على نمو فيروس الثآليل **HPV** ذي التأثير المسرطن.





التربية العقائدية

مقدمة

الحمد لله الذي يمحو عن الزلل ويصفح، ويغفر الخطل ويمسح، من لاذ به ينجح، ومَنْ عامله يربح[١]، تشبيهُهُ بخلقه قبيحٌ وجحده أقبح، رفع السماء بغير عمدٍ فتأمل والمح، وأنزل القطر من السماء فإذا الزرع في الماء يسبح، والمواشي بعد الجدب في الخصب تسرح.

أحمده ما أمسى المساء وما أصبح[٢]، وأصلِّي على النبي المصطفى الذي أُنزل عليه ألم نشرح[٣]، وعلى أبي بكر الذي صحبه في الدار والغار ولم يبرح[٤]، وعلى عمر الفاروق الذي كان في إعزاز الدين يكدح، وعلى عثمان بن عفان ولا أقول ما جرى ولا أشرح[٥]، وعلى عليٍّ الذي كان يغسل قدميه في الوضوء ولا يمسح[٦].

---

(١) أي: من عامله بالطاعات والصالحات ربح الحسنات والدرجات.

(٢) أي: وما أصبح الصباح، وحُذفت كلمة (الصباح) لضرورة السجع.

(٣) أي: سورة الشرح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[الشرح: ١].

(٤) أي: لم يبرح من الغار أثناء صحبة المصطفى في هجرته، ولم يزال معه ينصره ويؤازره، حتى نجاهما الله عزَّ وجلَّ.

(٥) أي: عن الابتلاء الذي تعرَّض له.

(٦) لأن الأصل غسل القدمين في الوضوء، لا مسحهما.

أهداف العقيدة الإسلامية

قال ابن عثيمين -رحمه الله- في شرح أصول الإيمان: أهداف العقيدة الإسلامية: مقاصدها، وغاياتها النبيلة، المترتبة على التمسك بها، وهي كثيرة متنوعة، منها:

أولًا: إخلاص النية والعبادة لله تعالى وحده؛ لأنه الخالق لا شريك له، فوجب أن يكون القصد والعبادة له وحده.

ثانيًا: تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة؛ لأن مَنْ خلا قلبُهُ منها، فهو إما فارغ القلب من كل عقيدة وعابد للمادة الحسية فقط، وإما متخبطٌ في ضلالات العقائد والخرافات.

ثالثًا: الراحة النفسية والفكرية، فلا قلق في النفس، ولا اضطراب في الفكر؛ لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه، فيرضى به ربًّا مدبرًا، وحاكمًا مشرعًا، فيطمئن قلبه بقدره وينشرح صدره للإسلام فلا يبغي عنه بديلًا.

رابعًا: سلامة القصد والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى أو معاملة المخلوقين؛ لأن من أُسسها الإيمان بالرسل، المتضمن لاتباع طريقتهم ذات السلامة في القصد والعمل.

خامسًا: الحزم والجدُّ في الأمور؛ بحيث لا يُفوِّت فرصةً للعمل الصالح إلا استغلها فيه رجاءً للثواب، ولا يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه خوفًا من العقاب؛ لأن من أُسسها الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال، ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام: ١٣٢].

وقد حثَّ النبيﷺ على هذه الغاية في قوله: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر اللهُ وما شاء فعل، فإن لو تفتحُ عمل الشيطان**»[1].

---

(١) مسلم.

سادسًا: تكوين أمة قوية تبذل كل غالٍ ورخيصٍ في تثبيت دينها، وتوحيد دعائمه، غير مبالية بما يُصيبها في سبيل ذلك، وفي هذا يقول الله -تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

سابعًا: الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات ونيل الثواب والمكرمات، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

هذه بعضُ أهداف العقيدة الإسلامية، نرجو الله -تعالى- أن يُحققها لنا ولجميع المسلمين[١].

كيف نربي أولادنا عقائديًّا

اعلم رحمك الله، أن أساس التربية العقائدية في تربية الأولاد لهو من أهم الأسس التربوية، وعليه يكون الفلاح في الدنيا والآخرة، فإن التربية العقائدية لا تنفع صاحبها في دنياه فحسب؛ بل هي السبيل للنجاح والفلاح في الآخرة؛ لذا كان هذا الأساس التربوي من أهم الأسس في تربية الأولاد تربية إسلامية صحيحة.

والسؤال الآن هو: كيف نربي أولادنا عقائديًّا؟ والإجابة عليه في خلال هذه النقاط التوجيهية وما يليها من تفصيلات علمية في الصفحات التالية، أما النقاط التوجيهية فتشمل:

١- تعليم الأولاد لعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وخصائص تلك العقيدة، وأنواع التوحيد وأقسامه وفضائله.

٢- تعليم الأولاد أركان الإسلام والسُّنَّة وأسس العقيدة من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

٣- تحذير الأولاد من نواقض الإسلام التي بها يخرج المسلم من الملة، فينبغي على الآباء تعليم الأولاد لنواقض الإسلام حتى يحذروا من الوقوع فيها، وحتى يحذِّروا

---

(١) شرح أصول الإيمان (٦١- ٦٣).

غيرهم منها.

٤- تعليم الأولاد أحكام الذبح والنذر، والدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، وأنواع الشرك للتحذير منه والترهيب.

٥- تعليمهم أيضًا حكم السحر والكهانة والطيرة، والتنجيم، والاستسقاء بالنجوم؛ ليكونوا على بصيرة من دينهم.

٦- تعليمهم أنواع الكفر، والنفاق، والفسق، والظلم، والضلال، والدعة، والردة وأنواعها للتحذير منها والترهيب من اقترافها.

٧- تعليمهم ضرورة احترام الدين وشعائره وتوقيرها وتعظيمها وعدم ازدرائها ولا احتقارها وظلم الاستهزاء بالدين أو بشعيرة من شعائره، وتعليمهم التوسل بأنواعه، ما يجوز منه وما لا يجوز.

٨- تعليمهم أن الإيمان يزيد وينقص وزيادته بالطاعة ونقصانه بالمعصية.

٩- تعليمهم مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في أصحاب نبيهمﷺ وما هي كرامات الأولياء، وما موقف أهل السُّنَّة والجماعة منها.

١٠- وأخيرًا، الإجابة على التساؤلات والاستفسارات التي قد يتعرض لها الأبناء صغيرهم أو كبيرهم في مسألة من مسائل العقيدة فتكون الإجابة من الوالدين شافية كافية صحيحة صريحة بالأدلة من كتاب الله وسُنَّة رسوله؛ لذا كان ختام هذا الباب بفتاوى عقائدية للعلامة ابن باز -رحمه الله- عسى الله أن ينفع بها المسلمين صغارهم وكبارهم، شبابهم وشيوخهم، ذكورهم وإناثهم إنه على كل شيء قدير.

هذا، وكل ما ذكر من نقاط توجيهية تربوية من الناحية العقائدية مفصلٌ ومفسرٌ بأسلوب سهل وعرض يسير، وبصورة كافية شافية بإذن الله في الصفحات التالية.

مفهوم العقيدة الإسلامية

تعريف العقيدة في الاصطلاح العام

هي الإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شكٌّ، وهي ما يؤمن به الإنسان ويعقد عليه ضميره ويتخذه مذهبًا ودينًا، بغض النظر عن صحته من عدمها.

تعريف العقيدة الإسلامية

هي الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر: خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم والسُّنَّة الصحيحة من أصول الدين وأموره وأخباره وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله بالطاعة والتحكيم والاتباع.

موضوعات علم العقيدة

العقيدة بمفهوم أهل السُّنَّة والجماعة اسم علم على العلم الذي يدرس ويتناول جوانب التوحيد والإيمان والإسلام، وأمور الغيب، والنبوات، والقدر، والأخبار وأصول الأحكام القطعية، وما أجمع عليه السف الصالح من أمور العقيدة: كالولاء، والبراء والواجب تجاه الصحابة وأمهات المؤمنين -رضوان الله عليهم- ويدخل في ذلك الرد على الكفار، والمبتدعة، وأهل الأهواء، وسائر الملل والنِّحَل، والمذاهب الهدامة والفرق الضالة والموقف منهم، إلى غير ذلك من مباحث العقيدة.

أسماء علم العقيدة

أسماء علم العقيدة عند أهل السُّنَّة والجماعة

١ - العقيدة والاعتقاد والعقائد.
٢ - التوحيد.
٣ - السُّنَّة.
٤ - الشريعة.
٥ - الإيمان
٦ - أصول الدين أو أصول الديانة

أهل السُّنَّة والجماعة

تعريفهم: هم مَنْ كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهم المستمسكون بسُنَّة النبي ﷺ، وهم الصحابة والتابعون، وأئمة الهدى المتَّبِعون لهم، وهم الذين استقاموا على الاتباع وجانبوا الابتداع في أي مكان وزمان، وهم باقون منصورون إلى يوم القيامة.

سبب تسميتهم: سُمُّوا بذلك؛ لانتسابهم لسُنَّة النبي ﷺ واجتماعهم على الأخذ بها ظاهرًا وباطنًا في القول والعمل والاعتقاد.

أسماء أخرى لأهل السُّنَّة والجماعة:

لأهل السُّنَّة والجماعة أسماء أخرى يُعرفون بها، منها:

١- أهل السُّنَّة والجماعة
٢- أهل السنة
٣- أهل الجماعة
٤- الجماعة
٥- السلف الصالح
٦- أهل الأثر
٧- أهل الحديث
٨- الفرقة الناجية
٩- الطائفة المنصورة
١٠- أهل الاتِّباع

خصائص العقيدة الإسلامية

للعقيدة الإسلامية -عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة- خصائص عديدة، لا توجد في أيَّة عقيدة أخرى، ولا غرو في ذلك، إذ إن تلك العقيدة تُستمد من الوحي الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، ومن تلك الخصائص ما يلي:

١- سلامةُ مصدر التلقي

وذلك باعتمادها على الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف الصالح، فهي مستقاةٌ من ذلك النبع الصافي بعيدًا عن كدر الأهواء والشبهات.

وهذه الخصيصة لا توجد في شتى المذاهب والملل والنحل غير العقيدة الإسلامية – عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

٢- تقوم على التسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ

وذلك لأنها غيبٌ، والغيبُ يقوم على التسليم، فالتسليم بالغيب من أعظم صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها، كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة:٢- ٣].

ذلك أن العقول لا تدرك الغيب، ولا تستقل بمعرفة الشرائع؛ لعجزها وقصورها، فكما أن سمع الإنسان قاصرٌ وبصره كليلٌ، وقوته محدودة، فكذلك عقله؛ فتعين الإيمان بالغيب والتسليم لله عزَّ وجلَّ.

٣- موافقتها للفطرة القويمة والعقل السليم

فعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة ملائمةٌ للفطرة السليمة موافقةٌ للعقل الصريح الخالي من الشهوات والشبهات.

٤- اتصال سندها بالرسول ﷺ والتابعين وأئمة الدين قولًا وعملًا واعتقادًا

وهذه الخصيصة قد اعترف بها كثيرٌ من خصومها، فلا يوجد بحمد الله أصلٌ من أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، ليس له أصلٌ أو مستند من الكتاب والسُّنَّة أو عن السلف الصالح بخلاف العقائد الأخرى المبتدعة.

٥- الوضوح والسهولة والبيان

فهي عقيدةٌ سهلةٌ واضحةٌ وضوح الشمس في رابعة النهار، فلا لبس فيها ولا

غموض، ولا تعقيد، فألفاظها واضحة، ومعانيها بيِّنة، يفهمها العالم والعامي والصغير والكبير، فهي تُستمد من الكتاب والسُّنَّة، وأدلة الكتاب والسُّنَّة كالغذاء ينتفع به كل إنسان، بل كالماء الذي ينتفع به الرضيع والصبيُّ والقويُّ والضعيفُ.

٦- السلامة من الاضطراب والتناقض واللبس

فلا مكان فيها لشيء من ذلك مطلقًا، كيف لا، وهي وحيٌ لا يأتين الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه فالحق لا يضطرب ولا يتناقض ولا يلتبس، بل يشبه بعضه بعضًا، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

٧- قد تأتي بالمحار، ولكن لا تأتي بالمحال

ففي العقيدة الإسلامية ما يُبهر العقول، وما قد تُحار فيه الأفهام، كسائر أمور الغيب، من عذاب القبر ونعيمه، والصراط والحوض، والجنة والنار، وكيفية صفات الله -عزَّ وجلَّ، فالعقول تحار في فهم حقيقة هذه الأمور وكيفياتها؛ ولكنها لا تحيلها بل تسلِّم لذلك، وتنقاد وتُذعن؛ لأن ذلك صدر عن الوحي المنزل الذي لا ينطق عن الهوى.

٨- العموم والشمول والصلاح

فهي عامة شاملة صالحة لكل زمان ومكان وحال وأمة؛ بل إن الحياة لا تستقيم إلا بها.

٩- الثبات والاستقرار والخلود

فهي عقيدة ثابتة مستقرة خالدةٌ، فلقد ثبتت أمام الضربات المتوالية التي يقوم بها أعداء الإسلام من اليهود، والنصارى، والمجوس، وغيرهم.

١٠- أنها سببٌ للنصر والظُّهور والتمكين

فذلك لا يكون إلا لأهل العقيدة الصحيحة فهم الظاهرون وهم الناجون وهم المنصورون، كما قال ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك**»[1] فمن أخذ بتلك العقيدة أعزه الله ومن تركها خذله الله، وقد علم ذلك كل من قرأ التاريخ، فمتى حاد المسلمون عن دينهم حاق بهم ما حاق، كما حدث لهم في الأندلس وغيرها.

---

(١) مسلم (٣/ ١٥٢٤).

١١ - إنها ترفع قدر أهلها

فمن اعتقدها، وزاد علمًا بها وعملًا بمقتضاها، ودعوةً للناس إليها أعلى اللهُ قدره ورفع له ذكره، ونشر بين الناس فضله، فردًا كان أو جماعة.

ذلك أن العقيدة الصحيحة هي أفضل ما اكتسبته القلوب، وخير ما أدركته العقول، فهي تثمر المعارف النافعة والأخلاق العالية.

١٢ - السلامة والنجاة

فالسُّنَّة سفينة النجاة، فمن تمسك بها سلم ونجا، ومن تركها غرق وهلك.

١٣ - العقيدة الإسلامية عقيدة الألفة والاجتماع

فما اتحد المسلمون وما اجتمعت كلمتهم في مختلف الأعصار والأمصار إلا بتمسكهم بعقيدتهم وأخذهم بها، وما تفرقوا واختلفوا إلا لبعدهم عنها.

١٤ - التميز

فهي عقيدة متميزة، وأهلها متميزون، فطريقتهم مستقيمة وأهدافهم محددة.

١٥ - إنها تحمي معتنقها من التخبط والفوضى والضياع

فالمنهج واحدٌ والمبدأ واضحٌ ثابتٌ لا يتغير، فيسلم معتنقُها من اتباع الهوى، ويسلم من التخبط في توزيع الولاء والبراء، والمحبة والبغضاء.

بل تُعطيه معيارًا دقيقًا، لا يُخطئ أبدًا؛ فيسلم من التشتت والتشرد والضياع، فيعرف من يوالي، ويعرف مَنْ يعادي، ويعرف ما له وما عليه.

١٦ - إنها تمنح معتنقيها الراحة النفسية والفكرية

فلا قلق في النفس، ولا اضطراب في الفكر؛ لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه - عزَّ وجلَّ- فيرضى به ربًّا مدبرًا وحاكمًا مشرِّعًا، فيطمئن قلبه بقدره، وينشرح صدره لحكمه، ويستنير فكرهُ بمعرفته.

١٧ - سلامةُ القصد والعمل

بحيث يسلم معتنقوها من الانحراف في عبادة الله -عزَّ وجلَّ- فلا يعبد غير الله ولا

يرجو سواه.

١٨- تؤثر على السلوك والأخلاق والمعاملة

فهي تأمر أهلها بكل خير، وتنهاهم عن كل شرٍّ فتأمرهم بالعدل والاعتدال، وتنهاهم عن الظلم والانحراف.

١٩- تدفع معتنقيها إلى الحزم والجد في الأمور

٢٠- تبعث في نفس المؤمن تعظيم الكتاب والسُّنَّة

لأنه يعلم أن الكتاب والسُّنَّة حقٌّ وصوابٌ وهدى ورحمة، فينبعث بذلك إلى تعظيمها والأخذ بهما.

٢١- تكفل لمعتنقيها الحياة الكريمة

ففي ظل العقيدة الإسلامية يتحقق الأمن والحياة الكريمة؛ ذلك لأنها تقوم على الإيمان بالله، ووجوب إفراده بالعبادة دون سواه، وذلك بلا شك سبب الأمن والخير والسعادة في الدارين، فالأمن قرين الإيمان، وإذا فُقِدَ الإيمان فُقد الأمن، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]. فأهل التقوى والإيمان لهم الأمنُ التامُ والاهتداء التام في العاجل والآجل وأهل الشرك والمعصية هم أهل الخوف وأَوْلى الناس به، فهم مهدَّدون بالعقوبات والنقمات في سائر الأوقات.

٢٢- تجمع العقيدة بين مطالب الروح والقلب والجسد

٢٣- تعترف بالعقل وتُحدد مجاله

فالعقيدة الإسلامية تحترم العقل السويّ، وتقدره وترفع من شأنه، ولا تحجر عليه، ولا تنكر نشاطه، والإسلام لا يرضى من المسلم أن يُطفئ نور عقله، ويركن إلى التقليد الأعمى في مسائل الاعتقاد وغيرها.

٢٤- تعترف العقيدة بالعواطف الإنسانية وتوجهها الوجهة الصحيحة

فالعواطف أمرٌ غريزيٌّ ولا يتجرد منه أي إنسان سويٍّ، والعقيدة الإسلامية ليست عقيدة هامدة جامدة، بل هي عقيدة حية، تعترف بالعواطف الإنسانية، وتقدرها حق

قدرها، وفي الوقت نفسه لا تطلق العنان لها، بل تُقوِّمها وتسمو بها، وتوجهها الوجهة الصحيحة، التي تجعل منها أداة خير وتعمير، بدلًا من أن تكون معول هدم وتدمير.

٢٥- العقيدة الإسلامية كفيلةٌ بحلٍّ جميع المشكلات

سواء مشكلات الفرقة والشتات، أو مشكلات السياسة والاقتصاد، أو مشكلات الجهل والمرض والفقر، أو غير ذلك، فلقد جمع الله بها القلوب المشتتة، والأهواء المتفرقة وأغنى بها المسلمين بعد العيلة، وعلمهم بها بعد الجهل، وبصَّرهم بعد العمى وأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف [1].

(١) مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد (١٢- ٢٢).

خصائص أهل السُّنَّة والجماعة

كما أن لعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة مميزات تمتاز بها عن غيرها من العقائد، فكذلك لأهل السُّنَّة خصائص ومميزات يمتازون بها عن غيرهم من أهل الملل والنحل يجدر بكل من انتسب إليهم أن يأخذ بها، ويؤطر نفسه عليها، حتى ينال ما نالوه من خير وفضل.

فمن تلك الخصائص التي تميز بها أهل السُّنَّة والجماعة ما يلي:

١ - الاقتصار في التلقي على الكتاب والسُّنَّة

فهم ينهلون من هذا المنهل العذب عقائدهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكياتهم، وأخلاقهم، فكل ما وافق الكتاب والسُّنَّة قبلوه وأثبتوه وكل ما خالفهما ردوه على قائله كائنًا مَنْ كان.

٢ - التسليم لنصوص الشرع وفهمها على مقتضى منهج السلف

فهم يسلِّمون لنصوص الشرع سواءً فهموا الحكمة منها أم لا، ولا يعرضون النصوص على عقولهم.

٣- الاتباع وترك الابتداع

فهم لا يقومون بين يدي الله ورسوله ولا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ ولا يرضون لأحدٍ كائنًا مَنْ كان أن يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ.

٤ - الاهتمام بالكتاب والسُّنَّة

فهم يهتمون بالقرآن حفظًا وتلاوةً وتفسيرًا، وبالحديث درايةً وروايةً.

٥ - احتجاجهم بالسُّنَّة الصحيحة وترك التفريق بين المتواتر والآحاد سواء في الأحكام أو العقائد

٦- ليس لهم إمامٌ معظمٌ يأخذون كلامه كله ويدعون ما خالفه إلا الرسولﷺ

٧- هم أعلم الناس بالرسولﷺ فهم يعلمون هديه وأعماله وأقواله وتقريراته لذلك فهم أشد الناس حبًا له واتباعًا للسُّنَّة.

٨- الدخول في الدين كله

فهم يدخلون في الدين كله، ويؤمنون بالكتاب كله امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

٩- تعظيم السلف الصالح

فأهل السُّنَّة يعظمون السلف الصالح ويقتدون بهم ويهتدون بهديهم، ويرون أن طريقتهم هي الأسلم والأعلم والأحكم.

١٠- الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة ورد المتشابه إلى المحكم

١١- الجمع بين العلم والعبادة

بخلاف غيرهم، فإما أن يشتغل بالعبادة عن العلم، أو بالعلم عن العبادة، أما أهل السُّنَّة والجماعة فيجمعون بين الأمرين.

١٢- الجمع بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب

فهم لا ينكرون الأسباب ولا تأثيرها إذا ثبتت شرعًا أو قدرًا، ولا يدعون الأخذ بالأسباب، وفي الوقت نفسه لا يلتفتون إليها ولا يرون أن هناك تنافيًا بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب؛ لأن نصوص الشرع حافلة بالأمر بالتوكل على الله، والأخذ بالأسباب المشروعة أو المباحة في مختلف شئون الحياة، فقد أمرت بالعمل والسعي في طلب الرزق، والتزود للأسفار، واتخاذ العدد في مواجهة العدو.

١٣- الجمع بين التوسع في الدنيا والزهد فيها

فأهل السُّنَّة والجماعة لا ينكرون على من يتوسع في الدنيا، ويسعى في كسب الرزق، بل يرون أنه ينبغي للإنسان أن يكفي نفسه ومن يعول، ويستغني عن الناس، ويقطع عما في أيديهم، على ألا تكون الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه، وعلى ألا يكتسب المال من غير حلِّه، كما لا يعيبون على من آثر الكفاف، ورضي بالقليل، من متاع الدنيا؛ لأنهم يرون أن الزهد إنما هو زهد القلب، وهو أن يترك الإنسان ما لا ينفع في الآخرة.

١٤- الجمع بين الخوف والرجاء والحب

١٥- الجمع بين الرحمة واللين والشدة والغلظة

بخلاف غيرهم ممن يأخذ جانبًا من هدي السلف ويدع الجانب الآخر، فيأخذون بالشدة في جميع أحوالهم أو باللين في جميع أحوالهم، أما أهل السُّنَّة فيجمعون بين هذا

وهذا، وكلٌّ في موضعه حسب ما تقتضيه المصلحة، ومقتضيات الأحوال.

١٦- الجمع بين العقل والعاطفة

فعقولهم راجحة، وعواطفهم صادقة، ومعاييرهم منضبطة، فلم يُغلِّبوا جانب العقل على العاطفة، ولا جانب العاطفة على العقل، وإنما جمعوا بينهما على أكمل وجه وأتمه، فمع أن عواطفهم قويةٌ مشبوبة إلا أن تلك العواطف تُضبط بالعقل، وذلك العقل يُضبط بالشرع.

١٧- العدل

من أعظم المميزات لأهل السُّنَّة والجماعة فهم أعدلُ الناس، وأولاهم بامتثال قول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقوله: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

١٨- الأمانة العلمية

فالأمانة زينة العلم، وروحه الذي يجعله زاكي الثمر، لذيذ الطعم، وأهل السُّنَّة لهم القَدْر المعلَّى في ذلك الشأن.

١٩- الوسطية

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فكما أن أمة الإسلام وسطٌ بين الأمم التي تجنح إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك، فكذلك أهل السُّنَّة والجماعة متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم.

٢٠- عدم الاختلاف في أصول الاعتقاد

فالسلف الصالح لا يختلفون في أصل من أصول الدين وقواعد الاعتقاد.

٢١- ترك الخصومات في الدين ومجانبة أهل الخصومات

لأن الخصومات مدعاةٌ للفرقة والفتنة ومجلبةٌ للتعصب واتباع الهوى، ومطيةٌ للانتصار للنفس، والتشفِّي من الآخرين وذريعة للقول على الله بغير علم.

٢٢- الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق

فهم حريصون على جمع كلمة المسلمين على الحق، وإزالة أسباب النزاع والفرقة بينهم لعلمهم أن الاجتماع رحمة والفرقة عذاب.

٢٣- سعة الأفق

فهم أوسع الناس أفقًا، وأبعدهم نظرًا، وأرحمهم بالخلاف صدرًا، وأكثرهم للمعاذير التماسًا، ومن مظاهر سعة الأفق عندهم بعدهم عن التعصب المقيت والتقليد الأعمى والحزبية الضيقة.

٢٤- حسن الخلق

فأهل السُّنَّة أحسن الناس خلقًا، وأكثرهم حلمًا، وسماحةً وتواضعًا، وأحرصهم دعوةً إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

٢٥- هم أهل الدعوة إلى الله تعالى

فهم يدعون إلى دين الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ويسلكون في ذلك شتى الطرق المشروعة والمباحة.

٢٦- هم الغرباء

الذين يُصلحون ما أفسد الناس، ويصلحون إذا فسد الناس.

٢٧- هم الفرقة الناجية

التي تنجو من البدع والضلالات في هذه الدنيا.

٢٨- وهم الطائفة المنصورة

٢٩- لا يوالون ولا يعادون إلا على أساس الدين

٣٠- سلامتهم من تكفير بعضهم لبعض

فأهل السُّنَّة سالمون من ذلك، فهم يردُّون على المخالف منهم، ويوضحون الحقَّ للناس، فهم يُخطِّئون ولا يُكفِّرون، ولا يُبدِّعون، ولا يُفسِّقون إلا من استحق ذلك.

٣١- سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب الرسول ﷺ

فقلوبهم عامرةٌ بحبهم، وألسنتهم تلهج بالثناء عليهم.

٣٢- سلامتهم من الحيرة والاضطراب والتخبط والتناقض

فأهل السُّنَّة والجماعة أكثر الناس رضًا ويقينًا، وطمأنينةً، وإيمانًا، وأبعدهم عن الحيرة، والاضطراب، والتخبط، والتناقض.

٣٣- التثبُّت في الأخبار وعدم التسرع في إطلاق الأحكام

٣٤- حصول البُشرى عند الممات

وذلك لإيمانهم بالله، واستقامتهم على أمره، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت: ٣٠].

٣٥- مضاعفة الحسنات ورفعة الدرجات

فمن أسباب مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات -بل هو أساسها وأصلها- صحة العقيدة وقوة الإيمان، وأهل السُّنَّة والجماعة أصحُّ الناس عقيدةً وأقواهم إيمانًا؛ ولذلك فأعمالهم تُضاعف مضاعفة كبيرةً، ودرجاتهم تُرفع وتعلو علوًّا لا يدانيه أحدٌ، ولا يشاركهم فيه إلا مَنْ كان على مثل ما هم عليه من العقيدة والإيمان.

ولهذا قال السلف: أهل السُّنَّة والجماعة، إن قعدت بهم أعمالهم؛ قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إن كثرت أعمالهم؛ قعدت بهم عقائدهم، هذه مآثر أهل السُّنَّة والجماعة، وهذه بعضُ خصائصهم التي تميزوا بها على غيرهم، وتلك هي الخصال التي تميز بها سلفنا الصالح -رحمهم الله ورضي عنهم[١].

---

(١) مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة (٢٣- ٤٦) باختصار.

أنواع التوحيد وأقسامه

قال ابن عثيمين رحمه الله: قد قسم العلماء -رحمهم الله- التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: توحيد الربوبية

وهو إفراد الله -سبحانه وتعالى- في أمور ثلاثة: في الخلق، والملك، والتدبير.

أدلة توحيد الربوبية

١- الخلق: قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. ووجه الدلالة من الآية أنه قدَّم فيها الخبر الذي حقه التأخير، والقاعدة البلاغية أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، ثم تأمل افتتاح هذه الآية بـ (ألا) الدالة على التنبيه والتوكيد

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ لا لغيره، فالخلق هذا هو، والأمر هو التدبير.

٢- أما الملك: فدليله مثل قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الجاثية: ٢٧]. فهذا يدل على انفراده -سبحانه وتعالى- بالملك، ووجه الدلالة من هذه الآية كما سبق، تقديم ما حقه التأخير؛ إذن فالرب تعالى منفردٌ بالخلق والملك والتدبير.

٣- وأما التدبير: فللإنسان تدبير ولكن نقول: هذا التدبير قاصرٌ كالوجهين السابقين، في الملك ليس كل شيء أملك التدبير فيه، وإنما أملك تدبير ما كان تحت حيازتي وملكي، وكذلك لا أملك تدبيره إلا على وفق الشرع الذي أباح لي هذا التدبير، وحينئذ يتبين أن قولنا: إن الله -تعالى- منفردٌ بالخلق والملك والتدبير كلية عامة مطلقة، لا يُستثنى منها شيءٌ[1].

وقال السعدي رحمه الله: توحيد الربوبية بأن يعتقد العبد أن الله هو الربُّ المتفردُ بالخلق، والرزق والتدبير الذي ربَّى جميع الخلق بالنعم، وربَّى خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين[2].

---

(١) شرح الواسطية (٩- ١١) باختصار.

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد، للسعدي (١٣).

القسم الثاني: توحيد الألوهية

قال ابن عثيمين رحمه الله: **وهو إفراد الله -تعالى- بالعبادة، بأن لا تكون عبدًا لغير الله، لا تعبد ملكًا ولا نبيًّا ولا وليًّا ولا شيخًا ولا أمًّا ولا أبًا، لا تعبد إلا الله وحده، فتفرد الله تعالى وحده بالتأله والتعبد، ولهذا يُسمى: توحيد الألوهية، ويُسمى: توحيد العبادة، فباعتبار إضافته إلى الله هو توحيد ألوهية، وباعتبار إضافته إلى العبد هو توحيد عبادة.**

والعبادة مبنيةٌ على أمرين عظيمين: هما المحبة والتعظيم الناتج عنهما ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

فبالمحبة تكون الرغبة وبالتعظيم تكون الرهبة والخوف؛ ولهذا كانت العبادة أوامر ونواهي: أوامر مبنية على الرغبة وطلب الوصول إلى الآمر، ونواهي مبنية على التعظيم والرهبة من هذا التعظيم، فإذا أحببت الله تعالى رغبت فيما عنده، ورغبت في الوصول إليه، وطلبت الطريق الموصل إليه، وقمت بطاعته على الوجه الأكمل، وإذا عظَّمته خفت منه، وكلما هممت بمعصية استشعرت عظمة الخالق تعالى فنفرت.

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ [يوسف: ٢٤] فهذه من نعمة الله عليك، إذا هممت بمعصية وجدت الله أمامك، فهبت وخفت وتباعدت عن المعصية؛ لأنك تعبد الله رغبةً ورهبةً.

معنى العبادة

قال ابن عثيمين رحمه الله: **العبادة تُطلق على أمرين: على الفعل والمفعول.**

١- تطلق على الفعل: الذي هو التعبد، فيُقال: عَبَدَ الرجل ربه عبادةً وتعبدًا وإطلاقها على التعبد من باب إطلاق اسم المصدر على المصدر، ونعرفها باعتبار إطلاقها على الفعل، بأنها التذلل لله تعالى حُبًّا وتعظيمًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وكل من ذلَّ لله عزَّ بالله ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ﴾ [المنافقون: ٨]

٢- وتطلق على المفعول: أي: المتعبَّد به. وهي بهذا المعنى تُعرف بما عَرَّفها به شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث قال: العبادةُ اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبه اللهُ ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة، هذا الشيء الذي تعبَّدنا اللهُ به يجب توحيد الله به، لا

يُصرف لغيره كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء، والنذر، والخشية، والتوكل، إلى غير ذلك من العبادات[(١)] .

وقال السعدي -رحمه الله- عن توحيد الألوهية: وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وإفراده وحده بالعبادة وإخلاص الدين لله وحده، وهذا الأخير يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي هي صفة تعمُّ أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإن المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحدٌ سواه. ومقصود دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم الدعوة إلى هذا التوحيد[(٢)] .

أدلة توحيد الألوهية

قال ابن عثيمين رحمه الله: هناك أدلةٌ كثيرةٌ منها:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦]، وأيضًا قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾[آل عمران: ١٨] . لو لم يكن من فضل العلم إلا هذه المنقبة؛ حيث إن الله ما أخبر أن أحدًا شهد بألوهيته إلا أولو العلم، نسأل الله أن يجعلنا منهم ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدل، ثم قرر هذه الشهادة بقوله: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فهذا دليلٌ واضحٌ على أنه لا إله إلا الله تعالى.

وهذان النوعان من أنواع التوحيد لا يجحدهما ولا ينكرهما أحدٌ من أهل القبلة المنتسبين إلى الإسلام؛ لأن الله تعالى موحَّدٌ بالربوبية والألوهية[(٣)] .

---

(١) شرح الواسطية (١١، ١٢).

(٢) القول السديد (١٤).

(٣) شرح الواسطية (١٢، ١٣).

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات

قال السعدي رحمه الله: هو اعتقاد انفراد الرب -جلَّ جلالُهُ- بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال والجمال، التي لا يشاركه فيها مشاركٌ بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته اللهُ لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها، الواردة في الكتاب والسُّنَّة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي كماله[1].

قال ابن تيمية رحمه الله: ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ.

قال ابن عثيمين رحمه الله: وفي هذه الجملة مباحث:

المبحث الأول

إن من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه، ووجه ذلك أن الإيمان بالله يتضمن الإيمان بأسمائه وصفاته، فإن ذات الله تُسمَّى بأسماء وتوصف بصفات، ووجود ذلك مجردة عن الأوصاف أمرٌ مستحيل، فلا يمكن أن توجد ذات مجردة عن الأوصاف أبدًا.

المبحث الثاني

إن صفات الله تعالى من الأمور الغيبية، والواجب على الإنسان نحو الأمور الغيبية أن يؤمن بها على ما جاءت، دون أن يرجع إلى شيء سوى النصوص.

قال الإمام أحمد: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث، يعني: أننا لا نوصف الله إلا بما نصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

---

(١) القول السديد (١١، ١٢).

الدليل

قال ابن عثيمين رحمه الله: ويدلُّ على ذلك القرآن والعقل:

ففي القرآن: يقول الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فإذا وصفت الله بصفة لم يصف الله بها نفسه، فقد قلت عليه ما لا تعلم وهذا محرَّمٌ بنص القرآن. ويقول تعالى:

﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا** ﴾ [الإسراء: ٣٦]. ولو وصفنا الله بما لم يصف به نفسه لَكُنَّا نقول ما ليس لنا به علم؛ فوقعنا فيما نهى الله عنه.

الدليل العقلي: وأما الدليل العقلي فلأن صفات الله تعالى من الأمور الغيبية، ولا يمكن في الأمور الغيبية أن يدركها العقل، وحينئذ لا نصف الله بما لم يصف به نفسه ولا نُكيِّف صفاته؛ لأن ذلك غير ممكن، نحن الآن لا ندرك ما وصف الله به نعيم الجنة من حيث الحقيقة، مع أنه مخلوقٌ.

في الجنة فاكهةٌ ونخلٌ ورمان، وسررٌ، وأكوابٌ، وحورٌ، ونحن لا ندرك حقيقة هذه الأشياء، ولو قيل: صفها لنا لا نستطيع وصفها.

لقوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة: ١٧]، ولقوله تعالى في الحديث القدسي: (**أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**)[١].

فإذا كان هذا في المخلوق الذي وُصف بصفاتٍ معلومة المعنى ولا تُعلم حقيقتها، فكيف بالخالق؟!

---

(١) البخاري (٣٢٤٤، ٤٧٧٩، ٤٧٨٠، ٧٤٩٨) ومسلم (٢٨٢٤).

المبحث الثالث

إننا لا نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ودليل ذلك أيضًا من السمع والعقل:

أما السمع: ذكرنا من السمع آيتين.

وأما العقل: فقلنا: إن هذا أمرٌ غيبيٌّ لا يمكن إدراكه بالعقل.

المبحث الرابع

وجوب إجراء النصوص الواردة في الكتاب والسُّنَّة على ظاهرها لا نتعداها.

مثال ذلك: لما وصف الله نفسه بأن له عينًا، هل نقول: المراد بالعين الرؤية، لا حقيقة العين؟ لو قلنا ذلك، ما وصفنا الله بما وصف به نفسه. ولما وصف الله نفسه بأن له يدين ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[المائدة: ٦٤]. لو قلنا: إن الله تعالى ليس له يد حقيقة، بل المراد باليد ما يُسبغه من النعم على عباده، فهل وصفنا الله بما وصف به نفسه؟

المبحث الخامس

عموم كلام المؤلف يشمل كل ما وصف الله به نفسه من الصفات الذاتية المعنوية والخبرية والصفات الفعلية.

الصفات الذاتية

فالصفات الذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها، وهي نوعان:

١- معنوية: مثل: الحياة، والعلم، والقدرة، والحكمة، وما أشبه ذلك وهذا على سبيل التمثيل لا الحصر.

٢- خبرية: مثل: اليدين والوجه والعينين، وما أشبه ذلك مما سماه نظيره: أبعاض وأجزاء لنا.

فالله -تعالى- لم يزل له يدان ووجه وعينان، لم يحدث له شيءٌ من ذلك بعد أن لم يكن، ولم ينفك عنه شيءٍ منه، كما أن الله لم يزل حيًّا ولا يزال حيًّا، لم يزل عالمًا ولا يزال عالمًا، ولم يزل قادرًا، ولا يزال قادرًا،... وهكذا.

يعني: ليس حياته تتجدد، ولا قدرته تتجدد، ولا سمعه يتجدد؛ بل هو موصوفٌ

بهذا أزلًا وأبدًا، وتجدُّدُ المسموع لا يستلزم تجدُّدَ السمع، فأنا مثلًا عندما أسمع الأذان الآن، فهذا ليس معناه أنه حدث لي سمعٌ جديد عند سماع الأذان، بل هو منذ خلقه اللهُ فِيَّ، لكن المسموع يتجدَّد، وهذا لا أثر له في الصفة.

واصطلح العلماء -رحمهم الله- على أن يسموها الصفات الذاتية؛ قالوا: لأنها ملازمةٌ للذات لا تنفكُّ عنها.

الصفات الفعلية

والصفات الفعلية هي الصفات المتعلقة بمشيئته، وهي نوعان:

١- صفاتٌ لها سببٌ معلوم: مثل الرضا، فالله تعالى إذا وجد سبب الرضا رضي، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧].

٢- وصفاتٌ ليس لها سببٌ معلوم: مثل النزول إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر.

ومن الصفات ما هو صفةٌ ذاتيةٌ وفعليةٌ باعتبارين: فالكلام صفةٌ فعليةٌ باعتبار آحاده، لكن باعتبار أصله صفةٌ ذاتيةٌ؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا؛ لكنه يتكلم بما شاء متى شاء، واصطلح العلماء -رحمهم الله- على أن يسموا هذه الصفات صفات فعلية؛ لأنها من فعله سبحانه وتعالى.

ولها أدلة كثيرةٌ من القرآن، مثل: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [المائدة: ١١٩]، ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٦]، ﴿ سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [المائدة: ٨٠]، وليس في إثباتها لله تعالى نقصٌ بوجه من الوجوه، بل هذا من كماله أن يكون فاعلًا لما يريد.

المبحث السادس

إن العقل لا مدخل له في باب الأسماء والصفات: لأن مدار إثبات الأسماء



والصفات أو نفيها على السمع، فعقولنا لا تحكم على الله أبدًا، فالمدارُ إذن على السمع. خلافًا للأشعرية والمعتزلة والجهمية وغيرهم من أهل التعطيل الذين جعلوا المدار في إثبات الصفات أو نفيها على العقل، فقالوا: ما اقتضى العقل إثباته أثبتناه، سواءً أثبته الله لنفسه أم لا، وما اقتضى نفيه نفيناه، وإن أثبته الله، وما لا يقتضي العقلُ إثباته ولا نفيه، فأكثرهم نفاه، وقال: إن دلالة العقل إيجابية، فإن أوجب الصفة أثبتناها، وإن لم يوجبها نفيناها، ومنهم من توقف فيه فلا يُثبتها؛ لأن العقل لا يُثبتها؛ لكن لا يُنكرها لأن العقل لا ينفيها، ويقول: نتوقف؛ لأن دلالة العقل عند هذا سلبيةٌ، إذا لم يوجب يتوقف ولم ينفِ، فصار هؤلاء يُحكِّمُون العقل فيما يجب أو يمتنع على الله -تعالى.

هذه ستة مباحث تحت قوله: (ما وصف به نفسه).

وأما قوله: (وبما وصفه به رسوله): وصف رسول الله ﷺ لربه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أما بالقول، أو بالفعل، أو بالإقرار.

١- أما القول فكثير:

مثل: «ربنا الذي في السماء تقدَّس اسمك، أمرك في السماء والأرض»[١] وقوله في يمينه «لا ومقلب القلوب»[٢].

٢- وأما الفعل فهو أقل من القول:

مثل إشارته إلى السماء يستشهد الله على إقرار أمته بالبلاغ، وهذا في حجة الوداع في عرفه، خطب الناس وقال: «ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم. ثلاث مرات. قال: «اللهم اشهد»، يرفع إصبعه إلى السماء وينكتها إلى الناس[٣] فرفعُ إصبعه إلى السماء هذا وصف الله تعالى بالعلو عن طريق الفعل، وجاء رجلٌ وهو يخطب الناس يوم الجمعة، قال: يا رسول الله، هلكت الأموال، فرفع يديه[٤]، وهذا أيضًا وصف الله بالعلو عن طريق الفعل،

---

(١) أبو داود (٣٨٩٢)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٨٣٩).

(٢) البخاري (٧٣٩١).

(٣) مسلم (١٢١٨).

(٤) البخاري (١٠١٣، ١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).

وغير ذلك من الأحاديث التي فيها فعل النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا ذكر صفة من صفات الله.

وأحيانًا، يذكر الرسول -عليه الصلاة والسلام- الصفة من صفات الله بالقول ويؤكدها بالفعل وذلك حينما تلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]. فوضع إبهامه على أذنه اليمنى، والتي تليها على عينه[١] وهذا إثبات للسمع والبصر بالقول والفعل.

٣- وأما الإقرار: فهو قليلٌ بالنسبة لما قبله:

مثل: إقراره الجارية التي سألها، «أين الله؟» قالت: في السماء فأقرها، وقال: «اعتقها»[٢]، وكإقرار الحبر من اليهود الذي جاء وقال للرسول -عليه الصلاة والسلام- إننا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والثرى على إصبع، إلى أخر الحديث.. فضحك النبيﷺ تصديقًا لقوله[٣]، وهذا إقرار.

وقال ابن عثيمين رحمه الله: وقوله: «من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل» في هذه الجملة بيان صفة إيمان أهل السُّنَّة بصفات الله -تعالى- فأهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بها إيمانًا خاليًا من هذه الأمور الأربعة: التحريف، والتعطيل، والتكييف والتمثيل.

فالتحريف: التغيير، وهو إما لفظي وإما معنوي والغالب أن التحريف اللفظي لا يقع، وإذا وقع فإنما يقع من جاهل فالتحريف اللفظي يعني: تغيير الشكل.

فمثلًا: ما تجد أحدًا يقول: (الحمد لله رب العالمين) بفتح الدال إلا إذا كان جاهلًا... وهذا الغالب.

لكن التحريف المعنوي هو الذي وقع فيه كثيرٌ من الناس، فأهل السُّنَّة والجماعة

---

(١) أبو داود (٤٧٢٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٩٥٤).

(٢) مسلم (٥٣٧).

(٣) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

إيهامهم بما وصف الله به نفسه خالٍ من التحريف يعني تغيير اللفظ أو المعنى، وتغيير المعنى يسميه القائلون به تأويلًا، ويسمون أنفسهم بأهل التأويل لأجل أن يصبغوا هذا الكلام صبغة القبول؛ لأن التأويل لا تنفر منه النفوس ولا تكرهه، لكن ما ذهبوا إليه في الحقيقة تحريف؛ لأنه ليس عليه دليلٌ صحيحٌ، إلا أنهم لا يستطيعون أن يقولوا: تحريفًا. ولو قالوا: هذا تحريف، لأعلنوا على أنفسهم برفض كلامهم.

والتعطيل: بمعنى الخلية والترك.

كقوله تعالى: ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ [الحج: ٤٥]، أي: مخلاة متروكة، والمراد بالتعطيل: إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان كليًّا أو جزئيًّا، وسواء كان ذلك بتحريف أم بجحود، هذا كله يُسمى تعطيلًا.

فأهل السُّنَّة والجماعة لا يُعطلون أي اسم من أسماء الله، أو أي صفة من صفات الله، ولا يجحدونها؛ بل يُقرون بها إقرارًا كاملًا.

الفرق بين التحريف والتعطيل

قال ابن عثيمين رحمه الله: إن قلت: ما الفرق بين التعطيل والتحريف؟ قلنا: التحريفُ في الدليل، والتعطيل في المدلول. فمثلًا: إذا قال قائلٌ: معنى قوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، أي: قوتاه، هذا محرِّفٌ للدليل، ومعطِّل للمراد الصحيح؛ لأن المراد اليد الحقيقية.

فقد عطَّل المعنى المراد وأثبت معنى غير المراد، وإذا قال: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ لا أدري، وأفوض الأمر إلى الله، لا أثبت اليد الحقيقية، ولا اليد المحرف إليها اللفظ، نقول: هذا مُعطِّل، وليس بمُحرِّف؛ لأنه لم يُغير معنى اللفظ، ولم يُفسر بغير مراده؛ لكن عطَّل معناه الذي يُراد به، وهو إثبات اليد لله تعالى.

أهل السُّنَّة والجماعة يتبرءون من الطريقتين

الطريقة الأولى: هي تحريف اللفظ بتعطيل معناه الحقيقي المراد إلى معنى غير مراد.

الطريقة الثانية: هي طريقة أهل التفويض، فهم لا يفوضون المعنى كما يقوله المفوض، بل يقولون: نحن نقول: (بل يداه) أي: يداه الحقيقيتان (مبسوطتان) وهما غير

القوة والنعمة؛ فعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة بريئة من التحريف ومن التعطيل[١].

قال السعدي رحمه الله: والفرق بين التحريف والتعطيل؛ أن التعطيل: نفي المعنى الحق الذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة.

والتحريف: تفسيرٌ للنصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدلُّ عليها بوجه من الوجوه.

فالتحريفُ والتعطيلُ، قد يكونان متلازمين، إذا أُثبت الباطل، ونُفي المعنى الحق، وقد يوجد التعطيل ولا تحريف، كحال النافين للصفات الذين ينفون الصفات الواردة في الكتاب والسُّنَّة، ويقولون: ظاهرها غير مراد؛ ولكنهم لا يعنون معنى آخر، ويُسمُّون أنفسهم (مفوضة) ويظنون أن هذا مذهب السلف، وهو غلطٌ فاحشٌ.

فإن السلف يُثبتون الصفات، وإنما يُفوضون علم كيفيتها إلى الله، ويقولون: الوصف المذكور معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجبٌ، وإثباته واجبٌ، والسؤال عن كيفيته بدعة، كما قال الإمام مالك وغيره في الاستواء وغيره[٢].

والتكييف:

قال ابن عثيمين رحمه الله: (تكييف) لم ترد في الكتاب والسُّنَّة، لكن ورد ما يدلُّ على النهي عنها، والتكييف هو أن يذكر كيفية الصفة، ولهذا نقول: كَيَّف يكيِّف تكيفًا، أي: ذكر كيفية الصفة، والتكييف: يُسأل عنه بـ (كيف) فإذا قلت مثلًا: كيف جاء زيد؟ تقول: راكبًا، إذن كيفت مجيئه. كيف لون السيارة؟ أبيض، فذكرت اللون.

أهل السُّنَّة والجماعة لا يُكيِّفون صفات الله، مستندين في ذلك إلى الدليل السمعي والدليل العقلي.

أما الدليل السمعي فمثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا

---

(١) شرح الواسطية (٤١- ٥٣).

(٢) التبريات اللطيفة فيما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة، للسعدي (١٦).

تَعۡلَمُونَ ﴾[الأعراف: ٣٣]. والشاهدُ في قوله: ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.

فإذا جاء رجلٌ وقال: إن الله استوى على العرش، على هذه الكيفية ووصف كيفية معينة، نقول: هذا قد قال على الله ما لا يعلم، هل أخبرك الله بأنه استوى على هذه الكيفية؟! لا، أخبرنا الله بأنه استوى، ولم يخبرنا كيف استوى، فنقول: هذا تكييف، وقولٌ على الله بغير علم، ولهذا قال بعضُ السلف: إذا قال لك الجهمي: إن الله ينزل إلى السماء فكيف ينزل؟ فقل: إن الله أخبرنا أنه ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل، وهذه قاعدةٌ مفيدةٌ.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾[الإسراء: ٣٦]، لا تتبع ما ليس لك به علم ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾.

وأما الدليل العقلي فكيفية الشيء لا تدرك إلا بواحدة من أمور ثلاثة:

١- مشاهدته ٢- أو مشاهدة نظيره ٣- أو خبر الصادق عنه

أي: إما أن تكون شاهدته أنت وعرفت كيفيته، أو شاهدت نظيره، كما قال رجلٌ: إن فلانًا اشترى سيارة (داتسن) موديل (ثمان وثمانين) رقم (ألفين) فتعرف كيفيتها؛ لأن عندك مثلها، أو خبر صادق عنه، أتاك رجلٌ صادق، وقال: إن سيارة فلان صفتها كذا وكذا، ووصفها تمامًا، فندرك الكيفية الآن.

ولهذا أيضًا قال بعض العلماء جوابًا لطيفًا: إن معنى قولنا: «بدون تكييف» ليس معناها: أن لا نعتقد لها كيفية بل نعتقد لها كيفية؛ لكن المنفي علمنا بالكيفية؛ لأن استواء الله على العرش لا شك أن له كيفية، لكن لا تُعلم، ونزوله إلى السماء الدنيا له كيفية لكن لا تُعلم؛ لأنه ما من موجود إلا وله كيفية؛ لكنها قد تكون معلومة وقد تكون مجهولة.

سُئل الإمام مالك -رحمه الله- عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالكٌ برأسه حتى علاه العرق، ثم رفع رأسه، وقال: الاستواء غير مجهول، أي: من حيث المعنى معلوم؛ لأن اللغة العربية بين أيدينا.

كل المواضع التي وردت فيها (استوى) مُعدَّاة بـ (على) معناها: العلو، فقال: الاستواء غير مجهول، والكيفُ غير معقول؛ لأن العقل لا يدرك الكيف، فإن انتفى الدليل

السمعي والعقلي عن الكيفية؛ وجب الكفُّ عنها، والإيمان به واجب؛ لأن الله أخبر به عن نفسه، فوجب تصديقه، والسؤال عنه بدعة، السؤال عن الكيفية بدعة؛ لأن من هم أحرص منا على العلم ما سألوا عنها، وهم الصحابة -رضي الله عنهم.

والتمثيل: ذكرُ مماثلٍ للشيء.

وبينه وبين التكييف عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ؛ لأن كل ممثَّل مكيف، وليس كل مكيف مُمثلًا؛ لأن التكييف ذكر الكيفية غير مقرونة بمماثل، مثل أن تقول: لي قلمٌ، كيفيته كذا وكذا، فإن قُرنت بمماثل، صار تمثيلًا مثل أن أقول: هذا القلم مثل هذا القلم؛ لأني ذكرتُ شيئًا مماثلًا لشيء، وعَرَّفتُ هذا القلم بذكر مماثله.

وأهل السُّنَّة والجماعة يُثبتون لله -تعالى- الصفات بدون مماثلة، يقولون: إن الله تعالى له حياة وليست مثل حياتنا، له علمٌ وليس مثل علمنا، له بصرٌ وليس مثل بصرنا، له وجهٌ وليس مثل وجوهنا، له يدٌ وليس مثل أيدينا... وهكذا جميع الصفات. يقولون: إن الله تعالى لا يماثل خلقه فيما وصف به نفسه أبدًا.

الأدلة

١ - أدلةٌ سمعية، تنقسم إلى قسمين:

أ- خبر: فمن الخبر، قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] فالآية فيها نفيٌ صريحٌ للتمثيل، وقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] فإن هذا وإن كان إنشاءً لكنه بمعنى الخبر؛ لأنه استفهامٌ بمعنى النفي. وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، فهذه كلها تدلُّ على نفي المماثلة، وهي كلها خبرية.

ب- طلب: فقد قال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: ٢٢] أي: نظراء مماثلين. وقال: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤]، فمن مثَّل الله بخلقه، فقد كذَّب الخبر وعصى الأمر؛ ولهذا أطلق السلفُ القول بالتكفير لمن مثَّل الله بخلقه، فقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري رحمه الله: "مَنْ شبَّه الله بخلقه فقد كفر"؛ لأنه جمع بين التكذيب بالخبر وعصيانُ الطلب.

دلالة عقلية: **على انتفاء التماثل بين الخالق والمخلوق من وجوه:**

أولًا: أن نقول: لا يمكن التماثل بين الخالق والمخلوق بأي حال من الأحوال، ولو لم يكن بينهما من التباين إلا أصل الوجود لكان كافيًا، وذلك أن وجود الخالق واجبٌ، فهو أزليٌّ أبديٌّ، ووجود المخلوق ممكنٌ مسبوقٌ بعدم ويلحقه فناء، فمن كان كذلك لا يمكن أن يقال: إنهما متماثلان.

ثانيًا: إننا نجد التباين العظيم بين الخالق والمخلوق في صفاته وفي أفعاله، وفي صفاته، يسمع تعالى كل صوت مهما خفي، ومهما بَعُدَ، لو كان في قعار البحار لسمعه تعالى، ولا يمكن أن يقول قائل: إن سمع الله مثل سمعنا.

ثالثًا: نقول: نحن نعلم أن الله -تعالى- مباينٌ للخلق بذاته ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿ **وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ** ﴾ [الزمر: ٦٧] ولا يمكن لأحد من الخلق أن يكون هكذا، فإذا كان مباينًا للخلق في ذاته، فالصفات تابعة للذات، فيكون أيضًا مباينًا للخلق في صفاته -عزَّ وجلَّ-، ولا يمكن التماثل بين الخالق والمخلوق.

رابعًا: نقول: إننا نشاهد في المخلوقات أشياء تتفق في الأسماء وتختلف في المسميات، يختلف الناسُ في صفاتهم، هذا قوي البصر وهذا ضعيفه، وهذا قويُّ السمع وهذا ضعيف، هذا قويُّ البدن وهذا ضعيفه، وهذا ذكرٌ وهذه أنثى، وهكذا التباين في المخلوقات، التي هي من جنس واحد، فما بالك بالمخلوقات المختلفة الأجناس؟ فالتباين بينهما أظهر.

ولهذا لا يمكن لأحد أن يقول: إن لي يدًا كيد الجمل، أو لي يدٌ كيد الذرة، أو لي يدٌ كيد الهرِّ، فعندنا الآن: إنسانٌ، وجملٌ، وذرة، وهرٌّ، كل واحدٍ له يدٌ مختلفة عن الثاني، مع أنها متفقة في الاسم، فنقول: إذن، جاز التفاوت بين المسميات في المخلوقات مع اتفاق الاسم، فجوازه بين الخالق والمخلوق من باب أولى، بل نحن نقول: إن التفاوت بين الخالق والمخلوق ليس جائزًا فقط؛ بل هو واجبٌ، فعندنا أربعة وجوه عقلية، كلها تدلُّ

على أن الخالق لا يمكن أن يماثل المخلوق بأي حال من الأحوال[1].

وقال السعدي رحمه الله: وأما قوله: «من غير تكييف ولا تمثيل» فالفرق بينهما: أن «التكييف» أن تكيِّف صفات الله، وأنْ يبحث عن كنهها، و«التمثيل» أن يُقال فيها: إنه مثل صفات المخلوقين، فقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ نفي الكفو والند والسميّ ينفي ذلك التكييف والتمثيل، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ونحوها من إثبات أسماء الله وصفاته تنفي التعطيل والتحريف، فالمؤمن الموحد يُثبت الصفات كلها على الوجه اللائق بعظمة الله وكبريائه، والمعطِّل: ينفيها، أو ينفي بعضها، والمشبِّهُ الممثلُ: يُثبتها على وجه يليقُ بالمخلوق. ونصوص الكتاب والسُّنَّة التي يتعذَّرُ إحصاؤها كلها تشترك في دلالتها على هذا الأصل، وهو إثبات الصفات على وجه الكمال الذي لا يشابهه كمال أحد، وهي غاية الوضوح والبيان وأعلى مراتب الصدق. وقال: هذا الذي ذكر المصنف ضابطٌ نافعٌ في كيفية الإيمان بالله وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأنه مبني على أصلين: **أحدهما: النفي. وثانيهما: الإثبات.**

أما النفي: فإنه ينفي عن الله ما يضاد الكمال من أنواع العيوب والنقائص، وينفي عنه أيضًا أن يكون له شريكٌ أو ندٌّ أو مثيلٌ في شيء من صفاته أو في حق من حقوقه الخاصة، فكل ما نافى صفات الكمال فإن الله منزَّهٌ عنه مقدَّسٌ والنفي مقصودٌ لغيره، القصدُ منه: الإثبات؛ ولهذا لم يرد نفيُ شيء في الكتاب والسُّنَّة عن الله إلا لقصد إثبات ضده، فنفي«الشريك والندّ» عن الله، لكمال عظمته، وتفرده بالكمال ونفى (السِّنة، والنوم، والموت) لكمال حياته. ونفى عزوب شيء عن علمه وقدرته وحكمته كل ذلك لإثبات سعة علمه، وشمول حكمته وكمال قدرته؛ ولهذا كان التنزيه والنفي لأمور مجملة عامة.

وأما الإثبات: فإنه يجمع الأمرين:

١- إثبات المجملات: كالحمد المطلق، والكمال المطلق، والمجد المطلق ونحو ذلك من صفاته.

---

(١) شرح الواسطية (٥٦- ٦١).

٢- وإثبات المفصلات: كتفصيل علم الله وقدرته وحكمته ورحمته، ونحو ذلك من صفاته.

فأهل السُّنَّة والجماعة لزموا هذا الطريق الذي هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم، وبلزومهم لهذا الطريق النافع تمت عليهم النعمة وصحَّت عقيدتهم وكملت أخلاقهم، أما من سلك غير هذا السبيل فإنه منحرفٌ في عقيدته وأخلاقه[1].

(١) التنبيهات اللطيفة (١٦- ٢٢).

فضائل التوحيد

قال السعدي رحمه الله:

١- إن مغفرة الذنوب وتكفير الذنوب من بعض فضائله وآثاره.

٢- ومن فضائله أنه السببُ الأعظم لتكفير كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما.

٣- ومن أجلِّ فوائده أنه يمنع الخلود في النار، إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل.

٤- وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

٥- ومنها أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة.

٦- ومنها أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه.

٧- ومن أعظم فضائله أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وكمالها وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيدُ والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

٨- ومن فضائله أنه يُسهِّل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويُسليه عن المصيبات فالمخلصُ لله في إيمانه وتوحيده تخفُّ عليه الطاعات لما يرجو من الثواب من ربه ويَهُون عليه ترك ما تهواه النفسُ من المعاصي لما يخشى من سخطه وعقابه.

٩- ومنها أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزيَّنه في قلبه وكره إليه الكفر، والفسوق، والعصيان، وجعله من الراشدين.

١٠- ومنها أن يُخفف عن العبد المكاره ويُهون عليه الآلام، فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان تلقيه المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة، وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

١١- ومن أعظم فضائله أنه يُحرِّرُ العبد من رق المخلوقين والتعلُّق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العزُّ الحقيقيُّ والشرفُ العاليُّ، ويكون مع ذلك متألهًا متعبدًا لله لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه ولا يُنيب إلا إليه، وبذلك يتمُّ فلاحه ويتحقق نجاحه.

١٢- ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققًا كاملًا بالإخلاص التام؛ فإنه يصير القليل من عمله كثيرًا، وتُضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السماوات والأرض... وعُمَّارها من جميع خلق الله كما في حديث أبي سعيد، وفي حديث البطاقة التي فيها لا إله إلا الله التي وزنت تسعةً وتسعين سجلًا من الذنوب، كل سجل يبلغ مدَّ البصر، وذلك لكمال إخلاص قائلها، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ؛ لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص مثل -ولا قريبٌ- مما قام بقلب هذا العبد.

١٣- ومن فضائل التوحيد أن الله تكفَّل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.

أركان الإيمان وأسس العقيدة الإسلامية

قال ابن عثيمين رحمه الله: العقيدة الإسلامية أساسها الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

الأدلة

قال ابن عثيمين: وقد دلَّ على هذه الأسس كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

ففي كتاب الله تعالى يقول الله: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ويقول في القدر: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٤٩- ٥٠]

وفي سُنَّة رسول الله ﷺ، يقول النبي ﷺ مُجيبًا جبريل حين سأله عن الإيمان «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[١][٢].

الإيمان بالله

قال ابن باز رحمه الله: من الإيمان بالله -سبحانه- الإيمان بأنه الإلهُ الحقُّ المستحقُّ للعبادة دون كل ما سواه؛ لكونه خالق العباد والمحسن إليهم، والقائم بأرزاقهم، والعالم بسرهم وعلانيتهم، والقادر على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم، ولهذه العبادة خلق اللهُ الثقلين، وأمرهم بها. كما قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٥- ٥٨] وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١- ٢٢].

---

(١) مسلم.

(٢) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين (١٢).

وقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب؛ لبيان هذا الحق والدعوة إليه والتحذير مما يضاده، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ [هود: ١- ٢].

وحقيقة هذه العبادة هي: إفراده سبحانه بجميع ما تعبد العباد من دعاء وخوف ورجاء وصلاة وذبح ونذر وغير ذلك من أنواع العبادة على وجه الخضوع له والرغبة والرهبة مع كمال الحب له سبحانه والذل لعظمته، وغالب القرآن نزل في هذا الأصل العظيم، كقوله سبحانه: ﴿ فَاعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢- ٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ فَادْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ١٤]. وفي الصحيحين عن معاذ ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**».

ومن الإيمان بالله أيضًا: **الإيمان بجميع ما أوجبه على عباده وفرضه عليهم من أركان الإسلام الخمسة الظاهرة، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلًا، وغير ذلك من الفرائض التي جاء بها الشرع المطهر.**

وأهم هذه الأركان وأعظمها: **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي إخلاص العبادة لله وحده ونفيها عما سواه، وهذا هو معنى لا إله إلا الله؛ فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله، فكل ما عبد من دون الله من بشر أو ملك أو جني أو غير ذلك فكله معبودٌ بالباطل، والمعبود بالحق هو الله وحده كما قال سبحانه:** ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢].

وقد سبق بيان أن الله -سبحانه- خلق الثقلين لهذا الأصل الأصيل وأمرهم به، وأرسل به رسله وأنزل به كتبه، فتأمل ذلك جيدًا وتدبره كثيرًا؛ ليتضح لك ما وقع فيه أكثر المسلمين من الجهل العظيم بهذا الأصل الأصيل حتى عبدوا مع الله غيره، وصرفوا خالص حقه لسواه والله المستعان.

ومن الإيمان بالله سبحانه: الإيمان بأنه خالق العالم ومدبر شئونهم والمتصرف فيهم بعلمه وقدرته كما يشاء سبحانه، وأنه مالك الدنيا والآخرة، ورب العالمين جميعًا لا خالق غيره ولا رب سواه، وأنه أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ لإصلاح العباد ودعوتهم إلى ما فيه نجاتهم وصلاحهم في العاجل والآجل، وأنه سبحانه لا شريك له في جميع ذلك، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ومن الإيمان بالله أيضًا: الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا والواردة في كتابه العزيز، والثابتة عن رسوله الأمين من غير تحريفٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيل؛ بل يجب أن تمرَّ كما جاءت بلا كيف مع الإيمان بما دلَّت عليه من المعاني العظيمة التي هي أوصافٌ لله عزَّ وجلَّ يجب وصفه بها على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٤]، وهذه هي عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين له بإحسان[١].

وقال ابن عثيمين -رحمه الله- في شرح أصول الإيمان: الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى

وقد دلَّ على وجوده تعالى الفطرة، والعقل، والشرعُ، والحِسُّ.

١ - أما دلالة الفطرة على وجوده: فإن كل مخلوق فُطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها.

---

(١) العقيدة الصحيحة لابن باز (٣- ٥).

٢- وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى: فلأن المخلوقات سابقها ولاحقها، لا بد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفةً، لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقًا؟! ولا يمكن أن توجد صدفةً؛ لأن كل حادث لا بد له من محدِث؛ ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعًا باتًّا أن يكون وجودها صُدفةً، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره؟! وإذا لم يمكن أن تُوجِد هذه المخلوقات نفسها بنفسها ولا أن توجد صُدفةً تعين أن يكون لها موجِدٌ وهو الله رب العالمين. وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥]، يعني: أنهم لم يُخلقوا من غير خالقٍ، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعيَّن أن يكون خالقهم هو الله -تبارك وتعالى- ولهذا لما سمع جبير بن مطعم ﷺ رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴾ [الطور:٣٥- ٣٧]، وكان جبير يومئذ مشركًا، قال: كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي[1].

مثالٌ توضيحيٌّ

لو حدَّثك شخص عن قصرٍ مشيدٍ أحاطت به الحدائق وجرت بينها الأنهار، ومُلئ بالفرش والأسرة، وزُين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وُجد هكذا صُدفةً بدون موجد؛ لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفهًا من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه، وسمائه، وأفلاكه، وأحواله ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وُجد صُدفةً بدون مُوجد؟!

٣- وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى: فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك،

(١) البخاري.

وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليلٌ على أنها من ربٍّ حكيمٍ عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليلٌ على أنها من ربٍّ قادرٍ على إيجاد ما أخبر به.

٤- وأما أدلة الحسِّ على وجود الله، فمن وجهين:

أ- **الوجه الأول**: إننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين وغوث المكروبين ما يدلُّ دلالةً قاطعة على وجوده تعالى، قال تعالى: ﴿ **وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ** ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٩]، وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك ﷺ، قال: إن أعرابيًا دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ودعا فثار السحابُ أمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره، حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، وفي الجمعة الثانية، قام الأعرابي أو غيره، فقال: يا رسول الله، تهدَّم البناء وغرق المال، فادعُ الله لنا، فرفع يديه، وقال: «**اللهم حوالينا، ولا علينا**» فلا يُشير إلى ناحية إلا انفرجت، وما زالت إجابةُ الداعين أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا، لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

ب- **الوجه الثاني**: إن آيات الأنبياء التي تُسمَّى: (المعجزات)، ويشاهدها الناسُ أو يسمعون بها، برهانٌ قاطعٌ على وجود مرسلهم وهو الله تعالى لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييدًا لرسله ونصرًا لهم.

أمثلة المعجزات

مثال ذلك: آية موسى -عليه السلام- حين أمره الله -تعالى- أن اضرب بعصاك البحر فانفلق اثنى عشر طريقًا يابسًا والماء بينهما كالجبال، قال الله تعالى: ﴿ **فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ** ﴾ [الشعراء: ٦٣].

مثال ثانٍ: آية عيسى -عليه السلام- حيث كان يُحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال تعالى عنه: ﴿ **وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقال: ﴿ **وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى** ﴾ [المائدة: ١١٠].

مثالٌ ثالثٌ: لمحمدﷺ، حيث طلبت منه قريشٌ آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين

فرآه الناسُ، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر:١- ٢].

فبهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييدًا لرسله ونصرًا لهم، تدلُّ دلالة قطعيةً على وجوده تعالى.

ثانيًا: الإيمان بربوبيته

أي: بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين. والربُّ: من له الخلق والملك والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو ولا أمر إلا له.

قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣].

ولم يُعلم أن أحدًا من الخلق أنكر ربوبية الله -سبحانه-، إلا أن يكون مكابرًا غير معتقدٍ بما يقول، كما حصل من فرعون حين قال لقومه: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨].

لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤]. وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى مع إشراكهم به في الألوهية قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٤- ٨٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩]، وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وأمرُ الله -سبحانه- شاملٌ الأمر الكوني والشرعي، فكما أنه مدبرٌ الكون، القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام

المعاملات، حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله -تعالى- مشرِّعًا في العبادات، أو حاكمًا في المعاملات، فقد أشرك به، ولم يحقق الإيمان.

ثالث: الإيمان بألوهيته

أي: بأنه وحده الإله الحق الذي لا شريك له. و(الإله) بمعنى (المألوه) أي: (المعبود) حبًا وتعظيمًا. قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]. وكل ما اتخذ إلهًا مع الله يُعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢].

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته

أي: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سُنَّة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، قال الله -تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

ثمراتُ الإيمان بالله

قال ابن عثيمين رحمه الله: والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة، منها:

الأولى: تحقيق توحيد الله؛ بحيث لا يتعلق بغيره رجاءً وخوفًا، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال المحبة لله -تعالى- وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه[1].

---

(١) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين (١٣- ٢٤).

الإيمان بالملائكة

قال ابن باز رحمه الله: أما الإيمان بالملائكة فيتضمن الإيمان بهم إجمالًا وتفصيلًا، فيؤمن المسلم بأن لله ملائكة خلقهم لطاعته، ووصفهم بأنهم عبادٌ مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وهم أصناف كثيرة: منهم الموَكَّلون بحمل العرش، ومنهم خزنة الجنة وخزنة النار، ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد.

ونؤمن على سبيل التفصيل بما سمَّى الله ورسوله منهم كجبرائيل وميكائيل ومالك خازن النار، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وقد جاء ذكره في أحاديث صحيحة. وقد ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارجٍ من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[١][٢].

ماهية الملائكة

وقال ابن عثيمين -رحمه الله- في شرح أصول الإيمان: الملائكة عالمٌ غيبيٌّ مخلوقون عابدون لله تعالى وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيءٌ، خلقهم اللهُ تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩- ٢٠].

عدد الملائكة

هم عددٌ كثيرٌ لا يحصيهم إلا الله -تعالى-، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج أن النبي ﷺ رُفع له البيت المعمور في السماء يصلِّي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

---

(١) مسلم.

(٢) العقيدة الصحيحة (٧، ٨).

ماذا يتضمن الإيمان بالملائكة؟

قال ابن عثيمين رحمه الله: **والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:**

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم (كجبريل)، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالًا.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل، فقد أخبر النبيﷺ أنه رآه على صفته التي خُلق عليها وله ستمائة جناح قد سدَّ الأفق، وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى على هيئة رجل، كما حصل لجبريل حين أرسله تعالى إلى مريم فتمثل لها بشرًا سويًّا، وحين جاء إلى النبيﷺ وهو جالسٌ في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحدٌ من الصحابة، فجلس إلى النبيﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وسئل النبيﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة وأماراتها، فأجابه النبيﷺ فانطلق، ثم قالﷺ: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله -تعالى- إلى إبراهيم ولوطًا كانوا على صورة رجال.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى كتسبيحه، والتعبد له ليلًا ونهارًا بدون ملل ولا فتور وقد يكون لبعضهم أعمالٌ خاصةٌ.

أمثلة الأعمال الخاصة

١- جبريل الأمين: **يرسله الله بالوحي إلى الأنبياء والرسل.**

٢- ميكائيل: **مُوكلٌ بالقطر، أي: بالمطر والنبات.**

٣- إسرافيل: **مُوكلٌ بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.**

٤- ملك الموت: **مُوكلٌ بقبض الأرواح عند الموت.**

٥- مالك: **مُوكلٌ بالنار وهو خازن النار.**

٦- الملائكة الموكلون بالأجنة في الأرحام: **إذا تمَّ الإنسانُ أربعة أشهر في بطن أمه؛ بعث**

الله إليه ملكًا وأمره بكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.

٧- الملائكة الموكلون بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها، لكل شخصٍ ملكان: أحدهما عن اليمين والثاني عن الشمال.

٨- الملائكة الموكلون بسؤال الميت إذا وُضع في قبره، يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه.

ثمرات الإيمان بالملائكة

قال ابن عثيمين رحمه الله: **والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:**

الأولى: **العلم بعظمة الله تعالى وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.**

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم؛ حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى[1].

الإيمان بالكتب

قال ابن باز رحمه الله: يجب الإيمان إجمالًا بأن الله -سبحانه- قد أنزل كتبًا على أنبيائه ورسله؛ لبيان حقه والدعوة إليه، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ .

ونؤمن على سبيل التفصيل بما سمَّى الله منها كالتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، والقرآن هو أفضلها وخاتمها، وهو المهيمن عليها والمصدِّق لها، وهو الذي يجب على جميع الأمة اتباعه وتحكيمه مع ما صحت به السُّنَّة عن رسول الله لأن الله -سبحانه- بعث رسوله محمدًا إلى جميع الثقلين وأنزل عليه القرآن؛ ليحكم به بينهم وجعله شفاءً لما في

---

[1] شرح أصول الإيمان (٢٥- ٢٨).

الصدور وتبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين.

كما قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. والآيات في هذا المعنى كثيرة[١].

قال ابن عثيمين رحمه الله: الكتب: جمع كتاب بمعنى مكتوب، والمراد بها: الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمةً للخلق وهدايةً لهم؛ ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقًّا.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه: كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ، والتوراة التي أُنزلت على موسى -عليه السلام- والإنجيل الذي أنزل على عيسى -عليه السلام- والزبور الذي أوتيه داود -عليه السلام- وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالًا.

الثالث: التصديق بما صحَّ من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يُبدَّل أو يُحرَّف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم يُنسخ منها، والرضا والتسليم به سواءً فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، أي: حاكمًا عليه، وعلى هذا لا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صحَّ منها وأقره القرآن.

---

(١) العقيدة الصحيحة لابن باز (٨، ٩).

ثمرات الإيمان بالكتب

قال ابن عثيمين رحمه الله: والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلةً منها:

الأول: العلم بعناية الله تعالى بعباده، حيث أنزل لكل قومٍ كتابًا يهديهم به.

الثاني: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شرع لكل قومٍ ما يناسب أحوالهم كما قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

الثالث: شكر نعمة الله على ذلك.

الإيمان بالرسل

قال ابن باز رحمه الله: يجب الإيمان بالرسل إجمالًا وتفصيلًا، فنؤمن أن الله -سبحانه- أرسل إلى عباده رسلًا منهم مبشرين ومنذرين ودعاة إلى الحق، فمن أجابهم فاز بالسعادة، ومَنْ خالفهم باء بالخيبة والندامة، وخاتمهم وأفضلهم هو نبينا محمد بن عبد الله ﷺ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومَنْ سمي اللهُ منهم أو ثبت عن رسول الله تسميته آمنا به على سبيل التفصيل والتعيين: كنوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، وغيرهم، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم[1].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: **الرسلُ**: جمع رسول، بمعنى مرسل، أي: مبعوث بإبلاغ شيء. والمراد: مَنْ أوحى الله إليه من البشر بشرع وأمره بتبليغه.

وأول الرسل نوح، وأخرهم محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [النساء: ١٦٣]، وفي صحيح البخاري عن أنس في حديث

(١) العقيدة الصحيحة- لابن باز (٩).

الشفاعة أن النبيﷺ ذكر أن الناس يأتون آدم ليشفع لهم، فيعتذر إليهم ويقول: ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله... وذكر تمام الحديث. وقال تعالى في محمدﷺ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب: ٤٠].

ولم تخلُ أمةٌ من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه أو نبي يوحَى إليه بشريعة من قبله؛ ليجددها، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[فاطر: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ [المائدة: ٤٤].

والرسل بشرٌ مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيءٌ، قال تعالى عن نبيه محمدﷺ وهو سيد الرسل وأعظمهم جاهًا عند الله: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الجن:٢١- ٢٢]. وتلحقهم خصائص البشرية من المرض والموت والحاجة إلى الطعام والشراب وغير ذلك، قال الله تعالى عن إبراهيم في وصفه لربه تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [الشعراء:٧٩- ٨١]، وقال النبيﷺ: «إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيتُ فذكروني».

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم فقال الله -تعالى- في نوحﷺ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣]، وقال في محمدﷺ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، وقال في إبراهيم وإسحاق ويعقوبﷺ: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص:٤٥- ٤٧]، وقال في عيسى عليه السلام: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[الزخرف: ٥٩].

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حقٌّ من الله -تعالى، فمن كفر برسالة واحدٍ منهمْ فقد كفر بالجميع، كما قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، فجعلهم اللهُ مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه.

وعلى هذا فالنصارى حين كذبوا محمداًﷺ، ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح ابن مريم غير متبعين له أيضًا، لا سيما وأنه قد بشَّرهم بمحمدﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسولٌ إليهم ينقذهم الله بهم من الضلالة ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، مثل: محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح -عليهم الصلاة والسلام- وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن:

١- في سورة الأحزاب: في قوله: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧].

٢- وفي سورة الشورى: في قوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورى: ١٣].

وأما ما لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالًا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ ﴾ [غافر: ٧٨].

الثالث: تصديق ما صحَّ عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة مَنْ أُرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمدﷺ، المرسل إلى جميع الناس، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ٦٥].

ثمرات الإيمان بالرسل

قال ابن عثيمين رحمه الله: والإيمان بالرسل يثمر ثمرات جليلةً منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل؛ ليهدوهم إلى صراط الله -تعالى- ويُبيِّنُوا لهم كيف يعبدون الله؛ لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالى ولأنهم قاموا بعبادته وتبليغ رسالته، والنصح لعباده، وقد كذَّب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر، وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴾ [الإسراء:٩٤- ٩٥]، فأبطل الله تعالى هذا الزعم، بأنه لا بد أن يكون الرسول بشرًا؛ لأنه مرسلٌ إلى أهل الأرض، وهم بشرٌ، ولو كان أهل الأرض ملائكة؛ لنزَّل الله عليهم من السماء ملكًا رسولًا، ليكون مثلهم[١].

الإيمان باليوم الآخر

حكم الإيمان باليوم الآخر

قال ابن عثيمين رحمه الله: حكم الإيمان باليوم الآخر فريضةٌ واجبةٌ، ومرتبته في الدنيا أنه أحد أركان الإيمان الستة. وكثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الإيمان به تعالى والإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالمبدأ والإيمان بالمعاد، لأن من لم يؤمن باليوم الآخر لا يمكن أن يؤمن بالله، إذ إن الذي لا يؤمن باليوم الآخر لن يعمل صالحًا؛ لأنه لا يعمل إلا لما يرجوه من الكرامة في اليوم الآخر وما يخافه من العذاب والعقوبة، فإذا كان لا يؤمن صار كمن حكى الله عنهم: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[الجاثية: ٢٤].

لم سُمِّي باليوم الآخر؟

قال ابن عثيمين رحمه الله: وسُمِّي اليوم الآخر باليوم الآخر؛ لأنه يومٌ لا يوم بعده، فهو آخر المراحل.

مراحل الإنسان

قال ابن عثيمين رحمه الله: والإنسان له خمس مراحل: مرحلة العدم، ثم الحمل، ثم

---

١) شرح أصول الإيمان- لابن عثيمين (٣٢- ٣٧).

الدنيا، ثم البرزخ، ثم الآخرة.

١- فأما مرحلة العدم: فقد دلَّ عليها قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾[الإنسان: ١]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[الحج: ٥].

٢- وأما مرحلة الحمل: فقال الله عنها: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾[الزمر: ٦].

٣- وأما مرحلة الدنيا: فقال الله عنها: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[النحل: ٧٨].

وهذه المراحل هي التي عليها مدار السعادة والشقاء وهي دار الامتحان والابتلاء، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢]

٤- وأما مرحلة البرزخ: فقال الله عنها: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]

٥- وأما مرحلة الآخرة: فهي غاية المراحل، ونهاية المراحل، قال الله تعالى بعد ذكر المراحل: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[المؤمنون:١٥-١٦].

فتنةُ القبر

قال ابن عثيمين رحمه الله: إن أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بفتنة القبر، وذلك لدلالة الكتاب والسُّنَّة عليها.

أ- أما الكتاب: ففي قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

﴿ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فإن هذه في فتنة القبر كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ[١].

ب- وأما **السُّنَّة**: فقد تضافرت بأن الإنسان يُفتن في قبره، وهي فتنة قال فيها النبي ﷺ: «**إنه قد أوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم مثل -أو قريبًا من- فتنة الدجال**»[٢] وفتنة الدجال أعظم فتنة منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة، كما في صحيح مسلم عن عمران بن حصين ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمرٌ أكبر من الدجال**»[٣].

من يُفتنون؟

قال ابن عثيمين رحمه الله:

أولًا: أما الأنبياء، فلا تشملهم الفتنة ولا يسألون وذلك لوجهين:

١- أن الأنبياء أفضل من الشهداء، وقد أخبر النبي ﷺ أن الشهيد يوقى فتنة القبر، وقال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»[٤].

٢- أن الأنبياء يُسأل عنهم، فيقال للميت: من نبيك؟ فهم مسئول عنهم، وليسوا مسئولين، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إنه أوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم**» والخطاب للأمة المرسل إليهم، فلا يكون الرسول داخلًا فيهم.

ثانيًا: وأما الصديقون، فلا يُسألون؛ لأن مرتبة الصديقين أعلى من مرتبة الشهداء، فإذا كان الشهداء لا يُسألون، فالصديقون من باب أولى؛ ولأن الصديق على وصفه مصدَّقٌ وصادقٌ، فهو قد عُلم صدقه، فلا حاجة إلى اختباره، لأن الاختبار لمن يُشك فيه، هل هو صادقٌ أو كاذبٌ.

---

(١) البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

(٢) البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥).

(٣) مسلم (٢٩٤٦).

(٤) النسائي (٤/ ٩٩)، وصححه الألباني. انظر صحيح الجامع (٤٤٨٣).

أما إذا كان صادقًا فلا حاجة تدعو لسؤاله، وذهب بعض العلماء إلى أنهم يُسألون لعموم الأدلة، والله أعلم.

ثالثًا: وأما الشهداء، الذين قتلوا في سبيل الله؛ فإنهم لا يُسألون لظهور صدق إيمانهم بجهادهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة: ١١١] وقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

وقال النبي ﷺ: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**» وإذا كان المرابط إذا مات أمن الفتَّان لظهور صدقه، فهذا الذي قُتل في المعركة مثله أولى منه؛ لأنه بذل وعرَّض رقبته لعدو الله؛ إعلاءً لكلمة الله وانتصارًا لدينه، وهذا من أكبر الأدلة على صدق إيمانه.

رابعًا: وأما المرابطون، فإنهم لا يفتنون، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأُجري عليه رزقه وأمن الفتَّان**»[١].

خامسًا: الصغار والمجانين، هل يُفتنون أم لا يُفتنون؟ قال بعضُ العلماء: إنهم يُفتنون؛ لدخولهم في العموم؛ ولأنهم إذا سقط التكليف عنهم في حال الحياة، فإن حال الممات تخالف حال الحياة.

وقال بعض العلماء: إن المجانين والصغار لا يُسألون؛ لأنهم غير مكلَّفين، وإذا كانوا غير مكلَّفين؛ فإنه لا حساب عليهم، إذ لا حساب إلا على مَنْ كان مكلَّفًا يُعاقب على المعاصي، وهؤلاء لا يعاقبون، وليس لهم إلا الثواب، إن عملوا عملًا صالحًا يُثابون عليه.

أقسام الناس في فتنة القبور

قال ابن عثيمين رحمه الله: الناسُ ثلاثةُ أقسامٍ:

١- مؤمنون خُلَّصٌ ٢- ومنافقون

---

(١) مسلم (١٩١٣).

وهذان القسمان يُفتنون.

٣- وكفارٌ خُلَّصٌ: ففي فتنتهم خلافٌ. وقد رجَّح ابن القيم -رحمه الله- في كتاب الروح أنهم يُفتنون.

متى تكون فتنةُ القبر؟

قال ابن عثيمين رحمه الله: والظاهرُ أن الفتنة لا تكون إلا إذا انتهت الأحوال الدنيوية، وسلم إلى عالم الآخرة، فإذا تأخر دفنه يومًا أو أكثر، لم يكن السؤال حتى يُدفن.

«فيُقال للرجل» القائل ملكان يأتيان إلى الإنسان في قبره ويجلسانه ويسألانه، حتى إنه ليسمعُ قرع نعال المنصرفين عنه، وهما يسألانه، ولهذا كان من هدي النبي ﷺ أنه إذا دُفن الميت وقف عليه، وقال: «**استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل**»[(١)]، وورد في بعض الآثار أن اسمهما منكرٌ ونكيرٌ[(٢)].

الأسئلة الثلاثة

١- من ربك؟ يعني: مَنْ ربك الذي خلقك وتعبده وتخصُّه بالعبادة؟ لأجل أن تنتظم هذه الكلمة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

٢- ما دينك؟ يعني: ما عملك الذي تدين له لله تعالى وتتقرب به إليه؟

٣- من نبيك؟ يعني: من النبي الذي تؤمن به وتتبعه؟

فيقول المؤمن: ربي الله، عندما يقال له: مَنْ ربك؟ ويقول إذا قيل له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام ديني. ويقول كذلك: محمد ﷺ نبيّي، إذا قيل له: من نبيك؟ وحينئذ يكون الجواب صوابًا فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة.

المرتاب: الشاك والمنافق وشبهها. فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلته، يعني: لم يلج الإيمان قلبه، وإنما كان يقول كما يقول الناس من غير أن يصل

---

(١) أبو داود (٣٢٢١).

(٢) الترمذي (١٠٧١).

الإيمان إلى قلبه.

وتأمل قوله: (هاه هاه) كأن شيئًا غاب عنه، يريد أن يتذكره، وهذا أشدُّ في التحسُّر، أن يتخيل أنه يعرف هذا الجواب؛ ولكن يُحال بينه وبينه، ويقول: هاه هاه، ثم يقول: سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلتهُ، ولا يقول: ربي الله، ولا ديني الإسلام، ولا نبيّي محمد ﷺ ؛ لأنه في الدنيا مرتابٌ شاكٌّ.

هذا إذا سُئل في قبره وصار أحوج ما يكون إلى الجواب الصواب يعجز، ويقول: لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلته، إذن إيمانه قولٌ فقط؛ فيُضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحةً يسمعها كل شيء إلا الإنسان، يضرب: يعني الذي لم يُجب، سواء كان الكافر، أو المنافق، والضارب له الملكان اللذان يسألانه.

والمِرْزَبَّة: هي مطرقةٌ من حديد، وقد ورد في بعض الروايات أنه لو اجتمع عليها أهل منى ما أقلوها، فإذا ضُرِبَ يصيح صيحةً يسمعها كل شيء إلا الإنسان.

وقوله (يُضرب فيصيح) صياحًا مسموعًا يسمعه كل شيء يكون حوله مما يسمع صوته، وليس كل شيء في أقطار الدنيا يسمعه، وأحيانًا يتأثر به ما يسمعه، كما مرَّ النبيﷺ بقبر للمشركين على بغلته فحادت به، حتى كادت تلقيه؛ لأنها سمعت أصواتهم يُعذَّبون[١].

الحكمة من عدم سماع الناس عذاب القبور

قال ابن عثيمين: وذلك لحكمة عظيمة منها:

أولًا: ما أشار إليه النبيﷺ: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر**»[٢].

ثانيًا: أن في إخفاء ذلك سترًا للميت.

---

(١) مسلم (٢٨٦٧)، (٢٨٧٤).

(٢) مسلم (٢٨٦٧)، (٢٨٧٤).

ثالثًا: أن فيه عدم إزعاج لأهله؛ لأن أهله إذا سمعوا ميتهم يعذب ويصيح لم يستقر لهم قرار.

رابعًا: عدم تخجيل أهله؛ لأن الناس يقولون: هذا ولدكم، هذا أبوكم، هذا أخوكم، وما أشبه ذلك.

خامسًا: أننا قد نهلك؛ لأنها صيحة ليست هينة، بل صيحة توجب أن تسقط القلوب من معاليقها، فيموت الإنسان أو يُغشى عليه.

سادسًا: لو سمع الناس صراخ هؤلاء المعذبين، لكان الإيمان بعذاب القبر من باب الإيمان بالشهادة، لا من باب الإيمان بالغيب، وحينئذ تفوت مصلحة الامتحان؛ لأن الناس سوف يؤمنون بما شاهدوه قطعًا، لكن إذا كان غائبًا عنهم، ولم يعلموا به إلا عن طريق الخبر، صار من باب الإيمان بالغيب.

هل العذاب للبدن أم الروح أم كليهما؟

قال ابن عثيمين رحمه الله: المعروف عند أهل السُّنَّة والجماعة أنه في الأصل على الروح، والبدن تابعٌ لها، كما أن العذاب في الدنيا على البدن والروح تابعة له، وكما أن الأحكام الشرعية في الدنيا على الظاهر، وفي الآخرة بالعكس، ففي القبر يكون العذاب أو النعيم على الروح؛ لكن الجسم يتأثر بهذا تبعًا، وليس على سبيل الاستقلال، وربما يكون العذاب على البدن والروح تتبعه، لكن هذا لا يقع إلا نادرًا، إنما الأصل أن العذاب على الروح والبدنُ تبعٌ، والنعيمُ للروح والبدنُ تبعٌ.

أدلةُ عذاب القبر ونعيمه

قال ابن عثيمين رحمه الله: وقد دلَّ على ذلك كتابُ الله وسُنَّة رسوله، بل نقول: وإجماع المسلمين.

من أدلة القرآن

قال ابن عثيمين: أما من كتاب الله، فالثلاثة أصناف التي في آخر الواقعة ظاهرةٌ في عذاب القبر ونعيمه، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ

أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾[الواقعة:٨٣- ٩٤].

وهذا أمرٌ مشاهدٌ، يُسمع المحتضر يُرحِّبُ بالقادمين عليه من الملائكة ويقول: مرحبًا، وأحيانًا يقول: مرحبًا، اجلس هنا، كما ذكره ابن القيم -رحمه الله- في كتاب (الروح) وأحيانا يحسُّ بأن هذا الرجل أصيب بشيء مخيف، فيتغير وجهه عند الموت إذا نزلت عليه ملائكة العذاب، والعياذ بالله.

ومن أدلة القرآن

قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾. وهذا قبل قيام الساعة. بدليل قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[غافر: ٤٦].

ومن أدلة القرآن أيضًا: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾[الأنعام: ٩٣]. وهم شاحون بأنفسهم، لا يريدونها أن تخرج؛ لأنهم قد بشروا بالعذاب والعقوبة فنجد الروح تأبى الخروج.

ومن أدلة القرآن أيضًا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ﴾[النحل: ٣٢] وذلك في حال الوفاة.

ومن أدلة السُّنَّة

قال ابن عثيمين رحمه الله: وأما السُّنَّة في عذاب القبر ونعيمه فمتواترة، ومنها ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مرَّ بقبرين، فقال: « **إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير..**» الحديث.

وأما الإجماع

فكل المسلمين يقولون في صلاتهم: أعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ولو أن عذاب القبر غير ثابتٍ، ما صحَّ أن يتعوذوا بالله منه، إذ لا تعوُّذ من أمرٍ ليس موجودًا، وهذا يدلُّ على أنهم يؤمنون به.

هل عذاب القبر ونعيمه دائمان أم ينقطعان؟

قال ابن عثيمين رحمه الله: **أما العذاب للكفار فإنه دائمٌ ولا يمكن أن يزول العذاب عنهم؛ لأنهم مستحقون لذلك؛ ولأنه لو زال العذاب عنهم لكان هذا راحةً لهم، وهم ليسوا أهلًا لذلك، فهم باستمرار في عذاب إلى يوم القيامة، ولو طالت المدة.**

فقومُ نوحٍ الذين أغرقوا ما زالوا يُعذَّبون في هذه النار التي أُدخلوا فيها، ويستمر عذابهم إلى يوم القيامة وكذلك آل فرعون يعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا.

وذكر بعض العلماء أنه يُخففُ عن الكفار ما بين النفختين، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾[يس: ٥٢] .

ولكن هذا ليس بلازم؛ لأن قبورهم مرقدٌ لهم، وإن عُذِّبوا فيها، أما عصاة المؤمنين الذين يقضي الله تعالى عليهم بالعذاب فهؤلاء قد يدوم عذابهم وقد لا يدوم، وقد يطول، وقد لا يطول حسب الذنوب وحسب عفو الله تعالى.

البعث

قال ابن تيمية -رحمه الله- في الواسطية حين تكلم عن البعث بعد الموت: **فتُعاد الأرواح إلى الأجساد.**

قال ابن عثيمين: **ويكون بعد النفخة الثانية في الصور، وذلك بعد أن فارقتها بالموت، وهذه غير الإعادة التي تكون في البرزخ حين سؤال الميت عن ربه ودينه ونبيه، وذلك أن الله يأمر إسرافيل فينفخ في الصور فيُصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم يُنفخ فيه مرةً أخرى فتطاير الأرواح من الصور إلى أجسادها وتحلُّ فيها.**

وفي قوله: (إلى الأجساد) إشارةٌ إلى أن الأرواح لا تخرج من الصور إلا بعد أن تتكامل الأجسادُ مخلوقةً، فإذا كملت خلقتها نُفخ في الصور، فأعيدت الأرواح إلى أجسادها.

وفي قوله: (تُعاد الأرواح إلى الأجساد) دليلٌ على أن البعث إعادة، وليس تجديدًا، بل هو إعادةٌ لما زال وتحول، فإن الجسد يتحول إلى تراب، والعظام تكون رميمًا، يجمع الله

تعالى هذا المتفرق حتى يتكون الجسدُ، فتُعاد الأرواح إلى أجسادها.

من أدلة البعث

قال ابن عثيمين في حديث عن أدلة البعث من الكتاب والسُّنَّة:

أما الكتاب: فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[الروم: ٢٧] أي: يعيد ذلك الخلق الذي ابتدأه وفي الحديث القدسي، يقول الله - تعالى: (ليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته)[1] فالكلُّ على الله هينٌ، وقال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾[الأنبياء: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[المؤمنون:١٥- ١٦]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[يس:٧٨- ٧٩].

وأما السُّنَّة: فهي كثيرةٌ جدًّا في هذا حيث بيَّن النبيُّ ﷺ أن الناس يُحشرون حفاةً عراةً غُرلًا[2] فالناسُ هم الذين يُحشرون وليس سواهم، فالمهم أن البعث إعادةٌ للأجساد السابقة.

يوم القيامة

قال ابن تيمية في العقيدة الواسطية: **وتقوم القيامة التي أخبر اللهُ بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون.**

من أدلة يوم القيامة

قال ابن عثيمين رحمه الله: هذه ثلاثة أنواع من الأدلّة:

١ - كتاب الله تعالى

٢- وسُنَّة رسوله ﷺ

٣- وإجماع المسلمين

فأما كتاب الله تعالى: فقد أكَّد الله تعالى في كتابه هذه القيامة، وذكرها الله تعالى

---

(١) البخاري (٤٩٧٤).

(٢) البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

بأوصاف عظيمة توجب الخوف والاستعداد لها، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ١ - ٢]، وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ [الحاقة: ١ - ٣].

وقال تعالى: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة: ١ - ٥]. والأوصاف التي لها في القرآن كثيرة وكلها مروعة ومخوفة؛ لأنها عظيمة وإذا لم تؤمن بها فلن تعمل لها، إذ لا يمكن للإنسان أن يعمل لهذا اليوم حتى يؤمن به، وحتى يُذكر له أوصافه التي توجب العمل لهذا اليوم.

وأما السُّنَّة: فالأحاديث في ذكر القيامة كثيرة، بيَّن الرسول -عليه الصلاة والسلام- بها ما يكون فيها، كما سيأتي إن شاء الله في ذكر الحوض والصراط والكتاب، وغير ذلك مما بيَّنه الرسول ﷺ.

وأما الإجماع: وهو النوع الثالث فقد أجمع المسلمون إجماعًا قطعيًّا على الإيمان بيوم القيامة، ولهذا كان من أنكره فهو كافرٌ، إلا إذا كان غريبًا عن الإسلام وجاهلًا فإنه يُعرَّف، فإن أصرَّ على الإنكار بعد ذلك فهو كافرٌ.

وهناك نوع رابع من الأدلة، وهو الكتب السماوية: حيث اتفقت على إثبات اليوم الآخر، ولهذا كان اليهود والنصارى يؤمنون بذلك، وحتى الآن يؤمنون به، ولهذا تسمعونهم يقولون: فلانٌ المرحوم، أو رحمه الله، أو ما أشبه ذلك، مما يدلُّ على أنهم يؤمنون باليوم الآخر إلى يومنا.

وثَمَّ نوع خامس، وهو العقل: ووجه ذلك أنه لو لم يكن هذا اليوم، لكان إيجاد الخلائق عبثًا، والله -تعالى- مُنَزَّهٌ عن العبث، فما الحكمة من قوم يُخلقون ويؤمرون وينهون ويُلزمون بما يُلزمون به، ويُندبون إلى ما يُندبون إليه، ثم يموتون، ولا حساب ولا عقاب؟! ولهذا قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥].

قيام الناس لرب العالمين

قال ابن تيمية في العقيدة الواسطية: فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حُفاةً عُراةً غُرلًا.

قال ابن عثيمين رحمه الله: قوله: (من قبورهم) هذا بُناء على الأغلب، وإلا فقد يكون الإنسان غير مدفون.

وقوله: (لرب العالمين) يعني؛ لأن الله تعالى يناديهم، قال الله تعالى: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾ [ق:٤١-٤٢]. فيقومون لهذا النداء العظيم من قبورهم لربهم تعالى، قال الله تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين:٤-٦].

وقوله: (حفاةً عراةً غرلًا) (حفاةً). أي: ليس عليهم نعالٌ ولا خفاف، يعني: أنه ليس عليهم لباسٌ للرِّجل، (عراةٌ): ليس عليهم لباسٌ للجسد، (غرلًا): لم ينقص من خلقهم شيء، و(الغرل): جمع (أغرل) وهو الذي لم يُختن، أي: إن القلفة التي قطعت منه في الدنيا تعود يوم القيامة؛ لأن الله -تعالى- يقول: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. فيُعاد كاملًا لم ينقص منه شيء، يعودون على هذا الوصف مختلطين رجالًا ونساءً.

ولما حدَّث النبي عليه الصلاة والسلام بذلك، قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظرُ بعضهم إلى بعض؟! فقال: «الأمرُ أشدُّ من أن يهمهم ذلك»[1]، فكل إنسان له شأنٌ يُغنيه ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس:٣٤-٣٧]، لا رجل ينظر إلى امرأة، ولا امرأة تنظر إلى رجل، حتى إن ابنه يفرُّ منه خوفًا من أن يطالبه بحقوقٍ له، وإذا كان هذا هو الواقع، فإنه لا يمكن أن تنظر المرأةُ إلى الرجل، ولا الرجل إلى المرأة، الأمرُ أشدُّ وأعظمُ؛ ولكن مع ذلك يُكسون بعد هذا، وأول من يُكسى إبراهيم عليه السلام كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ[2].

---

(١) البخاري (٦٥٢٧) ومسلم (٢٨٥٩).

(٢) شرح الواسطية (٣٣٥-٣٥٢) باختصار.

دنوُّ الشمس من الرءوس

قال ابن عثيمين رحمه الله: **تُقرب منهم الشمسُ، وتقربُ منهم مقدار ميل. وهذا الميل سواءً كان المسافة، أو ميل المكحلة؛ فإنها قريبة، وإن كانت هذه حرارتها في الدنيا وبيننا وبينها من البعد شيءٌ عظيمٌ فكيف إذا بعدت عن الرءوس بمقدار ميل؟!**

كيف يتحمل الناس حرَّ الشمس؟!

قال ابن عثيمين رحمه الله: **قد يقول قائل: المعروف الآن أن الشمس لو تدنو بمقدار شعرة عن مستوى خطها لأحرقت الأرض، فكيف يمكن أن تكون في ذلك اليوم بهذا المقدار من البعد، ثم لا تحرق الخلق؟**

فالجواب على ذلك: أن الناس يحشرون يوم القيامة ليسوا على القوة التي هم عليها الآن، بل هم أقوى وأعظم وأشد تحملًا.

هل يسلَم أحد من الشمس؟

قال ابن عثيمين رحمه الله: **فإن قيل: هل أحدٌ يسلم من الشمس؟ فالجواب: نعم، هناك أناسٌ يظلهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظله كما أخبر بذلك النبيﷺ: «إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نشأ في طاعة الله، ورجلٌ قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شمالهُ ما تُنفق يمينه ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[1]. وهناك أيضًا أصناف أخرى يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّهُ. وقوله: (لا ظلَّ إلا ظِلُّهُ) يعني: إلا الظل الذي يخلقه، وليس كما توهمَّ بعضُ الناس أنه ظلُّ ذات الرب -تعالى- فإن هذا باطلٌ.**

اختلاف العصاة في عرقهم على قدر ذنوبهم

قال ابن عثيمين رحمه الله: **بعضهم يصل العرقُ إلى كعبيه، وإلى ركبتيه، وإلى حقويه، ومنهم من يُلجمه فهم يختلفون في هذا العرق، ويعرقون من شدة الحر؛ لأن المقام مقام**

---

(١) البخاري (٦٦٠، ١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة.

زحام وشدة ودنو شمس، فيعرق الإنسانُ مما يحصل في ذلك اليوم؛ لكنهم على حسب أعمالهم.

كيف يختلفون في عرقهم وهم في مكان واحد؟!

قال ابن عثيمين رحمه الله: **فإن قلت: كيف يكون ذلك وهم في مكان واحد؟** فالجواب: أننا أصّلنا قاعدةً يجب الرجوع إليها، وهي: **أن الأمور الغيبية يجب علينا أن** نؤمن بها ونصدق دون أن نقول: كيف؟! ولِمَ؟! لأنها شيء وراء عقولنا، **ولا يمكن أن** ندركها أو نحيط بها، أرأيت لو أن رجلين دُفنا في قبر واحد: أحدهما: مؤمن، والثاني: كافر؛ فإنه ينال المؤمن من النعيم ما يستحق، وينال الكافر من العذاب ما يستحق، وهما في قبرٍ واحدٍ، وهكذا نقول في العرق يوم القيامة[1].

الميزان

قال ابن تيمية -رحمه الله- في العقيدة الواسطية: **فتنصب الموازين فتوزن بها أعمال** العباد.

قال ابن عثيمين رحمه الله: **الذي ينصب الموازين هو الله تعالى؛ لتوزن بها أعمال العباد،** وقال: وردت النصوص بالجمع والإفراد.

فمثال الجمع: قوله تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ** ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿ **وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم** ﴾ [الأعراف:٨- ٩].

وأما الإفراد: فقال النبي ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[2]، فقال: (في الميزان) فأفرد، فكيف نجمع بين الآيات القرآنية وبين هذا الحديث؟

---

(١) شرح الواسطية (٣٥٢- ٣٥٥).

(٢) البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

فالجواب أن نقول: إنها جُمعت باعتبار الموزون؛ حيث إنه متعددٌ، وأُفردت باعتبار أن الميزان واحدٌ أو ميزان كل أمة، أو أن المراد بالميزان في قوله ﷺ: (ثقيلتان في الميزان) أي: في الوزن. ولكن الذي يظهر –والله أعلم– أن الميزان واحدٌ، وأنه جُمع باعتبار الموزون، بدليل قوله: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٨] ولكن يتوقف الإنسان: هل يكون ميزانًا واحدًا لجميع الأمم، أو لكل أمة ميزان؛ لأن الأمم كما دلت عليه النصوص تختلف باعتبار أجرها؟!

وقوله: (وتُنصب الموازين) ظاهره أنها موازين حسية، وأن الوزن يكون على حسب المعهود بالراجح والمرجوح؛ وذلك لأن الأصل في الكلمات الواردة في الكتاب والسُّنَّة حملها على المعهود المعروف، إلا إذا قام دليلٌ على أنها خلاف ذلك، والمعهود المعروف منذ نزول القرآن الكريم إلى اليوم أن الميزان حسيٌّ وأن هناك راجحٌ ومرجوحٌ.

كيف يُوزن العمل؟

كيف يوزن العمل، والعملُ وصفٌ قائمٌ بالعمل، وليس جسمًا فيوزن؟!

قال ابن عثيمين: والجواب على ذلك أن يقال: إن الله –سبحانه وتعالى– يجعل هذه الأعمال أجسامًا، وليس هذا بغريب على قدرة الله تعالى وله نظيرٌ وهو الموت؛ فإنه يُجعل على صورة كبش ويُذبح بين الجنة والنار[1]، مع أن الموت معنى، وليس بجسم، وليس الذي يُذبح ملك الموت؛ ولكنه نفسُ الموت، حيث يجعله الله تعالى جسمًا يُشاهد ويُرى، كذلك الأعمال يجعلها اللهُ تعالى أجسامًا توزن بهذا الميزان الحسي.

وقال: صريح كلام المؤلف رحمه الله إن الذي يوزن العمل سواءً كان خيرًا أم شرًّا، وهذا هو ظاهر القرآن، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٦- ٨]. فهذا واضحٌ أن الذي يوزن العمل، سواءً كان خيرًا أم شرًّا. وقال النبي –عليه الصلاة والسلام: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان**».

وهذا ظاهرٌ أيضًا، بل صريحٌ في أن الذي يوزن العمل والنصوص في هذا كثيرةٌ،

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

ولكن هناك نصوصٌ قد يخالف ظاهرها هذا الحديث منها حديث البطاقة: رجلٌ يؤتى به على رءوس الخلائق وتُعرض عليه أعماله في سجلات تبلغ تسعة وتسعين سجلًّا، كل سجل منها يبلغ مدَّ البصر فيقرُّ بها فيقال له: ألك عذرٌ أو حسنةٌ؟ فيقول: لا، يا رب، فيقول الله -تعالى- بلى، إن لك عندنا حسنة، فيؤتى ببطاقة صغيرة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة[1]... الحديث.

وظاهر هذا أن الذي يوزن صحائف الأعمال.

وهناك نصوص أخرى تدلُّ على أن الذي يوزن العامل، مثل قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥]. مع أنه قد يُنازع في الاستدلال بهذه الآية، فيُقال: إن معنى قوله: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ يعني: قدرًا، ومثل ما ثبت من حديث ابن مسعود ﷺ أنه كان يجتني سواكًا من الأراك وكان ﷺ دقيق الساقين، جعلت الريح تُحركه، فضحك الصحابةُ ﷺ فقال النبي ﷺ: «مم تضحكون؟» قالوا: من دقة ساقيه، قال: «والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أُحد»[2].

فصار هناك ثلاثة أشياء: العمل، والعامل، والصحائف. فقال بعض العلماء: إن الجمع بينهما أن يُقال: إن من الناس من يُوزن عمله، ومن الناس من يُوزن صحائفُ عمله، ومن الناس من يُوزن هو بنفسه.

وقال بعض العلماء: الجمع بينها أن يُقال: إن المراد بوزن العمل، أن العمل يُوزن وهو في الصحائف، ويبقى وزنُ صاحب العمل، فيكون لبعض الناس، ولكن عند التأمل نجد أكثر النصوص تدلُّ على أن الذي يوزن هو العمل ويُخصُّ بعضُ الناس، فتوزن صحائفُ

---

(١) الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه الألباني.

(٢) أحمد (١/ ٤٢١)، وسنده حسن.

أعماله أو يوزن هو نفسه، وأما ما ورد من حديث ابن مسعود ﷺ وحديث البطاقة فقد يكون هذا أمرًا يخصُّ الله به من يشاء من عباده.

المراد بثقل الموازين وخفتها

قال ابن عثيمين رحمه الله: المرادُ بثقل الموازين رجحان الحسنات على السيئات.

وقال: والمراد بخفة الموازين رجحان السيئات على الحسنات، أو فقدان الحسنات بالكلية، إن قلنا بأن الكفار توزن أعمالهم، كما هو ظاهر هذه الآية الكريمة[١] وأمثالها، وهو أحد القولين لأهل العلم.

والقول الثاني: أن الكفار لا توزن أعمالهم لقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥]، والله أعلم[٢].

نشرُ الدواوين

قال ابن عثيمين رحمه الله:

الدواوين: جمع ديوان، وهو السجل الذي تُكتب فيه الأعمال، قال: وهي صحائف الأعمال، يعني: التي كتبتها الملائكة الموكلون بأعمال بني آدم، قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار:٩- ١٢]، فيُكتب هذا العمل ويكون لازمًا للإنسان في عنقه، فإذا كان يوم القيامة أخرج الله هذا الكتاب، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء:١٣- ١٤]، قال بعض السلف: لقد أنصفك من جعلك حسيبًا على نفسك.

---

(١) يعني: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٣].

(٢) شرح الواسطية (٣٥٥- ٣٦٠).

ماذا يُكتب في صحائف الأعمال؟

قال ابن عثيمين رحمه الله: والكتابةُ في صحائف الأعمال: إما للحسنات وإما للسيئات، والذي يُكتب من الحسنات: ما عمله الإنسان، وما نواه، وما همَّ به

فهذه ثلاثة أشياء:

١- فأما ما عمله: فظاهرٌ أنه يُكتب.

٢- وأما ما نواه: فإنه يُكتب له، لكن يُكتب له أجر النية فقط كاملًا، كما في الحديث الصحيح في قصة الرجل الذي كان له مالٌ يُنفقه في سبل الخير فقال الرجل الفقير: لو أن عندي مالًا لعملت فيه بعمل فلان، قال النبيُّ ﷺ: «**فهو بنيته فأجرهما سواء**»[1].

٣- وأما الهمَّ فينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يهمَّ بالشيء ويفعل ما يقدر عليه منه، ثم يُحال بينه وبين إكماله، فهذا يُكتب له الأجر كاملًا لقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ** ﴾ [النساء: ١٠٠].

الثاني: أن يهمَّ بالشيء ويتركه مع القدرة عليه، فيكتب له به حسنة كاملةً لنيته.

وأما السيئات، فإنه يُكتب على الإنسان ما عمله، ويكتب عليه ما أراد وسعى فيه، ولكن عجز عنه، ويُكتب عليه ما نواه وتمناه.

١- فالأول: واضحٌ.

٢- والثاني: يُكتب عليه كاملًا، لقول النبي ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» قالوا: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟! قال: «**لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»[2].

٣- والثالث: الذي نواه وتمنَّاه يُكتب عليه؛ لكن بالنية، ومنه الحديث الذي أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- عن رجل أعطاه الله مالًا فكان يتخبط فيه، فقال رجلٌ فقيرٌ: لو أن لي مالًا لعملتُ فيه بعمل فلان، قال النبي ﷺ: «**فهو بنيته فوزرهما سواءٌ**»[3].

---

(١) الترمذي (٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٢٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٩٤).

(٢) البخاري (٣١)، (٦٨٧٥)، (٧٠٨٣)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٣) سبق تخريجه.

ولو همَّ بالسيئة ولكن تركها، فهذا على ثلاثة أقسام:

١ - إن تركها عجزًا فهو كالعامل إذا سعى فيها.

٢ - وإن تركها لله كان مأجورًا.

٣ - وإن تركها؛ لأن نفسه عزفت عنها، أو لم تطرأ على باله، فهذا لا إثم عليه ولا أجر.

والله -تعالى- يجزي بالحسنات أكثر من العمل، ولا يجزي بالسيئات إلا مثلها، قال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وهذا من كرمه تعالى ومن كون رحمته سبقت غضبه.

كيف يأخذ الناس كتبهم؟

قال ابن تيمية -رحمه الله- في الواسطية: فآخذٌ كتابه بيمينه أو من وراء ظهره [1].

قال ابن عثيمين رحمه الله: فظاهر كلام المؤلف -رحمه الله- أن الناس يأخذون كتبهم على ثلاثة أوجه: باليمين وبالشمال ومن وراء الظهر، ولكن الظاهر أن هذا الاختلاف اختلاف صفات، فالذي يأخذ كتابه من وراء ظهره هو الذي يأخذ كتابه بشماله، فيأخذ بالشمال، وتُجعل يده من الخلف، فكونه يأخذه بالشمال؛ لأنه من أهل الشمال، وكونه يأخذه من وراء ظهره؛ لأنه لما استدبر كتاب الله وولَّى ظهره إياه في الدنيا، صار من العدل أن يُجعل كتاب أعماله يوم القيامة خلف ظهره، فعلى هذا تخلع اليد الشمال حتى تكون من الخلف، والله أعلم.

الحساب

قال ابن عثيمين رحمه الله: المحاسبةُ: اطلاع العباد على أعمالهم يوم القيامة. وقد دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل.

أدلة الحساب

١ - أما الكتاب: فقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [الانشقاق: ١٠ - ١٢].

٢ - وأما السُّنَّة: فقد ثبت عن النبي ﷺ بعده أحاديث أن الله -تعالى- يحاسب الخلائق.

٣ - وأما الإجماع: فإنه متفقٌ عليه بين الأمة أن الله -تعالى- يحاسب الخلائق.

---

(١) شرح الواسطية (٣٦٠-٣٦٣) باختصار.

٤- وأما العقل: فواضحٌ؛ لأننا كُلِّفنا بعمل فعلًا وتركًا، وتصديقًا، والعقل والحكمة تقتضيان أن من كُلِّف بعملٍ؛ فإنه يحاسب عليه ويُناقش فيه.

هل تشمل المحاسبة البهائم؟

قال ابن عثيمين رحمه الله: أما القصاص فإنه يشمل البهائم؛ لأنه ثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه يُقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء[1]، وهذا قصاص؛ لكنها لا تحاسب حساب تكليف وإلزام؛ لأن البهائم ليس لها ثواب ولا عقاب.

كيف يحاسب المؤمن؟

قال ابن عثيمين رحمه الله: يخلو به الله تعالى دون أن يطلع عليه أحد ويقرره بذنوبه، أي يقول له: عملت كذا، وعملت كذا،... حتى يقرَّ ويعترف، ثم يقول: سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم.

ومع ذلك فإنه سبحانه وتعالى يضع عليه ستره؛ بحيث لا يراه أحدٌ ولا يسمعه أحدٌ، وهذا من فضل الله -تعالى- على المؤمن؛ فإن الإنسان إذا قررك بجناياتك أمام الناس، وإن سمح عنك، ففيه شيءٌ من الفضيحة، لكن إذا كان ذلك وحدك، فإن ذلك ستر منه عليك.

كيف يحاسب الكفار؟

قال ابن تيمية -رحمه الله- في الواسطية: وأما الكفار، فلا يحاسبون محاسبة مَنْ توزن حسناتهُ وسيئاتهُ؛ فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعدُّ أعمالهم فتُحصى فيوقفون عليها ويُقرَّرُون بها ويُجزون بها.

قال ابن عثيمين -رحمه الله- معلقًا: هكذا جاء معناه في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، حينما ذكر حساب الله -تعالى- لعبده المؤمن وأنه يخلو به ويقرره بذنوبه، قال: وأما الكفار والمنافقون فيُنادى بهم على رءوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة

---

(١) مسلم (٢٥٨٢).

الله على الظالمين[١].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ في حديث طويل عن النبي ﷺ قال: «**فيلقى العبد**- أي: يلقى الله العبد، يعني: المنافق- **فيقول: يا فل، أي: يا فلان، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟! فيقول: بلى. قال: فيقول: أظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيسأله فيُجيب كما أجاب الأول، فيقول الله: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيول: يا رب آمنت بك وبكتابك، وبرسلك، وصليت وصمت وتصدقت، ويُثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذن. قال: ثم يُقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويفكر في نفسه، من ذا الذي يشهد عليَّ؟ فيختم على فيه، ويُقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق بعمله، وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه**»[٢].

تنبيه

في قول المؤلف رحمه الله: (محاسبة من توزن حسناته وسيئاته... إلخ) إشارة إلى أن المراد بالمحاسبة المنفية: هي محاسبة الموازنة بين الحسنات والسيئات، وأما محاسبة التقرير فثابتة، كما يدلُّ على ذلك حديث أبي هريرة ﷺ

فائدة

أول ما يحاسبُ عليه العبد من الأعمال الصلاة[٣]، وأول ما يُقضى فيه بين الناس الدماء[٤]؛ لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، والدماء أعظم ما يتعدى به في حقوق الآدميين[٥].

---

(١) متفق عليه.

(٢) مسلم (٢٩٦٨).

(٣) أبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، وابن ماجه (١٤٢٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٤٢٥، ١٤٢٦).

(٤) البخاري (٦٥٣٣)، (٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

(٥) شرح الواسطية (٣٦٤- ٣٦٧).

حوضُ النبيّ

قال ابن عثيمين رحمه الله: والكلام عن الحوض من عدة وجوه:

أولًا: هذا الحوض موجودٌ الآن؛ لأنه ثبت عن النبيﷺ أنه خطب ذات يوم في أصحابه ﷺ وقال: «وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن»[١]، وأيضًا: ثبت عن النبيﷺ أنه قال: «ومنبري على حوضي»[٢] وهذا يُحتمل أنه في هذا المكان؛ لكن لا نشاهده؛ لأنه غيبي، ويُحتمل أن المنبر يُوضع يوم القيامة على الحوض.

ثانيًا: هذا الحوض يُصبُّ فيه ميزابان من الكوثر، وهو النهر العظيم، الذي أعطيه النبيﷺ في الجنة، ينزلان إلى هذا الحوض[٣].

ثالثًا: زمن الحوض، قبل العبور على الصراط؛ لأن المقام يقتضي ذلك؛ حيث إن الناس في حاجةٍ إلى الشرب في عرصات القيامة قبل عبور الصراط.

رابعًا: يَرِدُ هذا الحوض المؤمنون بالله ورسوله، المتبعون لشريعته، وأما من استنكف واستكبر عن اتباع الشريعة؛ فإنه يُطرد منه.

خامسًا: في كيفية مائه؛ فيقول المؤلف رحمه الله: «ماؤه أشدُّ بياضًا من اللبن» هذا في اللون، أما في الطعم، فقال: «وأحلى من العسل»، وفي الرائحة: «أطيب من المسك» كما ثبت به الحديث عن النبيﷺ[٤].

سادسًا: في آنيته، يقول المؤلف رحمه الله: «آنيته عدد نجوم السماء»[٥] هذا كما ورد في بعض ألفاظ الحديث، وفي بعضها: «آنيتهُ كنجوم السماء» وهذا اللفظ أشمل؛ لأنه يكون كالنجوم في العدد، وفي الوصف بالنور واللمعان، فآنيتهُ كنجوم السماء كثرةً وإضاءةً.

---

(١) البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٢) البخاري (١١٩٦)، ومسلم (١٣٩١).

(٣) مسلم (٢٣٠٠).

(٤) مسلم (٢٤٧، ٢٣٠٠، ٢٣٠١).

(٥) مسلم (٢٤٧، ٢٣٠٠، ٢٣٠١).

سابعًا: آثار هذا الحوض، قال المؤلف رحمه الله: «**مَنْ يشرب شربةً لا يظمأ بعدها أبدًا**»[1] حتى على الصراط وبعده، وهذا من حكمة الله تعالى؛ لأن الذي يشرب من الشريعة في الدنيا لا يخسر أبدًا كذلك.

ثامنًا: مساحة هذا الحوض، يقول المؤلف رحمه الله: «**طوله شهرٌ وعرضُهُ شهرٌ**»[2]، هذا يقتضي أن يكون مدورًا؛ لأنه لا يكون بهذه المساحة من كل جانب إلا إذا كان مدورًا، وهذه المسافة باعتبار ما هو معلومٌ في عهد النبي ﷺ من سير الإبل المعتاد.

تاسعًا: يصب في الحوض ميزابان، من الكوثر، أعطاه الله تعالى محمدًا[3].

عاشرًا: هل للأنبياء الآخرين أحواض؟

فالجواب: نعم، فإنه جاء في حديث الترمذي: «**إن لكل نبي حوضًا**»[4]، هذا يؤيده المعنى، وهو أن الله تعالى بحكمته وعدله كما جعل للنبي محمد ﷺ حوضًا يرده المؤمنون من أمته، كذلك يجعل لكل نبي حوضًا؛ حتى ينتفع المؤمنون بالأنبياء السابقين، لكن الحوض الأعظم هو حوض النبي ﷺ[5].

الصراط

قال ابن تيمية –رحمه الله– في العقيدة الواسطية: والصراط منصوبٌ على متن جهنم، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار.

وقال ابن عثيمين رحمه الله: وقد اختلف العلماء في كيفيته:

١ – فمنهم من قال: طريقٌ واسعٌ يمرُّ الناسُ منه على قدر أعمالهم؛ لأن كلمة الصراط

---

(١) مسلم (٢٤٧، ٢٣٠٠، ٢٣٠١).

(٢) الطبراني كما في المجمع (١٠/ ٣٣٧).

(٣) مسلم (٢٣٠٠).

(٤) الترمذي (٢٤٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٩٨٨).

(٥) شرح الواسطية (٣٦٧- ٣٦٩).

مدلولها اللغوي هو هذا؛ ولأن رسول الله ﷺ أخبر بأنه دحضٌ ومزلَّةٌ[1]، والدحض والمزلَّةُ لا يكونان إلا في طريقٍ واسعٍ، وأما الضيق فلا يكون دحضًا ومزلَّةً.

٢- ومن العلماء من قال: بل هو صراطٌ دقيقٌ جدًّا، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ رواه مسلم بلاغًا، أنه أدقُّ من الشعر، وأحدُّ من السيف[2].

كيف يمكن العبور على الصراط وهو أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف؟

قال ابن عثيمين رحمه الله: إن أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا، فالله تعالى على كل شيء قديرٌ ولا ندري كيف يعبرون؟ هل يجتمعون جميعًا في هذا الطريق، أو واحدًا بعد واحد؟ وهذه المسألة لا يكاد الإنسانُ يجزم بأحد القولين فيها؛ لأن كليهما له وجهةٌ قويةٌ، وقوله: «منصوبٌ على متن جهنم» يعني: على نفس النار.

أحوال الناس على الصراط

قال ابن تيمية رحمه الله: يمرُّ عليه الناس على قدر أعمالهم: فمنهم مَنْ يمرُّ كلمح البصر، ومنهم من يمرُّ كالبرق، ومنهم مَنْ يمرُّ كالريح، ومنهم من يمرُّ كالفرس الجواد، ومنهم من يمرُّ كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحفُ زحفًا، ومنهم من يخطف خطفًا، ويُلقى في جهنم، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم.

قال ابن عثيمين رحمه الله: قوله: «يمر الناسُ» المراد بـ (الناس) هنا المؤمنون؛ لأن الكفار قد ذُهِبَ بهم إلى النار، فيمرُّ الناسُ عليه على قدر أعمالهم، منهم مَنْ يمرُّ كلمح البصر، ومنهم مَنْ يمرُّ كالبرق، ولمح البصر أسرع من البرق، ومنهم من يمرُّ كالريح، أي: الهواء ولا شكَّ أن الهواء سريعٌ، لا سيما قبل أن يعرف الناسُ الطائرات، والهواء المعروف يصل أحيانًا إلى مائة وأربعين ميلًا في الساعة، ومنهم مَنْ يمرُّ كالفرس الجواد، ومنهم من يمرُّ كركاب الإبل، وهي دون الفرس الجواد بكثير، ومنهم من يزحف زحفًا، أي: يمشي

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٣٠٢).

(٢) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٣٠٢).

على مقعدته، وكل منهم يريد العبور، وهذا بغير اختيار الإنسان، ولو كان باختياره، لكان يجب أن يكون بسرعة، ولكن السير على حسب سرعته في قبول الشريعة في هذه الدنيا، فمن كان سريعًا في قبول ما جاءت به الرسلُ كان سريعًا في عبور الصراط، ومَنْ كان بطيئًا كان في عبور الصراط بطيئًا جزاءً وفاقًا، والجزاء من جنس العمل.

وقوله: «**ومنهم مَنْ يُخطف**» أي: يؤخذ بسرعة وذلك بالكلاليب التي على الجسر تخطف الناس بأعمالهم.

«**ويلقى في جهنم**»: يُفهم منه أن النار التي يُلقى فيها العصاة هي النار التي يُلقى فيها الكفار، ولكنها لا تكون بالعذاب كعذاب الكفار، بل قال بعضُ العلماء: إنها تكون بردًا وسلامًا عليهم كما كانت النارُ بردًا وسلامًا على إبراهيم -عليه السلام-، ولكن الظاهر خلاف ذلك، وأنها تكون حارةً مؤلمةً؛ لكنها ليست كحرارتها بالنسبة للكافرين، ثم إن أعضاء السجود لا تمسُّها النار، كما ثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- في الصحيحين[1] وهي الجبهة، والأنف، والكفان، والركبتان، وأطراف القدمين، قوله: «**فمن مَرَّ على الصراط دخل الجنة**» أي: لأنه نجا.

القنطرة

قال ابن تيمية رحمه الله: **(فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار).**

قال ابن عثيمين رحمه الله: القنطرة: هي الجسرُ؛ لكنها جسرٌ صغيرٌ، والجسر في الأصل ممرٌّ على الماء من نهر ونحوه، واختلف العلماءُ في هذه القنطرة؟ هل هي طرف الجسر الذي هو على متن جهنم أو هي جسرُ مستقلٌّ؟

والصواب في هذا أن نقول: الله أعلم، وليس يعنينا شأنها، لكن الذي يعنينا أن الناس يوقفون عليها.

«**فيقتصُّ لبعضهم من بعض**»: وهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في

---

(١) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٢٩٩).

عرصات القيامة؛ لأن هذا قصاصٌ أخصُّ، لأجل أن يذهب الغلُّ والحقدُ والبغضاء التي في قلوب الناس، فيكون هذا بمنزلة التنقية والتطهير؛ وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص، فهذه القنطرة التي بين الجنة والنار لأجل تنقية ما في القلوب حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غلٌّ، كما قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧]

فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذن لهم في دخول الجنة، هكذا رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ[١]؛ إذا هُذِّبوا مما في قلوبهم من العداوة والبغضاء ونُقّوا منها؛ فإنه يؤذن لهم في دخول الجنة، فإذا أُذن لهم في الدخول فلا يجدون الباب مفتوحًا ولكن النبي ﷺيشفع إلى الله في أن يفتح لهم الباب -باب الجنة [٢].

الجنة

أول من يدخل الجنة من البشر

قال ابن تيمية -رحمه الله- في الواسطية: وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ

ودليله: ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺقال: «**أنا أول شفيعٍ في الجنة**»[٣] وفي لفظ: «**أنا أول من يقرعُ باب الجنة**»[٤] وفي لفظ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرتُ لا أفتح لأحدٍ من قبلك**»[٥].

أول من يدخل الجنة من الأمم

قال ابن تيمية -رحمه الله- في الواسطية: وأول من يدخل الجنة من الأمم أمتُهُ ﷺ.

قال ابن عثيمين رحمه الله: وهذا حقٌّ ثابتٌ، دليله ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي

---

(١) البخاري (٢٤٤٠).

(٢) شرح الواسطية (٣٦٩- ٣٧٢).

(٣) مسلم (٣٣٢).

(٤) مسلم (٣٣١).

(٥) مسلم (٣٣٣).

هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول مَنْ يدخل الجنة**»(١)، وقال ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة**»(٢) وهذا يشمل كل مواقف القيامة.

عددُ أبواب الجنة

قال ابن عثيمين رحمه الله: أبواب الجنة لم يذكرها المؤلف -رحمه الله- لكنها معروفة أنها ثمانية، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[الزمر: ٧٣]، وقال النبي ﷺ فيمن توضأ وأسبغ الوضوء وتشهَّد «**إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»(٣).

وهذه الأبواب كانت ثمانية بحسب الأعمال؛ لأن كل باب له عمال، فأهل الصلاة يُنادون من باب الصلاة، وأهل الصدقة من باب الصدقة، وأهل الجهاد من باب الجهاد، وأهل الصيام من باب الريان، وقد يُوفق الله تعالى بعض الناس لأعمالٍ صالحةٍ شاملةٍ فيُدعى من جميع الأبواب، كما في الصحيحين، عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ: «**مَنْ أنفق زوجين في سبيل الله نُودي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير...**» وذكر الحديث. وفيه: فقال أبو بكر ﷺ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على مَنْ دُعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**»(٤)(٥).

---

(١) مسلم (٨٥٥).

(٢) مسلم (٨٥٥).

(٣) مسلم (٢٣٤).

(٤) البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧).

(٥) شرح الواسطية (٣٧٢، ٣٧٣).

الشفاعة

قال ابن عثيمين رحمه الله: **الشفاعات: جمع شفاعة، والشفاعة في اللغة: جعلُ الشيء شفعًا، وفي الاصطلاح: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرَّة.**

أقسام الشفاعة

قال ابن عثيمين رحمه الله: **والشفاعة تنقسم إلى قسمين:**

١- شفاعة باطلة. ٢- وشفاعة صحيحة.

فالشفاعة الباطلة: **ما يتعلق به المشركون في أصنامهم؛ حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله.** كما قال تعالى: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ** ﴾ [يونس: ١٨]، **ويقولون:** ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ** ﴾ [الزمر: ٣]. **لكن هذه شفاعة باطلة لا تنفع، كما قال تعالى:** ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ** ﴾ [المدثر: ٤٨].

والشفاعة الصحيحة ما جمعت شروطًا ثلاثة:

١- رضا الله عن الشافع.

٢- رضاه عن الشفيع له، لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس مَنْ رضي الله عنهم ومن لم يرضَ عنهم.

٣- إذنه في الشفاعة، والإذن لا يكون إلا بعد الرضا من الشافع والمشفوع له.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ** ﴾ [النجم: ٢٦].

ولم يقل: عن الشافع، ولا المشفوع له، ليكون أشمل، وقال تعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا** ﴾ [طه: ١٠٩]، **وقال تعالى:** ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ** ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

الآية الأولى تضمنت الشروط الثلاثة، والثانية تضمنت شرطين، والثالثة تضمنت شرطًا واحدًا.

شفاعات النبي ﷺ

قال ابن عثيمين رحمه الله: **للنبي ﷺ ثلاث شفاعات:**

١- الشفاعة العظمى.

٢- الشفاعة لأهل الجنة ليدخلوا الجنة.

٣- الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها.

الشفاعة الأولى

قال ابن تيمية -رحمه الله- في الواسطية: **وأما الشفاعة الأولى فيشفع في أهل الموقف حتى يُقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء: آدم، ونوحٌ، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه.**

قال ابن عثيمين رحمه الله: **وهذه الشفاعة العظمى لا تكون لأحدٍ أبدًا إلا للرسول ﷺ وهي أعظم الشفاعات؛ لأن فيها إراحة الناس من هذا الموقف العظيم والكرب والغم، وهؤلاء الرسل الذين ذكروا في حديث الشفاعة[1] كلهم من أولي العزم وقد ذكرهم الله -تعالى- في موضعين في القرآن في سورة الأحزاب[2] وسورة الشورى[3].**

الشفاعة الثانية

قال ابن تيمية -رحمه الله- في الواسطية: **وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.**

قال ابن عثيمين رحمه الله: **وذلك أن أهل الجنة إذا عبروا الصراط وُقفوا على قنطرة؛ فيُقتصُّ لبعضهم من بعض، وهذا القصاصُ غير القصاص الذي كان في عرصات القيامة بل هو قصاصٌ أخصُّ، يطهر اللهُ فيه القلوب، ويُزيل ما فيها من الأحقاد والضغائن.**

فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذن لهم في دخول الجنة؛ ولكنهم إذا أتوا الجنة لا يجدونها مفتوحةً كما يجد ذلك أهل النار، فلا تُفتح الأبواب حتى يشفع النبيُّ ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها، فيدخل كلُّ إنسان من باب العمل الذي يكون أكثر اجتهادًا فيه من غيره، وإلا فإن

---

(١) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٢) الأحزاب (٧).

(٣) الشورى (١٣).

المسلم قد يُدعى من كل الأبواب. وهذه الشفاعة يُشير إليها القرآن؛ لأن الله قال في أهل الجنة: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣].

وهذا يدلُّ على أن هناك شيئًا بين وصولهم إليها وبين فتح الأبواب، وهو صريحٌ فيما رواه مسلمٌ عن حذيفة وأبي هريرة ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله -تبارك وتعالى- الناس، فيقوم المؤمنون حتى تُزلف لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة...** »وذكر الحديث وفيه: فيأتون محمدًا، فيقوم، فيؤذن له[1].

الشفاعة الثالثة

قال ابن تيمية -رحمه الله- في الواسطية: **وأما الشفاعة الثالثة، فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له، ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.**

قال ابن عثيمين رحمه الله: قوله: **وأما الشفاعة الثالثة، فيشفعُ فيمن استحق النار** أي: من عصاة المؤمنين، وهذه لها صورتان:

١- يشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها.

٢- وفيمن دخلها أن يخرج منها.

أما فيمن دخلها أن يخرج منها، فالأحاديث في هذا كثيرة جدًّا، بل متواترةٌ.

وأما فيمن استحقها أن لا يدخلها، فهذه قد تُستفاد من دعاء الرسول ﷺ للمؤمنين بالمغفرة والرحمة على جنائزهم، فإنه من لازم ذلك، أن لا يدخل النار، كما قال النبي ﷺ: «**اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين**»[2] الحديث.

لكن هذه شفاعة في الدنيا كما في قوله ﷺ: «**ما من رجلٍ مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا، إلا شفَّعهم الله فيه**»[3].

---

(١) مسلم (٣٢٩).

(٢) مسلم (٩٢٠).

(٣) مسلم (٩٤٨).

الإيمان بالقدر

قال السعدي رحمه الله: اعلم أن الإيمان بالقدر أمرُهُ عظيمٌ وشأنهُ مهمٌّ جدًّا، وهو أحدُ أركان الإيمان الستة[١]، وقال: قد ثبت بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة، أن الإيمان بالقدر أحدُ أركان الإيمان، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فمن لم يؤمن بهذا فإنه ما آمن بالله حقيقةً، فعلينا أن نؤمن بجميع مراتب القدر، فنؤمن أن الله بكل شيءٍ عليم، وأنه كتب في اللوح المحفوظ جميع ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وأن الأمور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره، ومن تمام الإيمان بالقدر: العلم بأن الله لم يُجبر العباد على خلاف ما يريدون بل جعلهم مختارين لطاعتهم ومعاصيهم[٢].

قال ابن باز رحمه الله: **وأما الإيمان بالقدر فيتضمن الإيمان بأمور أربعة:**

١-**الأمر الأول:** أن الله -سبحانه- علم ما كان وما يكون وعلم أحوال العباد وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وغير ذلك من شئونهم، لا يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾، وقال -عزَّ وجلَّ: ﴿ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾[الطلاق: ١٢].

٢-**الأمر الثاني:** كتابته سبحانه لكل ما قدَّره وقضاه، كما قال سبحانه: ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴾[ق: ٤]، وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾[يس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[الحج: ٧٠].

٣-**الأمر الثالث:** الإيمان بمشيئته النافذة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس: ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[التكوير: ٢٩].

---

(١) شرح الواسطية (٣٧٤- ٣٨٠) باختصار.

(٢) القول السديد (١٤٥).

٤- الأمر الرابع: خلقه سبحانه لجميع الموجودات، لا خالق غيره، ولا رب سواه، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣]. فالإيمان بالقدر يشمل الإيمان بهذه الأمور الأربعة عند أهل السُّنَّة والجماعة خلافًا لمن أنكر بعض ذلك من أهل البدع[(١)].

فوائدُ الإيمان بالقدر

قال ابن عثيمين رحمه الله: **وللإيمان بالقدر فوائد منها:**

أولًا: أنه من تمام الإيمان، ولا يتم الإيمان إلا بذلك.

ثانيًا: أنه من تمام الإيمان بالربوبية؛ لأن قدر الله من أفعاله.

ثالثًا: رد الإنسان أموره إلى ربه؛ لأنه إذا علم أن كل شيء بقضائه وقدره فإنه سيرجع إلى الله في دفع الضراء ورفعها، ويضيف السراء إلى الله، ويعرف أنه من فضل الله عليه.

رابعًا: أن الإنسان يعرف قدر نفسه ولا يفخر إذا فعل الخير.

خامسًا: هوان المصائب على العبد؛ لأن الإنسان، إذا علم أنها من عند الله هانت عليه المصيبة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١].

سادسًا: إضافة النعم إلى مُسديها؛ لأنك إذا لم تؤمن بالقدر أضفت النعم إلى من باشر الإنعام، وهذا يوجد كثيرًا في الذين يذهبون إلى الملوك والأمراء والوزراء، فإذا أصابوا منهم ما يريدون جعلوا الفضل إليهم، ونسوا فضل الخالق سبحانه.

سابعًا: أن الإنسان يعرف به حكمة الله -عزَّ وجلَّ-؛ لأنه إذا نظر في هذا الكون وما يحدث فيه من تغيرات باهرة عرف بهذا حكمة الله -عزَّ وجلَّ- بخلاف مَنْ نسي القضاء والقدر، فإنه يستفيد من هذه الفائدة[(٢)].

---

(١) العقيدة الصحيحة وما يضادها- لابن باز (٩، ١٠).

(٢) شرح الواسطية (٣٨٦، ٣٨٧) باختصار.

وقال السعدي رحمه الله: من فوائد الإيمان بالقضاء والقدر أنه يوجب للعبد سكون القلب وطمأنينته وقوته وشجاعته؛ لعلمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه يُسلي العبد عن المصائب، ويوجب له الصبر والتسليم والقناعة بما رزق الله، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١]، قال بعض السلف: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلِّم.

ومن فوائده أنه يوجب للعبد شهود منة الله عليه فيما يمنُّ به عليه من فعل الخيرات وأنواع الطاعات، لا يعجب بنفسه، ولا يُدلُّ بعلمه؛ لعلمه أن الله -تعالى- هو الذي تفضل عليه بالتوفيق والإعانة، وصرف الموانع والعوائق، وأنه لو وكله إلى نفسه لضعف وعجز عن العمل وعن الثبات عليه، كما أنه سببٌ لشكر نعم الله، فما يُنعم عليه من نعم الدين والدنيا، فإنه يعلم أنه ما بالعبد من نعمة إلا من الله، وأن الله هو الدافع لكل مكروهٍ ونقمةٍ[1].

الفرق الضَّالة في القدر

قال ابن عثيمين رحمه الله: وقد ضلَّ في القدر طائفتان؛ إحداهما: الجبرية، الذين قالوا: إن العبد مجبرٌ على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة. الثانية: القدرية، الذين قالوا: إن العبد مستقلٌّ بعمله في الإرادة والقدرة وليس لمشيئة الله -تعالى- وقدرته فيه أثر.

الردُّ على الجبرية: الردُّ على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع.

أما الشرع: فإن الله -تعالى- أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه، قال تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٢]. وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] وقال تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل والشرب والبيع والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى والسقوط من السطح. فهو في الأول فاعلٌ مختارٌ بإرادته، من غير جبر، وفي الثاني غير

(١) التنبيهات اللطيفة (٩٤).

مختارٍ ولا مريد لما وقع عليه.

الردُّ على القدرية: الردُّ على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل.

أما الشرع: فإن الله -تعالى- خالق كل شيء، وكل شيء كائنٌ بمشيئته، وقد بيَّن الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته، فقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾[البقرة: ٢٥٣] ، وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾[السجدة: ١٣] .

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله -تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوكٌ لله تعالى ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته[١] .

---

(١) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين (٥٨- ٦٠).

نواقض الإسلام

قال العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله: اعلم أيها المسلم الأخ أن الله -سبحانه- أوجب على جميع العباد الدخول في الإسلام والتمسك به والحذر مما يخالفه، وبعث نبيه محمدًا ﷺ للدعوة إلى ذلك، وأخبر -عزَّ وجلَّ- أن مَنْ اتبعه فقد اهتدى، ومن أعرض عنه فقد ضلَّ، وحذر في آياتٍ كثيرة من أسباب الردة وسائر أنواع الشرك والكفر، وذكر العلماء -رحمهم الله- في باب حكم المرتد:

أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض التي تحلُّ دمه وماله، ويكون بها خارجًا عن الإسلام، ومن أخطرها وأكثرها وقوعًا عشرة نواقض، نذكر لك فيما يلي على سبيل الإيجاز؛ لتحذرها وتُحذِّر منها غيرك رجاء السلامة والعافية منها مع توضيحات قليلة تُذكر بعدها:

الأول: من النواقض العشرة: الشرك في عبادة الله. قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة: ٧٢]. ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم.

الثاني: مَنْ جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعًا.

الثالث: مَنْ لم يُكفِّر المشركين أو شكَّ في كفرهم أو صحَّح مذهبهم كفر.

الرابع: مَنْ اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يُفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

الخامس: مَنْ أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به فقد كفر، لقوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ** ﴾ [محمد: ٢٨].

السادس: مَنْ استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه، أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ** ﴾ [التوبة: ٦٥- ٦٦].

السابع: السحرُ، ومنه الصرفُ والعطفُ، فمن فعله، أو رضي به كفر.

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعُهُ الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

العاشر: الإعراضُ عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد، والخائف والمكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه.

ويدخل في القسم الرابع: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنُّها الناسُ أفضل من شريعة الإسلام، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سببًا في تخلف المسلمين، أو أن يحصره في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى، ويدخل في الرابع أيضًا: مَنْ يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضًا: كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرَّم الله إجماعًا وكل من استباح ما حرَّم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا، أو الخمر، أو الربا، والحكم بغير شريعة الله فهو كافرٌ بإجماع المسلمين[1].

---

(١) العقيدة الصحيحة لابن باز (١٥-١٦).

معنى شهادة التوحيد

قال العلَّامة السعدي رحمه الله: **حقيقة تفسير التوحيد العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له، وذلك يرجع إلى أمرين:**

١- نفي الألوهية كلها عن غير الله، بأن يعلم ويعتقد أن لا يستحق الألوهية ولا شيئًا من العبودية أحدٌ من الخلق، لا نبيٌ مرسلٌ، ولا ملكٌ مقرَّبٌ ولا غيرهما، وأنه ليس لأحد من الخلق في ذلك حظ ولا نصيب.

٢- إثبات الألوهية لله -تعالى- وحده لا شريك له، وتفرده بمعاني الألوهية كلها، وهي نعوت الكمال كلها، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص كلمة الدين لله.

فيقوم بالإسلام، والإيمان، والإحسان بحقوق الله وحقوق خلقه قاصدًا بذلك وجه الله وطالبًا رضوانه وثوابه، ويعلم أن من تمام تفسيرها وتحقيقها البراءة من عبادة غير الله، وأن اتخاذ أنداد يحبهم كحب الله، أو يطيعهم كطاعة الله أو يعمل لهم كما يعمل لله ينافي معنى: (لا إله إلا الله) أشد المنافاة[1].

الشرك وأنواعه

قال السعدي رحمه الله: **الشركُ في التوحيد الإلهية والعبادة ينافي التوحيد كل المنافاة وهو نوعان:**

١-شرك أكبر جليّ. ٢- وشركُ أصغر خفيّ.

فأما الشرك الأكبر

فهو أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعًا من أنواع العبادة، فهذا الشرك لا يُبقي مع صاحبه من التوحيد شيئًا، وهذا الشرك الذي حرَّم الله على صاحبه الجنة ومأواه النار.

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد (٣١، ٣٢).

ولا فرق في هذا بين أن يُسمِّي تلك العبادة التي صرفها لغير الله عبادة أو يُسمِّيها توسُّلًا، أو يُسمِّيها بغير ذلك من الأسماء، فكل ذلك شركٌ أكبر؛ لأن العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها.

وأما الشرك الأصغر

فهو جميع الأقوال والأفعال التي يُتوسل بها إلى الشرك كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة، وكالحلف بغير الله، ويسير الرياء، ونحو ذلك.

فإذا كان الشرك يُنافي التوحيد ويُوجب دخول النار والخلود فيها، وحرمان الجنة إذا كان أكبر ولا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه كان حقًّا على العبد أن يخاف منه أعظم خوفٍ وأن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه، ويسأل الله العافية منه، كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق.

وعلى العبد أن يجتهد في تنمية الإخلاص في قلبه وتقويته، وذلك بكمال التعلق بالله تألهًا وإنابةً وخوفًا ورجاءً وطمعًا وقصدًا لمرضاته، وثوابه في كل ما يفعله العبد وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة، فإن الإخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأكبر والأصغر وكل من وقع منه نوعٌ من الشرك فلضعف إخلاصه(١).

من الشرك لبس الحلقة والخيط

قال السعدي رحمه الله: هذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب، وتفصيل القول فيها أنه يجب على العبد أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن لا يجعل منها سببًا إلا ما ثبت أنه سببٌ شرعًا وقدرًا.

ثانيها: أن لا يعتمد العبدُ عليها؛ بل يعتمد على مسببها ومقدِّرها، مع قيامه بالمشروع منها وحرصه على النافع منها.

ثالثها: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت؛ فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا

---

(١) القول السديد (٢٤- ٢٦).

خروج لها عنه، والله -تعالى- يتصرف فيها كيف يشاء، إن شاء أبقى سببيتها جارية على مقتضى حكمته ليقوم بها العبادُ ويعرفوا بذلك تمام حكمته، حيث ربط المسببات بأسبابها، والمعلولات بعللها، وإن شاء غيَّرها كيف يشاء؛ لئلا يعتمد عليها العباد وليعلموا كمال قدرته، وأن التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده، فهذا هو الجواب على العبد في نظره وعمله بجميع الأسباب.

إذا عُلم ذلك فمَنْ لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصدًا بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله فقد أشرك؛ لأنه إن اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر، وهو شرك في الربوبية حيث اعتقد شريكًا مع الله في الخلق والتدبير وشركٌ في العبودية حيث تألَّه لذلك وعلَّق به قلبه طمعًا ورجاءً لنفعه، وإن اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده ولكن اعتقدها سببًا يستدفع بها البلاء فقد جعل ما ليس سببًا شرعيًّا ولا قدريًّا وهذا محرَّمٌ وكذبٌ على الشرع والقدر.

أما الشرع: فإنه ينهى عن ذلك أشدَّ النهي، وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة.

وأما القدر: فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود، ولا من الأدوية المباحة النافعة، وكذلك هو من جملة وسائل الشرك، فإنه لا بد أن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه.

فإذا كانت هذه الأمور ليست من الأسباب الشرعية التي شرعها على لسان نبيه والتي يتوسل بها إلى رضاء الله وثوابه، ولا من الأسباب القدرية التي قد عُلم أو جُرِّب نفعها مثل الأدوية المباحة كان المتعلق بها متعلقًا قلبه بها راجيًا لنفعها، فيتعين على المؤمن تركها؛ ليتم إيمانه وتوحيده، فإنه لو تمَّ توحيده لم يتعلق قلبه بما ينافيه، وذلك أيضًا نقصٌ في العقل حيث تعلق بغير متعلق، ولا نافع بوجهٍ من الوجوه، بل هو ضررٌ محضٌ، والشرع مبناه على تكميل أديان الخلق بنبذ الوثنيات، والتعلق بالمخلوقين، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات والجد في الأمور النافعة المرقية للعقول المزكية للنفوس[1].

---

(١) القول السديد (٣٤- ٣٧).

التبرك بالشجر والحجر من الشرك

قال السعدي رحمه الله: **فإن ذلك من الشرك، ومن أعمال المشركين، فإن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع التبرك بشيء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها.**

فإن هذا التبرك غُلُوٌّ فيها وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها، وهذا هو الشرك الأكبر، كما تقدم انطباق الحد عليه، وهذا عامٌّ في كل شيء حتى مقام إبراهيم وحجرة النبيﷺ وبيت المقدس وغيرها من البقع الفاضلة، وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرفة فهذا عبودية لله وتعظيم لله وخضوع لعظمته، فهو روح التعبد، فهذا تعظيمٌ للخالق وتعبدٌ له، وذلك تعظيم للمخلوق وتأله له، فالفرق بين الأمرين كالفرق بين الدعاء لله الذي هو إخلاص وتوحيد، والدعاء للمخلوق الذي هو شركٌ وتنديد[١].

الذبح لغير الله شركٌ

قال السعدي رحمه الله: **إن نصوص الكتاب والسُّنَّة صريحة في الأمر بالذبح لله، وإخلاص ذلك لوجهه كما هي صريحة بذلك في الصلاة فقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتابه. وإذا ثبت أن الذبح لله من أجلّ العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شركٌ أكبر مُخْرِج عن دائرة الإسلام، فإن حدَّ الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعًا أو فردًا من أفراد العبادة لغير الله، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شركٌ وكفرٌ، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء كما أن حد الشرك الأصغر هو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة، فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر، فإنه مما يعينك على الفهم**[٢].

---

(١) القول السديد (٤٠، ٤١).

(٢) القول السديد (٤٤، ٤٥).

النذر والدعاء والاستغاثة

قال السعدي رحمه الله: فإن النذر عبادة مدح الله الموفين به، وأمر النبي ﷺ بالوفاء بنذر الطاعة، وكل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة، فإن العبادة اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، والنذر من ذلك. وكذلك أمر الله بالاستعاذة به وحده من الشرور كلها، وبالاستعانة به في كل شدة ومشقة، فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد وصرفها لغير الله شركٌ وتنديدٌ، والفرق بين الدعاء والاستغاثة أن الدعاء عامٌّ في كل الأحوال، والاستغاثة هي الدعاء لله في حالة الشدائد، فكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، وهو المجيب لدعاء الداعين المفرِّج لكربات المكروبين ومَنْ دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهو مشركٌ كافرٌ، وكما أنه خرج من الدين فقد تجرد أيضًا من العقل، فإن أحدًا من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره بل الكلُّ فقراءُ إلى الله في كل شئونهم[١].

المشروع والممنوع عند القبور

وذلك أن ما يفعل عندها نوعان: مشروع وممنوع.

١-أما المشروع: فهو ما شرعه الشارع من زيارة القبور على الوجه الشرعي من غير شدِّ رحل، يزورها المسلم متبعًا للسُّنَّة يدعو لأهلها عمومًا ولأقاربه ومعارفه خصوصًا، فيكون محسنًا إليهم بالدعاء لهم، وطلب العفو والمغفرة والرحمة لهم، ومحسنًا في نفسه باتباع السُّنَّة وتذكر الآخرة والاعتبار بها والاتعاظ.

٢-وأما الممنوع، فإنه نوعان:

أ-أحدهما: محرمٌ ووسيلةٌ للشرك، كالتمسح بها والتوسل إلى الله بأهلها والصلاة عندها، وكإسراجها والبناء عليها، والغلو فيها وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة.

ب-والنوع الثاني: شركٌ أكبر كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم، وطلب الحوائج

---

(١) السابق (٥٠- ٥٢).

الدنيوية والأخروية منهم، فهذا شركٌ أكبر، وهو عين ما يفعله عُبَّاد الأصنام مع أصنامهم.

ولا فرق في هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلّون في تحصيل مطالبه، أو متوسطون إلى الله، فإن المشركين يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[الزمر: ٣]، و: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[يونس: ١٨]. فمن زعم أنه لا يكفر مَنْ دعا أهل القبور حتى يعتقد أنهم مستقلون بالنفع والضرر، وأن من اعتقد أن الله هو الفاعل وأنهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم لم يكفر، من زعم ذلك فقد كذَّب ما جاء به الكتابُ والسُّنَّة، وأجمعت عليه الأمة من أن من ادعى غير الله فهو مشركٌ كافرٌ في الحالتين المذكورتين سواءً اعتقدهم مستقلين أو متوسطين، وهذا معلومٌ بالضرورة من الدين[١].

أقسام الناس في معاملة الصالحين

قال السعدي رحمه الله: والناسُ في معاملة الصالحين ثلاثة أقسام:

١- أهل الجفاء: الذين يهضمونهم حقوقهم ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.

٢-أهل الغلو: الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها.

٣-وأهل الحق: الذين يحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم الحقيقية؛ ولكنهم يتبرءون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم.

والصالحون أيضًا يتبرءون من أن يدَّعوا لأنفسهم حقًّا من حقوق ربهم الخاصة كما قال عيسى -عليه السلام: ﴿ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾[المائدة: ١١٦].

---

(١) القول السديد (٧٠- ٧٤).

واعلم أن الحقوق ثلاثة:

أ- حقٌّ خاصٌ لله: لا يشاركه فيه مشاركٌ، وهو التأله له وعبادته وحده لا شريك له، والرغبة والإنابة إليه حبًّا وخوفًا ورجاءً.

ب- حقٌّ خاصٌ للرسل: وهو توقيرهم وتبجيلهم، والقيام بحقوقهم الخاصة.

جـ- وحقٌّ مشتركٌ: وهو الإيمان بالله ورسوله، وطاعة الله ورسله، ومحبة الله، ومحبة رسله، ولكن هذه لله أصلًا، وللرسل تبعًا لحق الله.

فأهل الحق يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة فيقومون بعبودية الله، وإخلاص الدين له، ويقومون بحق رسله وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم، والله أعلم[1].

---

(١) القول السديد (٦٨، ٦٩).

السحرُ وحكمه

قال السعدي رحمه الله: **السحر يدخل في الشرك من جهتين:**

١- من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم وربما تقرب إليهم بما يحبون؛ ليقوموا بخدمته ومطلوبه.

٢- ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك، وذلك من شُعَب الشرك والكفر.

وفيه أيضًا من التصرفات المحرمة والأفعال القبيحة كالقتل، والتفريق بين المتحابين والصرف والعطف، والسعي في تغيير العقول، وهذا من أفظع المحرمات، وذلك من الشرك ووسائله؛ ولذلك تعين قتل الساحر لشدة مضرَّته وإفساده.

ومن أنواعه الواقعة في كثير من الناس النميمة؛ لمشاركتهم للسحر في التفريق بين الناس، وتغيير قلوب المتحابين وتلقيح الشرور، فالسحر أنواعٌ ودركاتٌ بعضُها أقبحُ وأسفلُ من بعضٍ[١].

الكهانة وحكمها

قال السعدي رحمه الله: **إن كل مَنْ يدَّعي علم الغيب بأي طريقٍ من الطرق، وذلك أن الله -تعالى- هو المنفردُ بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركة الله في شيءٍ من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرها، أو صدَّق من ادعى ذلك فقد جعل لله شريكًا فيما هو من خصائصه، وقد كذب الله ورسوله.**

وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهو شركٌ من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختصَّ به، ومن جهة التقرب إلى غير الله، وفيه إبعاد الشارع للخلق عن الخرافات المفسدة للأديان والعقول.

---

(١) القول السديد (٨٠- ٨٣).



الطِّيرة وحكمها

قال السعدي -رحمه الله- عن الطيرة: **هو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع وغيرها، فنهى الشارع عن التطير وذمَّ المتطيرين، وكان يحب الفأل ويكره الطيرة.**

والفرق بينهما: أن الفأل الحسن لا يدخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله، وليس فيه تعلق القلب بغير الله، بل فيه من المصلحة، النشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة.

صفة الفأل

وصفة ذلك: أن يعزم العبدُ على سفرٍ أو زواج أو عقدٍ من العقود أو على حالة من الأحوال المهمة، ثم يرى في تلك الحال ما يسرهُ أو يسمع كلامًا يسرُّهُ، مثل: يا راشد، يا سالم، يا غانم، فيتفاءل ويزداد طمعه في تيسير ذلك الأمر الذي عزم عليه، فهذا كله خيرٌ وآثاره خيرٌ.

صفة الطيرة

أما الطيرة فإنه إذا عزم على فعل شيء من ذلك من الأمور النافعة في الدين أو الدنيا، فيرى أو يسمع ما يكره أثر في قلبه أحد أمرين، أحدهما أعظم من الآخر:

١- أحدهما: أن يستجيب لذلك الداعي فيترك ما كان عازمًا على فعله أو بالعكس، فيتطير بذلك وينكص عن الأمر الذي كان عازمًا عليه، فهذا كما ترى قد علق قلبه بذلك المكروه غاية التعليق وعمل عليه، وتصرف ذلك المكروه في إرادته وعزمه وعمله، فلا شك أنه على هذا الوجه أثرَّ على إيمانه وأخلَّ بتوحيده وتوكله، ثم بعد هذا لا تسأل عما يحدثه له هذا الأمر من ضعف القلب ووهنه وخوفه من المخلوقين، وتعلقه بالأسباب، وبأمور ليست أسبابًا، وانقطاع قلبه من تعلقه بالله، وهذا من ضعف التوحيد والتوكيل، ومن طرق الشرك ووسائله، ومن الخرافات المفسدة للعقل.

٢- الأمر الثاني: أن لا يستجيب لذلك الداعي؛ ولكنه يؤثر في قلبه حزنًا وهمًّا وغمًّا، فهذا وإن كان دون الأول؛ لكنه شرٌّ وضررٌ على العبد وضعفٌ لقلبه وموهن لتوكله، وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر فقوي تطيره، وربما تدرج به إلى الأمر الأول. فهذا

التفصيل يُبينُ لك وجه كراهية الشرع للطيرة وذمها ووجه منافاتها للتوحيد والتوكل(١).

التنجيم وأنواعه

قال السعدي رحمه الله: التنجيم نوعان:

١- نوعٌ يُسمَّى علم التأثير: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية، فهذا باطلٌ ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به أو تصديق لمن ادَّعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من تعلق القلب بغير الله، ولما فيه من فساد العقل؛ لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان.

٢- النوع الثاني: علم التسيير، وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثيرٌ منه نافعٌ، قد حثَّ عليه الشارع إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات أو إلى الاهتداء به في الجهات.

فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشرعُ وحرَّمه، وبين ما أباحه أو استحبَّه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني(٢).

الاستسقاء بالنجوم

قال السعدي رحمه الله: لما كان التوحيد الاعتراف لله بتفرده بالنعم ودفع النقم، وإضافتها إليه قولًا واعترافًا واستعانةً بها على طاعته، كان قول القائل: مُطرنا بنوء كذا وكذا، ينافي هذا المقصود أشدَّ المنافاة؛ لإضافة المطر إلى النوء، والواجبُ إضافة المطر وغيره من النعم إلى الله، فإنه الذي تفضل بها على عباده.

ثم إن الأنواء ليست من الأسباب لنزول المطر بوجهٍ من الوجوه، وإنما السبب عناية المولى ورحمته وحاجة العباد وسؤالهم لربهم بلسان الحال ولسان المقال، فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمته في الوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم.

---

(١) القول السديد (٨٨- ٩٠).

(٢) القول السديد (٩٣، ٩٤).

فلا يتم توحيد العبد حتى يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق، ويضيفها إليه ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره، وهذا الموضع من محققات التوحيد وبه يُعرف كامل الإيمان وناقصه[١].

الرياء

قال السعدي رحمه الله: اعلم أن الإخلاص لله أساس الدين وروح التوحيد والعبادة، وهو أن يقصد العبدُ بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله، فيقوم بأصول الإيمان الستة، وشرائع الإسلام الخمس، وحقائق الإيمان التي هي: الإحسان وبحقوق الله، وحقوق عباده، مكملًا لها قاصدًا بها وجه الله والدار الآخرة، لا يريد بذلك رياءً ولا سمعةً ولا رياسة ولا دنيا، وبذلك يتم إيمانُهُ وتوحيدُهُ.

ومن أعظم ما ينافي هذا مراءاة الناس، والعمل لأجل مدحهم وتعظيمهم أو العمل لأجل الدنيا، فهذا يقدح في الإخلاص والتوحيد.

واعلم أن الرياء فيه تفصيل:

أ- فإن كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءاة الناس، واستمر على هذا القصد الفاسد فعمله حابطٌ وهو شركٌ أصغر، ويُخشى أن يتذرع به إلى الشرك الأكبر.

ب- وإن كان الحامل للعبد على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءاة الناس ولم يقلع عن الرياء بعمله، فظاهر النصوص أيضًا بطلان هذا العمل.

جـ- وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده ولكن عرض له الرياء في أثناء عمله، فإن دفعه وخلص إخلاصه لله لم يضره، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام به قلبه من الرياء، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء.

علاج آفة الرياء

قال السعدي رحمه الله: والرياء آفةٌ عظيمة، ويحتاج إلى علاج شديد وتمرين النفس على الإخلاص ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة والاستعانة بالله

---

(١) القول السديد (٩٣، ٩٤).

على دفعها؛ لعل الله يخلص إيمان العبد ويُحقق توحيده.

وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها، فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا القصد ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة فهذا ليس له من الآخرة من نصيب. وهذا العمل بهذا الوصف لا يصدر من مؤمنٍ، فإن المؤمن -ولو كان ضعيف الإيمان- لا بد أن يريد الله والدار الآخرة.

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان فهذا وإن كان مؤمنًا؛ فإنه ناقص الإيمان والإخلاص، وعمله ناقصٌ؛ لفقده كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده وأخلص في علمه إخلاصًا تامًّا ولكنه يأخذ على عمله جُعلًا ومعلومًا يستعين به على العمل والدين، كالجعلات التي تُجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة، أو رزق، وكالأوقاف التي تُجعل على المساجد، والمدارس، والوظائف الدينية لمن يقوم بها، فهذا لا يضره أخذه في إيمان العبد وتوحيده؛ ولكونه لم يُرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين، وقصد أن يكون ما حصل له معينًا له على قيام الدين.

ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءًا كبيرًا لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة[1].

قال ابن القيم رحمه الله: **وأما الشرك في الإرادات والنيات، فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ مَنْ ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئًا من غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته.**

والإخلاص أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإراداته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحدٍ غيرها وهي حقيقة الإسلام.

كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥] . **وهي ملة إبراهيم -عليه السلام- التي مَنْ رغب عنها فهو من السفهاء**[2] .

---

(١) القول السديد (١٠٧- ١١١).

(٢) الجواب الكافي (١١٥).

الكفـــــر

تعريفه

الكفرُ في اللغة: التغطية والستر.

شرعًا: ضد الإيمان. فإن الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواءً كان معه تكذيب أم لم يكن معه تكذيب، بل شكٌّ وريبٌ أو أعراض أو حسد، أو كبر أو اتباع البعض الأهواء الصادة عن اتباع الرسالة، وإن كان المكذب أعظم كفرًا، وكذلك الجاحد المكذب حسدًا مع استيقان صدق الرسل[1].

أنواع الكفر: الكفر نوعان:

النوع الأول
كفرٌ أكبرُ يُخرج من الملة

وهو خمسة أقسام:

أ- القسم الأول: كفر التكذيب

الدليل

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾[العنكبوت: ٦٨].

ب- القسم الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق

الدليل

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٣٤].

جـ- القسم الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/ ٣٣٥).

الدليل: قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف: ٣٧].

د- القسم الرابع: كفر الإعراض

الدليل: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣].

هـ- القسم الخامس: كفر النفاق

الدليل: قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٣]

النوع الثاني
كفرٌ أصغرُ لا يُخرج من الملة

وهو الكفر العملي: وهي الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسُّنَّة كفرًا، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر.

مثل كفر النعمة المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١١٢] ومثل قتال المسلم المذكور في قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفر»[١] وفي قوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»[٢] ومثل الحلف بغير الله، قال ﷺ: «مَنْ حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[٣][٤].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٢٤١).

(٤) شرح الطحاوية (٣٦١).

الفروق بين الكفر الأكبر والأصغر

١- الكفر الأكبر يُخرج من الملة ويحبط الأعمال، والكفر الأصغر لا يُخرج من الملة ولا يُحبط الأعمال؛ لكن ينقصها بحسبه ويعرض صاحبها للوعيد.

٢- الكفر الأكبر يُخلَّد صاحبه في النار، والأصغر إذا دخل صاحبه النار فإنه لا يُخلَّد فيها، وقد يتوب الله على صاحبه فلا يُدخله النار أصلًا.

٣- الكفر الأكبر يُبيح الدم والمال، والكفر الأصغر لا يبيح الدم والمال.

٤- الكفر الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته، ولو كان أقرب قريب، وأما الكفر الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقًا، بل صاحبه يُحَب ويُوالى بقدر ما فيه من الإيمان، ويُبغض ويُعادى بقدر ما فيه من العصيان[١].

النِّفَاق

تعريفه

لُغَةً

مصدر نافق، يقال: نافق ينافق نفاقًا ومنافقةً، مأخوذٌ من النافقاء، أحد مخارج اليربوع عن جحره؛ فإنه إذا طلب من واحدٍ هرب إلى الآخر وخرج منه، وقيل: هو من النفق، وهو السرب الذي يستتر فيه.

شرعًا

النفاق في الشرع معناه: إظهار الإسلام وإبطال الكفر والشرك وسُمِّي بذلك؛ لأنه يدخل في الشرع من باب ويخرج من باب آخر وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[التوبة: ٦٧]، أي: الخارجون من الشرع، وجعل الله المنافقين شرًّا من الكافرين، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[النساء: ١٤٥].

---

(١) التوحيد للفوزان (١٥- ١٨).

أنواع النفاق

نوعان:

النفاق الاعتقادي

وهو النفاق الأكبر الذي يُظهر صاحبه الإسلام ويُبطن الكفر، وهذا النوع يُخرج من الدين بالكلية، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وهذا النفاق ستة أنواع:

١- تكذيب الرسولﷺ.

٢- تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٣- بغضُ الرسولﷺ.

٤- بغضُ بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٥- المسرةُ بانخفاض دين الرسولﷺ.

٦- الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

النوع الثاني: النفاق العملي

وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع الإيمان في القلب، وهذا لا يُخرج من الملة، ولكنه وسيلة ذلك، وصاحبه يكون فيه إيمانٌ ونفاقٌ، وإذا كثر صار بسببه منافقًا خالصًا، والدليل عليه قوله: «**أربعٌ مَنْ كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[١].

الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر

١- أن النفاق الأكبر يُخرج من الملة، والنفاق الأصغر لا يُخرج من الملة.

٢- أن النفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والنفاق الأصغر اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

٣- أن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.

٤- أن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبُهُ، ولو تاب فقد اختُلف في قبول توبته عند

---

(١) متفق عليه.

الحاكم، بخلاف النفاق الأصغر فإن صاحبه قد يتوب إلى الله فيتوب الله عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكثيرًا ما تعرض المؤمن شعبة من شعب النفاق، ثم يتوب الله عليه، وقد يردُ على قلبه بعضُ ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه، والمؤمن يُبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره كما قال الصحابة: يا رسول الله: إن أحدنا ليجد في نفسه ما لئن يخرَّ من السماء إلى الأرض أحبُّ إليه من أن يتكلم به، فقال: «**ذاك صريح الإيمان**»[1]، وفي رواية: «**ما يتعاظم أن يتكلم به**». قال: الحمد لله الذي ردَّ كيد الشيطان إلى الوسوسة أي: حصول الوسوسة مع هذه الكراهة العظيمة ودفعه عن القلب، وهو من صريح الإيمان[2].

وقال شيخ الإسلام أيضًا: وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر؛ لكون ذلك لا يُعلم إذ هم دائمًا يظهرون الإسلام[3].

الرقىٰ والتمائم

قال السعدي رحمه الله: أما التمائم فهي التعاليق تتعلق بها قلوب متعلقيها، والقول فيها كالقول في الحلقة والخيط، فمنها ما هو شركٌ أكبر، كالتي تشتمل على الاستعانة بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين، فالاستغاثة بغير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله شركٌ، ومنها ما هو محرمٌ كالتي فيها أسماء لا يُفهم معناها؛ لأنها تجر إلى الشرك.

وأما التعاليق التي فيها قرآن أو أحاديث نبوية أو أدعية طيبة محترمة فالأولى تركها لعدم ورودها عن الشارع؛ ولكونها يتوصل بها إلى غيرها من المحرم؛ ولأن الغالب على متعلقها أنه لا يحترمها، ويدخل بها المواضع القذرة.

وأما الرقى، ففيها تفصيل: فإن كانت من القرآن أو السُّنَّة أو الكلام الحسن، فإنها مندوبة في حق الراقي؛ لأنها من باب الإحسان، ولما فيها من النفع، وهي جائزة في حق

---

(١) مسلم.
(٢) كتاب الإيمان لابن تيمية (٢٣٨).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٣٤- ٤٣٥).

المرقي إلا أنه لا ينبغي له أن يبتدئ يطلبها، فإن من كمال توكل العبد وقوة يقينه أن لا يسأل أحدًا من الخلق لا رقية ولا غيرها؛ بل ينبغي إذا سأل أحدًا أن يدعو له أن يلحظ مصلحة الداعي والإحسان إليه بتسببه لهذه العبودية له مع مصلحة نفسه، وهذا من أسرار تحقيق التوحيد ومعانيه البديعة التي لا يوفق للتفقه فيها والعمل بها إلا الكُمَّل من العباد، وإن كانت الرقية يُدعى بها غير الله ويطلب الشفاء من غيره فهذا هو الشرك الأكبر؛ لأنه دعاء واستغاثة بغير الله، فافهم هذا التفصيل وإياك أن تحكم على الرقى بحكم واحدٍ مع تفاوتها في أسبابها وغاياتها[١].

الجاهلية

قال الدكتور صالح الفوزان: **الجاهلية هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسله وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب، والكبر، والتجبر وغير ذلك[٢]، نسبة إلى الجهل، وهو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم.**

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: **فإن لم يعلم الحق فهو جاهل جهلًا بسيطًا، فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلًا مركبًا، فإن قال خلاف الحق عالمًا بالحق أو غير عالم فهو جاهلٌ أيضًا، فإن تبين ذلك للناس قبل بعث الرسول كانوا في جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل وإنما يفعله جاهل، وكذلك كل ما يخالف ما جاء به المرسلون من يهودية ونصرانية فهو في جاهلية، وتلك كانت الجاهلية العامة.**

فأما بعد بعث الرسول ﷺ قد تكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخص دون شخص، كالرجل قبل أن يُسلم فإنه في جاهلية، وإن كان في دار الإسلام[٣].

---

(١) القول السديد (٣٨- ٤٠).

(٢) النهاية لابن الأثير (١/ ٣٢٣).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٥- ٢٧).

أقسام الجاهلية

١- جاهلية العامة: وهي ما كان قبل مبعث النبي ﷺ وقد انتهت ببعثته.

٢- جاهلية خاصة: ببعض الدول وبعض البلدان وبعض الأشخاص، وهذه لا تزال باقية، وبهذا يتضح خطأ من يُعممون الجاهلية هذا الزمان، فيقولون: جاهلية هذا القرن، وما شابه ذلك، والصواب أن يُقال: جاهلية بعض أهل القرن أو غالب هذا القرن، وأما التعميم فلا يصح ولا يجوز؛ لأنه ببعثه النبي ﷺ زالت الجاهلية العامة[1].

الفسق

تعريفه:

١- لُغة: الخروج.

٢- شرعًا: الخروج عن طاعة الله، وهو يشمل: الخروج الكلي، فيُقال للكافر: فاسق، والخروج الجزئي، فيُقال للمؤمن المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب: فاسق.

أقسام الفسق

١- فسقٌ أكبر: وهو فسقٌ ينقل عن الملة، وهو الكفر، فيُسمَّى الكافر فاسقًا، فقد ذكر الله إبليس فقال: ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[الكهف: ٥٠]، وكان ذلك الفسق منه كفرًا، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[السجدة: ٢٠]. يريد الكفار، ودلَّ على ذلك قوله: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾[السجدة: ٢٠].

ويُسمَّى العاصي من المسلمين فاسقًا ولم يخرجه فسقه من الإسلام قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[النور: ٤]، وقال تعالى: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[البقرة: ١٩٧]. وقال العلماء في تفسير الفسوق هنا: هو المعاصي[2].

---

١ كتاب التوحيد للفوزان (٢٤، ٢٥).

٢ كتاب التوحيد للفوزان (٢٥، ٢٦).

الضلال

تعريفه

الضلال: العدول عن الصراط المستقيم وهو ضد الهداية، قال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الإسراء: ١٥].

معاني الضلال

الضلال يُطلق على عدة معانٍ:

١ - فتارةً يُطلق على الكفر، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

٢- وتارةً يطلق على الشرك، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦].

٣- وتارةً يُطلق على المخالفة التي هي دون الكفر، كما يقال: الفرق الضالة. أي: المخالفة.

٤ - وتارةً يُطلق على الخطأ، ومنه قول موسى عليه السلام: ﴿ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[الشعراء: ٢٠].

٥-وتارةً يُطلق على النسيان، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾[البقرة: ٢٨٢].

٦-ويُطلق الضلال على الضياع والغيبة، ومنه ضالة الإبل[١].

---

(١) المفردات للراغب (٢٩٧، ٢٩٨)، التوحيد للفوزان (٢٦ - ٢٨).

الرِّدَّةُ

تعريفها

١ -لُغَةً: الردة لغة: الرجوع، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ ﴾[المائدة: ٢١] .

٢-اصطلاحًا: هي الكفر بعد الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[البقرة: ٢١٧] .

أقسام الردة

الردة تحصل بارتكاب ناقضٍ من نواقض الإسلام، ونواقض الإسلام كثيرة ترجع إلى أربعة أقسام:

١-الردة بالقول : كَسَبِّ الله -تعالى- أو رسولهﷺ أو ملائكته أو أحد من رسله، أو ادعاء علم الغيب، أو ادعاء النبوة أو تصديق من يدعيها، أو دعاء غير الله، أو الاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله أو الاستعاذة به في ذلك.

٢-الردة بالفعل: السجود للصنم، والشجر، والحجر، والقبور، والذبح لها، وإلقاء المصحف في المواطن القذرة، وعمل السحر وتعلمه، والحكم بغير ما أنزل الله معتقدًا حِلَّه.

٣-الردة بالاعتقاد: كاعتقاد الشريك لله، أو أن الزنا والخمر والربا حلال، أو أن الخبز حرام أو أن الصلاة غير واجبة ونحو ذلك مما أُجمع على حلِّه أو حرمته أو وجوبه إجماعًا قطعيًا، ومثله لا يجهله.

٤-الشك بشيء مما سبق: كمن شكَّ في تحريم الشرك، أو تحريم الزنا والخمر، أو في حل الخبز أو شكَّ في رسالة النبيﷺ أو رسالة غيره من الأنبياء، أو في صدقه، أو في دين الإسلام، أو في صلاحيته لهذا الزمان.

أحكام الرِّدَّة

أحكام الردة التي تترتب عليها بعد ثبوتها:

١ - استتابة المرتد، فإن تاب ورجع إلى الإسلام في خلال ثلاثة أيام قُبل منه ذلك وتُرك.

٢- وإذا أبى أن يتوب وجب قتلهُ، لقوله ﷺ: «مَنْ بدل دينه فاقتلوه»[١].

٣- يُمنع من التصرف في ماله في مدة استتابته، فإن أسلم فهو له وإلا صار فيئًا لبيت المال من حين قتله أو موته على الردة، وقيل: من حين ارتداده يصرف في مصالح المسلمين.

٤- انقطاع التوارث فيما بينه وبين أقاربه؛ فلا يرثهم ولا يرثونه.

٥- إذا مات أو قُتل على ردته فإنه لا يُغسل ولا يُصلى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين وإنما يدفن في مقابر الكفار أو يوارى في التراب في أي مكانٍ غير مقابر المسلمين[٢].

البدعة وأنواعها

تعريفها

البدعة مأخوذةٌ من البدع وهو الاختراع على غير مثال سابقٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١١٧]، أي: مخترعها على غير مثال سابقٍ، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٩]، أي: ما كنت أول مَنْ جاء بالرسالة من الله إلى العباد بل تقدمني كثيرٌ من الرسل، ويُقال: ابتدع فلانٌ بدعةً، يعني: ابتدأ طريقةً لم يسبق إليها.

أقسام البدعة

الابتداع على قسمين:

أ- ابتداعٌ في العادات: كابتداع المخترعات الحديثة وهذا مباحٌ؛ لأن الأصل في العادات الإباحة.

ب-وابتداعٌ في الدين: وهذا محرمٌ؛ لأن الأصل فيه التوقف، قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»[٣]، وفي رواية: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا

---

(١) البخاري.

(٢) التوحيد للفوزان (٢٨- ٣٠).

(٣) متفق عليه.

فهو ردٌّ»[١].

أنواع البدع

البدعة في الدين نوعان:

١- بدعةٌ قوليةٌ اعتقادية: كمقالات الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

٢- بدعة في العبادات: كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أقسام:

أ- القسم الأول: ما يكون في أصل العبادة، بأن يحدث عبادة ليس لها أصلٌ في الشرع، كأن يحدث صلاةً غير مشروعة، أو صيامًا غير مشروع أصلًا أو أعيادًا غير مشروعة، كالأعياد والموالد وغيرها.

ب- القسم الثاني: ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر والعصر مثلًا.

جـ- القسم الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حدٍّ يخرج عن سُنَّة رسول اللهﷺ.

د- القسم الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يُخصصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان وليله بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع؛ ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

حكم البدعة

كل بدعةٍ في الدين فهي محرمةٌ وضلالةٌ، لقولهﷺ: «**إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[٢].

---

(١) مسلم.

(٢) الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢١٥٧).



قال الشاطبي رحمه الله: إن البدع في العبادات والاعتقادات محرمةٌ، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة، فمنها ما هو كفرٌ صراحٌ: كالطواف بالقبور تقربًا إلى أصحابها وتقديم الذبائح والنذور، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكأقوال غلاة الجهمية والمعتزلة، ومنها ما هو من وسائل الشرك: كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها، ومنها ما هو فسقٌ اعتقادي: كبدع الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية، ومنها ما هو معصية: كبدعة التبتل والصيام قائمًا في الشمس والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع[1].

تنبيه

مَنْ قسَّم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة فهو مخطئ ومخالف لقول النبيﷺ: «كل بدعة ضلالة» ؛ لأن الرسولﷺ حكم على البدع كلها بأنها ضلالة، هذا يقول: ليس كل بدعة ضلالة، بل هناك بدعة حسنة.

قال الحافظ ابن رجب: فقولهﷺ: «كل بدعة ضلالة» من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيءٌ وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيهٌ بقولهﷺ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ» فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصلٌ من الدين يُرجع إليه فهو ضلالة، والدين بريءٌ منه وسواءٌ في ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة[2].

نماذج من البدع المعاصرة

قال الدكتور صالح الفوزان: البدع المعاصرة كثيرةٌ بحكم تأخر الزمن، وقلَّة العلم، وكثرة الدعاة إلى البدع والمخالفات، وسريان التشبُّه بالكفَّار في عاداتهم، وطقوسهم، ومنها:

١-الاحتفال بالمولد النبوي في ربيع الأول:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى -عليه السلام- وإما محبة للنبيﷺ وتعظيمًا... من اتخاذ مولد النبيﷺ عيدًا مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف، ولو كان هذا خيرًا محضًا وراجحًا

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٣٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٣٣).

لكان السلف -رضي الله عنهم- أحقُّ به منّا.

فإنهم كانوا أشدَّ محبةً للنبي ﷺ وتعظيمًا له منّا، وهم على الخير أحرص، وإنما كانت محبته وتعظيمه في متابعته، وطاعته، واتباع أمره، وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بُعث به، والجهاد على ذلك بالقلب، واليد، واللسان؛ فإن هذه طريقة السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان.

٢- التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياءً وأمواتًا:

قال ابن تيمية رحمه الله: التبرك: طلب البركة؛ وهي ثبوت الخير في الشيء وزيادته، وطلب ثبوت الخير وزيادته إنما يكون ممن يملك ذلك، ويقدر عليه، وهو الله سبحانه؛ فهو الذي ينزل البركة ويثبتها، أما المخلوق فإنه لا يقدر على منح البركة وإيجادها، ولا على إبقائها وتثبيتها، فالتبرك بالأماكن، والآثار، والأشخاص أحياءً وأمواتًا لا يجوز؛ لأنه إما شرك؛ إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة.

أو وسيلة إلى الشرك؛ إن اعتقد أن زيارته وملامسته والتمسُّح به سبب لحصولها من الله، وأما ما كان الصحابة يفعلونه من التبرك بشعر النبي ﷺ وريقه وما انفصل من جسمه ﷺ كما تقدم؛ فذلك خاصٌّ به في حال حياته، ووجوده بينهم بدليل أن الصحابة لم يكونوا يتبركون بحجرته، وقبره بعد موته، ولا كانوا يقصدون الأماكن التي صلى فيها أو جلس فيها ليتبركوا بها، وكذلك مقامات الأولياء من باب أولى.

ولم يكونوا يتبركون بالأشخاص الصالحين كأبي بكر، وعمر، وغيرهما من أفاضل الصحابة لا في الحياة ولا بعد الموت، ولم يكونوا يذهبون إلى غار حراء ليصلوا فيه أو يدعو، ولم يكونوا يذهبون إلى الطور الذي كلَّم الله عليه موسى ليُصلوا فيه ويدعو[1].

٣- البدع في مجالات التقرب إلى الله:

البدع التي أحدثت في مجال العبادات في هذا الزمان كثيرة، والأصل في العبادات التوقيف فلا يشرع منها إلا بدليل، وما لم يدل عليه دليل فهو بدعة؛ لقوله ﷺ: «من عمل

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٩٥- ٨٠٢).

عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ »[١].

ومن البدع في العبادات:

١ - الجهر بالنية في الصلاة: بأن يقول: نويتُ أن أصلي لله كذا وكذا وهذه بدعة؛ لأنه ليس من سُنَّة النبي ﷺ والنية محلها القلب، فهي عملٌ قلبي لا عمل لساني.

٢- الذكر الجماعي بعد الصلاة.

٣- طلب قراءة الفاتحة في المناسبات، وبعد الدعاء، وللأموات.

٤ - إقامة المآتم على الأموات، وصناعة الأطعمة، واستئجار المقرئين يزعمون أن ذلك من باب العزاء أو أن ذلك ينفع الميت.

٥ - الاحتفال بالمناسبات الدينية: كمناسبة الإسراء والمعراج، ومناسبة الهجرة النبوية.

٦- ما يُفعل في شهر رجب: كالعمرة الرجبية، وما يفعل فيه من العبادات الخاصة به: كالتطوع بالصلاة، والصيام فيه خاصة.

٧- الأذكار الصوفية بأنواعها.

٨- تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام، ويوم النصف من شعبان بصيام.

٩ - البناء على القبور، واتخاذها مساجد، وزيارتها لأجل التبرك بها، والتوسل بالموتى، وغير ذلك من الأغراض الشركية، وزيارة النساء لها مع أن الرسول ﷺ لعن زوَّاراتِ القبور، والمتخذين عليها المساجد.

ما يُعامل به المبتدعة

١ - تحريم زيارة المبتدع، ومجالسته إلا على وجه النصيحة له، والإنكار عليه؛ لأن مخالطته تؤثر على مخالطه شرًّا، وتنشر عداوته إلى غيره.

٢- يجب التحذير منهم ومن شرهم إذا لم يكن الأخذ على أيديهم، ومنعهم من مزاولة البدع، وإلا فإنه يجب على العلماء المسلمين وولاة أمورهم منع البدع، والأخذ على أيدي المبتدعة، وردعهم عن شرهم[٢].

---

(١) مسلم.

(٢) التوحيد للفوزان (١٠٤- ١٢٤) باختصار.

حكم الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته

قال الدكتور صالح الفوزان: الاستهزاء بالدين ردة عن الإسلام، وخروج عن الدين بالكلية، قال تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥- ٦٦].

وإن الاستهزاء بالرسول كفر، وإن الاستهزاء بآيات الله كفر، فمن استهزأ بواحدٍ من هذه الأمور فهو مستهزئٌ بجميعها؛ فمن أحبَّ مخلوقًا مثلما يحب الله فهو مشركٌ، ويجب الفرق بين الحب في الله والحب مع الله.

فهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثانًا تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله وعبادته، ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء، ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذبًا ولا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذبًا.

أنواع الاستهزاء

الاستهزاء نوعان:

١- أحدهما: الاستهزاء الصريح كالذي نزلت الآية فيه، وهو قولهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين: كقول بعضهم: دينكم هذا دينٌ خاصٌّ، وقول الآخر: دينكم أخرق، وقول الآخر إذا رأى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: جاءكم أهل الدين؛ من باب السخرية بهم وما أشبه ذلك مما لا يحصى إلا بكلفة مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية.

٢- النوع الثاني: الاستهزاء غير الصريح، وهو البحر الذي لا ساحل له مثل: الرمز بالعين، وإخراج اللسان من الشفه، والغمز باليد عند التلاوة لكتاب الله أو سُنَّة رسول الله ﷺ وعند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

ومثل هذا ما يقوله بعضهم: إن الإسلام لا يصلح للقرن العشرين وإنما يصلح

---

(١) مجموعة التوحيد النجدية (٤٠٩).

للقرون الوسطى، وإنه تأخر ورجعية، وإن فيه قسوة ووحشية في عقوبات الحدود والتعازير.

وقولهم: الحكم بالقوانين الوضعية أحسن للناس من الحكم بالإسلام، ويقولون في الذي يدعو إلى التوحيد وينكر عبادة القبور والأضرحة: هذا متطرف أو يريد أن يفرق جماعة المسلمين، أو: هذا وهَّابي أو مذهب خامس.

وما أشبه هذه الأقوال التي كلها سبٌّ للدين وأهله، واستهزاء بالعقيدة الصحيحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن ذلك استهزاؤهم بمن تمسَّك بسُنَّةٍ من سنن الرسول ﷺ فيقولون: الدين ليس في الشعر، استهزاءً بإعفاء اللحية، وما أشبه هذه الألفاظ الوقحة[1].

الحكم بغير ما أنزل الله

قال الدكتور صالح الفوزان: من مقتضى الإيمان بالله تعالى، وعبادته، والخضوع لحكمه، والرضا بشرعه، والرجوع إلى كتابه وسُنَّة رسوله عند الاختلاف في الأقوال والأصول، وفي الخصومات، وفي الدماء والأموال وسائر الحقوق؛ فإن الله هو الحكم، وإليه الحكم، فيجب على الحكام أن يحكموا بما أنزل الله، ويجب على الرعية أن يتحاكموا إلى ما أنزل اللهُ في كتابه، وسُنَّة رسوله ﷺ.

قال تعالى في حق الولاة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [النساء: ٥٨].

وقال في حق الرعية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، ثم بيَّن سبحانه أنه لا يجتمع الإيمان مع التحاكم إلى غير ما أنزل الله.

---

(١) التوحيد للفوزان (٤٥- ٤٧).

فقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[النساء: ٦٠] إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥].

ولا بد من التحاكم بما أنزل الله، والتحاكم إليه في جميع مواد النزاع في الأقوال الاجتهادية بين العلماء؛ فلا يُقبل منها إلا ما دلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ من غير تعصُّبٍ لمذهبٍ، ولا تحيزٍ لإمام، وفي المرافعات والخصومات وفي سائر الحقوق لا في الأحوال الشخصية فقط كما في بعض الدول التي تنتسب إلى الإسلام.

فإن الإسلام كلٌّ لا يتجزأ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وقال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٨٥].

حُكم من حكَمَ بغير ما أنزل الله

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإن الحاكم إذا كان ديِّنًا لكنه حكم بغير علم كان من أهل النار، وإذا حكم بلا عدلٍ ولا علمٍ أولى أن يكون من أهل النار، وهذا إذا حكم في قضيةٍ لشخص، وأما إذا حكم حكمًا عامًّا في دين المسلمين فجعل الحق باطلًا والباطل حقًّا والسُّنَّة بدعة، والبدعة سُنَّة، والمعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، ونهى عما أمر الله به ورسوله، وأمر بما نهى اللهُ عنه ورسوله، فهذا لونٌ آخرُ يحكم فيه ربُّ العالمين، وإلهُ المرسلين، مالك يوم الدين، الذي له الحمد في الأولى والآخرة ﴿ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨]. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨].

وقال أيضًا رحمه الله: ولا ريب أن مَنْ لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافرٌ، فمن استحلَّ أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلًا من غير اتباع لما أنزل اللهُ فهو كافرٌ، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما يراه أكابرهم بل كثيرٌ من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله كسواليف البادية (أي عادات مَنْ سلفهم)، وكانوا الأمراء المطاعين، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به

دون الكتاب والسُّنَّة، وهذا هو الكفر، فإن كثيرًا من الناس أسلموا، ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلُّوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار[(١)].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم: وأما الذي قيل فيه إنه كفر دون كفر إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاصٍ، وأن حكم الله هو الحق فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها، أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كفرٌ، وإن قالوا أخطأنا، وحكم الشرع أعدل، فهذا كفرٌ ناقلٌ عن الملة[(٢)(٣)].

التوسُّلُ وأقسامُهُ

التوسُّلُ

هو التقربُ إلى الشيء والتوصل إليه، والوسيلة: القربة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، أي: القربة إليه سبحانه بطاعته واتباع مرضاته.

أقسامه: التوسُّل قسمان

القسم الأول: توسُّلٌ مشروعٌ، وهو أنواع:

النوع الأول: التوسُّلُ إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته كما أمر تعالى بذلك في قوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة التي قام بها المتوسل، كما قال تعالى عن أهل الإيمان: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

وكما في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدَّت عليهم باب الغار، فلم

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٨٨).

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢/ ٢٨٠).

(٣) التوحيد للفوزان (٤٨ - ٥٣) باختصار.

يستطيعوا الخروج فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم ففرَّج الله عنهم فخرجوا يمشون.

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بتوحيده كما توسَّل يونس عليه السلام: ﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

النوع الرابع: التوسل إلى الله تعالى بإظهار الضعف والحاجة والافتقار إلى الله كما قال أيوب عليه السلام: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

النوع الخامس: التوسُّل إلى الله تعالى بدعاء الصالحين الأحياء كما كان الصحابة إذا أجدبوا طلبوا من النبيﷺ أن يدعو الله لهم ولما توفي صاروا يطلبون من عمه العباس ﷺفيدعو لهم[1].

النوع السادس: التوسل إلى الله بالاعتراف بالذنب: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى ﴾ [القصص: ١٦].

القسم الثاني: توسُّلٌ غير مشروع

وهو التوسل بطلب الدعاء والشفاعة من الأموات، والتوسل بجاه النبي ﷺ، والتوسل بذوات المخلوقين أو حقهم، وتفصيل ذلك كما يلي:

أ- طلب الدعاء من الأموات لا يجوز؛ لأن الميت لا يقدر على الدعاء كما كان يقدر عليه في الحياة.

ب- التوسل بجاه النبي أو بجاه غيره لا يجوز.

جـ- التوسل بذوات المخلوقات لا يجوز؛ لأنه إن كانت الباء للقسم فهو إقسامٌ به على الله تعالى، وإذا كان الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز، وهو شركٌ، كما في الحديث. فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق جلَّ وعلا، وإن كانت الباء للسببية فالله سبحانه لم يجعل السؤال بالمخلوق سببًا للإجابة ولم يشرعه للعبادة.

د- التوسل بحق المخلوق لا يجوز لأمرين:

---

(١) البخاري.

الأول: أن الله سبحانه لا يجب عليه حقٌّ لأحد، وإنما هو الذي يتفضَّلُ سبحانه على المخلوق بذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]. فكون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق فضل وإنعامٍ، وليس هو استحقاق مقابلة، كما يستحق المخلوق على المخلوق.

الثاني: أن هذا الحق الذي تفضَّل الله به على عبده هو حقٌّ خاصٌّ به لا علاقة لغيره به، فإذا توسَّل به غير مستحقه كان متوسلًا بأمر أجنبي لا علاقة له به، وهذا لا يُجديه شيئًا [(١)].

(١) التوحيد للفوزان (٧١- ٧٤).

الإيمان

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية: ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة أن الدين والإيمان قولٌ وعملٌ.

قال ابن عثيمين -رحمه الله- شارحًا: الدين: ما يُدان به الإنسان، أو يدين به، فيُطلق على العمل، ويُطلق على الجزاء؛ والمراد بالدين في كلام المؤلف رحمه الله: العمل.

وأما الإيمان: فأكثر أهل العلم يقولون: إن الإيمان في اللغة: التصديق، وفي هذا نظر.

وفي الشرع: قولٌ وعملٌ وهذا تعريفٌ مجملٌ فصَّله شيخ الإسلام -رحمه الله- بقوله: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، أما قول اللسان: فالأمر فيه واضحٌ وهو النطق، وأما عمله فحركاته، وليست هي النطق، بل النطق ناشئٌ عنها وإن سلمت من الخرس.

وأما قول القلب: فهو اعترافه وتصديقه، وأما عمله: فهو عبارة عن تحركه وإرادته، مثل: الإخلاص في العمل، فهذا عمل القلب، وكذلك: التوكل والرجاء والخوف، فالعمل ليس مجرد الطمأنينة في القلب، بل هناك حركةٌ في القلب. وأما عمل الجوارح فواضح: ركوعٌ وسجودٌ وقيامٌ وقعودٌ، فيكون عمل الجوارح إيمانًا شرعًا، لأن الحامل لهذا العمل هو الإيمان.

الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

من أدلة الكتاب والسنة

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ﴾ [المدثر: ٣١]. وهذا صريحٌ في ثبوت الزيادة. وأما النقص فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ وعظ النساء وقال لهن: «ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودينٍ أذهب للُبِّ الرجل الحازم من إحداكن»[1] فأثبت نقص

---

(١) البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠).

الدين. ثم لو فُرض أنه لم يوجد نصٌّ في ثبوت النقص فإن إثبات الزيادة مستلزم للنقص، فنقول: كل نصٍّ يدلُّ على زيادة الإيمان، فإنه متضمنٌ للدلالة على نقصه.

أسباب زيادة الإيمان

قال ابن عثيمين رحمه الله: وأسباب زيادة الإيمان أربعة:

الأول: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، فإنه كلما ازداد الإنسانُ معرفةً بالله وأسمائه وصفاته ازداد إيمانُهُ.

الثاني: النظر في آيات الله الكونية والشرعية، قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية:١٧ - ٢٠].

الثالث: كثرة الطاعات وإحسانها؛ لأن الأعمال داخلةٌ في الإيمان، وإذا كانت داخلةً فيه لزم من ذلك أن يزيد بكثرتها.

الرابع: ترك المعصية تقربًا إلى الله -عز وجل- فإن الإنسان يزداد بذلك إيمانًا بالله -عز وجل.

أسباب نقص الإيمان

الأول: الإعراض عن معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته.

الثاني: الإعراض عن النظر في الآيات الكونية والشرعية، فإن هذا يُوجِب الغفلة وقسوة القلوب.

الثالث: قلة العمل الصالح.

الرابع: فعل المعاصي؛ لقوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في أصحاب النبي ﷺ

قال ابن تيمية رحمه الله: ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب محمد ﷺ كما وصفهم الله به في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

قال السعدي رحمه الله: وهذا الدعاء الصادر ممن اتبع المهاجرين والأنصار بإحسانٍ يدلُّ على كمال محبتهم لأصحاب رسول الله ﷺ وثنائهم عليهم؛ لأن من دعا في أمر من الأمور فهو ساعٍ في تحقيقه مُجتهدٌ في تكميله، متضرعٌ لربه أن يتم ذلك له، وأَوْلى مَنْ دخل في هذا الدعاء الصحابة الذين سبقوا إلى الإيمان وحققوه، وحصل لهم من براهينه وطرقه ما لم يحصل لغيرهم، ونفي الغلِّ من جميع الوجوه يقتضي تمام المحبة لهم، فهم يحبون الصحابة لفضلهم وسبقهم واختصاصهم بالرسول، ولإحسانهم إلى جميع الأمة؛ لأنهم هم المُبَلِّغُونَ لهم جميع ما جاء به نبيهم، فما وصل لأحدٍ علم ولا خيرٌ إلا على أيديهم وبواسطتهم. فعلى الأمة أن يطيعوا النبي ﷺ في كل أمرٍ وأن يوقروا أصحابه ويحترموهم ويعتقدوا أن العمل القليل منهم يفضل العمل الكثير من غيرهم كما في الحديث [١]

وهذا من أعظم براهين فضلهم على غيرهم فقد ذكر الله ورسوله للصحابة فضائل كثيرة على الأمة الإيمان بها، وأن يدينوا لله بها، ويحبوا الصحابة لأجلها وقيل: لصلح الحديبية (فتحٌ) لما ترتب عليه من المصالح والخير الكثير، ودخول الكثير في الإسلام، ولهذا كان من أسلم قبل ذلك وأنفق وقاتل أفضل ممن فعل ذلك بعده لما حصل لهم من السبق في الإسلام وقت ضعف المسلمين وكثرة الأعداء ووجود الموانع الكثيرة والمصاعب الكثيرة في طريق الإسلام.

---

(١) يعني حديث أبي سعيد الذي أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٢٢، ٢٤٥، ٢٤٩٤) وفيه: **«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»**.

ويقدِّمون -أي أهل السُّنَّة والجماعة- المهاجرين على الأنصار؛ وهذا لأن المهاجرين جمعوا الوصفين: (النصرة والهجرة) ولهذا قُدِّم الخلفاء الراشدون وبقية العشرة من المهاجرين، وقد قدَّم الله المهاجرين على الأنصار في سورة التوبة والحشر، وهذا التفضيل للجملة على الجملة، لا لكل فرد من هؤلاء على كل فردٍ من الأخرى.

ويؤمنون بأن الله قد قال لأهل بدر -وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[1]، وبأنه لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ[2]، بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألفٍ وأربعمائة[3].

قال ابن تيمية رحمه الله: ويشهدون بالجنة لمن شهد له النبي ﷺ كالعشرة، وكثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة.

وقال السعدي رحمه الله: وهذا من أعظم الفضائل: تخصيص النبي ﷺ لهم بالشهادة والجنة، وهو من جملة براهين رسالته ﷺ؛ فإن جميع ما عيَّنه النبيُّ ﷺ بالشهادة له بالجنة ولوازمها لم يزالوا مستقيمين على الإيمان حتى وصلوا إلى ما وُعدوا به ﷺ.

وقال ابن تيمية رحمه الله: ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وغيره، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويُثلثون بعثمان ويُربِّعُون بعليٍّ ﷺ كما دلت عليه الآثار وكما أجمعت الصحابةُ على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السُّنَّة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعليٍّ بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر

---

(١) البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (١٦١) من حديث علي ﷺ.

(٢) كما في حديث مسلم (٢٤٩٦) من حديث جابر بن عبد الله، قال: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها**».

(٣) قال السعدي: أي: في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨]. وكان عددهم يتراوح ما بين ألف وأربعمائة أو خمسمائة، فأهل بدر وأهل بيعة الرضوان يُشهد لهم بالجنة والنجاة من النار على وجهٍ أخص من الشهادة بذلك لجميع الصحابة في قوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الحديد: ١٠]. كما أنه أخصُّ من هؤلاء الأشخاص الذين شهد لهم ﷺ بالجنة.

أيهما أفضل؟ فقدَّم قومٌ عثمان وسكتوا، أو ربَّعوا بعليٍّ، وقدَّم قومٌ عليًّا، وقومٌ توقَّفوا، لكن استقر أمرُ أهل السُّنَّة على تقديم عثمان ثم علي. وقال: ويؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ﷺ ومَنْ طعن في خلافة أحدٍ من هؤلاء الأئمة فهو أضلُّ من حمار أهله. ويُحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم.

قال السعدي رحمه الله: فمحبةُ أهل بيت النبي ﷺ واجبةٌ من وجوه؛ منها: لإسلامهم وفضلهم وسوابقهم. ومنها: لما تميزوا به من قرب النبي ﷺ واتصال نسبه. ومنها: لما حثَّ عليه ورغب فيه. ومنها: لما في ذلك من علامة محبة الرسول ﷺ،وقال النبي ﷺ: «**إن الله اصطفى إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[١].

وقال ابن تيمية عن أهل السنة: ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين: ويقرون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصًا خديجة أُم أكثر أولاده[٢]، وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العلية والصديقة بنت الصديق التي قال فيها النبي ﷺ: «**فضلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[٣]، ويتبرءون من طريقة الروافض[٤] الذين يبغضون الصحابة ويُسبونهم، وطريقة النواصب[٥] الذين يؤذون أهل البيت بقولٍ أو عملٍ، ويمسكون عما شجر بين الصحابة.

---

(١) مسلم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع -رضي الله عنه- فهو ﷺ خيارٌ من خيار، وقد جمع الله له أنواع الشرف من كل وجه.

(٢) فإن جميع أولاده الذكور والإناث منها إلا إبراهيم فإنه من سريته مارية القبطية.

(٣) وعائشة وخديجة هما أفضل نساء النبي ﷺ، فقد اختلف العلماء أيهما أفضل؟ والتحقيق أن لكل واحدة منهن من الفضل والخصائص ما ليس للأخرى، فلخديجة من السبق ومعاونة النبي ﷺ على أمره في أول الأمر وتثبيته وكون أكثر أولاد النبي ﷺ منها ما ليس لعائشة، ولعائشة من العلم والتعليم ونفع الأمة ما ليس لخديجة ﷺ.

(٤) أول مَنْ سمَّى الروافض بهذا اللقب (زيد بن علي) الذي خرج في أوائل دولة بني العباس وبايعه كثيرٌ من الشيعة ولما ناظروه في أبي بكر وعمر وطلبوا منه أن يتبرأ منهما فأبى فتفرقوا عنه، فقال: رفضتموني، فمن يومئذٍ قيل لهم: الرافضة.

(٥) النواصب: هم الذين نصبوا العداوة والأذية لأهل بيت النبي وكان لهم وجود في صدر هذه الأمة لأسباب وأمور سياسية معروفة. التنبيهات اللطيفة للسعدي (١٠٣- ١١٠).

كرامات الأولياء

قال ابن تيمية رحمه الله: ومن أصول أهل السُّنَّة التصديق بكرامات الأولياء، وما يُجريه الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم، والمكاشفات، وأنواع القدرة، والتأثيرات، وكالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها. وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة.

قال السعدي رحمه الله: تواترت نصوص الكتاب والسُّنَّة والوقائع قديمًا وحديثًا في وقوع كرامات الله، لأوليائه المتبعين لأنبيائهم. وكرامتهم في الحقيقة تفيد ثلاث قضايا:

القضية الأولى وهي أعظمها

الدلالة على كمال قدرة الله ونفوذ مشيئته وأنه كما أن لله سننًا وأسبابًا تقتضي مسبباتها الموضوعة لها شرعًا وقدرًا فإن لله أيضًا سننًا وأسبابًا لا يقع عليها علم البشر ولا تدركها أعمالهم وأسبابهم.

فمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، بل وأيام الله وعقوباته في أعدائه الخارقة للعادة كلها تدلُّ دلالة واضحة أن الأمر كله لله، والتدبير والتقدير كله لله وأن لله سننًا لا يعلمها بشرٌ ولا ملك.

فمن ذلك قصة أصحاب الكهف، والنوم الذي أوقعه الله بهم تلك المدة العظيمة وقيّض أسبابًا متنوعة لحفظ دينهم وأبدانهم كما ذكر الله في قصتهم.

ومنها: ما أكرم الله به (مريم بنت عمران) وأنه ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[آل عمران: ٣٧] .

وكذلك: حملها وولادتها بعيسى على ذلك الوصف الذي ذكر الله، وكلامه في المهد هذا فيه كرامة لمريم ومعجزة لعيسى -عليه السلام. وهبته تعالى الولد لإبراهيم من سارة وهي عجوزٌ عقيمٌ على كبره كما وهب لزكريا يحيى على كبره وعقم زوجته معجزة للنبي وكرامةً لزوجته.

القضية الثانية

أن وقوع الكرامات للأولياء في الحقيقة معجزات للأنبياء؛ لأن تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعة نبيهم الذي نالوا به خيرًا كثيرًا من جملته الكرامات.

القضية الثالثة

أن الكرامات لأولياء الله هي من البُشرى المعجلة في الحياة الدنيا كما قال تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾ [يونس: ٦٤] وهي كل أمر يدل على ولايتهم وحسن عاقبتهم، ومن ذلك: الكرامات ولم تزل الكرامات موجودة لم تنقطع في كل وقت وزمان وقد رأى الناسُ منها عجائبَ لأمور كثيرة، ولم ينكرها إلا زنادقة الفلاسفة، وليس غريبًا عليهم، فإنه فرعٌ عن جحودهم وإنكارهم لرب العالمين وقضائه وقدره.

فأهل السُّنَّة والجماعة يعترفون بكرامات الله لأوليائه إجمالًا وتفصيلًا، ويثبتون ذلك على وجه التفصيل، كل ما ورد عن المعصوم ﷺ وكل ما تحقق وقوعه، ولكن قد أدخل كثير من الناس بالكرامات أمورًا كثيرة اخترعوها وافتروها. وأهلُ السُّنَّة أبعد الناس عن التصديق بالخرافات والكذب المفترى وأعرفهم بالطرق التي يتبين بها كذبُ الكاذبين وافتراء المفترين [(١)].

(١) التنبيهات اللطيفة للسعدي (١١٣ - ١١٥).

فتاوىٰ العقيدة (لابن باز)

س١: هل للأولياء كرامة؟ وهل لهم أن يتصرفوا في عالم الملكوت في السماوات والأرض؟ وهل يشفعون وهم في البرزخ لأهل الدنيا أم لا؟

ج ١: الكرامة أمرٌ خارقٌ للعادة، يظهره الله تعالى على يد عبدٍ من عباد الله الصالحين إكرامًا له فيدفع به عنه ضرًّا، أو يُحقق له نفعًا، أو ينصر به حقًّا، وذلك الأمر لا يملك العبد الصالح أن يأتي به إذا أراد. كما أن النبي لا يملك أن يأتي بالمعجزة من عند نفسه، بل كل ذلك إلى الله وحده ولا يملك الصالحون أن يتصرفوا في ملكوت السماوات والأرض إلا بقدر ما آتاهم من الأسباب كسائر البشر من زرع وبناءٍ وتجارة ونحو ذلك، ولا يملكون أن يشفعوا وهم في البرزخ لأحدٍ من الخلق أحياءً أو أمواتًا، ومن اعتقد أنهم يتصرفون في الكون أو يعلمون الغيب فهو كافر، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

س ٢: ما حكم الاحتفال بالمولد النبوي؟

ج ٢: لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ولا غيره؛ لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين، لأن الرسول ﷺ لم يفعله ولا خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة ولا التابعون لهم بالإحسان في القرون المفضلة، ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد -مع كونها بدعة- لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى كاختلاط النساء بالرجال واستعمال الأغاني والمعازف، وشرب المسكرات والمخدرات، وغير ذلك من الشرور وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو في رسول الله ﷺ أو غيره من الأولياء، ودعائه والاستغاثة به، وطلب المدد واعتقاد أنه يعلم الغيب وغير ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبي وغيره ممن يسمونهم بالأولياء.

س ٣: ما حكم الحلف بغير الله تعالى؟

ج ٣: الحلف بغير الله -عز وجل- مثل أن يقول: (وحياتك) أو (وحياتي) أو (والسيد الرئيس) أو (والشعب) كل هذا محرم، بل هو من الشرك؛ لأن هذا النوع من التعظيم لا يصحُّ إلا لله -عز وجل.

س ٤: ما حكم زيارة القبور والتوسل بالأضرحة؟

ج ٤: زيارة القبور نوعان:

١- مشروع: لأجل الدعاء للأموات والترحم عليهم، ولأجل تذكر الموت والإعداد للآخرة.

٢- بدعي: وهو زيارة القبور لدعاء أهلها والاستغاثة بهم، أو للذبح لهم أو للنذر لهم، وهذا منكرٌ وشركٌ أكبر نسأل الله العافية.

ويلتحق بذلك أن يزورها للدعاء عندها والصلاة عندها والقراءة عندها وهذه بدعة غير

مشروعة ومن وسائل الشرك.

فيجب الحذر من هذه الزيارات المبتدعة، ولا فرق بين كون المدعو نبيا أو صالحا أو غيرهما، ويدخل في ذلك ما يفعله بعض الجهال عند قبر النبيﷺ من دعائه والاستغاثة به، أو عند قبر الحسين، أو البدوي، أو الجيلاني، أو غيرهم.

س ٥: ما حكم التبرك بالأضرحة والاستشفاع والتوسل بالصالحين؟

ج ٥: أما التبرك بها: فإن كان يعتقد أنها تنفع من دون الله -عز وجل- فهذا شرك في الربوبية مخرج من الملة، وإن كان يعتقد أنها سبب وليست تنفع من دون الله، فهو ضال غير مصيب. وما اعتقده فإنه من الشرك الأصغر، وبالنسبة للتوسل بالصالحين فهو ينقسم إلى قسمين:

١- التوسل بدعائهم: فهذا لا بأس به -أي التوسل بدعاء الصالحين الأحياء- فقد كان الصحابة يتوسلون برسول الله (بدعائه)، يدعو لهم فينتفعون بذلك، واستسقى عمر بن الخطابﷺ بعم النبي العباس (بدعائه).

٢- التوسل بذواتهم: فهذا ليس بشرعي، بل هو من البدع من وجه ونوع من الشرك من وجه آخر.

س ٦: ما حكم الاستغاثة بغير الله تعالى؟

ج ٦: أي إنسان يدعو غير الله أو يستغيث بغير الله بما لا يقدر عليه إلا الله -عز وجل- فإنه مشرك كافر، وليس بولي ولو ادعى ذلك.

س ٧: ما حكم دعاء أصحاب القبور؟

ج ٧: الدعاء ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: دعاء عبادة: ومثله الصلاة، والصوم، وغير ذلك من العبادات، فإذا صلى الإنسان أو صام فقد دعا ربه بلسان الحال أن يغفر له وأن يجيره من عذابه، فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله فقد كفر كفرا مخرجا عن الملة.

القسم الثاني: دعاء المسألة: وهذا فيه تفصيل:

أولا: إن كان المدعو حيا قادرا على ذلك فليس بشرك كقولك: اسقني ماء لمن يستطيع ذلك.

ثانيا: إن كان المدعو ميتا فإن دعاءه شرك مخرج عن الملة.

س ٨: ما حكم التوسل بالنبيﷺ؟

ج ٨: التوسل بالنبيﷺ أقسام:

أولا: أن يتوسل بالإيمان به فهذا التوسل صحيح، مثل أن يقول: اللهم إني آمنت بك وبرسولك فاغفر لي، وهذا لا بأس به.

ثانياً: أن يتوسل بدعائه حال حياته، وهذا أيضًا جائز وثابت.

ثالثاً: أن يتوسل بجاه الرسول سواء في حياته أو بعد مماته، فهذا توسلٌ بدعيٌّ لا يجوز، فلا يجوز للإنسان أن يقول: اللهم إني أسألك بجاه نبيك أن تغفر لي أو ترزقني.

س ٩: ما حكم شد الرحال لزيارة القبور؟

ج ٩: شد الرحال إلى زيارة القبور أيًا كانت هذه القبور لا يجوز؛ لأن النبيﷺ يقول: «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[١]. والمقصود بهذه: أنه لا تُشد الرحال إلى أي مكان في الأرض لقصد العبادة بهذا الشد؛ لأن الأمكنة التي تُخصص بشد الرحال هي المساجد الثلاثة فقط، وما عداها من الأمكنة لا تُشدُّ إليها الرحال، فقبر النبي لا تُشدُّ إليه الرحال وإنما تُشدُّ الرحال إلى مسجده، فإذا وصل المسجد فإن الرجال يُسنُّ لهم زيارة القبرِ النبويﷺ، وأما النساء فلا يُسنُّ لهن زيارة قبر النبيﷺ.

س ١٠: هل يجوز حل السحر بسحرٍ مثله؟

ج١٠: لا يجوز ذلك. والأصل فيه ما رواه أحمد وأبو داود بسنده عن جابر ﷺ قال: سُئل رسول اللهﷺ عن النشرة؟ فقال: «هي من عمل الشيطان»[٢] وفي الأدوية الطبيعية والأدعية الشرعية ما فيه كفاية، فإن الله ما أنزل داءً إلا أنزل له شفاءً عَلِمَه مَنْ عَلِمَه وجهله من جهله.

س ١١: ما حكم موالاة الكفار؟

ج ١١: موالاة الكفار بالمودة والمناصرة واتخاذهم بطانة حرامٌ منهيٌّ عنها بنص القرآن، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

س ١٢: ما حكم من يحكم بغير ما أنزل الله؟

ج ١٢: الحكام بغير ما أنزل الله أقسام:

١- فمن حكم بغير ما أنزل الله يرى أن ذلك أحسن من شرع الله فهو كافر عند جميع المسلمين، وهكذا من يُحكِّم القوانين الوضعية بدلًا من شرع الله، ويرى أن ذلك جائز، ولو قال: إن تحكيم الشريعة أفضل فهو كافر؛ لكونه استحلَّ ما حرَّم الله.

٢- أما من حكم بغير ما أنزل الله اتباعًا للهوى أو لرشوة، أو لعداوة بينه وبين المحكوم عليه

---

(١) متفق عليه.

(٢) أبو داود (٣٨٦٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

أو لأسباب أخرى، وهو يعلم أنه عاصٍ لله بذلك، وأن الواجب عليه تحكيم شرع الله، فهذا يُعتبر من أهل المعاصي والكبائر، ويعتبر قد أتى كفرًا أصغرَ وظلمًا أصغرَ وفسقًا أصغرَ.

س ١٣: ما حكم الاستهزاء بالملتزمين بأوامر الله ورسوله؟

ج ١٣: الاستهزاء بالملتزمين بأوامر الله ورسوله لكونهم ملتزمون بذلك محرمٌ وخطيرٌ جدًّا على المرء؛ لأنه يُخشى أن تكون كراهيته لهم لكراهة ما هم عليه من الاستقامة على دين الله، وحينئذٍ يكون استهزاؤه بهم استهزاء بطريقهم الذي هم عليه، فيشبهون من قال الله عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥- ٦٦][١].

س ١٤: ما حكم من سبَّ الله ورسوله؟

ج ١٤: كل من سبَّ الله سبحانه بأي نوع من أنواع السبِّ، أو سبَّ الرسول ﷺ أو غيره من الرسل بأي نوع من أنواع السبِّ، أو سبَّ الإسلام أو انتقض أو استهزأ بالله أو برسوله فهو كافرٌ مرتدٌ عن الإسلام بإجماع المسلمين[٢].

س ١٥: ما الكتب التي يُنصح بها في مجال العقيدة؟

ج ١٥: أعظم كتاب وأصدقه يجب أن يُقرأ في تعليم العقيدة والأحكام والأخلاق كتاب الله -عز وجل- أما الكتب المؤلفة في العقيدة فمن أحسنها: كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وشرحه في كتابي تيسير العزيز الحميد، وفتح المجيد، ومن ذلك: مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب. وكتاب الإيمان والقاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة، والعقيدة الواسطية والتدمرية والحموية، وهذه الخمسة لشيخ الإسلام ابن تيمية. ومن ذلك: زاد المعاد في هدي خير العباد، والصواعق المرسلة واجتماع الجيوش الإسلامية والقصيدة النونية، وإغاثة اللهفان من مكائد الشيطان، وكل الكتب الخمسة للعلامة ابن القيم. ومن ذلك: شرح الطحاوية لابن أبي العز ومنهاج السُّنَّة لابن تيمية، واقتضاء الصراط المستقيم له، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب السُّنَّة لعبد الله ابن الإمام أحمد، والاعتصام للشاطبي، ومن أجمع ذلك فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، والدرر السنية في الفتاوى النجدية.

---

(١) فتاوى مهمة لعموم الأمة لابن باز (٣١- ٩١) باختصار.

(٢) فتاوى مهمة متعلقة بالعقيدة لابن باز (٦٣).

فتاوىٰ الدار الآخرة (للجنة الدائمة للإفتاء)

فتوىٰ

سؤال: هل عذاب الكافرين في قبورهم ممكنٌ عقلًا، وما أدلة ذلك في القرآن الكريم؟

والجواب: عذاب الكافرين في قبورهم ممكنٌ عقلًا، وقد دلَّ القرآن على وقوعه؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[غافر: ٤٥- ٤٦]. فهذا بيانٌ واضحٌ في إثبات العذاب في القبر بالنار؛ لأنه لا غدو ولا عشي يوم القيامة، ولقوله في ختام الآية: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[غافر: ٤٦]. فإنما يدلُّ على عذاب أدنى قبل قيام الساعة، وهو عرضهم على النار وما هو إلا عذاب القبر. ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الطور: ٤٥- ٤٧]. فإنه يدلُّ على تعذيب الكافرين عذابًا أدنى قبل قيام الساعة، وهو عالمٌ لما يصيبهم الله تعالى به في الدنيا، وما يعذبهم به في قبورهم قبل أن يُبعثوا منها إلى العذاب الأكبر، وثبت في الأحاديث الصحيحة أن النبيﷺ كان يستعيذ في صلاته من عذاب القبر ويأمر أصحابه بذلك[١][٢].

فتوىٰ

سؤال: إذا مات الإنسان ودخل القبر هل يرى النبيﷺ، وهل يُقال له ما نقوله في هذا الرجل، والحال قد يموت في الوقت الواحد خلقٌ كثيرٌ، وإذا سأله ملكان هل يسألانه بلسانه أو بالعربية أو بالسريانية؟

والجواب: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد، إذا مات الإنسان ودُفن جاءه ملكان وسألاه عن ربه ونبيه ودينه بلغةٍ يفهمها، فالمؤمن يُسدَّد في الجواب دون الكافر، ولو تعدد الأموات واتحد الوقت، ولا غرابة، فالملائكة لهم شأنٌ آخر غير شأن البشر، ولم يرد أن الميت يرى النبيﷺ في قبره فيما نعلم. ونوصيك بمراجعة كتاب (العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية و(الأصول الثلاثة) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، في الموضوع وغيره زيادةً على الفائدة. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٣].

---

(١) مسلم (٥٨٨).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٣١٨- ٣٢٠) بتصرف واختصار.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٢٤، ٣٢٥).

فتوىٰ

سؤال: ما الشيء الذي دلَّ عليه الكتابُ والسنةُ في النجاة من عذاب القبر، فهل هناك أحاديث نبوية، أو أدعية خاصة نقولها يوميًّا للنجاة من عذاب القبر، وإنني قرأتُ حديثًا للرسول ﷺ عن قراءة سورة الملك يوميًّا، فكم مرة تقرأ هذه السورة في اليوم؟ ومتى هو وقت القراءة، ولكم الشكر؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد، الشيء الذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة في النجاة من عذاب القبر هو أداء ما أوجبه اللهُ على العبد، وترك ما حرمه عليه. والإكثار من التوبة والاستغفار وفضائل الأعمال، وكثرة الاستعاذة بالله من عذاب القبر.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وكان النبي ﷺ يستعيذ في آخر الصلاة من أربع منها: عذاب القبر، ويأمر بذلك.

أما قراءة سورة الملك للاستجارة بها من عذاب القبر، فلا نعلم حديثًا صحيحًا عن النبي ﷺ يدلُّ على ذلك[١]، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٢].

فتوىٰ

سؤال: قال ابن عباس: مرَّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة، قالوا: يا رسول الله، لم فعلت؟! قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» رواه البخاري. فهل يصح الاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك، وهل يجوز وضع ما شابه الجريد من الأشياء الرطبة الخضراء قياسًا على الجريدة، أو يجوز غرس شجرة على القبر لتكون دائمة الخضرة لهذا الغرض؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد، إن وضع النبي ﷺ الجريدة على القبرين ورجاءه تخفيف العذاب عمن وُضعت على قبرهما، واقعة عين لا عموم لها في شخصين أطلعه اللهُ على تعذيبهما، وإن ذلك خاصٌّ برسول الله ﷺ وأنه لم يكن منه سُنَّة مطردة في قبور المسلمين، وإنما كان مرتين أو ثلاثًا على تقدير تعدد الواقعة لا أكثر. ولم يُعرف فعل ذلك عن أحد من الصحابة، وهم أحرص المسلمين على الاقتداء به ﷺ، وأحرصهم على نفع

---

(١) قلتُ: هذا وقد صحَّ عن النبي ﷺ الحديث الوارد في سورة (تبارك) (الملك) فيما رواه الترمذي، وصححه الألباني.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٢٦).



المسلمين إلا ما روي عن بريدة الأسلمي: أنه أوصى أن يُجعل في قبره جريدتان، ولا نعلم أن أحدًا من الصحابة ﷺ وافق بريدة على ذلك، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[١].

فتوىٰ

سؤال: هل صحَّ حديث أن أهل البرزخ يرى بعضهم بعضًا أم لا؟ ويتحدث بعضهم مع بعض؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد، لا نعلم عن النبيﷺ في هذه المسألة حديثًا يُعتمد عليه، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٢].

فتوىٰ

سؤال: أرجو التكرم ببيان علامات الساعة وأشراطها، وكيفية الوقاية، والحذر منها وماذا يعمل من صادفته مثل هذه الفتن؟ جزاكم الله خير الجزاء.

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

أشراط الساعة كثيرةٌ منها ما أجاب به النبيﷺ جبريل -عليه السلام- من قوله له إذا ولدت الأَمة ربها، وإذا تطاول رعاةُ الإبل البُهْمُ في البنيان، ومنها خروج المسيح الدجال، ونزول عيسى ابن مريم -عليه الصلاة والسلام- من السماء، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض، ومنها استفاضة المال حتى يُعطى الرجل الكثير من المال؛ فيظلّ ساخطًا، ومنها كثرة الفتن، حتى لا يبقى بيتٌ من بيوت العرب إلا دخلته. وعليك بقراءة كتاب (النهاية) لابن كثير -رحمه الله- ففيه شرح الكثير منها، وفيه عظاتٌ وعبرٌ وبيان ما يقي الإنسان به نفسه من الفتن. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

فتوىٰ

سؤال: ما أوثق كتاب يتحدث عن أشراط الساعة وعن الملاحم؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

أوثق الكتب في ذلك بعد كتاب الله -عز وجل- صحيح البخاري وصحيح مسلم، ثم سنن أبي داود، والنسائي، وجامع الترمذي، وسنن ابن ماجه، وأوسعها كتاب (النهاية) لابن كثير، و(إتحاف الجماعة في أخبار الفتن والملاحم وأشراط الساعة) للشيخ حمود بن عبد الله

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٢٦، ٣٢٧).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٣٠).

التويجري. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

فتوى

سؤال: هل من فضائل هذه الأمة شهادتهم على الأمم الماضية يوم القيامة؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد: نعم.

فتوى

سؤال: هل طلوع الشمس من مغربها، حينئذٍ لا تقبل توبة عاصٍ، ولا إيمان من كافر حيث يُغلق باب التوبة؟

والجواب: نعم.

فتوى

هل من علامات الساعة رفع الأمانة والإيمان من القلوب؟

والجواب: نعم. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم [1].

فتوى

سؤال: من المهدي وما أشراط الساعة؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

رجلٌ من أهل بيت النبي ﷺ يأتي قبل نزول عيسى يدعو إلى الإسلام ويُقيم الله به الحجة ويهدي به كثيرًا من الناس، وإن شئت التوسع في ذلك فاقرأ ما كتبه ابن كثير -رحمه الله- في كتابه (النهاية). وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

فتوى

سؤال: ما الخبر في المهدي المنتظر ونزول عيسى عليه السلام؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

أما ما يختصُّ بالمهدي فقد وردت أحاديث تدلُّ على أنه يحكم هذه الأمة، فعليكم بمراجعة سنن أبي داود، وابن ماجه، وغيرهما من كتب السُّنَّة، فقد ذُكرت فيها هذه الأحاديث، وليس في الأحاديث الصحيحة ما يدلُّ على تحديد زمانه، وكذلك ما ورد في نزول عيسى عليه السلام.

عليكم بمراجعة كتاب (التصريح فيما تواتر في نزول المسيح) عليه السلام. وتفسير ابن كثير، عند قوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ في سورة النساء، ولم يرد في الأحاديث الصحيحة فيما نعلم ما يدلُّ على تحديد زمان نزوله، لكن فيها ينزل إذا خرج الدجال، وبالله التوفيق، وصلى الله

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٩٨، ٩٩).

على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[١].

فتوى

سؤال: أرجو أن تفتوني عن صحة وجود المهدي الذي يُقال عنه في الأرض، وهل وردت أحاديث نبوية صحيحة عنه؟ أثابكم الله.

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد:

الأحاديث التي دلَّت على خروج المهدي كثيرة، وردت من طرق متعددة، ورواها عددٌ من أئمة الحديث وذكر جماعة من أهل العلم أنها متواترة معنويًّا، منهم أبو الحسن الآجري، من علماء المائة الرابعة، والعلَّامة السفاريني، في كتابه (لوامع الأنوار البهية)، والعلَّامة الشوكاني في رسالة سمَّاها (التوضيح في تواتر أحاديث المهدي والدجال والمسيح)، وله علامات مشهورة مذكورة في الأحاديث، وأهمها (أنه يملأ الأرض عدلًا وقسطًا بعد ما مُلئت جورًا وظلمًا).

ولا يجوز لأحد أن يجزم بأن فلان ابن فلان هو المهدي حتى تتوافر العلامات التي بيَّنها النبيﷺ في الأحاديث الصحيحة، وأهمها ما ذكرنا، وهو كونه (يملأ الأرض عدلًا وقسطًا) الحديث. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

فتوى

سؤال: هل خروج المسيح الدجال كما صدرت فيه الأحاديث النبوية، وهل هذه الأحاديث صحيحة أو حسنة أو ضعيفة؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

دلَّت الأحاديث الصحيحة المتواترة على خروج المسيح الدجال، وخروجه من أشراط الساعة، فعليك بمراجعة كتب الحديث في ذلك: الصحيحين وجامع الأصول، وغيرها من كتب الأحاديث المعتمدة، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٢].

فتوى

سؤال: جاء في أحاديث النبيﷺ حديث الدجال، فما معنى الدجال؟ هل هو موجودٌ الآن أم لا؟ وأين وطنه؟ وما معنى عوره الذي حدَّث به النبيﷺ، أعورُهُ حقيقي أم مجازي؟ اكشف لنا حقيقة ما عندك من العلم جعل الله جنة الفردوس مثواك.

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

الدَّجال مأخوذٌ من دجل دجلًا إذا كذب وأخرق؛ لأنه يدَّعي الربوبية، وهذا من أعظم

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ١٠٠، ١٠١).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ١٠٤).

الكذب، وهو موجودٌ، أما عوره فحقيقي؛ لأن الأصل في الكلام الحقيقة، وخروج المسيح الدجال مما ثبت عن النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة المتواترة. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[١].

فتوى

سؤال: هل المسيح الدَّجال يخرج على جميع الخلق، بمعنى: هل الأموات يبعثون ثانيةً أم يكون ظهوره على الأحياء في وقت ظهوره؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

إنما يخرج على الأحياء خاصة -أي في زمنه- أما الأموات فلا يبعثون إلا يوم القيامة، لقول الله -سبحانه: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:١٥-١٦] وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٢].

فتوى

سؤال: مَنْ هم يأجوج ومأجوج؟ وفي أية قارة يمكن وجودهم؟ وهل هم على سطح الأرض؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

يأجوج ومأجوج من بني آدم -عليه السلام-، من ولد يافث بن نوح -عليه السلام-، وكانوا يسكنون قارة آسيا شمال الصين، وهم على سطح الأرض كسائر بني آدم، وهم أولو بطشٍ وبأسٍ شديدٍ، وقد عاثوا فسادًا في الأرض، قال تعالى في وصف رحلة ذي القرنين إلى المشرق الأقصى، وما قام به من الإصلاح في هذه الرحلة: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ۝ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾ [الكهف:٩٠-٩٩]

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٣].

---

(١) السابق (١٠٥، ١٠٦).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ١٠٦).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ١٠٦، ١٠٧).

فتوى

سؤال: كيف يقوم الناسُ من قبورهم يوم القيامة، وكيف يقوم الأنبياء والأقطاب والأبدال، ومَنْ أول مَنْ يُكسى؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

يعيد اللهُ -سبحانه- خلق الناس يوم القيامة من عجب الذنب، فينبتون منه سويًّا، كما ينبت الزرعُ من الحبِّ والنخلُ من النوى، ثم يخرجون من قبورهم حفاةً عُراةً غرلًا، سراعًا، كأنهم إلى نُصبٍ يوفضون، وأول من تنشقُّ عنه الأرض نبينا محمد ﷺ،وهو أول من يفيق من الصعق. أما أول مَنْ يُكسى بعد البعث فخليلُ الرحمن -عليه الصلاة والسلام-، ويشتد الهول بجميع الناس حتى يقول كل نبي يومئذ: نفسي نفسي، ومَنْ قرأ آيات البعث من سورة القمر، والمعارج، والقارعة، وأمثالها، يتبين له الكثير مما تقدم، وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إنكم محشورون حفاةً عراةً غرلًا، ثم قرأ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وأول من يُكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أُناسًا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول: كما قال العبد الصالح: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:١١٧ - ١١٨]» كتاب بدء الخلق. وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض»[١].

فتوى

سؤال: يقول اللهُ تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨].

كم المدة بين النفختين، ومن هم الذين لا يموتون بين النفختين؟

والجواب: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

تحديد مدة ما بين النفختين من الأمور الغيبية التي لا تدرك بالعقل والاجتهاد، بل بالسمع عن النبي ﷺ، ولم يثبت في تحديدها عنه حديثٌ صحيحٌ، وإنما ثبت فيها ما رواه البخاريُ وغيرهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة: أربعون يومًا؟ قال: أبيت،

---

(١) البخاري (٣٤٤٧، ٣٣٤٩، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠، ٦٥٢٤، ٦٥٢٥، ٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).

قـ ـ ـعون سنة؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت. ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب الذنب منه يركب الخلق فلم يزد على أن قال: أربعون، ولم يُبين: هل هي سنون أو شهور أو غيرهم.

وأما من لا يموتون بين النفختين فالله أعلم بهم سبحانه. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[1].

فتوى

سؤال: هل الأخرس يحاسب يوم القيامة مسلمًا أو كتابيًّا أو كافرًا؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

نعم، يُحاسب؛ لأنه مكلَّفٌ بقدر ما أوتي من قوة الإدراك بالحواس الأخرى، وما أوتي من قوة الإدراك العقلي، ولا غرابة في ذلك فقد أُنشئ في العصر الحاضر مدارس لتعليم الصمِّ والبكم للنهوض بهم في التعليم. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[2].

فتوى

سؤال: قد جاء في الحديث أن الإنسان لن يدخل الجنة بفضل عمله، بل بفضل الله تعالى وأرجو أن تعرفوني بمزيد من الأقوال عن هذا الصدد؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

ليس بمجرد العمل ينال الإنسانُ السعادة، بل العمل سببٌ، يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل آية: ٣٢] فهذه باء السبب، وأما ما نفاه النبي ﷺ بقوله: «لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله»[3]. فهي باء المقابلة، كما يُقال: (اشتريت هذه بهذا) أي: ليس العملُ عوضًا وثمنًا كافيًا في دخول الجنة، بل لا بد مع ذلك من عفو الله وفضله ورحمته، فبعفوه يمحو السيئات، وبرحمته يأتي بالخيرات، وبفضله يضاعف الحسنات. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[4].

فتوى

سؤال: وَضْع ما يُغفر للمسلم يوم القيامة من ذنوبه على يهودي أو نصراني ووقوع الإشكال بذلك في قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس: ٥٤] وأمثالها من القرآن. أرجو

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٣٣).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٣٦، ٣٣٧).

(٣) البخاري (٥٦٧٣، ٦٤٦٣، ٦٤٦٤، ٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٦، ٢٨١٨، ٢٨١٧).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٣٧).

من سماحتكم إزالة اللبس.

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

أما قوله ﷺ: «**فيغفرها للمسلمين ويضعها على اليهود والنصارى**»[1] فهذا الحديث قد شكَّ راويه فيه، ولا يُحتجُّ به مع الشك؛ ولكونه يخالف ظاهر القرآن الكريم، لكن إن صحَّ عنه ﷺ فهو لا يقول إلا الحق ويجب حمله على ما يوافق الأدلة الأخرى وذلك بحمله على اليهود والنصارى الذين كانوا سببًا في وقوع المسلمين في الذنوب التي غفرت لهم لقوله سبحانه: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]. ولقوله ﷺ: «**مَنْ دعا إلى ضلالة كان عليه مثل إثم مَنْ عمل بها من بعده لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**» ولما جاء في معناه من الأحاديث[2] وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد.

فتوى

سؤال: تعتقد أن الله -تعالى- يُدخل من آمن به من الثقلين الجنة، ويُدخل من كفر به منهما النار يوم القيامة، فما منزلة الملائكة؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

قد أخبر الله -سبحانه- عن الملائكة بأنهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦- ٢٧]. فهم محلُّ كرامته وإحسانه وتحت تصرفه وأمره، فمنهم الموكل بأهل الجنة، ومنهم الموكل بأهل النار، ومنهم حملة العرش، ومنهم الحافون بالعرش، والله أعلم بتفاصيل أعمال بقيتهم. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[3].

فتوى

سؤال: اختلف رجلان في أهل الفترة: هل هم ناجون من النار أم غير ناجين. فقال الأول: إنهم ناجون، وقال الآخر: إنهم غير ناجين. فما الصواب؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

إن مَنْ بلغته الدعوة للإسلام ممن كان قبله أو في زمانه، ولم يُجب، ومات على ذلك فهو من أهل النار، ومن لم تبلغه الدعوة فإنه يُمتحن يوم القيامة كما صحَّت في ذلك السُّنَّة عن رسول الله ﷺ وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[4].

---

(١) مسلم (٢٧٦٧).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٣٩).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٤٠).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٦٣).

فتوىٰ

سؤال: هل ورد حديثٌ بأن رسول الله ﷺ رأى أثناء صلاته عمرو بن لُحي يتقلب في نار جهنم وهو أول من أدخل عبادة الأصنام في الكعبة أو في جزيرة العرب، وهل يعتبر هذا الحديث الصحيح -إن ثبتت صحته- دليلًا على كراهية استقبال المصلي لمثل تلك المدافئ الكهربائية أو النفطية أو الغازية؟!

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيتُ عمرو بن عامر الخزاعي يجرُّ قصبه في النار، كان أول من سيَّب السوائب**»[١] وفيه أيضًا عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**رأيتُ جهنم يحطم بعضُها بعضًا، ورأيت عَمْرًا يجر قصبه وهو أول من سيَّب السوائب**»، ولا دلالة في الحديث على استقبال عَمْرًا النار ونحوها، ولا أنه رآه وهو في الصلاة.

فتوىٰ

سؤال: ما مصير أبناء الكفرة يوم القيامة؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

الصحيح من أقوال العلماء أن الله -تعالى- يمتحنهم يوم القيامة فمَنْ أطاع فهو من أهل الجنة، ومَنْ عصى فهو من أهل النار، وفي هذا تفسير لقوله ﷺ: «**اللهُ أعلمُ بما كانوا عاملين**»[٢] جوابًا لمن سأله عن أولاد الكفار. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

فتوىٰ

سؤال: يُقال يا فضيلة الشيخ أنِ المولود عندما يُولد يُكتب على جبينه سعيد أم شقي، فما الحكم على مَنْ يتوفى وهو صغيرٌ لم يحظ بالسعادة ولا الشقاوة؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

هذا حكمه في الدنيا حكم أهله، فإن كان من المسلمين غُسِّل وصُلِّيَ عليه وله حكمهم في الآخرة، أما إن كان من المشركين فحكمه حكمهم في الدنيا، فلا يُغسَّل ولا يُصلَّى عليه؛ لأنه تبعهم، لقول النبي ﷺ فيمن يُقتل من أولاد المشركين: «**هم منهم**» أما في الآخرة فأمرهم إلى الله؛ لقول النبي ﷺ لما سُئل عن أولاد المشركين قال: «**الله أعلمُ بما كانوا عاملين**»[٣].

---

(١) البخاري (٣٥٢١، ٣٥٢٣)، ومسلم (٩٠٤، ٢٨٥٦).

(٢) البخاري (١٣٨٣، ١٣٨٤، ٦٥٩٧، ٦٥٩٨)، ومسلم (٢٦٥٩، ٢٦٦٠).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٣٦٥، ٣٦٦).

فتوى

سؤال: ذُكِرَ في آيات القرآن الكريم الجزاء والثواب والعقاب مقرونًا دائمًا بيوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٦]. إلى ما جاء من الآيات الشريفة عن يوم القيامة، **والسؤال: هل ورد في القرآن كما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة ما يُستدل به على أن حساب العبد يبدأ بدخوله القبر؟**

والجواب: ليس الجزاء بالثواب والعقاب في القرآن مقرونًا بيوم القيامة دائمًا، بل قد يُعَجِّل اللهُ بعض الجزاء لبعض عبادة في الدنيا، ويُؤَخِّر بعضهم إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥- ١٦]، وقال: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨]، وقال في نصرة موسى على الكفرة من قومه: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥- ٤٦]. **إلى أمثال ذلك من آيات القرآن** التي تدلُّ على أن الله قد يُعجِّل بعض الجزاء في الدنيا أو يجعله في القبر كما حصل لآل فرعون، أو يؤخره إلى قيام الساعة. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[١].

فتوى

سؤال: قرأتُ حديثًا عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا، وإذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذن لهم بدخول الجنة»**[٢] أفيدونا جزاكم اللهُ عنا وعن عامة المسلمين خير الجزاء، ما معنى هذا الحديث؟ وما معنى (خلص المؤمنون من النار)؟ حيث قد ورد في القرآن العظيم في سورة مريم قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١]. أفيدونا ما معنى الحديث وما معنى الآية؟ جزاكم اللهُ خير الدنيا ونعيم الآخرة.

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

إذا عبر المؤمنون عامة على الصراط أُوقف منهم مَنْ كان عليه مظالم للمؤمنين بمكان بين الجنة والنار، ومُنعوا من دخول الجنة حتى يُقضى للمظلوم ممن ظلمه؛ فيؤخذ من حسنات الظالم،

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٣٨).

(٢) البخاري (٢٤٤٠، ٦٥٣٥).

ويُعطى المظلوم، حتى إذا نُقُّوا وطُهِّرُوا أذن لهم بدخول الجنة، أما من لا مظلمة عليه لأحد، فإن ظاهر هذا الحديث وغيره من الأحاديث الدالة على أن بعض المؤمنين يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، فإنه لا يُوقف. وأما قوله تعالى:

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] فخبرٌ منه تعالى عن الناس: مسلمهم وكافرهم، بأنه لا أحد منهم إلا سيرد جهنم، وذلك مرور كل منهم[١] على الصراط المضروب على متن جهنم كالقنطرة مرورًا متفاوتًا في السرعة والبطء، والنجاة من النار والسقوط فيها، فيُنجي الله المؤمنين من النار، ويدع فيها الكافرين. كما قال تعالى عقب هذه الآية: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢] وقد أوجب سبحانه على نفسه هذا الجزاء، وقضى به عليها قضاءً مبرمًا، لا رادَّ لقضائه تعالى، ولا تبديل لحكمه. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[٢].

فتوى

سؤال: كيف يشفع النبي ﷺ لأمته عند ربه يوم القيامة، وكيف يشفع الصحابة والصالحون والملائكة للمذنبين. وحديث (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) هل صحيح السند، وما معناه، إن صحَّ الحديث؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

شفاعة النبي ﷺ وشفاعة الصالحين يوم القيامة ثابتة في القرآن، وقد وردت فيها أحاديث صحيحة تفسر ما جاء في القرآن، ومنها الحديث الذي أشرت إليه في سؤالك، وهي أنواع: قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله- في كتاب (فتح المجيد) وذكر أيضًا رحمه الله -يعني ابن القيم- أن الشفاعة ستة أنواع:

الأول: الشفاعة الكبرى: التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول: **«أنا لها»** وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء؛ ليتشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف وهذه شفاعة يختصُّ بها لا يشركه فيها أحدٌ.

الثاني: شفاعة لأهل الجنة في دخولها: وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه.

الثالث: شفاعته لقوم من العصاة من أمته: قد استوجبوا النار بذنوبهم؛ فيشفع لهم أن لا يدخلوها.

الرابع: شفاعته في العصاة من أهل التوحيد: الذين يدخلون النار بذنوبهم، والأحاديث بها

---

(١) صحَّ عدم مرور الكافرين على الصراط كما سبق في فصل (الصراط).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٣٥، ٣٣٦).

متواترة عن النبي ﷺ، وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبةً وبدَّعوا من أنكرها وصاحوا به كل جانب ونادوا عليه بالضلال.

الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم:وهذه مما لم ينازع فيها أحدٌ، وكلها مختصة بأهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله وليًّا ولا شفيعًا، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام: ٥١]

السادس: شفاعته في بعض أهله الكفار، من أهل النار حتى يُخفف عذابُهُ، وهذه خاصة بأبي طالب وحده [١]. وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم [٢].

فتوىٰ

سؤال: هل الطفلُ الصغيرُ إذا تُوفي وله سنةٌ يشفع لوالديه ولوالدي والديه؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

يُشفعه اللهُ في والديه، أما شفاعته لوالدي والديه فإلى الله علمُ ذلك، وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم [٣].

فتوىٰ

سؤال: ما حكم الإسلام في رجلٍ يُنكر حديث الشفاعة الذي رواه البخاري في صحيحه، ويقول: إن في صحيح البخاري أحاديث مدسوسة؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

إن صحيح البخاري تلقَّاه علماء الأمة بالقبول، فأحاديثه يُعتمد عليها في إثبات الأحكام، وتقوم به الحجة على المخالف، ومن قال: إن فيه أحاديث مدسوسة فهو جاهلٌ مخطئٌ مخالفٌ لإجماع الأمة، وكذا من أنكر حديث الشفاعة العظمى أو أحاديث الشفاعة الأخرى التي رواها البخاري في صحيحه، وغيره من أئمة الحديث؛ فهو مخالفٌ لأهل السنة والجماعة وسلف الأمة ذاهب مذهب أهل الزيغ والضلال. وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمدٍ وآله وصحبه وسلم [٤].

---

(١) فتح المجيد (١٧٤، ١٧٥).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٤٢، ٣٤٣).

(٣) السابق (٣/ ٣٤٣).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٤٥).

فتوى

سؤال: هل يدخل ولد الزنا الجنة حيث قيل: إن ولد الزنا نجسٌ ولا يدخل الجنة نجاسة؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

إذا مات مسلمًا دخل الجنة، ولا يمنعه من ذلك إن كان ولد زنا وليس بنجس، ووزر الزنا على الزاني، لا على من تخلّق من ماء الزنا؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. ولقوله صلى الله عليه وسلم «المسلمُ لا ينجس»[١] وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمدٍ وآله وصحبه وسلم[٢].

فتوى

سؤال: هل يُميت اللهُ العصاة من هذه الأمة إن دخلوا النار إماتةً حقيقة، وما معنى ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ ﴾ هل ورد في ذلك حديثٌ أصلًا؟

والجواب: الحمد لله وحدهُ والصلاة السلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

لا يموت الكفارُ ولا المؤمنون ولا عصاةُ المؤمنين بعد موتتهم التي ماتوها عند انتهاء أجلهم في الحياة الدنيا، لا موتًا حقيقيًّا، ولا موتًا غير حقيقي كالنوم؛ ولكن ناسًا من عصاة المؤمنين أصابتهم النارُ بذنوبهم فأماتتهم إماتةً حقيقية حتى إذا كانوا فحمًا أُذن بالشفاعة.

كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : « **أما أهل النار هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناسٌ أصابتهم النارُ بذنوبهم -أو قال بخطاياهم- فأماتتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم؛ فينبتون نبات الحِبّة تكون في حميل السيل**»، فقال رجلٌ من القوم: كأن رسول الله ﷺ كان في البادية[٣].

قوله تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ ﴾ بعضُ آيةٍ من سورة الدخان سيقت ضمن آيات في نعيم المتقين، هي قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الدخان: ٥١-٥٧]، وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمدٍ وآله

---

(١) البخاري (٢٨٣، ٢٨٥)، ومسلم (٣٧١، ٣٧٥).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٥٠، ٣٥١).

(٣) مسلم (١٨٥).

وصحبه وسلم[١].

فتوى

سؤال: هل صحيحٌ أن نار الدنيا التي نُطهي عليها الطعام هي دخان نار يوم القيامة والعياذ بالله؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه:

ليس ذلك بصحيح، وإنما قال النبيﷺ: «**إذا اشتدَّ الحرُّ فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحرِّ من فيح جهنم**»[٢] وقالﷺ: «**ناركم جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنم**» قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية!! قال: «**فضلت عليها بتسعةٍ وستين جزءًا كلهنَّ مثلُ حرِّها**»[٣] وبالله التوفيق وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[٤].

فتوى

سؤال: ما عقاب الشيطان: هل يدخل النار مثل شخصٍ مسلم لم يؤدِّ فريضةً من الفرائض لله -عزَّ وجلَّ- قطُّ في حياته، أو أن النار درجات مثل الجنة؟

والجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد: عقاب إبليس وأتباعه جهنم كما أخبر سبحانه في كتابه، قال تعالى: ﴿ **قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[ص: ٨٤-٨٥]، والنار دركات كما أن الجنة درجات. نبَّه أهلُ العلم عليه في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ﴾[النساء: ١٤٥]. وقال تعالى: ﴿ **أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾[آل عمران: ١٦٢-١٦٣] **وبالله التوفيق، وصلى الله على** نبينا محمدٍ وآله وصحبه وسلم[٥].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٤٨).

(٢) البخاري (٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٩، ٦٢٩، ٣٢٥٨)، ومسلم (٦١٥، ٦١٦).

(٣) البخاري (٣٢٦٥).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٥٨).

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٧٢).





التربية الفقهية

مقدمة

الحمد لله الذي لا ندَّ له فيبارى، ولا ضدَّ له فيجارى، ولا شريك له فيدارى، ولا معترض له فيمارى، بسط الأرض قرارا، وأجرى فيها أنهارا، وأخرج زروعًا وثمارًا، وأنشأ ليلًا ونهارًا، وأسكن آدم الجنة دارًا، فغفل عن النهي وما دارى، فأُهبط منها وعدم يسارًا، ثم اجتباه بقبول توبته انكسارًا، وأقامه خليفة في الأرض ويكفيه افتخارًا، ثم ابتعث الأنبياء من ذريته ونصب لهم من أدلته منارًا، وجعل إدريس ونوحًا والخليل رءوسًا، وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارًا.

أحمده سرًّا وجهارًا، وأصلِّي على النبي الذي أصبح وادي نبوته برسالته معطارًا، وعلى أبي بكر المنفق سرًّا وجهارًا، وعلى عمر الفاروق الذي لاث عن وجهه الإسلام خمارًا، وعلى عثمان الذي صرف عن جيش العُسرة بنفقته إعسارًا، وعلى عليٍّ الذي لا يتمارى[1].

---

(١) التبصرة (١/ ٢٧٠) بتصرف.

أهداف التربية الفقهية

١ - تزويد الآباء بالمادة العلمية الفقهية المبسَّطة في فقه العبادات.

٢ - حثّ الآباء على تعليم أبنائهم الفقه الصحيح.

٣- تدريب الأبناء على الطهارة والصلاة والصيام من صغرهم.

٤- تعريف البالغين بأحكام الزكاة بجميع أنواعها بطريقة ميسَّرة مع الوقوف على الصحيح الوارد فيها.

٥- تزويد الأولاد البالغين بأحكام الحج والعمرة بطريقة صحيحة مبسَّطة.

٦- الرد على جميع التساؤلات والإجابة على جميع الاستفسارات المشهورة من خلال فتاوى الفقه للأئمة الأعلام، من أمثال العلامة ابن باز والعلامة ابن تيمية (رحمهما الله).

٧- الوقوف على أهم المهمات في فقه الطهارة والعبادات، وعدم التطرق للخلافات الفقهية المعقَّدة، ويكفي ترجيح العلماء الثقات المشهود لهم بالخير والفضل والعلم.

٨- تقديم فقه العبادات والاقتصار عليه لأهميته وحاجة الجميع إليه صغارًا وكبارًا، وكبداية لتعليم فقه صحيح مُيسَّر، مع أهم الفتاوى الخاصة بمسائل العبادات.

كيف نربي أولادنا فقهيًا؟

سؤال هام، ينبغي على كل أب حكيم وكل أم رشيدة أن يسأل كل منهما نفسه هذا السؤال، والإجابة عليه في نقاط:

١- تتفاوت التربية الفقهية بحسب عُمْر الوليد، ويختلف ذلك من الصغير إلى الكبير، ومن الذكر إلى الأنثى.

مثال ذلك: أن أحوج ما ينبغي معرفته للصغير فقه الطهارة والصلاة، فإذا ما بلغ الحلم عُلِّمَ فقه الغسل من الجنابة، وإن كان الولد أنثى عُلِّمت فقه الحيض والطهارة منه، وحيث يبدأ سن السابعة يجب على الوالدين أمر أولادهم بالصلاة؛ لأمر رسول اللهﷺ؛ ولأن في ذلك تدريبًا للصغار وترويضًا لهم على الصلاة، فإذا ما وجب عليهم أداؤها سهُلَ الأمر وهان، على العكس من هؤلاء المقصرين عن أمر أولادهم بالصلاة ابتداءً من سبع سنين، كما أمر بذا رسول الله صلى الله عليه ومن والاه، فإذا ائتمر الأولاد بها ترغيبًا في فضلها وائتمارًا بأمر نبيهم المصطفى بها؛ فبها ونعمت، وإلا ضربوا عليها -إن هم تركوها- وهم أبناء عشر سنين. وهذا يشمل الذكور والإناث على حدٍّ سواء.

٢- وينبغي تعليم الأولاد المفروض من الصلوات (وهي الصلوات الخمس)، يُعلَّمون حكمها وشروطها وأوقاتها وكيفياتها، وسننها وأركانها ومبطلاتها، وكيفية سجود السهو وأحكامه، والمكروهات والمباحات في الصلاة، والذكر بعد الصلاة.

٣- وعلى الآباء تعليم الأبناء أحكام صلاة الجمعة وكيفيتها، وكذاك صلاة العيدين وأحكامها، وكذاك صلاة الكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة وصلاة الاستخارة وصلاة الخوف.

٤- وعلى الآباء تعليم الأبناء السنن الرواتب مؤكَّدها وغير مؤكَّدها، والنوافل؛ كالضحى والقيام، وصلاة التوبة، والنوافل الأخرى.

٥- وحيث يبدأ البلوغ يجب الصيام أيضًا على الأولاد -ذكورهم وإناثهم- وأقصد به صيام رمضان، فهو الصيام المفروض بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، ويفضل تعويد الأولاد على الصيام منذ الصغر، فإنهم إن فعلوا ذلك في الصغر قبل تكليفهم هان عليهم فعله

حين بلوغهم، وعلى الآباء تعليم أبنائهم أحكام الصيام وفقهه ووقته وحكمته، ويرغِّبونهم في تعجيل الفطر وتأخير السحور، ويُعلِّمون مفسدات الصوم وأحكام القضاء والكفارة.

٦- وعلى الآباء تعليم أبنائهم البالغين أحكام الزكاة بأنواعها وشروطها ومصارفها، وعلى من تجب الزكاة، وما هي الأصناف التي تجب فيها الزكاة.

٧- وعلى الآباء تعليم أبنائهم -البالغين الشباب- أحكام الحج والعمرة، ولا بأس بتدريس هذه الأحكام للصغار الفطناء الأذكياء، وفقه الحج والعمرة وحكمهما وشروط وجوبهما، ومواقيت الحج والعمرة، وكيفية الإحرام، وصفة الحج والعمرة، وأركانهما وواجباتهما، ومحظورات الإحرام وسنن الحج، والأحكام الشائعة في الحج والعمرة، للتحذير منها والعلم بها لتوقِّيها.

هذا، وإن هناك أسئلة هامَّة يسأل عنها الأولاد في فقه الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة، والإجابة عليها ليست معلومة من قبل جميع الآباء؛ لذا كانت هناك الفتاوى الفقهية التي ختمت بها الفصول العلمية الفقهية، حتى يكون الآباء على بصيرة من الأمر، ويسْهُل عليهم الجواب على أهم الأسئلة والفتاوى الفقهية، فهي عون لهم بإذن الله، والموفَّق من وفَّقه الله «ومن يرد الله به خيرًا يفقِّهه في الدين» .

وتفصيل ما ذكر نقاط توجيهية تربوية من الناحية الفقهية في الصفحات التالية، بصورة ميسرة كافية شافية بإذن الله تعالى.

الطهارة

معناها: النظافة والنزاهة.

أنواع الطهارة

١ - **طهارة معنوية**: فهي طهارة القلوب من الشرك والبدع في عبادة الله، ومن الغلِّ، والحقد، والحسد، والبغضاء، والكراهية، وما أشبه ذلك في معاملة عباد الله الذين لا يستحقون هذا.

٢ - **طهارة حسية**: فهي طهارة البدن، وهي أيضًا نوعان:

أ- إزالة وصف ما يمنع من الصلاة ونحوها مما يشترط له الطهارة ب- وإزالة الخبث

الطهارة المعنوية

هي طهارة القلب من الشرك والبدع فيما يتعلق بحقوق الله -عزَّ وجلَّ- وهذا هو أعظم الطهارتين؛ ولهذا تنبني عليه جميع العبادات، فلا تصح أي عبادة من شخص ملوَّث قلبه بالشرك، ولا تصح أي بدعة يتقرب بها الإنسان إلى الله -عزَّ وجلَّ- وهي مما لم يشرعه الله -عزَّ وجلَّ- قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٥٤]، وقال النبي ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**»[١]

وعلى هذا فالمشرك بالله شركًا أكبر لا تقبل عبادته، وإن صلَّى وصام وزكى وحج، فمن كان يدعو غير الله -عز وجل- أو يعبد غير الله فإن عبادته لله -عز وجل- غير مقبولة، حتى وإن كان يتعبد لله تعالى عبادة يخلص فيها لله، ما دام قد أشرك بالله شركًا أكبر من جهة أخرى. ولهذا وصف الله -عز وجل- المشركين بأنهم نجس، فقال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ﴾ [التوبة: ٢٨]، ونفى النبي ﷺ النجاسة عن المؤمن فقال ﷺ: «**إن المؤمن لا ينجس**» وهذا الذي ينبغي للمؤمن أن يعتني به عناية كبيرة ليطهر قلبه منه.

---

(١) البخاري ومسلم.

كذلك أيضًا يطهِّر قلبه من الغل والحقد والحسد والبغضاء والكراهية للمؤمنين، لا يكرهه، ولا يعتدي عليه ولا يحسده، بل يتمنى الخير لأخيه كما يتمناه لنفسه، حتى إن الرسولﷺ نفى الإيمان عمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه**»(١).

ونرى كثيرًا من الناس أهل خير وعبادة وتقوى وزهد -ويكثرون التردد إلى المساجد، ليعمِّروها بالقراءة والذكر والصلاة- لكن يكون لديهم حقد على بعض إخوانهم المسلمين أو حسد لمن أنعم الله عليه بنعمته، وهذا يخلُّ كثيرًا فيما يسلكونه من عبادة الله سبحانه، فعلى كل منا أن يطهِّر قلبه من هذه الأدناس بالنسبة لإخوانه المسلمين.

الطهارة الحسية

وقال ابن عثيمين: فهي كما قلت نوعان؛ إزالة وصف يمنع من الصلاة ونحوها مما تشترط له الطهارة، وإزالة الخبث.

فأما إزالة الوصف

فهو رفع الحدث الأصغر والأكبر، ويغسل الأعضاء الأربعة، في الحدث الأصغر، وغسل جميع البدن في الحدث الأكبر، إما بالماء لمن قدر عليه، وإما بالتيمم لمن لم يقدر على الماء.

وفي هذا أنزل الله تعالى قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[المائدة: ٦].

---

(١) البخاري (٢٧٦) ومسلم (٥٥٦).

أما النوع الثاني فهو الطهارة من الخبث

أي من النجاسة، وهي كل عين أوجب الشرع على العباد أن يتنزَّهوا منها أو يتطهروا منها؛ كالبول والغائط ونحوها مما دلت الشريعة على نجاسته، ولهذا قال الفقهاء رحمهم الله: الطهارة إما عن حدث، وإما عن خبث.

ويدل لهذا النوع -أعني الطهارة من الخبث- ما رواه أهل السُّنَّة أن رسول الله ﷺ صلَّى بأصحابه ذات يوم فخلع نعليه، فخلع الناس نعالهم، فلما انصرف النبي ﷺ، سألهم: «**لماذا خلعوا نعالهم**»، فقالوا: رأيناك خلعت نعلك فخلعنا نعالنا، فقال ﷺ: «**إن جبريل أتاني فأخبرني أن فيهما قذرًا**»[(١)][(٢)].

كيفية الطهارة من الحدث

قال ابن عثيمين رحمه الله: أما الطهارة من الحدث فالأصل فيها الماء ولا طهارة إلا بالماء، سواء كان الماء نقيًّا أم متغيرًا بشيءٍ طاهر؛ لأن القول الراجح أن الماء إذا تغير بشيء طاهر، وهو باق على اسم الماء، أنه لا تزول طهوريته، بل هو طهور طاهر في نفسه، ومطهِّر لغيره، فإن لم يوجد الماء، أو خيف الضرر باستعماله فإنه يعدل عنه إلى التيمم بضرب الأرض بالكفين، ثم مسح الوجه بهما ومسح بعضهما ببعض، هذا بالنسبة للطهارة من الحدث.

كيفية الطهارة من الخبث

قال ابن عثيمين رحمه الله: أما الطهارة من الخبث، فإن أي مزيل يزيل ذلك الخبث -من ماء أو غيره- تحصل به الطهارة؛ وذلك لأن الطهارة من الخبث يقصد بها إزالة تلك العين الخبيثة بأي مزيل، فإذا زالت هذه العين الخبيثة بماء أو بنزين أو غيره من السائلات أو الجامدات على وجه التمام فإن هذا يكون تطهيرًا لها؛ لهذا نعرف الفرق بين ما يحصل به التطهير في باب الخبث، وبين ما يحصل في التطهير في باب الحدث.

---

(١)أبو داود (٥٥٥) وصححه الألباني، انظر المشكاة (٧٦٦).

(٢)فقه العبادات لابن عثيمين (٨٩-٩١).

البديل عن الماء في التطهير

قال ابن عثيمين رحمه الله: البدل عن هذا الأصل هو التراب، إذا تعذَّر استعمال الماء لعدمه أو التضرر باستعماله، فإنه يعدل عن ذلك إلى التراب -أي: إلى التيمم- بأن يضرب الإنسان يديه على الأرض ثم يمسح بهما وجهه، ويمسح بعضهما ببعض، لكن هذا خاص في الطهارة من الحدث، أما الطهارة من الخبث ليس فيها تيمم؛ لأن المقصود من التطهر من الخبث إزالة هذه العين الخبيثة، وليس التعبد فيها شرطًا؛ ولهذا لو زالت هذه العين الخبيثة -بغير قصد من الإنسان- طهُرَ المحلُّ.

فلو نزل المطهر على مكان نجس أو على ثوبٍ نجس وزالت النجاسة بما نزل من المطر، فإن المحل يطهر بذلك، وإن كان الإنسان ليس عنده علمٌ بهذا.

بخلاف طهارة الحدث فإنها عبادة يُقرَّب بها الإنسان إلى الله -عز وجل- فلا بد فيها من النية والقصد[(١)].

من عجز عن إزالة النجاسة

قال ابن عثيمين رحمه الله: إذا كان على الإنسان نجاسة وهو لا يستطيع إزالتها؛ فإنه يصلي بحسب حاله، لكن يخففها ما أمكن بالحكِّ وما أشبه ذلك. وإذا كانت مثلًا في ثوبٍ يمكن خلعه ويستتر بغيره وجب عليه خلعه ويستتر بغيره[(٢)].

صفة الماء الذي يُتطهَّر به

قال الدكتور صالح الفوزان: قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ [الأنفال: ١١]، والطهور هو الطاهر في ذاته المطهِّر لغيره، وهو الباقي على خِلقته -أي: صفته التي خُلق عليها- سواء كان نازلًا من السماء كالمطر وذَوب الثلوج والبرَد، أو جاريًا في الأرض كماء الأنهار والعيون والآبار والبحار، أو كان مقطرًا، فهذا هو الذي يصحُّ التطهر به من الحدث

---

(١) فقه العبادات لابن عثيمين (٩٢)

(٢) السابق (٩٣).

والنجاسة، فإن تغيَّر بنجاسة لم يجز التطهر به من غير خلاف، وإن تغيَّر بشيء طاهر لم يغلب عليه، فالصحيح من قولي العلماء صحة التطهر به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أما مسألة تغير الماء اليسير أو الكثير مما قد يغير الماء مثل: الإناء إذا كان فيه أثر سدر أو خطمى، ووضع فيه ماء فتغير به مع بقاء اسم الماء فهذا فيه قولان معروفان للعلماء، ثم ذكرهما مع بيان وجه كل قول، ورجح القول بصحة التطهر به، وقال: هو صواب؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾ [المائدة: ٦]

صفة الوضوء

قال ابن عثيمين رحمه الله: صفة الوضوء الشرعي على وجهين:

١- الوجه الأول: صفة واجبة

لا يصح الوضوء إلا بها، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة: ٦]. وهي: غسل الوجه مرة واحدة، ومنه -أي من غسل الوجه- المضمضة والاستنشاق، وغسل اليدين إلى المرفقين من أطراف الأصابع إلى المرافق مرة واحدة، ومسح الرأس مرة واحدة، ومنه -أي من الرأس- الأذنان، وغسل الرجلين إلى الكعبين مرة واحدة، هذه هي الصفة الواجبة التي لا بد منها.

٢- أما الوجه الثاني من صفة الوضوء

فهي الصفة المستحبة ونسوقها الآن، بمعونة الله، فهي أن يسمي الإنسان عند وضوئه، ويغسل كفه ثلاث مرات، ثم يتمضمض ويستنشق ثلاث مرات بثلاث غرفات، ثم يغسل وجهه ثلاثًا، ثم يغسل يديه إلى المرفقين ثلاثًا، يبدأ باليمنى ثم باليسرى، ثم يمسح رأسه مرة واحدة؛ يبُلُ يديه ثم يمر بهما من مقدم رأسه إلى مؤخره، ثم يعود إلى مقدمه، ثم يمسح أذنيه، فيدخل سبابته في صماخيهما ويمسح بإبهاميه ظاهرهما، ثم يغسل رجليه إلى الكعبين ثلاثًا، ثلاثًا، يبدأ باليمنى ثم اليسرى، ثم يقول بعد ذلك: أشهد أن لا

إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فإنه إذا فعل ذلك فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، هكذا صحَّ الحديث عن النبيﷺ قاله عمر ﷺ وقال: لا يلزم أخذ ماء جديد للأذنين بل ولا يستحب؛ لأن جميع الواصفين لوضوء النبيﷺ لم يذكروا أنه كان يأخذ ماءً جديدًا لأذنيه، فالأفضل أن يمسح أذنيه ببقية البلل الذي بقي بعد مسح رأسه[1].

نواقض الوضوء

قال الدكتور صالح الفوزان: اعلم أيها المسلم أن للوضوء مفسدات لا يبقى مع واحد منها له تأثير، فيحتاج إلى استئناف من جديد عند إرادته مزاولة عمل من الأعمال التي يشرع لها الوضوء، وهذه المفسدات تُسمَّى نواقض، وتُسمَّى مبطلات والمعنى واحد[2].

قال ابن عثيمين رحمه الله: نواقض الوضوء هي مفسداته ومبطلاته.

ونذكر منها: الغائط، والبول، والريح، والنوم، وأكل لحم الجزُور.

فأما الغائط والبول والنوم، فقد دل عليها حديث صفوان بن عسال ﷺ قال: أمرنا رسول اللهﷺ أن لا ننزع خفافنا إذا كنا سفرًا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة، ولكن من غائط وبول ونوم[3]. وهذا تؤيده الآية الكريمة في الغائط، حيث قال الله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ [النساء: ٤٣].

وأما الريح، فقد جاء في حديث عبد الله بن زيد وأبي هريرة -رضي الله عنهما- فيمن أشكل عليه: أخرج منه شيء أم لا، قال النبيﷺ: «لا ينصرف أو لا يخرجنَّ من المسجد

---

(١) فقه العبادات (٩٣-٩٤).

(٢) الملخص الفقهي للفوزان (١/ ٣٤).

(٣) الترمذي (٩٣) وصححه الألباني، انظر صحيح أبي داود (١٤٥).

حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا»[١] وهذا دليلٌ على أن الريح ناقض للوضوء، فهذه أربعة أشياء: البول، والغائط والريح، والنوم.

ولكن النوم لا ينقض الوضوء إلا إذا كان عميقًا، بحيث يستغرق النائم فيه، فلا يعلم عن نفسه لو خرج منه شيء؛ لأن النوم مظنة الحدث، وليس حدثًا في نفسه، نعس الإنسان في صلاته أو خارج صلاته؛ ولكنه يعي نفسه لو أحدث لأحسَّ بذلك فإنه لا ينتقض وضوءه ولو طال نعاسه ولو كان متَّكئًا أو مستندًا أو مضجعًا؛ لأن المدار ليس على الهيئة، ولكن المدار على الإحساس واليقظة، فإن كان هذا الناعس يحسُّ بنفسه لو أحدث؛ فإن وضوءه باقٍ ولو كان متَّكئًا، أو مستندًا، أو مضجعًا، وما أشبه ذلك.

وأما الخامس من نواقض الوضوء: فهو أكل لحم الإبل؛ لأن النبيﷺ صحَّ عنه أنه سُئل: نتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: «نعم»، وسئل عن الوضوء من لحم الغنم، قال: «إن شئت»[٢].

فأجابه بـ (نعم) في الإبل، وبـ (إن شئت) في لحم الغنم، دليل على أن الوضوء من لحم الإبل ليس راجعًا إلى مشيئته، بل هو أمرٌ مفروض عليه، ولو لو يكن مفروضًا لكان راجعًا إلى المشيئة، وثبت عنهﷺ «أنه أمر بالوضوء من لحم الإبل». وعلى هذا؛ فإن أكل الإنسان لحم إبل انتقض وضوءه، سواء كان الأكل كثيرًا أو قليلًا، وسواء كان اللحم نيًّا أو مطبوخًا، وسواء كان اللحم من اللحم الأحمر أو من الأمعاء، أو من الكرش، أو من الكبد أو من أي شيء كان من أجزاء البدن؛ لأن الحديث عامٌّ، لم يفرق بين لحم وآخر، والعموم في لحم الإبل كالعموم في لحم الخنزير، حيث قال الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣].

فإن لحم الخنزير هذا يشمل كل أجزاء بدنه، وهكذا لحم الإبل الذي سُئل النبيﷺ عن الوضوء منه، يشمل جميع أجزاء البدن، وليس في الشريعة الإسلامية جسد واحد

---

(١) البخاري (١٣٤) ومسلم (٥٤٠)

(٢) مسلم (٥٣٩).

تختلف بأحكامه، فيكون جزءٌ منه له حكم آخر، بل الجسم كله يتضمن أجزاؤه في الحكم، ولا سيما على القول: بأن نقض الوضوء من لحم الإبل علته معلومة لنا، وليس تعبدًا محضًا، وعلى هذا فمن أكل لحم إبل من أي جزء من أجزاء البدن -وهو على وضوء- وجب عليه أن يجدد وضوءه.

الشك في انتقاض الوضوء

قال ابن عثيمين رحمه الله: ثم اعلم أن الإنسان إذا كان على وضوء ثم شكَّ في وجود الناقض، بأن شكَّ هل خرج منه بولٌ أو ريحٌ، أو شكَّ في اللحم الذي أكله، هل هو لحم إبل أو غنم؛ فإنه لا وضوء عليه لأن النبيﷺ سئل عن الرجل يُخَيَّلُ إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، فقال: لا ينصرف حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا. يعني: حتى يتيقَّن ذلك، ويدركه بحواسه إدراكًا معلومًا لا شبهة فيه؛ ولأن الأصل بقاء الشيء على ما كان عليه حتى نعلم زواله، فالأصل أن الوضوء باقٍ حتى نعلم زواله وانتقاضه[1].

الشكُّ في الطهارة

قال ابن عثيمين رحمه الله: الشكُّ في الطهارة نوعان:

أحدهما: شكٌّ في وجودها بعد التحقق من الحدث

والثاني: شكٌّ في زوالها بعد تحقق الطهارة.

أما الأول: وهو الشك في وجودها بعد تحقق الحدث كأن يشكَّ الإنسان: هل توضأ أم لم يتوضأ، وهو أنه يعتقد أنه أحدث لكن يشك: هل توضأ أم لا؟ ففي هذه الحالة نقول: ابنِ على الأصل، وهو أنك لم تتوضأ ويجب عليك الوضوء.

مثال: رجل شك عند أذان الظهر هل توضأ بعد نقض وضوئه، في الضحى أم لم يتوضأ، يعني: أنه نقض الوضوء في الساعة العاشرة مثلًا، ثم عند أذان الظهر شكَّ: هل توضأ حين انتقض وضوؤه أم لا؟

---

(١) فقه العبادات (٨٥-٨٧).

فنقول له: ابن على الأصل، وهو أنك لم تتوضأ، وعليك أن تتوضأ.

أما النوع الثاني: وهو الشك في انتقاض الطهارة بعد وجودها، فإننا نقول أيضًا: ابنِ على الأصل، ولا تعتبر نفسك ناقضًا للوضوء.

مثال: رجل توضأ في الساعة العاشرة فلما حان وقت الظهر شكَّ: هل انتقض وضوؤه أم لا؟

فنقول له: إنك على وضوئك، ولا يلزمه الوضوء حينئذٍ؛ وذلك لأن الأصل بقاء ما كان عليه، ويشهد لهذا الأصل قول النبي ﷺ فيمن وجد في بطنه شيئًا فأشكل عليه: أخرج منه شيء أم لا؟ قال: «**لا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا؟**»

وأما الشك في فعل، أو الشك في أجزاء الوضوء، مثل أن يشكَّ الإنسان: هل غسل وجهه في وضوئه أم لا، وهل غسل يديه أم لا ؟ وما أشبه ذلك فهذا لا يخلو من أحوالٍ أربع:

١- **الحالة الأولى**: أن يكون مجرد وهم طرأ على قلبه، هل غسل يديه أم لم يغسلهما؟ وهمًا ليس له مرجحٌ ولا تساوى عنده الأمران، بل هو مجرد شيء خطر في قلبه، فهذا لا يهتم به ولا يلتفت إليه.

٢- **الحالة الثانية**: أن يكون كثير الشكوك، كلما توضأ شكَّ، إذا كان الآن يغسل قدميه شكَّ، هل مسح رأسه أم لا، هل مسح أذنيه أم لا، هل غسل يديه أم لا، وهو كثير الشكوك لا يَلتفت إلى الشك ولا يهتم به.

٣- **الحالة الثالثة**: أن يقع الشك بعد فراغه من الوضوء، فإذا فرغ من وضوئه شكَّ، هل غسل يديه أم لا؟ هل مسح رأسه أم لا؟ أو هل مسح أذنيه أم لا؟ فهذا أيضًا لا يلتفت إليه، إلا إذا تيقن أنه لم يغسل ذلك العضو المشكوك فيه، فيبني على يقينه.

فهذه ثلاث حالات لا يلتفت إليها في الشك.

الأولى: الوهم — **الثانية**: أن يكون كثير الشكوك

الثالثة: أن يكون الشك بعد الفراغ من العبادة، أي: بعد الفراغ من الوضوء

٤- أما الحالة الرابعة: فهو أن يكون الشك شكًّا حقيقيًّا، وليس كثير الشكوك، وحصل قبل أن يفرغ من العبادة، ففي هذه الحالة يجب عليه أن يبني على اليقين، وهو العدم، أي: إنه لم يغسل ذلك العضو الذي شكَّ فيه، فيرجع إليه فيغسله وما بعده.

مثال: لو شكَّ وهو يمسح رأسه، هل تمضمض واستنشق أم لا -وهو ليس كثير الشكوك، وهو شكٌّ حقيقيٌّ، وليس وهمًا- نقول له: الآن ارجع فتمضمض واستنشق، ثم اغسل يديك ثم امسح رأسك، وإنما أوجبنا عليه غسل اليدين مع أنه غسلهما من أجل الترتيب؛ لأن الترتيب بين أعضاء الوضوء واجب، كما ذكر الله ذلك مرتبًا، وقال النبي ﷺ، حين أقبل على الصفا: «أبدأ بما بدأ الله به»[1]، هذا هو حال الشك في الطهارة[2].

المسحُ على الخُفَّين

قال ابن عثيمين رحمه الله: المسح على الخفين مما تواترت به السنن عن النبي ﷺ كما قيل:

مما تواتر حديث من كذب ... ومن بني لله بيتًا واحتسب

ورؤية شفاعة والحوض ... ومسح خفين وهذي بعض

بل دل عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] على قراءة الجرِّ، وهي قراءة صحيحة (سبعية) ووجه ذلك أن قوله: ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ بالجر معطوف على قوله: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ والعامل في قوله: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ قوله: ﴿وَٱمْسَحُواْ﴾، وعلى هذا فيكون المعنى ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾ ومن المعلوم أن المسح مناقضٌ للغسل، فلا يمكن أن نقول: إن الآية دالة على وجوب الغسل الدال عليه قراءة النصب: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ ووجوب المسح في حالة واحدة، بل تنزَّل الآية على حالين، والسُّنَّة بيَّنت هاتين الحالتين، فبيَّنت أن الغسل يكون للرجلين إذا كانتا مكشوفتين، وأن

---

(١) الترمذي (٧٩٠) وصححه الألباني .. انظر صحيح الجامع (٦٧٤٥).
(٢) فقه العبادات (٩٩-١٠٠).

المسح يكن لهما إذا كانتا مستورتين بالجوارب والخفين، وهذا الاستدلال ظاهرٌ لمن تأمله.

على كل حال المسح على الخفين وعلى الجورب -وهو ما يُسمَّى بالشراب- ثابتٌ ثبوتًا لا مجال للشكِّ فيه، ولهذا قال الإمام أحمد: ليس في قلبي من المسح شيء- يعني: ليس عندي فيه شك بوجهٍ من الوجوه، ولكن لا بد من شروط لهذا المسح.

شروط المسح على الخفين

١- الشرط الأول: أن يلبسهما على طهارة، ودليله: حديث المغيرة بن شعبة ﷺ قال: نمت مع النبي ﷺ في سفر فتوضأ، فأهويت لأنزع خفيه، فقال: «**دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين، ومسح عليهما**»[1].

فإن لبسهما على غير طهارة وجب عليه أن يخلعهما عند الوضوء؛ ليغسل قدميه؛ لأن النبي ﷺ علَّل عدم خلعهما عند الوضوء ومسح عليهما، علَّله بأنه لبسهما على طهارة «**أدخلتهما طاهرتين**».

٢- الشرط الثاني: أن يكون ذلك في المدة المحددة شرعًا، وهي يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام بلياليها للمسافر، وتبتدئ هذه المدة من أول مسح بعد الحدث إلى آخر المدة، فكل مدة مضت قبل المسح فهي غير محسوبة على الإنسان، حتى لو بقي يومين أو ثلاثة أيام على الطهارة التي ليس فيها الخفين أو الجوارب؛ فإن هذه المدة لا تحتسب ،لا يحسب له إلا من ابتداء المسح أول مرة إلى أن تنتهي المدة، وهي يومٌ وليلةٌ للمقيم، وثلاثة أيام للمسافر، كما ذكرنا ذلك آنفًا.

مثال: رجل لبس الخفين أو الجوارب حين توضأ لصلاة الفجر من يوم الأحد، وبقي على طهارته إلى أن صلَّى العشاء ثم نام، ولما استيقظ لصلاة الفجر -يوم الإثنين- مسح على الخفين، فهنا بدأ احتساب المدة؛ لأن هذا أول مرة مسح بعد حدثه، وتنتهي بانتهاء المدة التي ذكرناها آنفًا.

(١) البخاري ومسلم (٤٠٨).

٣- الشرط الثالث: أن يكون ذلك في الحدث الأصغر لا في الجنابة؛ فإن كان في الجنابة فإنه لا مسح عليهما، بل يجب عليه أن يخلع الخفين ويغسل جميع بدنه؛ لحديث صفوان بن عسال. وثبت في صحيح مسلم من حديث علي ﷺ أن النبي ﷺ وقَّت المسح يومًا وليلة للمقيم وثلاثة أيام للمسافر[1].

فهذه الشروط الثلاثة لا بد منها لجواز المسح على الخفين، وهناك شروط أخرى اختلف فيها أهل العلم، ولكن القاعدة التي تُبنى عليها الأحكام: أن الأصل براءة الذمة من كل ما يقال من شرط أو موجب أو مانع، حتى يقوم عليه الدليل.

حكم المسح على الجوارب الشفافة

قال ابن عثيمين رحمه الله: القول الراجح أنه يجوز المسح على ذلك، أي على الجورب المخروق، والجورب الخفيف الذي ترى من ورائه البشرة؛ لأنه ليس المقصود من المسح على الجورب ونحوه أن يكون ساترًا، فإن الرِّجل ليست عورة يجب سترها، وإنما المقصود الرخصة على المكلف والتسهيل عليه، بحيث لا نلزمه بخلع هذا الجورب أو الخف عند الوضوء، بل نقول: يكفيك أن تمسح عليه[2].

---

(١) مسلم (٤١٤)

(٢) فقه العبادات (٩٥-٩٧).

الغسل

صفة الغسل

قال ابن عثيمين رحمه الله: صفة الغسل على وجهين:

١- صفة واجبة: وهي أن يعمَّ بدنه كله بالماء، ومن ذلك المضمضة والاستنشاق إذا عمَّم بدنه بالماء على أي وجه كان، فقد ارتفع عنه الحدث الأكبر.

٢- صفة كاملة: وهي أن يغتسل كما اغتسل النبي ﷺ فإذا اغتسل من الجنابة فإنه يغسل كفيه ثم يغسل فرجه وما تلوث من الجنابة، ثم يتوضأ وضوءًا كاملًا على صفة ما ذكرنا في الوضوء، ثم يغسل رأسه بالماء ثلاثًا تروِّيه، ثم يغسل بقية بدنه، هذه هي صفة الغسل.

موجبات الغسل

قال ابن عثيمين رحمه الله: أما موجبات الغسل فمنها:

أولًا: إنزال المني بشهوة، يقظةً أو منامًا

لكنه في المنام يجب عليه الغسل وإن لم يحس بالشهوة؛ لأن النائم قد يحتلم ولا يحسُّ بنفسه، فإذا خرج منه المني بشهوة وجب عليه الغسل بكل حال.

ثانيًا: الجماع

فإذا جامع الرجل زوجته وجب عليه الغسل، والجماع بأن يولج الحشفة في فرجها، فما زاد فعليه الغسل؛ لقول النبي ﷺ: «**إنما الماء من الماء**»[1].

يعني: أن الغسل يجب من الإنزال، وقوله عن الثاني: «**إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل وإن لم ينزل**»[2].

وهذه المسألة -أعني مسألة الجماع بدون إنزال- يخفى حكمها على كثير من الناس،

---

(١) البخاري (فتح ١/ ٢١) ومسلم (٥١٨).

(٢) البخاري (٢٨٢) ومسلم (٥٢٥).

حتى إن بعض الناس تمضي عليه الأسابيع أو الشهور وهو يجامع زوجته بدون إنزال ولا يغتسل جهلًا منه، وهذا أمر له خطورته، فالواجب على الإنسان أن يعلم حدود ما أنزل الله -عز وجل- على رسوله، فإن الإنسان إذا جامع زوجته ولم ينزل وجب عليه وعليها الغسل؛ للحديث الذي أشرنا إليه آنفًا.

ثالثًا: خروج دم الحيض والنفاس، فإن المرأة إذا حاضت ثم طهرت وجب عليها الغسل، لقول الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ولأمر النبيﷺ المستحاضة إذا جلست قدر حيضتها أن تغتسل[١]، والنساء مثلها يجب عليهن أن يغتسلن.

صفة الغسل من الحيض والنفاس

قال ابن عثيمين رحمه الله: وصفة الغسل من الحيض والنفاس كصفة الغسل من الجنابة إلا أن بعض أهل العلم استحب في غسل الحائض أن تغتسل بالسدر؛ لأن ذلك أبلغ في نظافتها وتطهيرها. وذكر بعض العلماء أيضًا أن من موجبات الغسل الموت، مستدلين بقول النبيﷺ للنساء اللاتي كن يغسلن ابنته: «**اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو سبعًا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك**»[٢].

وقولهﷺ في الرجل الذي وقصته راحلته بعرفة وهو محرم: «**اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين**»[٣].

فقالوا: إن الموت موجب للغسل، لكن الوجوب هنا يتعلق بالحي؛ لأن الميت انقطع تكليفه بالموت، ومعنى (يتعلق بالحي): أي أن الحي هو الذي يوجه إليه الأمر بغسل الميت، فعلى الأحياء أن يقوموا بما وجب عليهم من تغسيل موتاهم؛ لأمر النبيﷺ بذلك[٤].

---

(١) البخاري (٢٩٥)، ومسلم (٥٠١).

(٢) البخاري (١١٧٥)، ومسلم (١٥٥٧).

(٣) البخاري (١١٨٦)، ومسلم (٢٠٩٢).

(٤) فقه العبادات لابن عثيمين (٨٧-٨٩).

أنواع النجاسات وكيفية تطهيرها

قال ابن عثيمين -رحمه الله- عن أنواع النجاسات:

١- **النجاسة الحكمية**: هي النجاسات الواردة على محل طاهر، فهذه يجب علينا أن نغسلها، وأن ننظف المحل الطاهر منها، فيما إذا كان الأمر يقتضي الطهارة، وكيفية تطهيرها -أو تطهير ما أصابه النجاسة- تختلف بحسب الموضع، فإذا كانت النجاسة على الأرض؛ فإنه يكتفى بصب الماء عليها بعد إزالة عينها إن كانت ذات جرم؛ لأن النبي ﷺ قال للصحابة حين بال الرجل في طائفة المسجد؛ أي في جانب منه: «**أريقوا على بوله سجلًا من الماء**»[1]، فإذا كانت النجاسة على الأرض وإذا كانت ذات جرم أزلنا جرمها أولًا، ثم صببنا عليها الماء مرة واحدة ويكفي.

وإذا كانت النجاسة على غير الأرض، وهي نجاسة كلب؛ فإنه لا بد من تطهيرها من سبع غسلات إحداها بالتراب؛ لقول النبي ﷺ: «**إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعًا إحداهن بالتراب**»[2].

وإذا كانت النجاسة على غير الأرض، وليست نجاسة كلب، فإن الراجح أنها تطهر بزوالها على أي حال كان، سواء زالت بأول غسلة، أو بالغسلة الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو الخامسة، المهم: متى زالت عين النجاسة فإنها تطهر، لكن إذا كانت النجاسة بول غلام صغير لم يأكل الطعام؛ فإنه يكفي أن تغمر بالماء الذي يستوعب المحل النجس، وهو ما يعرف عند العلماء بالنضح، ولا يحتاج لغسل؛ وذلك لأن نجاسة بول الغلام الصغير -الذي لم يأكل الطعام- نجاسة مخففة[3].

---

(١) البخاري (٢١٣).

(٢) مسلم (٤١٨)

(٣) فقه العبادات (١٠١).

الحيض والنفاس

قال ابن عثيمين رحمه الله: إنه دم طبيعي وجبلة تعتاد الأنثى -إذا صلحت للحمل- أيامًا معلومة؛ أي كل شهر. وإن الله -عز وجل- خلقه لغذاء الولد في بطن الأم؛ ولهذا إذا حملت المرأة انقطع عنها الدم المحيض غالبًا، ثم إن هذا الحيض الطبيعي إذا أصاب المرأة تعلق به أحكام كثيرة.

أحكام الحيض والنفاس

١- منها: تحريم الصلاة، والصيام؛ لقول النبي ﷺ: «**أليست إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصُم**»[١].

فلا يحل للمرأة أن تصوم ولا أن تصلي وهي حائض، فإن فعلت فهي آثمة وصومها وصلاتها مردودان عليها.

٢- يحرم عليها الطواف بالبيت؛ لأن النبي ﷺ قال لعائشة حين حاضت: «**افعلي ما يفعل الحاج غير ألا تطوفي بالبيت**»[٢].

ولما ذكر أن صفية بنت حُيي قد حاضت قال: «**أحابستنا هي؟**» لأنه ظن أنها لم تطف طواف الإفاضة، فقالوا: إنها قد أفاضت، فقال: «**اخرجوا**»[٣]، ومن هذا الحديث نستفيد أن المرأة إذا طافت طواف الإفاضة -وهو طواف الحج- ثم آتاها الحيض بعد ذلك فإن نسكها تم؛ لأن السعي يصح من المرأة الحائض، ونستفيد أيضًا من هذا الحديث أن طواف الإفاضة يسقط عن المرأة الحائض، كما جاء ذلك صريحًا في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أُمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خُفِّف عن الحائض[٤].

٣- يحرم على الحائض الجماع، فلا يحل للرجل أن يجامع زوجته وهي حائض؛ لقوله

---

(١) البخاري (٢٩٣).

(٢) البخاري (٢٩٤)، ومسلم (٢١١٥).

(٣) البخاري (١٦١٨)، ومسلم (٢٣٥٥).

(٤) البخاري (١٦٣٦)، ومسلم (٢٣٥١).

تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والآية الكريمة تفيد أنه يحرم على الإنسان أن يطأ زوجته وهي حائض، وأنها إذا طهرت لا يطأها –أيضًا- حتى تغتسل، لقول الله عز وجل:﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾، يعني: اغتسلن؛ لأن الإطهار بمعنى الاغتسال؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ﴾ [المائدة: ٦].

ولكن يجوز للإنسان أن يباشر زوجته وهي حائض، وأن يستمتع منها دون الفرج وهذا يخفف من حدة الشهوة بالنسبة للإنسان الذي لا يستطيع الصبر عن أهله مدة أيام الحيض، فإنه يتمكن من الاستمتاع بها فيما عدا الوطء في الفرج، أما الوطء في الدبر فهو حرام بكل حال، سواء كانت امرأته حائضًا أم غير حائض.

٤- ومن الأحكام التي تترتب على الحيض: أن المرأة إذا طهرت في وقت الصلاة فإنه يجب عليها أن تبادر بالاغتسال؛ لتصلي الصلاة قبل خروج وقتها، فإن طهرت –مثلًا بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس- وجب عليها أن تغتسل، حتى تصلي صلاة الفجر في وقتها، وبعض النساء يتهاونَّ في الأمر، فتجدها تطهر في الوقت ولكن تسوِّف، ولا سيما في أيام الشتاء، تسوِّف وتتهاون حتى يخرج الوقت، وهذا حرام عليها، ولا يحل لها، بل الواجب أن تغتسل لتصلي الصلاة في وقتها.

٥- ومما يتعلق بأحكام الحيض والنفاس: أنه لا يجوز للرجل أن يطلق المرأة وهي حائض، فإن فعل فهو آثم، وعليه أن يردها إلى عصمته، حتى يطلقها وهي طاهر طهرًا لم يجامعها فيه؛ لأنه ثبت في الصحيح من حديث ابن عمر –رضي الله عنهما- أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر عمر ذلك لرسول الله ﷺ، فتغيظ منه رسول الله ﷺ، وقال: «مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرًا أو حاملًا»[1].

وكثير من الناس –نسأل الله لنا ولهم التوفيق والهداية- يتسرعون في هذا الأمر فيطلق

---

(١) مسلم (٢٦٨٠).

زوجته، وهي حائض أو يطلقها في طهر جامعها فيه قبل أن يتبين حملها، وكل هذا حرام، يجب على المرء أن يتوب منه، وأن يعيد امرأته التي طلقها على هذه الحالة.

٦- ومما يتعلق بأحكام الحيض والنفاس أن المرأة النفساء إذا طهرت قبل أربعين يومًا، فإنه يجب عليها أن تغتسل وتصلي وتصوم، إذا كان ذلك في رمضان؛ لأنها لو طهرت -ولو في أثناء الأربعين- صار لها حكم الطاهرات، حتى بالنسبة للجماع، فإنه يجوز لزوجها أن يجامعها وإن لم تتم الأربعين؛ لأنه إذا جازت لها الصلاة جاز الوطء من باب أولى.

٧- ومما يتعلق بأحكام الحيض والنفاس -كما أشرنا سابقًا- وجوب الغسل على الحائض والنفساء إذا طهرتا من الحيض والنفاس، وأحكام الحيض والنفاس كثيرة جدًّا، ونقتصر على هذا القدر، ولعلَّ فيه كفاية إن شاء الله تعالى.

إذا لم ينزل دم النفاس

سُئل الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- عن المرأة إذا طهُرت من النفاس، أو إذا لم ينزل منها الدم، فهل تعتبر نفساء؟

فأجاب الشيخ -رحمه الله- قائلًا: إذا لم ينزل منها دم في حال النفاس؛ فإنها ليست نفساء، ولا يلزمها شيء ولا يلزمها غسل ولا يحرم عليها صلاة ولا صيام.

حكم أخذ حبوب منع الحيض في الحج

سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هل يجوز للمرأة أن تأخذ ما يمنع عنها الحيض أثناء حجها؛ حتى تتمكن من أداء الحج، كالحبوب المانعة للحمل أو أي نوع من الأنواع؟

فأجاب -رحمه الله- قائلًا: الأصل في هذا الجواز، وأنه يجوز للمرأة أن تأخذ ما يمنع الحيض إذا كان ذلك بإذن زوجها، ولكن بلغني عن بعض الأطباء أن هذه الحبوب المانعة من نزول الحيض ضارَّة على المرأة وضارة للرحم والأعصاب وغير ذلك، حتى قال لي بعضهم: إنه إذا استعملته المرأة البكر فإنه يكون موجبًا للعقم، فتكون هذه المرأة عقيمة، وهذا خطر عظيم، وما قاله بعض الأطباء ليس ببعيد؛ لأن الدم -أعني دم الحيض- دم طبيعي، فإذا حاول الإنسان أن يمنعه بهذه العقاقير فقد حاول مخالفة الطبيعة، ولا شكَّ أن

مخالفة الطبيعة مُضرٌّ للبدن؛ لأنه يقتضي أن ينحبس هذا الدم عن خروجه الذي كان من طبيعة المرأة؛ لهذا أنا أنصح جميع نسائنا في هذه المسألة بأن يدعن هذه الحبوب في رمضان وفي غير رمضان، لكن في مسألة الحج والعمرة ربما تدعوا الحاجة أو الضرورة إلى استعمال هذه الحبوب، وهو استعمال مؤقت، وربما لا تعود المرأة إليه مدى عمرها، فمثل هذا أرجو ألا يكون فيه بأس ولا ضرر.

إذا ثبت ضررها فما حكمها؟

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إذا ثبت ضررها فمعلوم أن كل ما تحقق ضرره فإنه لا يجوز للإنسان أن يتناوله؛ لأن الله -عز وجل- يقول: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩]. وقد استدل عمرو بن العاص ﷺ بهذه الآية حين قال له النبي ﷺ: «أصليت بأصحابك وأنت جنب؟» قال: يا رسول الله، ذكرت قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩] فتبسَّم أو ضحك[١]، وأقره على هذا، وهذا يدل على أن كل ما يكون فيه ضرر على بدن الإنسان فإنه لا يجوز أن يتناوله[٢].

---

(١) أبو داود (٢٨٣) وصححه الألباني.

(٢) فقه العبادات (١٠٣-١٠٦).

حكم الصلاة وأهميتها

قال ابن عثيمين رحمه الله: الصلاة أحد أركان الإسلام، بل هي الركن الثاني بعد الشهادتين، وهي أكبر أعمال الجوارح، وهي عمود الإسلام، كما ثبت ذلك عن النبيﷺ أنه قال: «**وعموده الصلاة**»(١).

وقد فرضها الله -عز وجل- على نبيه محمدﷺ في أعلى مكان وصل إليه البشر، وفي أشرف ليلة لرسول اللهﷺ، وبدون واسطة أحد، وفرضها الله -عز وجل- على رسول الله محمدﷺ خمسين مرة في اليوم والليلة؛ ولكن الله -عز وجل- خفَّف على عباده حتى صارت خمسًا بالفعل وخمسين في الميزان، وهذا يدل على أهميتها ومحبة الله لها؛ ولهذا دل على فرضيتها الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين.

دليلُ الكتاب

قال الله عز وجل: ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[النساء: ١٠٣].

معنى كتابًا: أي مكتوبًا، أي مفروضًا.

دليل السُّنَّة

قال النبيﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ حين بعثه إلى اليمن: «**أعلِمْهُم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة**»(٢).

دليل الإجماع

أجمع المسلمون على فرضيتها؛ ولهذا قال العلماء رحمهم الله: إن الإنسان إذا جحد فرض الصلوات الخمس أو فرض واحدة منها فهو كافر مرتد عن الإسلام يباح دمه وماله، إلا أن يتوب الله -عز وجل- ما لم يكن حديث عهد بالإسلام ولا يعرف من شعائر الإسلام شيئًا؛ فإن يُعَذَّر بجهله في هذه الحالة ثم يُعَرَّف، فإن أصرَّ بعد علمه

---

(١) الترمذي (٢٢١٦) وصححه الألباني في الإرواء (٤١٣).

(٢) فقه العبادات لابن عثيمين (١٠٩).

بوجوبها على إنكار فرضيتها فهو كافر، إذن فالصلوات من أفرض الفرائض في دين الإسلام.

على من تجب الصلاة

قال ابن عثيمين رحمه الله: تجب الصلاة على كل مسلم، بالغ، عاقل، من ذكر أو أنثى.

فالمسلم: ضده الكافر، فإن الكافر لا تجب عليه الصلاة، بمعنى أنه لا يلزم بأدائها حال كفره، ولا بقضائها إذا أسلم، لكن يعاقب عليها يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [المدثر: ٣٩-٤٦]. فقولهم: ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ يدل على أنهم عوقبوا على ترك الصلاة.

وأما البالغ: الذي حصل له واحدة من علامات البلوغ، وهي ثلاثة بالنسبة للرجل وأربعة بالنسبة للمرأة:

أحدها: تمام خمس عشرة سنة. الثانية: إنزال المني بلذة يقظة كان أم منامًا.

الثالثة: إنبات العانة، وهي الشعر الخشن حول القُبُل.

هذه الثلاث علامات تكون للرجال والنساء. وتزيد المرأة علامة رابعة: وهي الحيض، فإن الحيض من علامات البلوغ.

وأما العاقل: فضده المجنون الذي لا عقل له، ومنه الرجل الكبير يُعرف عندنا بالمهذري، فإنه لا تجب عليه الصلاة حينئذٍ؛ لعدم وجود العقل في حقه، وأما الحيض والنفاس فهو مانع من وجوب الصلاة، فإن وجد الحيض أو النفاس فإن الصلاة لا تجب.

حكم تارك الصلاة

قال ابن عثيمين رحمه الله: حكم تارك الصلاة، إن تارك الصلاة كافرٌ كفرًا مخرجًا عن الملة، وذلك بدلالة الكتاب والسُّنَّة وأقوال الصحابة والنظر الصحيح.

دليل الكتاب

في قوله تعالى عن المشركين: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ١١].

وجه الدلالة من الآية الكريمة أن الله اشترط لثبوت الأخوة بين هؤلاء المشركين وبين المؤمنين ثلاثة شروط: التوبة من الشرك، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

فإذا تخلَّف أحد هذه الثلاثة لم يكونوا إخوة لنا في الدين، ولا تنتفي الأخوة في الدين إلا بالكفر المخرج عن الملة، فإن المعاصي مهما عظُمت -إذا لم تصل إلى حد الكفر- لا تخرج عن الأخوة في الدين، ألا ترى إلى قوله تعالى في آية القصاص فيمن قتل أخاه عمدًا، قال عز وجل: ﴿ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٨] فجعل الله تعالى القاتل أخًا للمقتول مع أن قتل المؤمن عمدًا من أعظم الكبائر، ثم ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ٩-١٠]. فجعل الله الطائفة الثالثة المصلحة إخوة للطائفتين المقتتلتين، مع أن قتال المؤمن من أعظم الذنوب، وهذا يدل على أن الأخوة في الدين لا تنتفي بالمعاصي أبدًا، إلا ما كان كفرًا.

شرح الآية المذكورة

أنهم إن بقوا على الشرك فكفرُهم ظاهرٌ، وإن آمنوا ولم يصلُّوا، فكفرُهم ظاهرٌ معلوم من الجملة الشرطية: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [التوبة: ٥]. وإن تابوا من الشرك وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فكفرهم ظاهر أيضًا، إلا أن مسألة الزكاة فيها خلاف بين أهل العلم، هل يكفر الإنسان إذا تركها أو لا يكفر، وفيه عن أحمد روايتان، لكن الذي تدل عليه السُّنَّة أن تارك الزكاة لا يكفر؛ ويدل على ذلك حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:

«ما من صاحب ذهب ولا فضة يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نارٍ، وأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، ثم يرى سبيله إما إلى جنة وإما إلى نار»[1] فإن هذا الحديث يدل على أنه لا يكفر بمنع الزكاة، إذ لو كفر لم يكن له سبيل إلى الجنة، وعلى هذا فتكون الزكاة خارجة من هذا الحكم بمقتضى دلالة السُّنَّة.

دليل السُّنَّة

الدليل من السُّنَّة على كفر تارك الصلاة: قوله فيما رواه مسلم من حديث جابر ﷺ: **«بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»**[2]. وجه الدلالة من الحديث أنه جعل هناك فاصلًا بين الإيمان والكفر وهو الصلاة، وهو واضح في أنه لا إيمان لمن لم يصلِّ؛ لأن هذا هو مقتضى الحد، إذ أن الحد يفصل بين المحدودين، في قوله: **«بين الرجل وبين الشرك والكفر»** ولم يقل بين الرجل وبين الكفر منكَّرًا، والكفر إذا دخلت عليه (أل) كان المراد به الكفر الحقيقي، بخلاف ما إذا كان منكَّرًا، كما في قوله: **«اثنان من الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت»**[3]. فإن هذا لا يقتضي الخروج من الإسلام؛ لأنه قال: **«هما بهما كفر»** يعني هاتين الخصلتين.

أقوال الصحابة

أما أقوال الصحابة ﷺ فقد قال عبد الله بن شقيق رحمه الله: كان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة[4]. وقد نقل إجماعهم إسحاق بن راهويه - رحمه الله - على أن ترك الصلاة كفر.

وأما في المعنى

فنقول: كل إنسان عرف الصلاة وقدر عناية الشريعة بها، ثم يدعها بدون عذر وليس له حجة أمام الله -عز وجل- فإن ذلك دليلٌ واضح على أنه ليس في قلبه من الإيمان شيء،

(١) مسلم (١٦٤٧).

(٢) مسلم.

(٣) مسلم (١٠٠).

(٤) الترمذي (٢٦٢٦) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٢٢٧).

إذ لو كان في قلبه من الإيمان شيء ما ترك هذه الصلاة العظيمة، التي دلَّت النصوص على العناية بها وأهميتها، والأشياء تعرف بآثارها، فلو كان في قلبه أدنى مثقال من الإيمان لم يحافظ على ترك هذه الصلاة مع أهميتها وعظمها. وبهذا تكون الأدلة السمعية والنظرية دالَّة على أن تارك الصلاة كافرٌ كفرًا مخرجًا من الملة، وتكون مقتضية للحذر من هذا العمل الشنيع، الذي تهاون به اليوم الكثير من الناس.

الأحكام المترتبة على ترك الصلاة

قال ابن عثيمين رحمه الله: يترتب على ترك الصلاة المؤدي إلى الكفر ما يترتب على أي مرتد آخر، بسبب يقتضي الردة، والذي يترتب على ذلك من أحكام دنيوية، وأحكام أخروية.

أ- من الأحكام الدنيوية

١- أنه لا يحل أن يزوَّج؛ لأن الكافر لا يحل له أن يتزوج بالمسلمة؛ لقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢١]. ومن عقد لشخص على ابنته المسلمة، وهذا الشخص لا يصلي، فإن النكاح باطل ولا تحل به المرأة لهذا الرجل، ولا يستبيح منها ما يستبيح الرجل من امرأته؛ لأنها محرمة عليه، فإن هداه الله ومنَّ عليه بالتوبة فلابد من إعادة العقد.

٢- سقوط ولايته، فلا يكون وليًا على بناته وعلى قريباته، فلا يزوج أحدًا منهن؛ لأنه لا ولاية لكافر على مسلم.

٣- سقوط حقه من الحضانة، فلا يكون له حق في حضانة أولاده؛ لأنه لا حضانة لكافر على مسلم، ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١]

٤- تحريم ما ذكَّاه من الحيوان، فذبيحته التي يذبحها حرام؛ لأن من شروط الذبيحة أن يكون الذابح مسلمًا، أو كتابيًا وهو اليهودي والنصراني، والمرتد ليس من هؤلاء، فذبيحته حرام.

٥- أنه لا يحل له دخول مكة وحرَمِها؛ لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ﴾ [التوبة: ٢٨]. وعليه فلا يحل لأحد أن يمكِّن مَنْ لا يصلي من دخول مكة وحرمها؛ لهذه الآية التي ذكرناها.

٦- ولا يدفن في مقابر المسلمين؛ لأنه ليس منهم، إنما يُخرج به إلى مكان منفرد فيدفن، لئلا يتأذى الناس برائحته، أو يتأذى أهله بمشاهدته، ولا يحل لأحد أن يدعو بالرحمة لمن مات من أقاربه وهو يعلم أنه لا يصلي؛ لقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]. ولا يقولن قائل: إن الله -عز وجل- قال: ﴿ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ وتارك الصلاة ليس بمشرك؛ لأننا نقول: إن ظاهر حديث جابر ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» أي أن ترك الصلاة نوع من الشرك، ثم نقول: إن الله تعالى علل ذلك بقوله: ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾، تارك الصلاة- قد تبين بمقتضى الأدلة، من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة ﷺ والمعنى الصحيح- قد بُين لنا أنه من أصحاب الجحيم، فالعلة هي هي، والحكم إذا ثبت بعلة شمل كل ما تؤثر فيه هذه العلة.

ب- من الأحكام الأخروية

١- أنه إذا كان يوم القيامة حشر مع فرعون وهامان وقارون وأُبي بن خلف، أئمة الكفر، والمحشور مع هؤلاء مآله مآلهم وهو النار، والعياذ بالله.

٢- قد يقول قائل: إن قولكم بأنه كافرٌ كفرًا مخرجا عن الملة، معارض بقول من قال من أهل العلم: إنه كفر دون كفر، وإنه لا يخرج به من الإسلام، ويَحمِل الأحاديث الواردة في ذلك على من تركها جحودًا لا من تركها تهاونًا.

والجواب على ذلك أن نقول: إن المسألة لاشكَّ أنها مسألة خلافية، ولكن الله -عز وجل- يقول: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠]، ويقول عز وجل: ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩]، وإذا رددنا هذه المسألة إلى الله ورسوله تبين لنا.

قال ابن عثيمين رحمه الله: الحكم مرتَّبٌ على الترك لا على الجحود، وقد ذكرنا ذلك في

سؤال سابق، ثم إننا نقول: هل أحد من الناس يزعم أنه أعلم من النبي ﷺ في أحكام الله عز وجل؟ وهل أحد يدَّعي أنه أنصح من رسول الله للخلق؟ وهل أحد يزعم أنه أفصح من الرسول ﷺ فيما ينطق به؟ وهل أحد يزعم أنه أعلم من النبي ﷺ فيما يريده؟ كل هذه الأوصاف أو كل هذه الأمور الأربعة لا يمكن لأحد أن يدَّعيها، فإن كان نبينا محمد ﷺ وهو أعلم الخلق بشريعة الله وأنصح الخلق فيما ينطق به وأعلم الخلق بما يقول- ويقول: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**» فأي بيان أوضح من هذا في أن الحكم معلَّق بالترك، ثم نقول لمن زعم بأن المراد بتركها جحودها: إنك حرَّفت النص من وجهين:

الأول: أنك ألغيت الوصف الذي ترتب عليه الحكم وهو الترك.

الثاني: أنك جعلت وصفًا يتعلق به الحكم، لا يدل عليه اللفظ وهو الجحد، فأين الجحد في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**فمن تركها فقد كفر**».

ثم إننا نقول: إذا جحد الإنسان فرض الصلاة، فهو كافر وإن صلى، فهل تقول: أنت أنه إذا جحدها وصلى لم يكن كافرًا؟ سيقول: لا، إذا جحدها (أي جحد وجوبها) فهو كافرٌ وإن صلى، فتقول: إذا خالفت الحديث، والحديث يقول: «**فمن تركها...**»، وأنت قلت: إن الحديث المراد به من تركها جاحدًا بها، والكفر مرتب على زعمك على من تركها جاحدًا لا من جحدها بدون ترك، وأنت لا تقول بهذا، فعلى قولك أن من جحدها بدون ترك يكون مسلمًا، فتبين بهذا واتضح أن القول الصواب: أن من تركها متهاونًا متكاسلًا فهو كافر، أما من جحدها فهو كافر سواء صلى أم لم يصلِّ[1].

شروط الصلاة

قال ابن باز رحمه الله: شروط الصلاة تسعة:

١- الإسلام ٢- العقل ٣- التمييز

٤- رفع الحدث ٥- إزالة النجاسة ٦- ستر العورة

٧- دخول الوقت ٨- استقبال القبلة ٩- النية[2].

---

(١) فقه العبادات لابن عثيمين (١١٥-١١٧).

(٢) الدروس المهمة لابن باز (١١-١٢).

قال ابن عثيمين رحمه الله: شروط الصلاة: ما يتوقف عليه صحة الصلاة؛ لأن الشرط في اللغة: العلامة، كما قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ ﴾ [محمد: ١٨]. أي علاماتها.

والشرط في الشرع، في اصطلاح أهل الأصول: ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده الوجود. وشروط الصلاة عدة، أهمها:

١ - الوقت

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣]. ولهذا يسقط كثير من الواجبات مراعاة للوقت، وينبغي بل يجب على الإنسان أن يحافظ على أن تكون الصلاة في وقتها.

أوقات الصلاة

وقت الظهر: من زوال الشمس إلى أن يصير ظلُّ الشيء كطوله.

وقت العصر: من هذا الوقت إلى اصفرار الشمس، الوقت الاختياري وإلى غروب الشمس، الوقت الاضطراري.

وقت المغرب: من غروب الشمس إلى مغرب الشفق، وهو الحمرة التي تكون في الأفق بعد غروب الشمس.

وقت العشاء: من هذا الوقت إلى منتصف الليل، أما من نصف الليل إلى طلوع الفجر فليس وقتًا لصلاة فريضة.

وقت الفجر: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

هذه الأوقات التي فرضها الله على عباده لا يجوز للإنسان أن يقدِّم الصلاة عن وقتها، ولا يجوز له أن يؤخرها عن وقتها، فإن قدَّمها عن وقتها -ولو بقدر تكبيرة الإحرام- لم تصح؛ لأنه يجب أن تكون الصلاة في وقتها نفسه؛ لأن الوقت ظرف، فلا بد أن يكون المظروف داخله.

ومن أخَّر الصلاة عن وقتها -فإن كان لعذر من نوم أو نسيان أو نحوه- فإنه يصليها

إذا زال ذلك العذر؛ لقول النبي ﷺ: «**من نام عن صلاة أو نسيها فليصلِّها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك...**»[١]. وإن لم يكن له عذر فإن الصلاة لا تصح، ولو صلى ألف مرة، فإن ترك الإنسان الصلاة فلم يُصلِّها في وقتها فإنها لا تنفعه ولا تبرأ بها ذمته، إذا كان تركها لغير عذر، ولو صلاها آلاف المرات؛ دليل ذلك قوله ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٢].

ومن ترك الصلاة حتى خرج وقتها لغير عذر فقد صلاها على غير أمر الله ورسوله، فتكون مردودة عليه.

لكن من رحمة الله سبحانه وتعالى أن وسَّع لهم فيها إذا كان لهم عذر، يشق عليهم أن يصلوا الصلاة في وقتها، رخص لهم في الجمع بين الظهر والعصر أو بين المغرب والعشاء، فإذا شق على الإنسان أن يصلي كل صلاة في وقتها من الصلاتين المجموعتين، فإنه يجوز أن يجمع بينهما، إما جمع تقديم أو جمع تأخير، على حسب ما تيسر له؛ لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وثبت في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ جمع في المدينة بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء دون خوف ولا مطر، فسئل ابن عباس عن ذلك، يعني لما صنع الرسول ﷺ هذا؟ قال: أراد أن لا يحرِج أمته.

ففي هذا دليل على أن الإنسان إذا لحقته مشقة في ترك الجمع بين الظهر والعصر أو بين المغرب والعشاء، فإنه يجوز له أن يجمع بينهما، والوقت أهم الشروط؛ ولهذا كان الوقت شرطًا وسببًا.

من الشروط أيضًا ستر العورة

لقول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٣١].

---

(١) مسلم (١/ ٣١٥).

(٢) مسلم (١٧١٨).

وقال النبي ﷺ لجابر بن عبد الله في الثوب، قال: «**إن كان ضيقًا فأتزر به، وإن كان واسعًا فالتحف به**»[(١)] وقال ﷺ فيما رواه أبو هريرة ﷺ: «**لا يصلي أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء**»[(٢)].

وهذا يدل على أنه يجب على الإنسان أن يكون مستترًا في حال الصلاة، وقد نقل ابن عبد البر -رحمه الله- إجماع العلماء، وأن من صلى عريانًا مع قدرته على السترة فإن صلاته لا تصح.

أقسام العورة

قسَّم العلماء -رحمهم الله- العورة إلى ثلاثة أقسام: مخفَّفة، ومغلَّظة، ومتوسِّطة.

فالمغلَّظة: عورة المرأة الحرة البالغة، قالوا: إن جميع بدنها عورة في الصلاة إلا وجهها، واختلفوا في الكفين والقدمين.

والمخفَّفة: عورة الذكر من سبع سنين إلى عشر سنين، فإن عورته الفرجان: القُبُل، والدبر، فلا يجب أن يستر فخذه لأنه صغير.

والمتوسِّطة: ما عدا ذلك: قالوا: فالواجب فيها ستر ما بين السرة والركبة.

فيدخل في ذلك الرجل البالغ عشرًا فيما فوق، ويدخل في ذلك المرأة التي لم تبلغ، ويدخل في ذلك الأمة المملوكة، ومع هذا فإننا نقول: المشروع في حق كل إنسان أن يأخذ زينته عند كل صلاة، وأن يلبس اللباس الكامل، ولو فرض أنه كان هناك خرق في ثوبه على ما يكون داخلًا ضمن العورة، فإنه حينئذٍ يناقش فيه: هل تصح صلاته أو لا تصح؟

ثم إن المرأة إذا كان حولها رجال غير محارم، فإنه يجب عليها أن تستر وجهها ولو في الصلاة؛ لأن المرأة لا يجوز لها كشف وجهها عند غير محارمها[(٣)].

---

(١) البخاري (٤٣٨) ومسلم (نووي:٨٠١)

(٢) مسلم (٨٠١).

(٣) فقه العبادات (١١٧-١٢١).

ومن شروط الصلاة الطهارة

وهي نوعان: طهارة من الحدث، طهارة من الخبث

أولًا: الطهارة من الحدث: والحدث نوعان:

١- حدث أكبر، وهو ما يوجب الغسل ٢- وحدث أصغر، وهو ما يوجب الوضوء

وقد سبق لنا ذكر الغسل والوضوء وأسبابهما، وهي نواقض الوضوء وموجبات الغسل، فلا حاجة إلى إعادة ذلك مرة أخرى.

لكن الذي يهمنا هنا أن نبين أن الطهارة من الحدث شرط وهو من باب الأوامر التي يطلب فعلها، لا التي تحتاج اجتنابها، والقاعدة المعروفة عند أهل العلم أن ترك المأمور لا يعذر فيه بالنسيان والجهل.

وبناء على ذلك، فلو أن أحدًا من الناس صلى بغير وضوء ناسيًا، فإنه يجب عليه أن يعيد صلاته بعد أن يتوضأ؛ لأنه أخلَّ بشرط إيجابي مأمور بفعله، وصلاته بغير وضوء ناسيًا ليس فيها إثم؛ لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

لكنها صلاة غير صحيحة، فلا تبرأ بها الذمة، فيكون مطالبًا بها، ولا فرق في هذا بين أن يكون الإنسان منفردًا، أو مأمومًا، أو إمامًا وذكر في أثناء الصلاة فإنه ينصرف، ويأمر من خلفه أن يتم الصلاة، فيقول لأحدهم: تقدَّم أتِم الصلاةَ بهم، فإن لم يفعل أي: يعين من يتم الصلاة بهم قدَّموا واحدًا منهم فأتم، فإن لم يفعلوا أتم كل واحد على نفسه، ولا يلزمهم أن يستأنفوا الصلاة من جديد.

ومن شروط الصلاة استقبال القبلة

لقول الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

فاستقبال القِبلة شرط لصحة الصلاة: فمن صلى إلى غير قبلة فصلاته باطلة غير صحيحة، لا مبرئة لذمته إلا في أحوال أربع:

الحالة الأولى: إذا كان عاجزًا عن استقبال القبلة مثل: أن يكون مريضًا، ووجهه إلى

غير القبلة ولا يتمكن من الانصراف إلى القبلة فإن صلاته تصح على أي جهة كانت؛ لقول الله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]. وهذا الرجل لا يستطيع أن يتحول إلى القبلة لا بنفسه ولا بغيره.

الحالة الثانية: إذا كان خائفًا أو كان هاربًا واتجاهه إلى غير القبلة، ففي هذه الحالة يسقط عنه استقبال القبلة؛ لقول الله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [البقرة: ٢٣٩]. ومعلوم أن الخائف قد يكون اتجاهه إلى القبلة وقد يكون إلى غير القبلة، فإذا رخَّص الله له في الصلاة رجالًا أو ركبانًا، فمقتضى ذلك أن يرخص له في الاتجاه إلى غير القبلة، إذا كان يخاف على نفسه إذا اتجه إلى القبلة.

الحالة الثالثة: إذا كان في سفر وأراد أن يصلي النافلة فإنه يصلي حيث كان اتجاه سيره، ثبت ذلك عن النبي ﷺ أنه كان يصلي في السفر حيث كان وجهه، إلا أنه لا يصلي المكتوبة. ففي النافلة يصلي المسافر حيث كان وجهه، بخلاف الفريضة، فإن الفريضة يجب عليه أن يستقبل القبلة فيها في السفر.

الحالة الرابعة: إذا كان قد اشتبهت عليه القبلة فلا يدري أي اتجاه تكون القبلة، ففي هذه الحالة يتحرى بقدر ما يستطيع ويتجه حيث غلب على ظنه أن تلك الجهة هي القبلة، ولا إعادة عليه لو تبيَّن له فيما بعد أنه صلى إلى غير القبلة.

ومن شروط الصلاة أيضًا النية

والنية محلها القلب، واشتراط النية إنما يذكر من أجل التعيين أو التخصيص، أما من حيث الإطلاق فإنه لا يمكن لأحد عاقل أن يختار أن يقوم فيتوضأ ثم يذهب ويصلي، لا يمكن أن يفعل ذلك إلا وقد نوى الصلاة، لكن الكلام على التعيين، فالتعيين لابد منه في النية، فينوي الظهر ظهرًا، والعصر عصرًا، والمغرب مغربًا، والعشاء عشاءً، والفجر فجرًا، ولا بد من ذلك، ولا تكفي نية الصلاة المطلقة؛ لأن نية الصلاة المطلقة أعم من نية الصلاة المعيَّنة، والأعم لا يقضي على الأخص، فمن نوى الأعم لم يكن ناويًا على الأخص، ومن نوى الأخص لم يكن ناويًا للأعم لدخوله فيه[1].

---

(١) فقه العبادات (١٢٥-١٢٨).

حكم صلاة الإمام بغير وضوء ناسياً

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

حكم ذلك أن الإمام يجب عليه إعادة الصلاة، وأما المأمومون فلا تجب عليهم إعادة الصلاة، وهم في الأجر قد نالوا أجر الجماعة؛ لأنهم صلوا جماعة فيكتب لهم الأجر، ولا يخفى أيضًا أننا إذا قلنا: إنه صلى بغير وضوء أو بغير غسل من الجنابة، أنه إذا كان معذورًا لا يتمكن من استعمال الماء، فإنه يتيمم بدلًا عنه.

فالتيمم عند تعذر استعمال الماء يقوم مقام الماء، فإن قدِّر أن هذا الرجل لم يجد الماء، وتيمم وصلى، فصلاته صحيحة ولو بقي أشهرًا ليس عنده ماء أو لو بقي أشهرًا مريضًا لا يستطيع أن يستعمل الماء فإن صلاته بالتيمم صحيحة، فالتيمم يقوم مقام الماء عند تعذر استعماله، فإنه إذا تطهر بالتيمم فإنه لا يلزمه إعادة التيمم للصلاة الثانية؛ لأن التيمم مطهر، كما قال تعالى في آية المائدة: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٦].

وقال النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»[١].

حكم ائتمام المتوضئ بالمتيمم

سئل ابن عثيمين رحمه الله: هل يجوز أن يؤم متيمم متوضئًا؟

فأجابه رحمه الله قائلًا: نعم يجوز أن يكون المتيمم إمامًا للمتوضئ؛ لأن كلًّا منهما قد صلى بطهارة مأذون فيها[٢].

---

(١) البخاري (٣٢٣).

(٢) فقه العبادات (١٢٢-١٢٣).

أركان الصلاة

قال ابن عثيمين -رحمه الله- عن أركان الصلاة:

١- القيام مع القدرة: وهذا ركن في الفرض خاصة؛ لقوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وقول النبي ﷺ لعمران بن حصين: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطيع فعلى جنب**»[١].

٢- تكبيرة الإحرام: لقول النبي ﷺ للمسيء صلاته: «**إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبِّر**»[٢] ولا بد أن يقول: (الله أكبر) ولا يجزئ أن يقول: (الله أجل)، أو (الله أعظم) وما أشبه ذلك، وينبغي أن نعلم أنه لا يصح أن يقول: (آلله أكبر) بمد الهمزة؛ لأنها تنقلب حينئذٍ إلى استفهام كأنه يقول: هل الله أكبر أم لا؟ ولا يقول: (الله أكبار) بمد الباء؛ لأنها حينئذٍ تكون جمعًا للكبر، والكبر هو الطبل، فأكبار كأسباب، جمع سبب، وأكبار جمع كبير، هكذا قال العلماء، فلا يجوز أن يمد الإنسان الباء.

٣- قراءة الفاتحة: لقول النبي ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[٣]، ولكن إذا كان لا يعرفها فإنه يلزمه أن يتعلمها، فإن لم يتمكن من تعلمها، قرأ ما يقوم مقامها من القرآن إن كان يعلمه، وإلا سبح وحمد وهلل.

٤- الركوع: لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ ﴾ [الحج: ٧٧].

ولقول النبي ﷺ للرجل الذي أساء في صلاته، ولم يصلها على وجه التمام: «**ثم اركع حتى تطمئن راكعًا**»[٤].

٥- الرفع من الركوع: لقول النبي ﷺ للمسيء في صلاته: «**ثم ارفع حتى تطمئن قائمًا**»[٥].

---

(١) مسلم.

(٢) البخاري (٥٧٨٢) ومسلم (٦٠٢).

(٣) البخاري (٧١٤)، ومسلم (٥٩٥).

(٤) البخاري (٥٧٨٢)، ومسلم (٦٠٢).

(٥) البخاري (٥٧٨٢)، ومسلم (٦٠٢).

٦- السجود: لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ ﴾ [الحج: ٧٧].

٧- الجلوس بين السجدتين: لقول الرسول ﷺ للمسيء صلاته: «ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا»[١].

٨- السجود الثاني: لأنه لا بد في كل ركعة من سجودين، لقول النبي ﷺ للمسيء صلاته: «ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا».

٩- التشهد الأخير: لقول ابن مسعود ﷺ: كنا نقوم قبل أن يفرض علينا التشهد، فدل هذا على أن التشهد فرض.

١٠- الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير: هذا هو المشهور في مذهب الإمام أحمد رحمه الله.

١١- الترتيب بين الأركان: القيام ثم الركوع ثم السجود، فلو بدأ بالسجود قبل الركوع لم تصح صلاته؛ لأنه أخل بالترتيب.

١٢- الطمأنينة في الأركان: لقول النبي ﷺ للمسيء في صلاته: «ثم اركع حتى تطمئن»، «ثم اسجد حتى تطمئن».

والطمأنينة أن يسكن الإنسان في الركن حتى يرجع كل فقار إلى موضعه.

قال العلماء: وهي السكون وإن قل، فإن لم يطمئن في صلاته فلا صلاة له، ولو صلى ألف مرة.

وبهذا نعرف خطأ ما نشاهد من كثير من المصلين من كونهم لا يطمئنون، و لا سيما في القيام بعد الركوع والجلوس بين السجدتين، فإنك تراهم قبل أن يعقد الإنسان قائمًا إذا هو راكعٌ، وقبل أن يعتدل جالسًا إذا هو ساجدٌ، وهذا خطأ عظيم، فلو صلى الإنسان على هذا الوصف ألف صلاة لم تقبل منه؛ لأن النبي ﷺ قال للرجل الذي كان يخل بالطمأنينة -

---

(١) البخاري (٥٧٨٢)، ومسلم (٦٠٢).

حين جاء فسلم على النبي ﷺ قال له النبي: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ**» وهذا يدل على أن من صلى صلاة أخل فيها بشيء من أركانها أو واجباتها على وجه أعم، فإنه لا صلاة له، بل ولو كان جاهلًا في مسألة الأركان فإنه لا صلاة له.

١٣- والركن الأخير هو الثالث عشر: التسليم، بأن يقول في منتهى صلاته: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله، والصحيح أن التسليمتين كلتاهما ركن، وإنه لا يجوز أن يُخِلَّ بواحدة منهما لا في الفرض ولا في النفل، وذهب آخرون إلى أن الركن التسليمة الأولى فقط في النافلة دون الفريضة، فلا بد فيها من التسليمتين، لكن الأحوط أن يسلم الإنسان التسليمتين[1].

قال ابن عثيمين رحمه الله: **إن ترك ركنًا من هذه الأركان متعمدًا فصلاته باطلة، تبطل بمجرد تركه، أما إذا كان ناسيًا فإنه يعود إليه، فلو نسي أن يركع ثم سجد حين أكمل قراءته ثم ذكر وهو ساجد أنه لم يركع فإنه يجب عليه أن يقوم ويركع ثم يكمل صلاته، ويجب عليه أن يرجع للركن الذي ترك ما لم يصل إلى مكانه من الركعة الثانية، فإن وصل إلى مكانه في الحركة الثانية، قامت الركعة الثانية مقام الركعة التي تركه منها.**

---

(١) فقه العبادات (١٣٥-١٣٧).

أمثلة

لو أنه لم يركع ثم سجد وجلس بين السجدتين، وسجد الثانية ثم ذكر فإنه يجب عليه أن يقوم فيركع، ثم يستمر فيكمل صلاته.

أما لو لم يذكر أنه ركع إلا بعد أن وصل موضع الركوع في الركعة الثانية، فإن هذه الركعة الثانية تقوم مقام الركعة التي ترك ركوعها.

وهكذا، لو نسي الإنسان السجدة الثانية ثم قام من السجدة الأولى، ولما قرأ ذكر أنه لم يسجد السجدة الثانية، ولم يجلس أيضًا بين السجدتين، فيجب عليه حينئذٍ أن يرجع ويجلس بين السجدتين، ثم يسجد السجدة الثانية ثم يكمل صلاته، بل لو لم يذكر أنه ترك السجدة الثانية والجلوس بين السجدتين إلا بعد أن ركع فإنه يجب عليه أن ينزل ويجلس ويسجد ثم يستمر في صلاته.

أما لو لم يذكر أنه ترك السجود الثاني من الركعة الأولى إلا بعد أن جلس بين السجدتين في الركعة الثانية فإن الركعة الثانية تقوم مقام الأولى وتكون هي ركعته الأولى.

وفي كل هذه الأحوال، أو في كل هذه الصور التي ذكرناها يجب عليه أن يسجد سجود السهو؛ لما حصل من الزيادة في الصلاة بهذه الأفعال، ويكون سجوده بعد السلام؛ لأن سجود السهو إذا كان سبب الزيادة فإن محله بعد السلام كما تدل على ذلك سنة الرسول ﷺ[1].

إذا شكَّ المصلي في أنه ترك ركنًا

قال ابن عثيمين رحمه الله: إذا شكَّ في تركه، فهو لا يخلو من أربع حالات:

١ - إما أن يكون هذا الشك وهمًا لا حقيقة له، فهذا لا يؤثر عليه، ويستمر في صلاته وكأنه لم يحصل له هذا الشك.

٢ -وإما أن يكون هذا الشك كثيرًا معه، كما يوجد في كثير من الموسوسين -نسأل الله

(١)فقه العبادات (١٣٨).

لنا ولهم العافية- فلا يلتفت إليه أيضًا، بل يستمر في صلاته حتى لو خرج من صلاته وهو يرى أنه مقصر فيها فليفعل ولا يهمنَّه ذلك.

٣- وأما أن يكون شكُّه بعد الفراغ من الصلاة فكذلك أيضًا لا يلتفت إليه ولا يهتم به ما لم يتقن أنه ترك.

٤- أما إذا كان الشك في أثناء الصلاة، فإن العلماء يقولون:

من شكَّ في ترك ركن فتركه إذا كان الشك في أثناء الصلاة، وكان شكًّا حقيقيًّا ليس وهمًا ولا وسواسًا، فلو أنه سجد وفي أثناء سجوده شكَّ هل ركع أو لم يركع، فنقول له: قم فاركع؛ لأن الأصل عدم الركوع إلا إذا غلب على ظنه أنه ركع.

فإن الصحيح إذا غلب على ظنه أنه ركع فإنه يعتد بهذا الظن أنه ركع، ولكن يسجد للسهو بعد السلام.

فسجود السهو في الحقيقة أمر مهم ينبغي على الإنسان أن يعرفه ولا سيما الأئمة، وقد كان كثير منهم يجهل ذلك، وهو أمر لا ينبغي من مثلهم، بل الواجب على المؤمن أن يعرف حدود ما أنزل الله على رسوله[1].

---

(١) فقه العبادات (١٣٩-١٤٠).

واجبات الصلاة

قال ابن باز رحمه الله: **هي ثمانية:**

١- جميع التكبيرات غير تكبيرة الإحرام ٢- وقول: سمع الله لمن حمده للإمام والمنفرد
٣- وقول: ربنا ولك الحمد للكل ٤- وقول: سبحان ربي العظيم في الركوع
٥- وقول: سبحان ربي الأعلى في السجود ٦- وقول: رب اغفر لي بين السجدتين
٧، ٨- والتشهد الأول، والجلوس له

قال ابن عثيمين رحمه الله: **واجبات الصلاة في الأقوال والأفعال التي إذا تركها الإنسان عامدًا بطلت صلاته، وإن تركها سهوًا فإنه يجبرها بسجود السهو.**

فمنها: **التكبيرات سوى تكبيرة الإحرام، فإنها من واجبات الصلاة، وأما تكبيرة الإحرام فإنها ركن من أركان الصلاة، لا تنعقد الصلاة إلا بها، ويستثنى من هذه التكبيرات: تكبيرة الركوع، إذا أتى المأموم والإمام راكع فإنه يكبِّر تكبيرة الإحرام قائمًا منتصبًا، فإذا هوى إلى الركوع، فإن التكبيرة في حقه سُنَّة، هكذا قرره الفقهاء رحمهم الله.**

ومن الواجبات: **التسبيح في الركوع والسجود؛ ففي الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى.** ومن الواجبات أيضًا: **التشهد الأول وجلسته.**

ومن الواجبات أيضًا: **التسميع والتحميد، أي: قول: (سمع الله لمن حمده) عند الرفع من الركوع، وقول: (ربنا ولك الحمد) بعد القيام من الركوع (من الإمام والمنفرد) أما المأموم، فيقول: (ربنا ولك الحمد) حين رفعه من الركوع[١].**

هذه الواجبات إذا تركها الإنسان متعمدًا بطلت صلاته، وإن تركها سهوًا فصلاته صحيحة ويجبرها سجود السهو؛ لحديث عبد الله ابن بحينة ﷺ أن النبي ﷺ قام من الركعتين فلم يجلس في صلاة الظهر، فلما قضى الصلاة، وانتظر الناس تسليمه سجد سجدتين ثم سلم[٢].

---

(١) خالف في ذلك الألباني وطائفة من العلماء ... انظر صفة صلاة النبي ﷺ.
(٢) البخاري (٣٨٦)، ومسلم (٨٨٩).

سنن الصلاة

قال ابن باز رحمه الله: منها:

١ - الاستفتاح

٢- جعل كف اليد اليمنى على اليسرى فوق الصدر، حين القيام.

٣- رفع اليدين، مضمومتي الأصابع، حذو المنكبين أو الأذنين عند التكبير الأول، وعند الركوع والرفع منه وعند القيام من التشهد الأول للثالثة.

٤- ما زاد عن واحدة في تسبيح الركوع والسجود.

٥- ما زاد عن واحدة في الدعاء بالمغفرة بين السجدتين.

٦- جعل الرأس حيال الظهر في الركوع.

٧- مجافاة العضدين عن الجنبين، والبطن عن الفخذين في السجود.

٨- رفع الذراعين عن الأرض حين السجود.

٩- جلوس المصلي على رجله اليسرى ونصب اليمنى في التشهد الأول وبين السجدتين.

١٠- التورُّك في التشهد الأخير مع نصب اليمنى.

١١- الصلاة والتبريك على محمد وآل محمد وعلى إبراهيم وآل إبراهيم في التشهد الأول.

١٢- الدعاء في التشهد الأخير.

١٣- الجهر بالقراءة في صلاة الفجر وفي الركعتين الأوليين من صلاة المغرب والعشاء.

١٤- الإسرار بالقراءة في الظهر والعصر، وفي الثالثة من المغرب، والأخيرتين من العشاء.

١٥- قراءة ما زاد عن الفاتحة من القرآن، مع مراعاة باقي ما ورد من السُّنَّة في الصلاة سوى ما ذكرنا[١].

---

(١) مسلم.

مبطلات الصلاة

قال ابن باز رحمه الله: هي ثمانية:

١ - الكلام العمد مع الذكر والعلم، أما الناسي والجاهل فلا تبطل صلاته بذلك.

٢ - الضحك

٣- الأكل

٤- الشرب

٥- انكشاف العورة

٦- الانحراف الكثير عن القبلة

٧- العبث الكثير المتوالي في الصلاة

٨- انتقاض الوضوء.

قال ابن عثيمين رحمه الله: مبطلات الصلاة تدور على شيئين؛ إما ترك ما يجب فيها، وإما فعل ما يحرم فيها.

فأما ترك ما يجب: فمثل أن يترك الإنسان ركنًا من أركان الصلاة متعمدًا، أو شرطًا من شروطها متعمدًا، أو واجبًا من واجباتها متعمدًا. مثال ترك الركن: أن يترك الركوع متعمدًا. مثال ترك الشرط: أن ينحرف عن القبلة في أثناء الصلاة متعمدًا. ومثال ترك الواجب: أن يترك التشهد الأول متعمدًا، فإذا ترك أي واجب من واجبات الصلاة متعمدًا فصلاته باطلة، فإنه سواء سمي هذا الواجب شرطًا أو ركنًا أو واجبًا.

الشيء الثاني مما يدور عليه بطلان الصلاة: فعل المحرم فيها، كأن يتحدث في صلاته أو يتكلم بكلام الآدميين، أو يضحك، أو ما أشبه ذلك من الأشياء التي هي حرام في أثناء الصلاة، يفعلها متعمدًا، فإن صلاته تبطل في الحال[١].

---

[١] فقه اللغة (١٤٣، ١٤٤).

سجود السهو

قال ابن عثيمين رحمه الله: لسجود السهو في الصلاة أسباب في الجملة ثلاثة:

١- الزيادة ٢- النقص ٣- الشك

فالزيادة: مثل أن يزيد الإنسان ركوعًا أو سجودًا أو قيامًا أو قعودًا. والنقص: مثل أن ينقص الإنسان ركنًا أو ينقص واجبًا من واجبات الصلاة. والشك: أن يتردد كم صلى، ثلاثة أم أربعًا مثلًا.

أما الزيادة: فإن الإنسان إذا زاد في الصلاة ركوعًا أو سجودًا أو قيامًا أو قعودًا، متعمدًا بطلت صلاته؛ لأنه إذا زاد متعمدًا فقد أتى بالصلاة على غير الوجه الذي أتى به رسول الله ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[١].

أما إذا زاد ذلك ناسيًا فإن صلاته لا تبطل، ولكنه يسجد للسهو بعد السلام؛ ودليل ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه حين سلَّم النبي ﷺ من ركعتين في إحدى صلاته، إما الظهر وإما العصر، فلما ذكَّروه أتى ﷺ بما بقي من صلاته وسلَّم، ثم سجدتين بعدما سلَّم[٢].

ولحديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى بهم الظهر خمسًا، فلما انصرف قيل له: أزيد في الصلاة؟ قال: «وما ذلك؟!» قالوا: صليت خمسًا، فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد سجدتين[٣].

أما النقص: فإن نقص الإنسان ركنًا من أركان الصلاة فلا يخلو، إما أن يذكره قبل أن يصل إلى موضوعه من الركعة الثانية، فحينئذٍ يلزمه أن يرجع فيأتي بالركن وما بعده، وإما ألا يذكره حتى يصل إلى موضعه من الركعة الثانية، وحينئذٍ تكون الركعة الثانية بدلًا من التي تركها؛ فيأتي بدلها أي: بدل التي تركها منها بركعة، وفي هاتين الحالتين يسجد بعد السلام.

---

(١) مسلم.

(٢) أحمد (٨٦٤٩).

(٣) البخاري (٣٨٦)، ومسلم (٨٨٩).

مثال ذلك: رجل قام حين سجد السجدة الأولى من الركعة الأولى، ولم يسجد السجدة الثانية، ولما شرع في القراءة ذكر أنه لم يسجد ولم يجلس بين السجدتين فحينئذٍ عليه إن يرجع ويجلس بين السجدتين ثم يسجد، ثم يقوم فيأتي بما بقي من صلاته ويسجد لله بعد السلام.

ومثال من لم يذكره إلا بعد وصوله إلى محله من الركعة الثانية: من قام من الركعة الأولى في السجدة الثانية، ففي هذه الحالة تكون الركعة الثانية هي الركعة الأولى ويزيد ركعة في صلاته ويسلِّم ثم يسجد للسهو.

أما نقص الواجب: فإذا أنقص واجبًا وانتقل من موضعه إلى الموضع الذي يليه، مثل: لو نسي (سبحان ربي الأعلى) ولم يذكر إلا بعد أن رفع من السجود، فهذا قد ترك واجبًا من واجبات الصلاة سهوًا، فيمضي في صلاته ويسجد للسهو قبل السلام؛ لأن النبيﷺ لما ترك التشهد الأول مضى في صلاته ولم يرجع وسجد للسهو قبل السلام[١].

أما الشك: فهو التردد بين الزيادة والنقص؛ بأن يتردد المصلي: هل صلى ثلاثاً أو أربعًا وهذا لا يخلو من حالين: إما أن يترجح عنده أحد الطرفين؛ الزيادة أوالنقص، فيبني على ما رجح عنده ويتم عليه ويسجد للسهو بعد السلام.

ومثال ذلك: رجل صلى الظهر، ثم شكَّ هل هو الآن في الركعة الثالثة أو الرابعة، وترجح عنده أنها الثالثة، فأتي بركعة ثم يسلِّم ثم يسجد للسهو.

ومثال ما يستوي فيه الأمران: رجل يصلي الظهر فشكَّ: هل هذه الثالثة أو الرابعة، ولم يترجح عنده أنها الثالثة أو الرابعة؛ فيبني على اليقين وهو الأقل، فيجعلها الثالثة ثم يأتي بركعة ويسجد للسهو قبل أن يسلم.

وبهذا تبين أن سجود السهو يكون قبل السلام، فيما إذا ترك واجبًا من الواجبات أو شكَّ في عدد الركعات ولم يترجح عنده أحد الطرفين، وأنه يكون بعد السلام فيما إذا زاد في صلاته أو شكَّ وترجح عنده أحد الطرفين.

---

(١) الترمذي (٣٦٥)، وأبو داود (١٠٣٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢١).

سؤال: لو كان سجود السهو بعد السلام هل يلزم له أيضًا سلام؟

والجواب: إذا كان السجود بعد السلام فإنه يجب له السلام، فيسجد سجدتين ثم يسلم.

سؤال آخر: هل يجب السجود للسهو بعد السلام والتشهد مرة أخرى؟

والجواب: في هذا خلاف بين العلماء، والراجح أنه لا يجب له التشهد[١].

حكم صلاة الجماعة

قال ابن عثيمين رحمه الله: صلاة الجماعة اتفق العلماء على أنها من أجلّ الطاعات وأوكدها وأفضلها، وقد ذكرها الله تعالى في كتابه وأمر بها حتى في حال الخوف، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾[النساء: ١٢].

وفي سنة الرسول ﷺ من الأحاديث العدد الكثير، الدالة على وجوب الصلاة مع الجماعة، مثل قوله ﷺ: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلًا فيصلي بالناس ثم أنطلق -برجال معهم حزم من حطب- إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرّق عليهم بيوتهم بالنار**»[٢]، وفي قوله: «**من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر**»[٣].

وكقوله للرجل الأعمى الذي طلب منه أن يرخص له في الصلاة في بيته: «**أتسمع النداء؟**» قال: نعم، قال: «**فأجب**»[٤].

وقال ابن مسعود ﷺ: لقد رأيتنا وما يتخلف عنها -أي صلاة الجماعة- إلا منافق معلوم النفاق، أو مريض، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف[٥].

---

(١) فقه العبادات (١٤١-١٤٣).

(٢) البخاري (٦٠٨)، ومسلم (١٠٤٠).

(٣) ابن ماجه (٧٨٥) وصححه الألباني في الإرواء (٢/ ٣٣٧).

(٤) أبو داود (٤٦٥)، وصححه الألباني في المشكاة (١٠٥٤).

(٥) مسلم (٦٥٤).

والنظر الصحيح يقتضي وجوبها، فإن الأمة الإسلامية أمة واحدة، ولا يتحقق كمال الوحدة إلا بكونها تجمع على عباداتها، وأجل هذه العبادات وأوكدها وأفضلها الصلاة، فكان من الواجب على الأمة الإسلامية أن تجتمع على هذه الصلاة.

وقد اختلف العلماء -رحمهم الله- بعد اتفاقهم، على أنها من أوكد العبادات، وأجلّ الطاعات، اختلفوا: هل هي شرط لصحة الصلاة أو أن الصلاة تصح بدونها مع الإثم، مع خلافات أخرى. **والصحيح**: أنها واجب للصلاة، وليست شرطًا في صحتها، ولكن من تركها فهو آثم إلا أن يكون له عذر شرعي، ودليل كونها ليست شرطًا لصحة الصلاة الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث فضل صلاة الجماعة على صلاة الفذّ.

وتفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفذ[1] يدل على أن في صلاة الفذ فضلًا، وذلك لا يكون إلا إذا كانت صحيحة، وعلى كل حال فيجب على كل مسلم ذكر بالغ أن يشهد صلاة الجماعة، سواء كان ذلك في السفر أو في الحضر.

علاقة المأموم بالإمام

قال ابن عثيمين رحمه الله: علاقة المأموم علاقة متابعة؛ ولهذا قال النبيﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه، فإذا كبَّر فكبروا وإذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا ولك الحمد، وإذا صلى قائمًا فصلوا قيامًا، وإذا صلى قاعدًا فصلوا قعودًا أجمعين**»[2].

مقام المأموم مع إمامه في هذه الناحية يتنوع إلى أربع مقامات؛ متابعة، موافقه، مسابقة، تأخر

فأما المتابعة: فأن يأتي الإنسان بأفعال الصلاة بعد إمامه مباشرة، إذا ركع ركع بدون تأخر، وإذا سجد سجد بدون تأخر، وهكذا في بقية أفعال الصلاة.

---

(١) النسائي (٨٢٨) وصححه الألباني في صحيح النسائي (٨٠٧).

(٢) مسلم (٦٢٢).

وأما الموافقة: فأن يفعل هذه الأفعال مع إمامه، يركع مع ركوعه ويسجد مع سجوده، ويقوم مع قيامه ويقعد مع قعوده.

وأما المسابقة: فأن يتقدم إمامه في هذه الأفعال فيركع قبله، ويسجد قبله، ويقوم قبله، ويقعد قبله.

وأما التأخر: فأن يتوانى في متابعة الإمام، فإذا ركع الإمام بقي واقفًا يقرأ، وإذا سجد بقي واقفًا يحمد وهكذا.

وكل هذه المقامات مذمومة إلا مقام المتابعة؛ فالموافق لإمامه مخالف لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**لا تكبروا حتى يكبِّر الإمام، ولا تركعوا حتى يركع**».

والسابق له: واقع في التحذير الشديد الذي حذَّر منه النبي عليه الصلاة والسلام في قوله: «**أما يخشى أن يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار، أو يجعل الله صورته صورة حمار**»[1].

والمتخلف: لم يحقق المتابعة؛ لأن قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**إذا كبَّر الإمام فكبروا، وإذا ركع فاركعوا**» جملة شرطية، تقتضي أن يقع المشروط فور وجود الشرط وألا يتأخر عنه، فهو منهي عنه.

فالمسابقة: حرام، والموافقة: قيل أنها مكروهة، وقيل أنها حرام؛ والتأخير: أقل أحواله الكراهة.

أما المتابعة: فهي الأمر الذي أمر به النبي ﷺ[2].

---

(١) البخاري (٦٥٠)، ومسلم بنحوه (٦٤٨).

(٢) مسلم.

الفرق بين الفرض والنفل في الأحكام

قال ابن عثيمين رحمه الله: هناك فوارق بين صلات الفرض والنافلة، ومن أوضحها: النافلة تصح في السفر على الراحلة، ولو بدون ضرورة، فإذا كان الإنسان في سفرٍ وأحب أن يتنفَّل وهو على راحلته، سواء كانت الراحلة سيارة أو طيارة أو بعيرًا أوغير ذلك، فإنه يصلي النافلة على راحلته متَّجِهًا حيث يكون وجهه يومئ بالركوع والسجود؛ لأنه ثبت عن النبيﷺ أنه كان يفعل ذلك.

ومن الفروق بين الفريضة والنافلة أن الإنسان إذا شرع في الفريضة حرم أن يخرج منها إلا لضرورة قصوى، وأما النافلة فيجوز أن يخرج منها لغرض صحيح، وإن كان بغير غرض فإنه لا يأثم أن يخرج منها، ولكن يكره كما ذكر ذلك أهل العلم[١].

ومن الفروق بين الفريضة والنافلة: أن الفريضة يأثم الإنسان بتركها، وأما النافلة فلا.

ومن الفروق بين الفريضة والنافلة: أن الفريضة يشرع لها صلاة الجماعة، وأما النافلة فلا تشرع إلا في صلوات معينة، كالاستسقاء وصلاة الكسوف (على القول بأنها سنة) ولا بأس أن يصليها الإنسان، أي النافلة أحيانًا جماعة، كما كان النبيﷺ يصلي بأصحابه في بعض الليالي؛ فقد صلى معه مرة ابن عباس ومرة حذيفة ومرة ابن مسعود ﷺ، وأما في رمضان فقد ثبت عنه أنه قام بهم ثلاث ليالٍ ثم تأخرخوفًا من أن تفرض على الناس، وهذا يدل على أن صلاة الجماعة في قيام رمضان سنة؛ لأن الرسولﷺ فعلها، ولكن تركها خوفًا من أن تفرض على الناس[٢]، وهذا مأمون بعد وفاتهﷺ[٣].

---

(١) البخاري (٢٠١٢) ومسلم (٧٦١).
(٢) البخاري (٢٠١٢)، ومسلم (٧٦١).
(٣) مسلم.

صفة صلاة النبي ﷺ

القيام واستقبال القبلة

١ - كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة استقبل الكعبة في الفرض والنفل[١]، وأمر ﷺ المسيء صلاته، فقال: «**إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبِّر**»[٢].

وكان ﷺ في السفر يصلي النوافل على راحلته، ويوتر عليها حيث توجهت به (شرقًا وغربًا)[٣]. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥].

وكان أحيانًا إذا أراد أن يتطوع على ناقته استقبل بها القبلة، فكبر ثم صلى حيث وجهة ركابه[٤]،وكان يركع ويسجد على راحلته إيماءً برأسه، ويجعل السجود أخفض من الركوع[٥]، وكان إذا أراد أن يصلي الفريضة نزل فاستقبل القبلة[٦].

وأما في صلاة الخوف الشديد فقد شرع ﷺ لأمته أن يصلوا رجالًا وقيامًا على أقدامهم، أو ركبانًا، مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها[٧] وقال ﷺ: «**إذا اختلطوا فإنما هو التكبير والإشارة بالرأس**»[٨] وكان ﷺ يقول: «**ما بين المشرق والمغرب قبلة**»[٩] وكان ﷺ يقف فيها قائمًا في الفرض والتطوع ائتمارًا بقوله تعالى: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وأما في السفر فكان يصلي على راحلته النافلة.

---

(١) قال الألباني: هذا شيء مقطوع به؛ لتواتره، فيغني ذلك عن تخريجه، ويأتي ما يدل عليه (صفة الصلاة ٢٩).

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) مسلم.

(٥) الترمذي وصححه الألباني في صفة الصلاة (٢٩).

(٦) البخاري.

(٧) متفق عليه.

(٨) البيهقي وصححه الألباني في صفة الصلاة (٢٩).

(٩) الترمذي وصححه الألباني في الإرواء (٣٩٢).

وشرع لأمته أن يصلوا في الخوف الشديد على أقدامهم أو ركبانًا كما تقدم، وذلك قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨-٢٣٩]. وصلى ﷺ في مرض موته جالسًا[١].

وصلاها كذلك مرة أخرى قبل هذه حين اشتكى، وصلى الناس وراءه قيامًا، فأشار إليهم اجلسوا فجلسوا، فلما انصرف، وقال: «**إن كدتم آنفًا لتفعلون فعل فارس والروم، يقومون على طولهم وهم قعود فلا تفعلوا، إنما جُعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا صلى جالسًا فصلوا جلوسًا أجمعون**»[٢].

وقال عمران بن حصين ﷺ: كانت بي بواسير[٣] فسألت رسول الله ﷺ فقال: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب**»[٤].

وقال أيضًا: سألت رسول الله ﷺ من صلاة الرجل وهو قاعد، فقال: «**من صلى قائمًا فهو أفضل ومن صلى قاعدًا فله نصف أجر القائم ومن صلى قائمًا (وفي رواية مضطجعًا) فله نصف أجر القاعد**»[٥]. والمراد به المريض، فقد قال أنس ﷺ: خرج رسول الله ﷺ على ناس وهم يصلون قعودًا من مرض، فقال: «**إن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم**»[٦].

وعاد ﷺ مريضًا فرآه يصلي على وسادة فأخذها فرمى بها فأخذ عودًا[٧] ليصلي عليه، فأخذه فرمى به، وقال: «**صلِّ على الأرض إن استطعت، وإلا فأومئ إيماء، واجعل سجودك أخفض من ركوعك**»[٨].

---

(١) الترمذي وصححه الألباني في صفة الصلاة (١٢٩).
(٢) متفق عليه.
(٣) أي: مرض البواسير المعروف.
(٤) البخاري.
(٥) البخاري.
(٦) ابن ماجه وصححه الألباني في صفة الصلاة (٣١).
(٧) أي: خشبة، وعليه فلا يجوز وضع وسادة ونحوها أمامه.
(٨) الطبراني وصححه الألباني في صفة الصلاة، (٣٢).

الصلاة في السفينة

سُئل رسول الله ﷺ عن الصلاة في السفينة؟ فقال: «**صلِّ فيها قائمًا، إلا أن تخاف الغرق**»[١].

ولما أسنَّ ﷺ وكبُر اتخذ عمودًا في مصلاه يعتمد عليه[٢].

وكان ﷺ يصلي ليلًا طويلًا قائمًا وليلًا طويلًا قاعدًا، وكان إذا قرأ قائمًا ركع قائمًا، وإذا قرأ قاعدًا ركع قاعدًا[٣] وكان أحيانًا يصلي جالسًا فيقرأ وهو جالس، فإذا بقي من قراءته قدر ما يكون ثلاثين أو أربعين آية قام فقرأها وهو قائم ثم ركع وسجد، ثم يصنع في الركعة الثانية مثل ذلك[٤]. وإنما صلى السبحة[٥] قاعدًا في آخر حياته لما أسنَّ، وذلك قبل وفاته بعام[٦]. وكان يجلس متربعًا[٧].

الصلاة في النعال

وكان يقف حافيًا أحيانًا ومنتعلًا أحيانًا[٨]. وأباح ذلك لأمته، فقال: «**إذا صلى أحدكم فليلبس نعليه أو ليخلعهما بين رجليه، ولا يؤذي بهما غيره**»[٩]. وأكدَّ عليهمُ الصلاةَ فيها أحيانًا، فقال: «**خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم**»[١٠]. وكان ربما نزعهما من قدميه وهو في الصلاة، ثم استمر في صلاته[١١].

---

(١) البزار وصححه الألباني في صفة الصلاة (٣٢).
(٢) أبو داود وصححه الألباني في الصحيحة (٣١٩).
(٣) مسلم.
(٤) متفق عليه.
(٥) أي: صلاة الضحى.
(٦) مسلم.
(٧) ابن خزيمة وصححه الألباني في صفة الصلاة (٣٣).
(٨) أبو داود وصححه الألباني في صفة الصلاة (٣٣).
(٩) أبو داود وصححه الألباني في صفة الصلاة (٣٣).
(١٠) أبو داود وصححه الألباني في صفة الصلاة (٣٣).
(١١) مسلم

وكان إذا نزعهما وضعهما عن يساره[١] وكان يقول: «**إذا صلى أحدكم فلا يضع نعليه عن يمينه ولا عن يساره، فتكون عن يمين غيره، إلا أن لا يكون عن يساره أحد، وليضعهما بين رجليه**»[٢].

الصلاة على المنبر

صلى ﷺ مرة على المنبر، وفي رواية أنه ذو ثلاث درجات[٣] قام عليه فكبر وكبر الناس وراءه وهو على المنبر، ثم ركع وهو عليه، ثم رفع فنزل القهقرى حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد فصنع فيها كما صنع في الركعة الأولى، حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: «**يا أيها الناس إني صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي**»[٤].

الصلاة إلى سترة

كان ﷺ يقف قريبًا من السترة، فكان بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع[٥]، وبين موضع سجوده والجدار ممر شاة[٦]. وكان يقول: « **لا تصلِّ إلا إلى سترة، ولا تدع أحدًا يمر بين يديك، فإن أبى فلتقاتله، فإن معه القرين**»[٧]. وكان إذا صلى في فضاء -ليس فيه شيء مستتر به- غرز بين يديه حربة فصلى إليها والناس وراءه[٨] وأحيانًا كان يعرض راحلته

---

(١) أبو داود وصححه الألباني في صفة الصلاة (٣٣).

(٢) أبو داود وصححه الألباني في صفة الصلاة (٣٣).

(٣) قال الألباني: هذا هو السنة في المنبر أن يكون زاد ثلاث درجات لأكثر، والزيادة عليها بدعة أموية كثيرًا ما تعرض الصف للقطع، والفرار من ذلك بجعله في الزاوية الغربية من المسجد أو المحراب أو المحراب بدعة أخرى، وكذلك جعله مرتفعًا في الجدار الجنوبي كالشرفة يصعد إليه لضيق الجدار، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، راجع الفتح (١/ ٢٣١).

(٤) متفق عليه.

(٥) البخاري.

(٦) مسلم

(٧) ابن خزيمة وصححه الألباني في صفة الصلاة (٣٤).

(٨) متفق عليه.

فيصلي إليها[١]، وأحيانًا كان يأخذ الرحل فيعدله فيصلي إلى آخرته[٢]، وصلى مرة إلى شجرة[٣]، وكان أحيانًا يصلي إلى السرير وعائشة رضي الله عنها مضطجعة عليه تحت قطيفتها[٤].

ما يقطع الصلاة

كان يقول: « **يقطع صلاة الرجل إذا لم يكن بين يديه كآخرة الرحل: المرأة الحائض[٥] والحمار والكلب الأسود** »، فقال أبو ذر: قلت: يا رسول الله ما بال الأسود من الأحمر؟ فقال: « **الكلب الأسود شيطان** »[٦]

الصلاة تجاه القبر

كان ينهى عن الصلاة تجاه القبر فيقول: « **لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها** »[٧].

النية

وكان ﷺ يقول: « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى** »[٨]، وما صح عنه أبدًا ولا عن أحد من أصحابه أن تلفظوا بها، والتلفظ بها بدعة، يأثم صاحبها إن تعمدها مع العلم بالحكم.

التكبير

ثم كان ﷺ يستفتح الصلاة بقوله: « **الله أكبر** »[٩]، وكان يقول: « **مفتاح الصلاة**

---

(١) البخاري.

(٢) مسلم.

(٣) مسلم.

(٤) مسلم.

(٥) أي البالغة.

(٦) مسلم.

(٧) مسلم.

(٨) متفق عليه.

(٩) مسلم.

الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم»[١]، وكان يرفع صوته بالتكبير حتى يسمع من خلفه[٢]، وكان إذا مرض رفع أبو بكر صوته يبلغ الناس تكبيره ﷺ[٣]، وكان يقول: «إذا قال الإمام: الله أكبر، فقولوا: الله أكبر»[٤].

رفع اليدين

وكان يرفع يديه تارة مع التكبير[٥]، وتارة بعد التكبير[٦]، وتارة قبله[٧]، وكان يرفعهما ممدودة الأصابع لا يفرج بينهما ولا يضمهما[٨]، وكان يجعلهما حذو منكبيه[٩]، وربما يرفعهما حتى يحاذي بهما فروع أذنيه[١٠]

وضع اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ

وكان ﷺ يضع يده اليمنى على اليسرى[١١]، وكان يضع اليمنى على ظهر كفِّه اليسرى والرسغ والساعد[١٢] وأمر بذلك أصحابه[١٣]، وكان أحيانًا يقبض اليمنى على

---

(١) الترمذي وصححه الألباني في صفة الصلاة (٣٧).

(٢) مسلم.

(٣) مسلم.

(٤) أحمد والبيهقي وصححه الألباني في صفة الصلاة (٣٧).

(٥) البخاري.

(٦) البخاري.

(٧) البخاري.

(٨) أبو داود وابن خزيمة وصححه الألباني في صفة الصلاة (٣٨).

(٩) مسلم.

(١٠) البخاري.

(١١) مسلم.

(١٢) النسائي وأبو داود وصححه الألباني في صفة الصلاة (٣٨).

(١٣) مسلم.

اليسرى[١] وكان يضعهما على الصدر[٢]، وكان ينهى عن الاختصار[٣] في الصلاة[٤]

النظر موضع السجود

كان ﷺ إذا صلى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض[٥]، وكان ينهى عن رفع البصر إلى السماء[٦]، ويؤكد في النهي، حتى قال:« **ليتنهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم**» وفي رواية:« **أو لتخطفن أبصارهم**»[٧].

أدعية الاستفتاح

أدعية الاستفتاح في الصلاة كثيرة ومتنوعة منها:

١ - «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد**، وكان يقوله في الفرض»[٨].

٢- «**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله أنت سبحانك وبحمدك، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنبي جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، أنا بك وإليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك**، وكان يقول في الفرض والنفل»[٩].

---

(١) مسلم.
(٢) أبو داود وابن خزيمة في صحيحه وصححه الألباني في صفة الصلاة (٣٩).
(٣) مسلم.
(٤) مسلم.
(٥) مسلم.
(٦) مسلم.
(٧) مسلم.
(٨) مسلم.
(٩) مسلم.



٣- «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك»[1].

٤- «الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا». استفتح بها رجل من الصحابة، فقالﷺ: «عجبت لها، فتحت لها أبواب السماء»[2].

٥- «والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه». استفتح بها رجل آخر، فقالﷺ: «لقد رأيت اثني عشر ملكًا يبتدرونها، أيهم يرفعها»[3].

٦- «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق وقولك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، أنت ربنا وإليك المصير، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم المؤخر، أنت إلهي لا إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[4].

وكان يقولﷺ في صلاة الليل كالأنواع الآتية[5]:

٧- « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[6].

٨- كان يكبِّر عشرًا ويحمد عشرًا ويسبح عشرًا ويهلل عشرًا ويستغفر عشرًا،

---

(١) مسلم.

(٢) مسلم.

(٣) مسلم.

(٤) مسلم.

(٥) قال الألباني في صفة الصلاة (٤٤): ولا ينفي ذلك مشروعيتها في الفرائض أيضًا كما لا يخفى.

(٦) مسلم.

ويقول: «**اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني عشرًا، ويقول: اللهم إني أعوذ بك من الضيق يوم الحساب عشرًا**»[١].

٩- الله أكبر (ثلاثًا)، ذو الملكوت والجبروت، والكبرياء والعظمة[٢].

الاستعاذة

ثم كان ﷺ يستعيذ بالله تعالى، فيقول:« **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**»[٣]، وكان أحيانًا يزيد، فيقول: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان**»[٤].

قراءة الفاتحة

ثم يقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) ولا يجهر بها[٥].

ثم يقرأ الفاتحة ويقطِّعها آية آية ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ثم يقف ثم يقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، ثم يقف، ثم يقول: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ وهكذا إلى آخر السورة، وكذلك كانت قراءته كلها، وكان يقف على رءوس الآي ولا يصلها بما بعدها[٦]

وقال لمن لم يستطع حفظها: «**قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[٧] وقال للمسيء صلاته: «**فإذا كان معك قرآن فاقرأ به، وإلا فاحمد الله وكبِّره وهلله**»[٨].

---

(١) أحمد، وابن شيبة، وأبو داود، والطبراني، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٤٤).

(٢) الطيالسي وأبو داود بسند صحيح، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٤٤).

(٣) أبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٤٥).

(٤) أبو داود والترمذي، وحسنه الألباني في صفة الصلاة (٤٥).

(٥) متفق عليه.

(٦) أبو داود وصححه الألباني في صفة الصلاة (٤٥).

(٧) أبو داود وابن خزيمة والحاكم والطبراني وصححه الألباني في صفة الصلاة (٤٧).

(٨) أبو داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٨٠٧).

التأمين

ثم كان ﷺ إذا انتهى من قراءة الفاتحة قال: «آمين» يجهر ويمد بها صوته[١].

وكان يأمر المقتدين فيقول: «إذا قال: الإمام: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فقولوا: آمين، فإن الملائكة تقول: آمين، وإن الإمام يقول: آمين» وفي لفظ: «إذا أمن الإمام فأمّنوا، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة» وفي لفظ آخر: «إذا قال أحدكم في الصلاة: آمين، والملائكة في السماء آمين فوافق أحدهما الآخر، غفر له ما تقدم من ذنبه»[٢].

وفي حديث آخر: «فقولوا: آمين، يجيبكم»[٣].

القراءة بعد الفاتحة

ثم كان ﷺ يقرأ بعد الفاتحة سورة غيرها، وكان يطيلها أحيانًا ، ويقصّرها أحيانًا، لعارض سفر أو سعال أو مرض أو بكاء صبي، وكان يبتدئ من أول السورة، ويكمّلها في أغلب أحواله[٤]، وكان تارة يقسّمها في ركعتين[٥]، وتارة يعيدها كلها في الركعة الثانية[٦]، وكان أحيانًا يجمع في الركعة الواحدة بين السورتين أو أكثر[٧].

جواز الاقتصار على الفاتحة

كان معاذ يصلي مع رسول الله ﷺ العشاء الآخرة، ثم يرجع فيصلي بأصحابه، فرجع ذات ليلة فصلى بهم وصلى فتى من قومه من بني سلمة يقال له: سليم، فلما طال على الفتى، انصرف فصلى في ناحية المسجد وخرج وأخذ بخطام بعيره وانطلق، فلما صلى معاذ

---

(١) البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) مسلم.

(٤) صفة الصلاة (٥٠).

(٥) أحمد وصححه الألباني في صفة الصلاة (٥٠).

(٦) كما فعل في صلاة الفجر، صفة الصلاة (٥٠).

(٧) صفة الصلاة (٥٠).

ذُكر ذلك له، فقال: إن هذا به لنفاق، لأُخبرنَّ رسول الله ﷺ بالذي صنع، وقال الفتى: وأنا لأخبرنَّ رسول الله ﷺ بالذي صنع؛ فغدوا على رسول الله ﷺ فأخبره معاذ بالذي صنع الفتى، فقال الفتى: يا رسول الله، يطيل المكث عندك، ثم يرجع فيطيل علينا، فقال رسول الله ﷺ: «أفتَّان أنت يا معاذ» ؟!

وقال للفتى: كيف تصنع يا بن أخي إذا صليت؟ قال: أقرأ بفاتحة الكتاب، وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، وإني لا أدري ما دندنتك ودندنة معاذ، فقال رسول الله ﷺ: «إني ومعاذ حول هاتين- أو نحو هذا» قال: فقال الفتى، ولكن سيعلم معاذ إذا قدم القوم، وقد أخبروا أن العدو قد أتوا قال: فقدموا فاستشهد، فقال رسول الله ﷺ بعد ذلك: «ما فعل خصمي وخصمك» ؟ قال: يا رسول الله، صدق الله، وكذبتُ، استشهد[١]

الجهر والإسرار في الصلاة

كان ﷺ يجهر بالقراءة في صلاة الصبح وفي الركعتين الأوليين من المغرب والعشاء، ويُسِرُّ بهما في الظهر والعصر والثالثة من المغرب والأخريين من العشاء[٢] .

وكانوا يعرفون قراءته فيما يُسِرُّ باضطراب لحيته[٣] ، وبإسماعه إياهم الآية أحيانًا[٤] ، وكان يجهر بهما أيضًا في صلاة الجمعة والعيدين والاستسقاء[٥] والكسوف[٦] .

وأما في صلاة الليل فكان تارة يُسِرُّ ، وتارة يجهر[٧] ، وكان إذا قرأ وهو في البيت يسمع قراءته من الحجرة[٨] .

---

(١) البيهقي وصححه الألباني في صفة الصلاة (٥٣).
(٢) مسلم.
(٣) البخاري.
(٤) متفق عليه.
(٥) متفق عليه.
(٦) متفق عليه.
(٧) متفق عليه.
(٨) الترمذي وأبو داود وصححه الألباني في صفة الصلاة (٥٤).

وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة

قد أمر المسيء صلاته بقراءة الفاتحة في كل ركعة، حيث قال له بعد أن أمره بقراءتها في الركعة الأولى: «**ثم افعل ذلك في صلاتك كلها**»(١) وفي رواية: «**في كل ركعة**»(٢).

مشروعية الفتح على الإمام

شرع ﷺ الفتح على الإمام إذا لبست عليه القراءة، فقد صلى صلاةً فقرأ فيه، فلبس عليه، فلما انصرف، قال لأبي: «**أصليت معنا؟** قال: نعم، قال: **فما منعك أن تفتح عليَّ**»؟!(٣)

الاستعاذة والتفل عند الوسوسة

قال عثمان بن أبي العاص ﷺ: **يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ**؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك شيطان يقال له: خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثًا**» قال: **ففعلت ذلك فأذهبه الله عني**(٤)

الركوع

كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من القراءة سكت سكتة(٥)، ثم رفع يديه(٦)، على الوجوه المتقدمة في تكبيرة الافتتاح(٧)، وكبر وركع(٨)، وأمر بهما المسيء صلاته(٩).

---

(١) متفق عليه.

(٢) أحمد بسند جيد، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٥٤).

(٣) أبو داود وابن حبان، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٦٩).

(٤) مسلم.

(٥) أبو داود والحاكم وصححه الألباني في صفة الصلاة (٦٩)، وقال الألباني: هذه السكتة قدَّرها ابن القيم بقدر ما يتردد إليه نفسه.

(٦) متفق عليه، وقال الألباني في صفة الصلاة (٧٠): وهذا الرفع متواتر عنه ﷺ، وكذلك الرفع عند الاعتدال من الركوع، وهو مذهب الأئمة الثلاثة وغيرهم من جماهير المحدثين والفقهاء.

(٧) نفسه.

(٨) مسلم.

(٩) أبو داود والنسائي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٧٠).

وكان ﷺ يضع كفيه على ركبتيه[١]، وكان يأمرهم بذلك[٢]، وكان يمكّن يديه من ركبتيه كأنه قابض عليهما[٣].

وكان يفرِّج بين أصابعه، وأمر به المسيء صلاته فقال: «**إذا ركعت فضع راحتيك على ركبتيك، ثم فرِّج بين أصابعك، ثم امكث حتى يأخذ كل عضو مأخذه**»[٤]، وكان يجافي وينحّي مرفقيه من جنبيه[٥]، وكان إذا ركع بسط ظهره وسوَّاه[٦] حتى لو صُبَّ عليه الماء لاستقر[٧].

وكان لا يصب رأسه ولا يقنع[٨] وكان بين ذلك[٩]. وكان يطمئن في ركوعه، وأمر به المسيء صلاته.

أذكار الركوع

وكان يقول في هذا الركن أنواعًا من الأذكار والأدعية، تارة بهذا وتارة بهذا:

١- «**سبحان ربي العظيم**» ثلاث مرات[١٠]، وكان أحيانًا يكررها أكثر من ذلك[١١]، وبالغ مرة في تكرارها في صلاة الليل حتى كان ركوعه قريبًا من قيامه، وكان قرأ فيه ثلاث سور من الطوال: البقرة والنساء وآل عمران، يتخللها دعاء استغفار.

٢- «**سبحان ربي العظيم وبحمده**» ثلاثًا[١٢].

---

(١) البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) صفة الصلاة (٧٠، ٧٢).

(٥) صفة الصلاة (٧٠، ٧٢).

(٦) صفة الصلاة (٧٠، ٧٢).

(٧) صفة الصلاة (٧٠، ٧٢).

(٨) صفة الصلاة (٧٠، ٧٢).

(٩) صفة الصلاة (٧٠، ٧٢).

(١٠) صفة الصلاة (٧٠، ٧٢).

(١١) صفة الصلاة (٧٠، ٧٢).

(١٢) أبو داود وصححه الألباني في صفة الصلاة (٧٢).

٣- «سُبُّوح قدُّوس رب الملائكة والروح»[١].

٤- «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي» وكان يكثر منه في ركوعه وسجوده، يتأول القرآن[٢].

٥- «اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت، أنت ربي، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي، وما استقلت به قدمي رب العالمين»[٣].

٦- «اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت، وعليك توكلت، أنت ربي، خشع سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي لله رب العالمين»[٤].

٧- «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»[٥].

وكان ﷺ يجعل ركوعه وقيامه بعد الركوع، وسجوده وجلسته بين السجدتين قريبًا من السواء[٦]، وكان ينهى عن قراءة القرآن في الركوع والسجود[٧].

الاعتدال من الركوع

ثم كان ﷺ يرفع صلبه من الركوع قائلًا: «سمع الله لمن حمده»[٨]، ثم كان يقول وهو قائم: «ربنا ولك الحمد»[٩].

وأمر بذلك كل مصلٍّ مؤتمٍّ أو غيره، فقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[١٠]، وكان يرفع يديه عند هذا الاعتدال[١١]، على الوجوه المتقدمة في تكبيرة الإحرام، ويقول وهو

(١) مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) مسلم.
(٤) النسائي وصححه الألباني في صفة الصلاة (٧٣).
(٥) أبو داود والنسائي وصححه الألباني في صفة الصلاة (٧٣).
(٦) متفق عليه.
(٧) مسلم.
(٨) متفق عليه.
(٩) البخاري.
(١٠) البخاري.
(١١) متفق عليه.

قائم: «ربنا ولك الحمد»[١] وتارة يقول: «ربنا لك الحمد»[٢]، وتارة يضيف إلى هذين اللفظين «اللهم»[٣].

وكان يأمر بذلك فيقول: «إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه»[٤].

وكان تارة يزيد على ذلك إما: «ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد»[٥]، وإما: «ملء السموات وملء الأرض وما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد»[٦]، وتارة يضيف إلى ذلك قوله: «أهل الثناء والمجد، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[٧].

وتارة تكون الإضافة: «ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[٨].

وتارة يقول في الليل: «لربي الحمد، لربي الحمد» يكرر ذلك حتى كان قيامه نحوًا من ركوعه الذي كان قريبًا من قيامه الأول، وكان قرأ فيه سورة البقرة[٩].

ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، مباركًا عليه، كما يحب ربنا ويرضى. قاله رجل كان يصلي وراءه ﷺ بعدما رفع ﷺ رأسه من الركعة وقال: «سمع الله لمن حمده» فلما انصرف الرسول ﷺ قال: «من المتكلم آنفًا»؟

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري.

(٤) مسلم.

(٥) مسلم.

(٦) مسلم.

(٧) مسلم.

(٨) أبو داود والنسائي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٧٦).

(٩) أبو داود والنسائي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٧٦).

فقال الرجل: أنا يا رسول الله: فقال رسول الله ﷺ: «**لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أولًا**»[١].

وكان ﷺ يجعل قيامه هذا قريبًا من ركوعه كما تقدم، بل كان يقوم أحيانًا؛ يقول القائل: قد نسي من طول ما يقوم!![٢] وكان يأمر بالاطمئنان فيه، وكان يقول: «**لا ينظر الله -عز وجل- إلى صلاة عبد لا يقيم صُلبَه بين ركوعها وسجودها**»[٣].

السجود

ثم كان ﷺ يكبِّر ويهوي ساجدًا[٤]، وأمر بذلك، وكان إذا أراد أن يسجد كبَّر ويجافي يديه عن جنبيه ثم يسجد[٥]، وكان أحيانًا يرفع يديه إذا سجد[٦].

وكان يضع يديه على الأرض قبل ركبتيه[٧] وكان يأمر بذلك فيقول: «**إذا سجد أحدكم فلا يبرُك كما يبرُك البعير ويضع يديه قبل ركبتيه**»[٨].

وكان يقول: «**إن اليدين تسجدان كما يسجد الوجه، فإذا وضع أحدُكم وجهه فليضع يديه، وإذا رفع فليرفعهما**»[٩]. وكان يعتمد على كفَّيه ويبسطهما، ويضم أصابعه ويوجههما قِبَل القبلة[١٠]، وكان يجعلهما حذو منكبيه أو أذنيه، وكان يمكِّن أنفه وجبهته من الأرض[١١].

---

(١)البخاري.

(٢)متفق عليه.

(٣)أحمد والطبراني، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٧٨).

(٤)متفق عليه.

(٥)أبو يعلى، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٧٨).

(٦)النسائي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٨٧).

(٧)ابن خزيمة والدارقطني والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٧٨).

(٨)أبو داود وأحمد بسند صحيح، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٧٨).

(٩)أحمد، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٧٩).

(١٠)البيهقي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٧٩).

(١١)أبو داود، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٧٩).

وكان يقول: «**لا صلاة لمن لا يصيب أنفه من الأرض ما يصيب الجبين**» وكان يمكِّن أيضًا ركبتيه وأطراف قدميه، ويستقبل بأطراف أصابعها القبلة، ويرصُّ عقبيه، وينصب رجليه وأمر به؛ فهذه سبعة أعضاء كانﷺ يسجد عليها: الكفَّان، والركبتان، والقدمان، والجبهة، والأنف. وقال: «**أُمرت أن أسجد**»، وفي رواية: «**أُمرنا أن نسجد على سبعة أعظُم**: على الجبهة، وأشار بيده على أنفه، واليدين -وفي لفظ: الكفين- **والركبتين وأطراف القدمين ولا نكفت**[1] **الثياب والشعر**».

وكان يقول: «**إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب**[2]؛ **وجهه وكفَّاه وركبتاه وقدماه**»[3].

وكان لا يفترش ذراعيه[4] بل كان يرفعهما عن الأرض ويباعدهما من جنبيه، حتى يبدو بياض إبطيه من ورائه، وكان يأمر بذلك فيقول: «**إذا سجدتَ فضع كفَّيك وارفع مرفقيك**»[5]. ويقول: «**اعتدلوا في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط -وفي لفظ: كما يبسط الكلب**»[6]. وفي لفظ آخر، وحديث آخر: «**ولا يفترش أحدُكم ذراعيه افتراش الكلب**»[7].

وكانﷺ يأمر بإتمام الركوع والسجود، ويضرب لمن لا يفعل ذلك مثل الجائع، يأكل التمرة والتمرتين لا تغنيان عنه شيئًا، وكان يقول فيه: «**إنه من أسوأ الناس سرقة**».

وكان يحكم ببطلان صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود كما سبق.

---

(١) مسلم.

(٢) آراب: جمع (إرب).

(٣) مسلم.

(٤) البخاري.

(٥) مسلم.

(٦) متفق عليه.

(٧) الترمذي وأحمد، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٨١).

أذكار السجود

كانﷺ يقول في هذا الركن أنواعًا من الأذكار والأدعية، تارة هذا وتارة هذا:

١ - «سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات»[١].

٢ - وكان أحيانًا يكررها أكثر من ذلك[٢]. وبالغ في تكرارها مرة في صلاة الليل حتى كان سجوده قريبًا من قيامه، وكان قرأ فيه ثلاث من الطوال: البقرة والنساء وآل عمران، يتخللها دعاء واستغفار، كما سبق في صلاة الليل.

٣ - «سبُّوح قدُّوس ربّ الملائكة والروح»[٣].

٤ - «سبحان ربي الأعلى وبحمده ثلاثًا»[٤].

٥ - «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، وكان يكثر منه في ركوعه وسجوده يتأول القرآن»[٥].

٦ - «اللهم لك سجدت وبك آمنت، ولك أسلمت، وأنت ربي، سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره فأحسن صوره، وشقَّ سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين»[٦].

٧ - «اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه، دِقَّه وجُلَّه، وأوله وآخره، وعلانيته وسرَّه»[٧].

٨ - «سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي، وأبوء بنعمتك علي، هذي يدي وما جنيت على نفسي»[٨].

٩ - «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»[٩] وهذا وما بعده، كان

---

(١) مسلم.

(٢) مسلم.

(٣) مسلم.

(٤) مسلم.

(٥) مسلم.

(٦) مسلم.

(٧) مسلم.

(٨) البزار والحاكم، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٨٢).

(٩) مسلم.

يقوله في صلاة الليل.

١٠- «سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت»[١].

١١- « اللهم اغفر لي ما أسررتُ وما أعلنتُ»[٢].

١٢- «اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا واجعل في سمعي نورًا واجعل في بصري نورًا واجعل من تحتي نورًا، واجعل من فوقي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، واجعل أمامي نورًا واجعل خلفي نورًا، واجعل في نفسي نورًا، وأعظم لي نورًا»[٣].

١٣- «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، وأنت كما أثنيت على نفسك»[٤]، وكان يقول: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء فيه»[٥].

وكانﷺ يجعل سجوده قريبًا من الركوع في الطول، وربما بالغ في الإطالة لأمر عارض، وكان يسجد على الأرض كثيرًا[٦][٧]، وكان أصحابه يصلُّون معه في شدة الحرِّ، فإذا لم يستطع أحدُهم أن يمكِّن جبهته من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه[٨].

وكان يقول: «وجعلتُ الأرض كلها لي ولأُمتي مسجدًا وطهورًا، فأينما أدْرَكَتْ رجلًا من أمتي الصلاةُ، فعنده مسجدُه وعنده طهورُه»[٩].

وكان ربما سجدَ في طين وماء، وقد وقع له ذلك في صُبح ليلة إحدى وعشرين من رمضان، حين أمطرت السماء، ومال سقفُ المسجد -وكان من جريد النخل- فسجدﷺ

---

(١) مسلم.

(٢) النسائي والحاكم، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٨٣).

(٣) مسلم.

(٤) مسلم.

(٥) مسلم.

(٦) مسلم.

(٧) صفة الصلاة (٨٥).

(٨) مسلم.

(٩) أحمد والسراج والبيهقي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٨٥).

في الماء والطين، قال أبو سعيد الخدري: فأبصرَتْ عيناي رسولَ الله ﷺ وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين[١]، وكان ﷺ يصلي الخمرة[٢] أحيانًا، وعلى الحصير[٣] أحيانًا، وصلى عليه مرة وقد اسودَّ من طول ما لُبس[٤].

الرفع من السجود

ثم كان ﷺ يرفع رأسه من السجود مكبِّرًا، وأمر بذلك المسيء صلاته.

فقال: «**لا تتمُّ صلاةٌ لأحد من الناس حتى ... يسجد، حتى تطمئن مفاصله، ثم يقول: الله أكبر، ويرفع رأسه حتى يستوي قائمًا**»، وكان يرفع يديه مع هذا التكبير أحيانًا[٥].

قال الألباني في صفة الصلاة (٨٦)، وبه (أي: برفع اليدين) قال: المنذر، وأبو علي من الشافعية، وهو قول عن مالك والشافعي، كما في (طرح التثريب).

وصح الرفع هنا عن أنس وابن عمر ونافع وطاوس والحسن البصري وابن سيرين وأيوب السختياني، كما في مصنف ابن أبي شيبة (١/ ١٠٦) بأسانيد صحيحة عنهم، ثم يفرش النبي رجله اليسرى فيقعد عليها مطمئنًا[٦]، وأمر بذلك المسيء صلاته فقال له: «**إذا سجدت فمكِّن لسجودك، فإذا رفعت فاقعد على فخذك اليسرى، وكان ينصب رجله اليمنى**[٧]**، ويستقبل بأصابعها القبلة**»[٨].

---

(١) مسلم.
(٢) مسلم.
(٣) مسلم.
(٤) مسلم.
(٥) مسلم.
(٦) مسلم.
(٧) مسلم.
(٨) النسائي بسند صحيح، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٨٦)، وقال الألباني في صفة الصلاة (٨٧): وهذا غير الإقعاء المنهي عنه.

وكان أحيانًا يقعي (ينتصب على عقبيه وصدور قدميه)[١]. وكان ﷺ يطمئن حتى يرجع كل عظم إلى موضعه[٢]. وكان يطيلها حتى تكون قريبًا من سجدته[٣]، وأحيانًا يمكث حتى يقول القائل: قد نسي[٤].

الذكر بين الجلستين

وكان ﷺ يقول في هذه الجلسة:

١- «اللهم» وفي لفظ: «رب اغفر لي، وارحمني، واجبرني، وارفعني، واهدني، وعافني، وارزقني»[٥].

٢- وتارة يقول: «رب اغفر لي رب اغفر لي»[٦]. وكان يقولها في صلاة الليل[٧]، ثم يكبِّر ويسجد السجدة الثانية[٨]، وكان ﷺ يرفع يديه مع هذا التكبير أحيانًا[٩]، وكان يصنع في هذه السجدة -أي: السجدة الثانية- مثل ما صنع في الأولى، ثم يرفع رأسه مكبِّرًا[١٠]، وكان يرفع يديه أحيانًا[١١].

جلسة الاستراحة

ثم يستوي قاعدًا على رجله اليسرى معتدلًا حتى يرجع كل عظم إلى موضعه[١٢].

---

(١) مسلم.
(٢) مسلم.
(٣) مسلم.
(٤) مسلم.
(٥) أبو داود والترمذي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٨٧).
(٦) مسلم.
(٧) ولا ينفي ذلك مشروعية هذه الأوراد في الفرض، الألباني في صفة الصلاة (٨٧).
(٨) مسلم.
(٩) مسلم.
(١٠) مسلم.
(١١) أبو عوانة، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٨٨).
(١٢) مسلم.

النهوض إلى الركعة التالية

ثم كان ﷺ ينهض معتمدًا على الأرض إلى الركعة الثانية[١]، وكان يعجبه[٢] في الصلاة: يعتمد على يديه إذا قام[٣]، وكان ﷺ إذا نهض في الركعة الثانية استفتح بالحمد لله ولم يسكت[٤]، وكان يصنع في هذه الركعة مثلما يصنع في الأولى، إلا إذا كان يجعلها أقصر من الأولى كما سبق.

التشهد الأول

ثم كان ﷺ يجلس للتشهد بعد الفراغ من الركعة الثانية، فإذا كانت الصلاة ركعتين – كالصبح- جلس مفترشًا[٥]، كما كان يجلس بين السجدتين، وكذلك يجلس في التشهد الأول[٦] من الثلاثية[٧] أو الرباعية[٨].

وقال أبو هريرة ﷺ: ونهاني خليلي ﷺ عن إقعاء كإقعاء الكلب[٩].

وكان إذا قعد في التشهد وضع كفه اليمنى على فخذه، وفي رواية: على ركبته اليمنى، ووضع كفه اليسرى على فخذه، وفي رواية: ركبته اليسرى[١٠]، وكان ﷺ يضع حدَّ مرفقه الأيمن على فخذه اليمنى[١١]، وكان ﷺ يبسط كفه اليسرى على ركبته اليسرى، ويقبض

---

(١) مسلم.
(٢) مسلم.
(٣) مسلم.
(٤) مسلم.
(٥) مسلم.
(٦) مسلم.
(٧) مسلم.
(٨) مسلم.
(٩) مسلم.
(١٠) مسلم.
(١١) أبو داود والنسائي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٩٠).

أصابع كفه اليمنى كلها، ويشير بإصبعه -التي هي الإبهام- إلى القبلة ويرمي ببصره إليها[١]، وكان إذا أشار بإصبعه وضع إبهامه على إصبعه الوسطى[٢]، وتارة كان يُحلِّق بهما حلقة[٣]، وكان يحرك إصبعه يدعو بها[٤]ويقول: لهي أشد على الشيطان من الحديد؛ يعني السبابة[٥]. وكان أصحاب النبي ﷺ يأخذ بعضهم على بعض؛ يعني الإشارة بالإصبع في الدعاء[٦]، وكان ﷺ يفعل ذلك في التشهدين جميعًا. ورأى رجلًا يدعو بإصبعه فقال: أحدٌ أحدٌ، وأشار بالسبابة.

التشهد

ثم كان ﷺ يقرأ في كل ركعتين (التحية)[٧]، وكان أول ما يتكلم به عند القعدة: «**التحيات لله**»[٨]، وكان إذا نسيها في الركعتين الأوليين يسجد للسهو[٩].

صيغ التشهد

١- تشهُّد ابن مسعود: قال: علمني رسول الله ﷺ التشهد -وكفِّي بين كفيه- كما يعلمني السورة من القرآن: «**التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن**

---

(١) مسلم.

(٢) مسلم.

(٣) مسلم.

(٤) أبو داود والنسائي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٩١)، وقال الألباني في صفة الصلاة (٩١): وقوله: «يدعو بها» قال الطحاوي: وفيه دليل على أنه كان في آخر الصلاة، وقال الألباني: قلت: ففيه دليل على أن السنة أن يستمر في الإشارة وفي تحريكها إلى السلام؛ لأن الدعاء قبله، وهو مذهب مالك وغيره، وسئل أحمد: هل يشير الرجل بإصبعه في الصلاة؟ قال: نعم شديدًا.

(٥) مسلم.

(٦) مسلم.

(٧) مسلم.

(٨) البيهقي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٩٢).

(٩) متفق عليه.

محمدًا عبده ورسوله»[١].

٢- تشهُّد ابن عباس: قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن، فكان يقول: «**التحيات المباركات، والصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله**»، وفي رواية «**عبده ورسوله**»[٢].

٣- تشهُّد ابن عمر: عن رسول الله ﷺ أنه قال في التشهد: «**التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله**»، قال ابن عمر: زدت فيها: (وبركاته)، «**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله**» قال ابن عمر: وزدت فيها: (وحده لا شريك له)، «**وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**»[٣].

٤- وتشهُّد أبو موسى الأشعري: قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان عند القعدة، فليكن من أول قول أحدكم: التحيات الطيبات، الصلوات لله، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**»[٤].

٥- تشهُّد عمر بن الخطاب: كان ﷺ يعلِّم الناس التشهد وهو على المنبر، يقول: «قولوا: التحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات لله، الصلوات لله، السلام عليك ... إلخ» مثل تشهُّد ابن مسعود[٥].

الصلاة على النبي

وكان ﷺ يصلي على نفسه في التشهد الأول وغيره[٦]، وشرع ذلك لأمته، حيث

---

(١) متفق عليه.

(٢) مسلم.

(٣) أبو داود، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٩٤).

(٤) مسلم.

(٥) مالك، والبيهقي بسند صحيح، وقال الألباني، الحديث وإن كان موقوفًا فهو في حكم المرفوع؛ لأنه = = من المعلوم أنه لا يقال بالرأي (صفة الصلاة ٩٥).

(٦) مسلم.

أمرهم بالصلاة عليه بعد السلام عليه، وعلَّمهم أنواعًا من صيغ الصلاة عليه ﷺ:

١- اللهم صلِّ على محمد وعلى أهل بيته وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل بيته وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. وهذا كان يدعو به هو نفسه ﷺ[١].

٢- اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد[٢].

٣- اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد[٣].

٤- اللهم صلِّ على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد[٤].

٥- اللهم صلِّ على عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد عبدك ورسولك وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم[٥].

٦- اللهم صلِّ على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد[٦].

٧- اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد[٧].

---

(١) مسلم.

(٢) مسلم.

(٣) النسائي وأحمد، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٩٦).

(٤) مسلم.

(٥) البخاري.

(٦) متفق عليه.

(٧) الطحاوي بسند صحيح، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٩٧).

القيام إلى الركعة الثالثة

ثم كانﷺ ينهض إلى الركعة الثالثة مكبِّرًا، وأمر به المسيء صلاته في قوله: «ثم اصنع ذلك في كل ركعة وسجدة» كما تقدم، وكانﷺ إذا قام من القعدة كبَّر ثم قام[١].

وكانﷺ يرفع يديه[٢] مع هذا التكبير أحيانًا.

القيام إلى الركعة الرابعة

وكان إذا أراد القيام إلى الركعة الرابعة، قال: «الله أكبر» وكانﷺ يرفع بيديه[٣] مع هذا التكبير أحيانًا، ثم كان يستوي قاعدًا على رجله اليسرى معتدلًا حتى يرجع كل عظم إلى موضعه، ثم يقوم معتمدًا بيديه على الأرض[٤].

التشهد الأخير

ثم كانﷺ بعد أن يتم الركعة الرابعة يجلس للتشهد الأخير، وكان يأمر فيه بما أمر به في الأول، ويصنع فيه ما كان يصنع في الأول، إلا أنه كان يقعد فيه متورِّكًا[٥]، ويفضي بوركه اليسرى إلى الأرض، ويخرج قدميه من ناحية واحدة[٦]، ويجعل اليسرى تحت فخذه وساقه، وينصب اليمنى[٧]، وربما فرشها[٨] أحيانًا، وكان يلقم كفه اليسرى ركبته، يتحامل عليها[٩]، وشُرِع فيه الصلاة عليهﷺ كما شرع ذلك في التشهد الأول، وقد مضى هناك ذكر الصيغ الواردة في صفة الصلاة عليهﷺ.

---

(١) أبو يعلى في مسنده، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٩٨).

(٢) مسلم.

(٣) النسائي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٩٩).

(٤) البخاري.

(٥) البخاري.

(٦) أبو داود والبيهقي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (١٠٥).

(٧) مسلم.

(٨) البخاري.

(٩) مسلم.

الاستعاذة من أربع

وكان ﷺ يقول: **«إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير، فليستعذ بالله من أربع؛ يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرِّ فتنة المسيح الدجال، ثم يدعو لنفسه بما بدا له»**(١)، وكان ﷺ يدعو به في تشهده(٢).

وكان يعلمه الصحابة ﷺ كما يعلمهم السورة من القرآن(٣).

الدعاء قبل السلام

وكان ﷺ يدعو في صلاته بأدعية متنوعة، تارة بهذا، وتارة بهذا، وأمر المصلي أن يتخيَّر منها ما شاء(٤)، وهاك هي:

١- **«اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم»**(٥).

٢- **«اللهم إني أعوذ بك من شرِّ ما عملت، ومن شرِّ ما لم أعمل»**(٦).

٣- **«اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا»**(٧).

٤- **«اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمتَ الحياة خيرًا لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيرًا لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق، وفي رواية: (الحكم)، والعدل في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا يبيد، وأسألك قرَّة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برْدَ العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك،**

---

(١) مسلم.

(٢) أبو داود وأحمد، وصححه الألباني في صفة الصلاة (١٠٦).

(٣) مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

(٦) النسائي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (١٠٧).

(٧) أحمد والحاكم، وصححه الألباني في صفة الصلاة (١٠٧).

وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زيّنا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين»[١].

٥- وعلَّم ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ أن يقول: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»[٢].

٦- وأمر عائشة ﷺ أن تقول: «اللهم إني أسألك من الخير كله، ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله، ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأسألك -وفي رواية: اللهم إني أسألك- الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأسألك -وفي رواية: اللهم إني أسألك- من خير ما سألك عبدُك ورسولك محمد ﷺ، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته لي رشدًا»[٣].

٧- وقال لرجل: «ما تقول في الصلاة؟»، قال: أتشهَّد، ثم أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، أما والله ما أُحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال ﷺ: «حولها ندندن»[٤].

٨- وسمع رجلًا يقول في تشهده: اللهم إني أسألك يا الله -وفي رواية: بالله- الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم، فقال ﷺ: «قد غُفر له، قد غُفر له»[٥].

٩- وسمع آخر يقول في تشهده أيضًا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «أتدرون بما دعا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «والذي نفسي بيديه، لقد دعا الله باسمه العظيم -وفي رواية: الأعظم- الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل أعطى»[٦].

---

(١) النسائي والحاكم، وصححه الألباني في صفة الصلاة (١٠٨).

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري في الأدب، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٤٢).

(٤) أبو داود، وصححه الألباني في صفة الصلاة (١٠٨).

(٥) النسائي، وصححه الألباني في صفة الصلاة (١٠٩).

(٦) البخاري في الأدب، وصححه الألباني في صفة الصلاة (١٠٩).

١٠- وكان آخر ما يقول بين التشهُّد والتسليم: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت**»[١].

التسليم

ثم كانﷺ يسلم عن يمينه: «**السلام عليكم ورحمة الله**»، حتى يُرى بياض خدِّه الأيمن، وعن يساره: «**السلام عليكم ورحمة الله**» حتى يُرى بياض خدِّه الأيسر[٢]. وكان أحيانًا يزيد في التسليمة الأولى: «**وبركاته**»[٣].

وكان إذا قال عن يمينه: «**السلام عليكم ورحمة الله**» اقتصر أحيانًا على قوله عن يساره: «**السلام عليكم**»[٤]. وأحيانًا كان يسلِّم تسليمة واحدة: «**السلام عليكم**»، تلقاء وجهه، ويميل إلى الشق الأيمن شيئًا أو قليلًا[٥].

ملحوظة

كل ما تقدَّم من صفة صلاتهﷺ يستوي فيه الرجال والنساء، ولم يرد في السُّنَّة ما يقتضي استثناء النساء من بعض ذلك، بل إن عموم قولهﷺ: «**صلُّوا كما رأيتموني أصلي**» يشملهن[٦].

ما يكره في الصلاة

١- يكره في الصلاة الالتفات بوجهه وصدره؛ لقول النبيﷺ: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»[٧]؛ إلا أن يكون ذلك لحاجة، فلا بأس به، كما في حالة الخوف؛ فإن استدار بجميع بدنه أو استدبر الكعبة في غير حالة الخوف بطلت صلاته؛

---

(١) مسلم.

(٢) النسائي والترمذي وأبو داود، وصححه الألباني في صفة الصلاة (١٠٩).

(٣) أبو داود وابن خزيمة، وصححه الألباني في صفة الصلاة (١١٠).

(٤) النسائي وأحمد، وصححه الألباني في صفة الصلاة (١١٠).

(٥) مسلم.

(٦) صفة صلاة النبي (٢٩-١١١) باختصار.

(٧) البخاري (٧٥١).

لتركه الاستقبال بغير عذر.

٢- ويكره في الصلاة رفع البصر إلى السماء، فقد أنكر النبيﷺ على من يفعل ذلك فقال: « ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم» واشتد قوله في ذلك، حتى قال:« لينتهينَّ أو لتخطفنَّ أبصارهم»[١].

٣- ويكره في الصلاة تغميض عينيه لغير حاجة؛ لأن ذلك من فعل اليهود، وإن كان التغميض لحاجة كأن يكون أمامه ما يشوِّش عليه صلاته، كالزخارف والتزويق، فلا يكره إغماض عينيه عنه، هذا معنى ما ذكره ابن القيم رحمه الله.

٤- ويكره في الصلاة إقعاؤه في الجلوس، وهو أن يفرش قدميه و يجلس على عقبيه؛ لقولهﷺ: « إذا رفعت رأسك من السجود فلا تُقعِ كما يُقعي الكلب»[٢].

٥- ويكره في الصلاة أن يستند إلى جدار نحوه -حال القيام- إلا من حاجة؛ لأنه يزيل مشقة القيام، فإن فعله لحاجة كمرض ونحوه فلا بأس.

٦- ويكره في الصلاة افتراش ذراعيه في حالة السجود، بأن يمدها على الأرض مع إلصاقهما بها، قالﷺ: « اعتدلوا في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب»[٣].

٧- ويكره في الصلاة العبث -وهو اللعب- وعمل ما لا فائدة فيه بيده أو رجله أو لحيته أو ثوب أو غير ذلك، ومنه مسح الأرض من غير حاجة.

٨- ويكره في الصلاة التخصُّر، وهو وضع اليد على الخاصرة؛ وذلك لأن التخصُّر فعل الكفار والمتكبرين، وقد نُهينا عن التشبه بهم، وقد ثبت في الحديث المتفق عليه النهي عن أن يصلي الرجل متخصرًا[٤].

٩- ويكره في الصلاة فرقعة الأصابع وتشبيكها.

١٠- ويكره في الصلاة أن يصلي وبين يديه ما يشغله ويلهيه؛ لأن ذلك يشغله عن إكمال صلاته.

---

(١) البخاري (٧٥٠).

(٢) ابن ماجه (٨٩٦).

(٣) البخاري (٥٣٢).

(٤) البخاري (١٢٢٠)، ومسلم (٥٤٥).

١١- وتكره صلاته في مكان فيه تصاوير؛ لما فيه من التشبه بعبادة الأصنام، سواء كانت الصورة منصوبة أو غير منصوبة، على الصحيح.

١٢- ويكره أن يدخل في الصلاة وهو مشوش الفكر، بسبب وجود شيء يضايقه كاحتباسه بول أو غائط أو ريح، أو حالة برد أو حر شديدين، أو جوع أو عطش مفرطين؛ لأن ذلك يمنع الخشوع.

١٣- ويكره دخوله في الصلاة بعد حضور طعام يشتهيه؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان**»(١).

١٤- ويكره للمصلي أن يخصَّ جبهته بما يسجد عليه؛ لأن ذلك من شعار الرافضة، ففي ذلك الفعل تشبه بهم.

١٥- ويكره في الصلاة مسح جبهته وأنفه مما علق بهما من أثر السجود، ولا بأس بمسح ذلك بعد الفراغ من الصلاة.

١٦- ويكره في الصلاة العبث بمسِّ لحيته وكفِّ ثوبه وتنظيف أنفه ونحو ذلك؛ لأن ذلك يشغله عن صلاته(٢).

---

(١) مسلم (٥٦٠).

(٢) الملخص الفقهي للفوزان (١/ ٧٩، ٨٠).



ما يباح فعله في الصلاة

١- يسنُّ للمصلي رد المار بين يديه، لقول النبيﷺ: « **إذا كان أحدكم يصلي فلا يدعن أحدًا يمر بين يديه، فإن أبى فليقاتله، فإن معه القرين**»[1] لكن إذا كان أمام المصلى سترة فلا بأس أن يمر من ورائها، وكذا إذا احتاج إلى المرور لضيق المكان فيمر، ولا يرده المصلي، وكذا إذا كان صلى في الحرم فلا يمنع المرور بين يديه؛ لأن النبيﷺ كان يصلي بمكة والناس يمرون بين يديه، وليس دونهم سترة[2] .

٢- وإذا التبست القراءة على الإمام فللمأموم أن يُسْمِعَهُ القراءة الصحيحة.

٣- ويُباح للمصلي لبس الثوب ونحوه، وحمل الشيء ووضعه، وفتح الباب، وله قتل الحية والعقرب؛ لأن النبيﷺ أمر بقتل الأسودين في الصلاة؛ الحية والعقرب[3] إلا لضرورة، فإن أكثر منها في غير ضرورة وكانت متوالية بطلت الصلاة.

٤- وإذا عرض للمصلي أمرٌ كاستئذانٍ عليه، أو سهو إمامه أو خاف على إنسان الوقوع في هلكة، فله التنبيه على ذلك بأن يُسبِّح الرجل وتُصفِّق المرأة؛ لقولهﷺ: «**إذا نابكم شيء في صلاتكم فلتسبح الرجال ولتصفق النساء**»[4] .

٥- ولا يكره السلام على المصلي إذا كان يعرف كيف يرد، وللمصلي حينئذٍ السلام في حال الصلاة بالإشارة لا باللفظ.

٦- ويجوز للمصلي أن يقرأ عدة سور في ركعة واحدة؛ لما في الصحيح أن النبيﷺ قرأ ركعة من قيامه بالبقرة وآل عمران والنساء[5].

٧- ويجوز له أن يكرر السورة في ركعتين، وأن يقسِّم السورة الواحدة بين ركعتين.

٨- ويجوز له قراءة أواخر السور وأوسطها.

٩- وللمصلي أن يستعيذ عند قراءة آية فيها ذكر عذاب، وأن يسأل عند قراءة آية فيها

---

(١) مسلم (٥٠٦).

(٢) أبو داود (٢٠١٦).

(٣) أبو داود (٩٢١).

(٤) البخاري (١٢٠٣)، ومسلم (٤٢٢).

(٥) مسلم (٧٧٢).

ذكر رحمة، وله أن يصلي على النبي ﷺ عند قراءة ذكره، لتأكيد الصلاة عليه عند ذكره[١].

الذكر بعد الصلاة

لقد دلَّت الأحاديث الشريفة على مشروعية الأذكار بعد الصلوات المكتوبة وعلى ما يحصل عليه من قالها من الأجر والثواب، فينبغي لنا المحافظة عليها والإتيان بها على الصفة الواردة عن النبي ﷺ، وأن نأتي بها بعد السلام من الصلاة مباشرة قبل أن نقوم من المكان الذي صلينا فيه ونرتبها على هذا الترتيب:

فإذا سلَّمنا من الصلاة، نستغفر الله ثلاثًا ، ثم نقول: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**» ، ثم نقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**» ، ثم نقول: «**لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**» ، ثم نسبِّح الله ثلاثًا وثلاثين، ونحمد ثلاثًا وثلاثين ونكبره ثلاثًا وثلاثين، ونقول تمام المائة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير**» . وبعد صلاة المغرب وصلاة الفجر نأتي بالتهليلات العشر[٢]، ونقول: «**ربِّ أجرني من النار**» سبع مرات، ثم بعد أن نفرغ من هذه الأذكار على هذا الترتيب نقرأ آية الكرسي وسورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والمعوذتين[٣]، ويستحب تكرار قراءة هذه السور بعد صلاة المغرب وصلاة الفجر ثلاث مرات[٤].

---

(١) مسلم (٧٧٢).

(٢) أي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

(٣) المعوذتان: سورتا (الفلق) و (الناس).

(٤) الملخص الفقهي (١/ ٨٨، ٨٩).

صلاة التطوع

صلوات التطوع على نوعين:

١- النوع الأول: صلوات مؤقتة بأوقات معينة، وتسمى بالنوافل المقيدة.

٢- والنوع الثاني: صلوات غير مؤقتة بأوقات معينة، وتسمى بالنوافل المطلقة.

والنوع الأول أنواع متعددة: بعضها آكد من بعض، وآكد أنواعه صلاة الكسوف، ثم صلاة الاستسقاء، ثم صلاة التراويح، ثم صلاة الوتر، وكل من هذه صلوات سيأتي عنه حديث خاص إن شاء الله تعالى(١).

السنن الراتبة مع الفرائض

السنن المؤكدة اثنا عشرة ركعة في اليوم والليلة هي:

ركعتان قبل الفجر، أربع قبل الظهر، اثنتان بعد الظهر، اثنتان بعد المغرب، اثنتان بعد العشاء. والدليل على هذه الرواتب بهذا التفصيل المذكور هو حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ عشر ركعات؛ ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل الصبح، كانت ساعة لا يدخل على النبي ﷺ فيها أحدٌ. حدثتني حفصة أنه كان إذا أذن المؤذن وطلع الفجر صلى ركعتين(٢).

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يصلي قبل الظهر أربعًا في بيتي، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يرجع إلى البيت فيصلي ركعتين(٣)، فيؤخذ من هذا أن فعل الراتبة في البيت أفضل من فعلها في المسجد؛ وذلك لمصالح تترتب على ذلك.

وآكد هذه الرواتب ركعتا الفجر، لقول عائشة رضي الله عنها: لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهدًا منه على ركعتي الفجر(٤).

---

(١) السابق (١/ ٩٠).

(٢) مسلم (٧٧٢).

(٣) مسلم (٧٧٢).

(٤) البخاري (١١٦٣)، ومسلم (٧٢٤).

وقال: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**»[١]؛ ولهذا كان النبي ﷺ يحافظ عليها وعلى الوتر في الحضر والسفر.

وأما ما عدا ركعتي الفجر والوتر من الرواتب فلم يُنقل عن النبي ﷺ راتبة في السفر غير ركعتي الفجر والوتر من الرواتب، فلم يُنقل عن النبي ﷺ راتبة في السفر غير سُنَّة الفجر والوتر.

وقال ابن القيم رحمه الله: وكان من هديه ﷺ في سفره الاقتصار على الفرض، ولم يحفظ عنه أنه صلى سُنَّة الصلاة قبلها ولا بعدها، إلا ما كان من الوتر وسُنَّة الفجر.

والسُّنَّة وتخفيف ركعتي الفجر؛ لما في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يخفف الركعتين اللتين قبل صلاة الصبح، ويقرأ في الركعة الأولى من سُنَّة الفجر بعد الفاتحة، (قل يأيها الكافرون)، وفي الثانية (قل هو الله أحد)[٢]، أو يقرأ في الأولى منهما: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦] ويقرأ في الركعة الثانية: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[٣][آل عمران: ٦٤]

وإذا فاتك شيء من هذه السنن الرواتب فإنه يُسنُّ لك قضاؤه، وكذا إذا فاتك الوتر من الليل فإنه يُسنُّ لك قضاؤها في النهار؛ لأنه ﷺ قضى ركعتي الفجر مع الفجر حين نام عنهما، وقضى الركعتين اللتين قبل الظهر بعد العصر، ويقاس الباقي من الرواتب في مشروعية قضائه، إذا فات على ما فيه النص[٤].

---

(١) مسلم (٧٢٥).

(٢) البخاري (١١٦٥)، ومسلم (٧٢٤).

(٣) مسلم (٧٢٦).

(٤) الملخص الفقهي (١/ ٩٥-٩٧).

صلاة القيام والوتر

اتفق المسلمون على مشروعية الوتر، فلا ينبغي تركه، ومن أصرَّ على تركه فإنه ترد شهادته.

قال الإمام أحمد: ومن ترك الوتر عمدًا فهو رجل سوء، لا ينبغي أن تقبل شهادته.

والوتر: اسم للركعة المنفصلة عما قبلها ولثلاث ركعات وللخمس وللسبع والتسع والإحدى عشرة، إذا كانت متصلة بسلام واحد، فإذا كانت هذه الركعات بسلامين أو أكثر، فالوتر اسم للركعة المنفصلة وحدها.

وقت الوتر

وقت الوتر يبدأ من بعد صلاة العشاء الآخرة، ويستمر إلى طلوع الفجر، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: من كُلِّ الليل أوتر رسول الله ﷺ؛ من أوله وأوسطه وآخره، وانتهى وتره إلى السحر[1].

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن جميع الليل وقت الوتر، إلا ما قبل صلاة العشاء، فمن كان يثق في قيامه في آخر الليل، فتأخير الوتر إلى آخر الليل أفضل، ومن كان لا يثق من قيامه في آخر الليل فإنه يوتر قبل أن ينام، بهذا أوصى النبي ﷺ، فقد روى مسلم من حديث جابر عن النبي ﷺ: «**أيكم يخاف ألا يقوم من آخر الليل فليوتر ثم ليرقد، ومن وثق بقيامه من آخر الليل فليوتر من آخره، فإن قراءة آخر الليل مشهودة، وذلك أفضل**»[2].

أقل الوتر وأكثره

أقل الوتر ركعة واحدة؛ لورود الأحاديث بذلك، وثبوته عن عشرة من الصحابة ﷺ، لكن الأفضل أن تكون مسبوقة بالشفع.

---

(١) البخاري (٩٩٦)، ومسلم (٧٤٥).

(٢) مسلم (٧٥٥).

وأكثر الوتر إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة، يصليها ركعتين ركعتين، ثم يصلي ركعة يوتر بها؛ لقول عائشة ﵂: كان رسول الله ﷺ يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة، يوتر منها بواحدة[1]، وفي لفظ: يسلِّم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة[2].

وله أن يسردها ثم يجلس بعد العاشرة ويتشهد ولا يسلِّم، ثم يقوم ويأتي بالحادية عشرة، ويتشهد ويسلِّم، وله أن يسردها ولا يجلس إلا بعد الحادية عشرة ويتشهد ويسلِّم، والصفة الأولى أفضل.

وله أن يوتر بتسع ركعات، يسرد ثمانية، ثم يجلس عقب الركعة الثامنة، ويتشهد التشهد الأول ولا يسلِّم، ثم يقوم فيأتي بالركعة التاسعة، ويتشهد التشهد الأخير ويسلِّم.

وله أن يوتر بسبع ركعات أو بخمس ركعات، لا يجلس إلا في آخرها، ويتشهد ويسلِّم؛ لقول أم سلمة ﵂: كان رسول الله ﷺ يوتر بسبع وبخمس، لا يفصل بينهن بسلام ولا كلام[3].

وله أن يوتر بثلاث ركعات، يصلي ركعتين، ثم يصلي الثالثة وحدها، ويستحب أن يقرأ في الأولى بـ (سبح)[4]، وفي الثانية بـ (قل يأيها الكافرون) والثالثة بـ (قل هو الله أحد).

وقد تبين مما مر أن لك أن توتر بإحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة، وبتسع ركعات وبسبع ركعات وبخمس ركعات وبثلاث ركعات وبركعة واحدة، فأعلى الكمال إحدى عشرة، وأدنى الكمال ثلاث ركعات، والمجزئ ركعة واحدة. ويستحب لك أن تقنت في الوتر بأن تدعو الله سبحانه، فترفع يديك وتقول «اللهم اهدني فيمن هديت ...»[5].

---

(١) مسلم (٧٧٢).

(٢) مسلم (٧٧٢).

(٣) مسلم (٧٧٢).

(٤) مسلم (٧٧٢).

(٥) مسلم (٧٧٢).

أحكام صلاة التراويح

مما شُرع في شهر رمضان المبارك صلاة التراويح، وهي سُنَّة مؤكدة، سميت تراويح؛ لأن الناس كانوا يستريحون فيها بين كل أربع ركعات؛ لأنهم كانوا يطيلون الصلاة، وفعلها في الجماعة في المسجد أفضل، فقد صلاها النبي ﷺ بأصحابه في المسجد ليالي، ثم تأخر عن الصلاة بهم خوفًا من أن تفرض عليهم، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلَّى في المسجد ذات ليلة، وصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة وكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم، فلما أصبح قال: **«قد رأيت الذي صنعتم، فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم»** وذلك في رمضان[١]. وفعلها صحابته من بعده، وتلقتها الأمة بالقبول، وقال ﷺ: **«من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة»**[٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: **«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»**[٣]، **فهي سُنَّة ثابتة، لا ينبغي للمسلم** تركها.

عدد الركعات

أما عدد ركعاتها فلم يثبت فيه شيء[٤] عن النبي ﷺ، **والأمر في ذلك واسع.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: **له أن يصلي عشرين ركعة، كما هو مشهور من مذهب أحمد والشافعي، وله أن يصلِّي ستًّا وثلاثين، كما هو مذهب مالك، وله أن يصلي إحدى عشرة ركعة وثلاث عشرة ركعة وكلٌّ حسن، فيكون تكثير الركعات أو تقليلها** بحسب طول القيام وقصره. وعمر رضي الله عنه لما جمع الناس على أُبي صلى بهم عشرين ركعة، والصحابة رضي الله عنهم منهم من يُقِل ومنهم من يُكثِر.

---

(١) مسلم (٧٧٢).

(٢) صحيح، انظر صحيح الترغيب.

(٣) البخاري (٢٠١٤)، ومسلم (٧٩٥).

(٤) خير الهدي هدي محمد ﷺ، وما زاد النبي في رمضان ولا في غيره عن إحدى عشرة ركعة، كما صح ذلك عن عائشة.

وكثير من الأئمة (أي أئمة المساجد) في التراويح يصلون صلاة لا يعقلونها ولا يطمئنون في الركوع ولا في السجود، والطمأنينة ركن والمطلوب في الصلاة حضور القلب بين يدي الله تعالى واتعاظه بكلام الله إذا تُلي، وهذا لا يحصل في العجلة المكروهة، وصلاة عشر ركعات -مع طول القراءة والطمأنينة- أولى من عشرين ركعة مع العجلة المكروهة[١].

صلاة الضحى

اعلم أيها المسلم أنه قد وردت في صلاة الضحى أحاديث كثيرة، منها ما في الصحيحين، عن أبي هريرة ﷺ قال: أوصاني خليلي رسول الله ﷺ بثلاث؛ صيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام[٢].

عدد ركعاتها

أقل صلاة الضحى ركعتان، وأكثرها ثماني ركعات، لما روت أم هانئ أن النبي ﷺ عام الفتح صلى ثماني ركعات سُبحة الضحى[٣][٤].

وقتها

وقت صلاة الضحى يبتدئ من ارتفاع الشمس بعد طلوعها قد رمح، ويمتد إلى قبيل الزوال، أي: وقت قيام الشمس في كبد السماء. والأفضل أن يصلي إذا اشتد الحر؛ لحديث: «**صلاة الأوابين حين ترمض الفصال**»[٥]، أي: حتى تحمي الرمضاء فتبرك الفصال من شدة الحر[٦]. والفصال: جمع فصيل، وهو صغير الناقة.

---

(١) مسلم (٧٧٢).

(٢) مسلم (٧٧٢).

(٣) مسلم (٧٧٢).

(٤) وأيضًا لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين، ومن صلى أربعًا كتب من العابدين، ومن صلى ستًا كفي ذلك اليوم، ومن صلى ثمانية كتبه الله من القانتين ...... الحديث**» رواه الطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب.

(٥) مسلم (٧٤٨).

(٦) الملخص الفقهي (١/ ٩٨).

خصائص وأحكام صلاة الجمعة

خصائص يوم الجمعة

١- من خصائص يوم الجمعة استحباب كثرة الصلاة على النبي ﷺ فيه وفي ليلته؛ لقوله ﷺ: «**اكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة وليلة الجمعة**»(١).

٢- ومن أعظم خصائص يوم الجمعة صلاة الجمعة، التي هي من آكد فروض الإسلام ومن أعظم مجامع المسلمين، من تركها تهاونًا بها طبع الله على قلبه.

٣- من خصائص يوم الجمعة الأمر بالاغتسال فيه، وهو سُنَّة مؤكَّدة، ومن العلماء من يوجبه مطلقًا، ومنهم من يوجبه في حق من به رائحة يحتاج إلى إزالتها.

٤- ومن خصائص يوم الجمعة استحباب التبكير للذهاب إلى المسجد لصلاة الجمعة، والاشتغال بصلاة النافلة والذكر والقراءة حتى يخرج الإمام للخطبة، ووجوب الإنصات للخطبة إذا سمعها، فإن لم ينصت للخطبة كان لاغيًا، ومن لغا فلا جمعة له، وتحريم الكلام وقت الخطبة، ففي المسند مرفوعًا «**والذي يقول لصاحبه: أنصت فلا جمعة له**»(٢).

٥- ومن خصائص يوم الجمعة قراءة سورة الكهف في يومها.

٦- ومن خصائص يوم الجمعة أن فيه ساعة الإجابة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «**إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه**، وقال بيده يقللها»(٣).

٧- ومن خصائص يوم الجمعة أن فيه الخطبة التي يُقصد بها الثناء على الله وتمجيده والشهادة له بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة وتذكير العباد.

النافلة بعد الجمعة

ليس للجمعة راتبة قبلها، وإنما راتبتها بعدها، ففي صحيح مسلم: «**إذا صلى أحدكم**

---

(١) أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٣).

(٢) مسلم (٧٧٢).

(٣) البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢).

الجمعة فليصلِّ بعدها أربع ركعات»[١]، وفي الصحيحين أنه ﷺ كان يصلي بعد الجمعة ركعتين[٢]. والجمع بين الحديثين: أنه إن صلى في بيته صلى ركعتين، وإن صلى في المسجد صلى أربع ركعات.

من أحكام الجمعة

١- أن من دخل المسجد والإمام يخطب لا يجلس حتى يصلي ركعتين يوجز فيهما؛ لقوله ﷺ: « **إذا جاء أحدكم يوم الجمعة وقد خرج الإمام فليصلِّ ركعتين**» زاد مسلم: « **وليتجوَّز فيهما**»[٣] أي: يُسرع. فإن جلس قام فأتى بهما؛ لأن النبي ﷺ أمر الرجل الذي جلس قبل أن يصليهما فقال له: « **قم فاركع ركعتين**»[٤].

٢- ومن أحكام صلاة الجمعة: أنه لا يجوز الكلام والإمام يخطب؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[الأعراف: ٢٠٤] قال بعض المفسرين: إنها نزلت في الخطبة وسميت قرآنًا لاشتمالها على القرآن، وحتى على القول الآخر: بأن الآية نزلت في الصلاة، فإنها تشمل بعمومها الخطبة. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: « **إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت -والإمام يخطب- فقد لغوت**»[٥] أي: قلت اللغو، واللغو: الإثم، فإذا كان الذي يقول للمتكلم: أنصت -وهو في الأصل يأمر بالمعروف فقد لغا، وهو منهي عن ذلك- فغير ذلك من الكلام من باب أولى.

٣- ويجوز للإمام أن يكلِّم بعض المأمومين حال الخطبة، ويجوز لغيره أن يكلمه لمصلحة؛ لأن النبي ﷺ كلَّم سائلًا، وكلمه هو، وتكرر ذلك في عدة وقائع، كلَّم فيها رسول الله ﷺ بعض الصحابة وكلَّموه حال الخطبة فيما فيه مصلحة وتعلم، ولأن ذلك لا يشغل عن سماع الخطبة.

٤- ولا يجوز لمن يستمع الخطبة أن يتصدق على السائل وقت الخطبة؛ لأن السائل فعل ما لا يجوز له فعله، فلا يعينه على ما لا يجوز، وهو الكلام حال الخطبة.

---

(١) مسلم (٨٨١).

(٢) البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٨٢).

(٣) البخاري (٩٣١)، ومسلم (٨٧٥)، واللفظ لمسلم من حديث جابر بن عبد الله.

(٤) البخاري (٩٣٠)، ومسلم (٨٧٥).

(٥) البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١).

٥- وتسنُّ الصلاة على النبي ﷺ إذا سمعها من الخطيب، ولا يرفع بها صوته؛ لئلا يشغل غيره بها.

٦- ويسنُّ أن يؤمِّن على دعاء الخطيب بلا رفع صوت.

٧- ومن دخل والإمام يخطب فإنه لا يسلِّم، بل ينتهي إلى الصف بسكينة ويصلي، ركعتين خفيفتين، ويجلس لاستماع الخطبة، ولا يصافح من بجانبه، ولا يجوز له العبث حال الخطبة بيدٍ أو رجلٍ أو لحيةٍ أو ثوبٍ أو غير ذلك.

٨- وكذلك لا ينبغي له أن يتلفت يمينًا وشمالًا ويشغل نفسه بالنظر إلى الناس، أو غير ذلك؛ لأن ذلك يشغله من الاستماع للخطبة. ولكن ليتجه إلى الخطيب، كما كان الصحابة ﷺ يتجهون إلى النبي ﷺ حال الخطبة.

٩- وإذا عطس فإنه يحمد الله سرًّا بينه وبين نفسه.

١٠- ويجوز الكلام قبل الخطبة وبعدها وإذا جلس الإمام بين الخطبتين لمصلحة، لكن لا ينبغي التحدث بأمور الدنيا.

١١- ومما ينبغي التنبيه عليه أن بعض المستمعين للخطبة يرفع صوته بالتعوذ عندما يسمع شيئًا من الوعيد في الخطبة، أو يرفع صوته بالسؤال والدعاء عندما يسمع شيئًا من ذكر الثواب والجنة، وهذا شيء لا يجوز، وهو داخل في الكلام المنهي عنه حال الخطبة، وقد دلت النصوص على أن الكلام حال الخطبة يُفسد الأجر، وأن المتكلم لا جمعة له.

١٢- وقد ذكر العلماء -رحمهم الله- أن صلاة الجمعة فرض مستقل ليست بدلًا من الظهر، وقال عمر ﷺ: صلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ﷺ.

١٣- وصلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم ذكَرٍ حُرٍّ مكلف مستوطن؛ روى أبو داود بسنده عن طارق بن شهاب مرفوعًا: «**الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض**»[1].

١٤- ولا تجب الجمعة على مسافر سفر قصر؛ لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا يسافرون في الحج وغيره، فلم يصلِّ أحد منهم الجمعة في السفر.

---

(١) أبو داود (١٠٦٧).

١٥- ومن خرج إلى البر في نزهة وغيرها، ولم يكن حوله مسجد تقام فيه جمعة فلا جمعة عليه؛ ويصلي ظهرًا.

١٦- ولا تجب الجمعة على المرأة، قال ابن المنذر وغيره: أجمعوا أن لا جمعة على النساء، وأجمعوا أنهن إذا حضرن فصلَّين الجمعة فإن ذلك يجزئ عنهن، وكذلك إذا حضرها المسافر أجزأه، وكذلك المريض؛ لأن إسقاطها عن هؤلاء للتخفيف عنهم، ولا يجوز لمن تلزمه الجمعة السفر في يومها بعد زوال الشمس حتى يصليها، وقبل الزوال يكره السفر إن لم يكن سيصليها في الطريق.

شروط صحة الجمعة

١- يشترط لصحة الجمعة دخول الوقت؛ لأنها صلاة مفروضة، فاشتُرِط لها دخول الوقت كبقية الصلوات، فلا تصح قبل وقتها ولا بعده؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ [النساء: ١٠٣] وأداؤها بعد الزوال أفضل وأحوط؛ لأنه الوقت الذي كان يصليها فيه رسول الله ﷺ في أكثر أوقاته، وأداؤها قبل الزوال محل خلاف بين العلماء، وآخر أوقاتها آخر وقت صلاة الظهر بلا خلاف.

٢- أن يكون المصلون مستوطنين بمساكن مبنية بما جرت العادة بالبناء به، فلا تصح من أهل الخيام وبيوت الشعر الذين ينتجعون في الغالب مواطن القطر، وينقلون بيوتهم؛ فقد كانت قبائل العرب حول المدينة ولم يأمرهم النبي ﷺ بصلاة الجمعة.

تنبيه: ومن أدرك مع الإمام من صلاة الجمعة ركعة أتمَّها جمعة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه «**من أدرك ركعة من الجمعة فقد أدرك الصلاة**»[1]، وإن أدرك أقل من ركعة -بأن رفع الإمام رأسه من الركعة الثانية قبل دخوله معه- فاتته صلاة الجمعة، فيدخل معه بنية الظهر، فإذا سلَّم الإمام أتمَّها ظهرًا.

٣- ويشترط لصحة الجمعة تقدم خطبتين؛ لمواظبة النبي ﷺ عليهما، وقال ابن عمر: كان النبي ﷺ يخطب خطبتين وهو قائم يفصل بينهما بجلوس[2].

---

(١) البيهقي (٣/ ٢٠٤)، في المسند الكبير.

(٢) البخاري (٩٢٨)، ومسلم (٨٦١).

٤- ومن شروط صحتها حمد الله والشهادتان والصلاة على رسوله والوصية بتقوى الله والموعظة وقراءة شيء من القرآن ولو آية، بخلاف ما عليه خطب بعض المعاصرين اليوم من غلوها من هذه الشروط أو أغلبها[(١)].

من سنن خطبة الجمعة

١- ذكر الفقهاء -رحمهم الله- أنه يسنُّ في خطبتي الجمعة أن يخطب على منبر؛ لفعله عليه الصلاة والسلام؛ ولأن ذلك أبلغ في الإعلام وأبلغ في الوعظ حينما يشاهد الحضور الخطيب أمامهم. قال النووي رحمه الله: واتخاذه سنة مجمع عليه، ويسنُّ أن يسلِّم الخطيب على المأمومين إذا أقبل عليهم، ويسنُّ أن يجلس على المنبر إلى فراغ المؤذن؛ لقول ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ المؤذن ثم يقوم فيخطب[(٢)].

٢- ومن سنة خطبتي الجمعة أن يجلس بينهما.

٣- ومن سننها أن يخطب قائمًا؛ لفعل رسول الله ﷺ، ولقوله تعالى: ﴿ وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾ [الجمعة: ١١] وعمل المسلمين عليه.

٤- ويسن أن يعتمد على عصا ونحوه.

٥- ويسن أن يقصد تلقاء وجهه لفعله ﷺ ولأن التفاته إلى أحد جنبيه اعتراض عن الآخر، ومخالفته للسُّنَّة؛ لأنه ﷺ كان يقصد تلقاء وجهه في الخطبة، ويستقبله الحاضرون بوجوههم.

٦- ويسن أن يقصر الخطبة تقصيرًا معتدلًا؛ بحيث لا يملُّون وتنفر نفوسهم، ولا يقصِّر تقصيرًا مملًا فلا يستفيدون منها. فقد روى مسلم عن عمار مرفوعًا: إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة. ومعنى مئنة من فقهه أي: علامة على فقهه.

٧- ويسن أن يرفع صوته بها؛ لأنه ﷺ كان إذا خطب علا صوته واشتد غضبه؛ ولأن

---

(١) الملخص الفقهي (١/ ١٣٦-١٤٣)، باختصار.

(٢) مسلم (٧٧٢).

ذلك أوقع في النفوس، وأبلغ في الوعظ، وأن يلقيها بعبارات واضحة قوية مؤثرة وبعبارات جزلة.

٨- ويسن أن يدعو للمسلمين وولاة أمورهم بالصلاح والتوفيق، وكان الدعاء لولاة الأمور في الخطبة معروفًا عند المسلمين وعليه عملهم؛ لأن الدعاء لولاة أمور المسلمين بالتوفيق والصلاح من منهج أهل السُّنَّة والجماعة، وتركه من منهج المبتدعة. قال الإمام أحمد: لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان[١].

القراءة في ركعتي الجمعة

صلاة الجمعة ركعتان بالإجماع، يُجهر فيها بالقراءة، ويُسن أن يقرأ في الركعة الأولى منها بسورة الجمعة بعد الفاتحة، ويقرأ في الركعة الثانية بعد الفاتحة بسورة المنافقون؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ بهما، كما رواه مسلم عن أبي هريرة[٢]، أو يقرأ في الأولى بـ (سبح اسم ربك الأعلى)، وفي الثانية بـ (هل أتاك حديث الغاشية).

فقد صح عنه ﷺ أنه كان يقرأ أحيانًا بالجمعة والمنافقون، وأحيانًا بـ (سبح) و(الغاشية)[٣]، ولا يقسِّم سورة من هاتين السورتين بين الركعتين؛ لأن ذلك خلاف السُّنَّة، والحكمة في الجهر بالقراءة في صلاة الجمعة كون ذلك أبلغ في تحصيل المقصود[٤].

---

(١) مسلم (٧٧٢).

(٢) مسلم (٧٧٢).

(٣) مسلم (٨٧٨).

(٤) الملخص الفقهي (١/ ١٤٦).

صلاة العيدين

مشروعيتها

قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢] وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥] وكان ﷺ والخلفاء من بعده يداومون عليها، وقد أمر النبي ﷺ بها حتى النساء، فيسن للمرأة حضورها غير متطيبة، ولا لابسة ثياب زينة أو شهرة.

قالت أم عطية: كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد، حتى تخرج البكر من خدرها، وحتى تخرج الحُيَّض، فيكُن خلف الناس، فيكبِّرن بتكبيرهم، ويَدْعُونَ بدعائهم، يَرْجُونَ بركة ذلك اليوم وطهرته[(١)].

وقتها

يبدأ وقت صلاة العيد إذا ارتفعت الشمس بعد طلوعها قدر رمح؛ لأنه الوقت الذي كان النبي ﷺ يصليها فيه، ويمتد وقتها إلى زوال الشمس؛ فإن لم يُعلم بالعيد إلا بعد الزوال صلوا من الغد قضاءً.

مكانها

ينبغي أن تؤدى صلاة العيد في صحراء[(٢)] قريبة من البلد؛ لأن النبي ﷺ كان يصلي العيدين في المصلى الذي على باب المدينة، فعن أبي سعيد قال: كان النبي ﷺ يخرج في الفطر والأضحى إلى المصلى[(٣)].

من أحكامها وآدابها

تقديم صلاة الضحى وتأخير صلاة الفطر؛ ليتسع وقت التضحية بتقديم الصلاة في

---

(١) مسلم (٧٧٢).

(٢) أو نحوها من أرض فضاء وغيرها.

(٣) البخاري (٩٥٦)، ومسلم (٩/ ٨٨٩).

الضحى؛ وليتسع الوقت لإخراج زكاة الفطر قبل صلاة الفطر، يُسن أن يأكل قبل الخروج لصلاة الفطر تمرات، وأن لا يطعم يوم النحر حتى يصلي؛ لقول بريدة: كان النبي ﷺ لا يخرج يوم الفطر حتى يفطر، ولا يطعم يوم النحر حتى يصلي[(١)].

ويُسنُّ التبكير في الخروج لصلاة العيد: ليتمكن من الدنو من الإمام وتحصل فضيلة انتظار الصلاة فيكثُر ثوابه، ويسن أن يتجمل المسلم لصلاة العيد بلبس أحسن الثياب.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يلبس يوم العيد بُردة حمراء[(٢)].

ويشترط لصلاة العيد الاستيطان، بأن يكون الذين يقيمونها مستوطنين في مساكن مبنية بما جرت العادة بالبناء به، كما في صلاة الجمعة، وصلاة العيد ركعتان قبل الخطبة؛ لقول ابن عمر: كان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعثمان يصلون العيدين قبل الخطبة[(٣)].

وصلاة العيد ركعتان بإجماع المسلمين: ويكبر في الركعة الأولى بعد تكبيرة الإحرام - والاستفتاح وقبل التعوذ والقراءة- سبع تكبيرات، ثم يتعوَّذ عقب التكبيرة السابعة، ثم يقرأ الفاتحة وسورة، وفي الركعة الثانية خمس تكبيرات غير تكبيرة الانتقال، ثم يقرأ الفاتحة وسورة، يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة (الأعلى)، وفي الثانية (الغاشية).

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العيدين وفي الجمعة (بسبح اسم ربك الأعلى) و (هل أتاك حديث الغاشية)[(٤)]، وأحيانًا يقرأ في الأولى سورة (ق) وفي الثانية سورة (القمر)، فعن عبيد الله بن عبد الله قال: خرج عمر يوم العيد، فأرسل إلى أبي واقد الليثي: بأي شيء كان النبي ﷺ يقرأ في مثل هذا اليوم؟ قال: بقاف، واقتربت[(٥)].

قال ابن القيم رحمه الله: كان يَسكتُ بين كل تكبيرتين سكتة يسيرة، ولم يُحفظ عنه ذكرٌ مُعيَّن بين التكبيرات، وإن شكَّ في عدد التكبيرات بنى على اليقين، وهو الأقل، وإن

---

(١) الترمذي (٥٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٤٤٧).

(٢) مسلم (٧٧٢).

(٣) مسلم (٧٧٢).

(٤) صحيح: انظر الإرواء (٦٤٤)، صحيح ابن ماجه (١٢٨١).

(٥) مسلم (٧٧٢).

نسي التكبير الزائد حتى شرع في القراءة سقط؛ لأنه سُنَّة فات محلها، وكذا إن أدرك الإمام -بعد ما شرع في القراءة- لم يأت بالتكبيرات الزوائد، أو أدركه راكعًا، فإنه يكبر تكبيرة الإحرام ثم يركع، ولا يشتغل بقضاء التكبير، ومن الجدير بالذكر أن صلاة العيد، لا أذان لها ولا إقامة.

عن جابر ﷺ قال: صليت مع النبي ﷺ غير مرة ولا مرتين فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة[١].

فإذا سلَّم من الصلاة قام للخطبة، عن ابن عباس ﷺ قال: شهدت العيد مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ﷺ فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة[٢].

ومن أحكام صلاة العيد أنه يُكره التنفل قبلها وبعدها في موضعها حتى يفارق المصلى، لقول ابن عباس رضي الله عنهما: خرج النبي ﷺ يوم عيد، فصلى ركعتين لم يصلِّ قبلهما ولا بعدهما[٣]، فإذا رجع إلى منزله فلا بأس أن يصلي فيه، لما رواه أحمد وغيره: أن النبي ﷺ كان إذا رجع إلى منزله صلى ركعتين[٤]، ويسن لمن فاتته صلاة العيد أو فاته بعضها قضاؤها على صفتها، بأن يصليها ركعتين بتكبيراتها الزوائد؛ لأن القضاء يحكي الأداء.

ومن سنن العيد مخالفة الطريق، عن جابر ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق[٥].

التكبير في الفطر من حين يخرج إلى المصلى وحتى يقضي الصلاة، عن الزهري أن رسول الله ﷺ كان يخرج يوم الفطر، فيكبِّر حتى يأتي المصلى وحتى يقضي الصلاة، فإذا قضى الصلاة قطع التكبير[٦].

---

(١) مسلم (٧/ ٨٨٧) من حديث جابر بن سمرة.
(٢) متفق عليه.
(٣) مسلم (٧٧٢).
(٤) أحمد (٣/ ٢٨، ٤٠).
(٥) مسلم (٧٧٢).
(٦) صحيح: الصحيحة (١٧١).

والتكبير في الأضحى من صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق، صح ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود ﷺ[(١)]، ولا بأس بتهنئة الناس بعضهم بعضًا، بأن يقول لغيره: تقبَّل الله منا ومنكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قد روي عن طائفة من الصحابة أنهم كانوا يفعلونه، ورخَّص فيه الأئمة كأحمد وغيره.

وقال الإمام أحمد: لا أبتدئ به، فإن ابتدأني أحد أجبته؛ وذلك لأن جواب التحية واجب، وأما الابتداء بالتهنئة فليس سنة مأمورًا بها، ولا هو أيضًا مما نهي عنه، ولا بأس بالمصافحة في التهنئة[(٢)].

---

(١) مسلم (٧٧٢).

(٢) الملخص الفقهي للفوزان، (١٤٧ – ١٤٥) باختصار وتصرف.

صلاة الكسوف والخسوف

حكمها

قال أبو عوانة في صحيحه (٢/ ٣٨٩): بيان وجوب صلاة الكسوف، ثم ساق بعض الأحاديث الصحيحة في الأمر بها، وهو ظاهر صنيع ابن خزيمة في صحيحه[(١)]، فإنه قال: باب الأمر بالصلاة عند كسوف الشمس والقمر ... وذكر أيضًا بعض الأحاديث الواردة في الأمر بها.

قال الحافظ في الفتح[(٢)]: فالجمهور على أنها سُنَّة مؤكَّدة، وصرَّح أبو عوانة في صحيحه بوجوبها، ولم أره لغيره، إلا ما حكي عن مالك أنه أوجبها، وكذا نقل بعض مصنفي الحنفية أنها واجبة.

كيفيتها

١- إذا خسف القمر وكسفت الشمس استُحِب أن ينادى: الصلاة جامعة، عن عبد الله بن عمرو قال: لما كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ نودي: الصلاة جامعة[(٣)].

٢- فإذا اجتمع الناس في المسجد صلى بهم الإمام ركعتين على نحو ما جاء في حديث عائشة، قالت: خسفت الشمس في حياة النبي ﷺ فخرج إلى المسجد فصفَّ الناس وراءه، فكبَّر، فاقترأ رسول الله ﷺ قراءة طويلة، ثم كبَّر فركع ركوعًا طويلًا، ثم قال: سمع الله لمن حمده، فقام ولم يسجد، وقرأ قراءة طويلة، هي أدنى من القراءة الأولى، ثم كبَّر وركع ركوعًا طويلًا، وهو أدنى من الركوع الأول، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد، ثم سجد، ثم قال في الركعة الأخيرة مثل ذلك، فاستكمل أربع ركعات في أربع سجدات، وانجلت الشمس قبل أن ينصرف[(٤)].

---

(١) ابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٣٨).

(٢) مسلم (٧٧٢).

(٣) البخاري (٢/ ١٠٤٥)، ومسلم (٢/ ٩١٠).

(٤) مسلم (٧٧٢).

٣- ويسنُّ للإمام إذا سلَّم من الصلاة أن يخطب الناس، فيعظهم ويذكِّرهم ويحثُّهم على العمل الصالح، عن أبي موسى ﷺ قال: خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فَزِعًا، يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قطُّ يفعله، وقال: هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحدٍ ولا لحياته ولكن يخوِّف الله بها عباده، فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره[١].

صلاة الاستسقاء

إذا انقطع المطر وأجدبت البلاد، اسْتُحِب الخروج إلى المصلى للاستسقاء، فيصلي بهم الإمام ركعتين، ويكثر من الدعاء والاستغفار ويحوِّل رداءه، فيجعل اليمين على الشمال. فعن عباد بن تميم عن عمه عن عبد الله بن زيد قال: خرج النبي ﷺ إلى المصلى يستسقي واستقبل القبلة فصلى ركعتين وقلب رداءه، قال سفيان: فأخبرني المسعودي عن أبي بكر قال: جعل اليمين على الشمال[٢]. وعنه قال: رأيت النبي ﷺ لما خرج يستسقي قال: فحوَّل إلى الناس ظهره واستقبل القبلة يدعو، ثم حوَّل رداءه ثم صلى لنا ركعتين جهر فيهما بالقراءة[٣].

صلاة الخوف

قال الخطَّابي: صلاة الخوف أنواع، صلاها النبي ﷺ في أيام مختلفة وأشكال متباينة، يتحرى في كلها ما هو أحوط للصلاة وأبلغ في الحراسة، فهي على اختلاف صورها متفقه المعنى .

صفاتها

١- عن ابن عمر ﷺ قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف بإحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مواجهة للعدو، ثم انصرفوا وقاموا في مقام أصحابهم مقبلين على العدو وجاء أولئك، ثم صلى بهم النبي ﷺ ركعة، ثم سلَّم النبي ﷺ، ثم قضى هؤلاء ركعة[٤].

٢- عن سهل بن أبي حثمة أن رسول الله ﷺ صلى بأصحابه في الخوف، فصفَّهم خلفه

---

(١) مسلم (٧٧٢).

(٢) مسلم (٧٧٢).

(٣) مسلم (٧٧٢).

(٤) مسلم (٧٧٢).

صفين، فصلى بالذين يلونه ركعة، ثم قام فلم يزل قائمًا حتى صلى الذين خلفهم ركعة، ثم تقدموا وتأخر الذين كانوا قدامهم فصلى بهم ركعة، ثم قعد حتى صلى الذين تخلفوا ركعة ثم سلَّم[١].

٣- وعن جابر بن عبد الله قال: شهدت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف فصفَّنا صفين؛ صف خلف رسول الله ﷺ والعدو بيننا وبين القبلة، فكبَّر النبي ﷺ وكبرنا جميعًا، ثم ركع وركعنا جميعًا، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعًا، ثم انحدر بالسجود، والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو، فلما قضى النبي ﷺ السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم، ثم ركع النبي ﷺ وركعنا جميعًا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعًا، ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه -الذي كان مؤخرًا في الركعة الأولى- وقام الصف المؤخر في نحور العدو، فلما قضى رسول الله ﷺ السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا، ثم سلَّم النبي ﷺ وسلَّمنا جميعًا[٢].

صلاة الجنازة

حكمها

فرض كفاية؛ لأمر النبي ﷺ بها، ولا تجب صلاة الجنازة على:

١- الطفل الذي لم يبلغ، قالت عائشة ﵂: مات إبراهيم ابن النبي وهو ابن ثمانية عشر شهرًا، فلم يصلِّ عليه رسول الله ﷺ[٣].

٢- الشهيد: عن أنس ﵁ قال: إن شهداء أُحد لم يُغسَّلوا ودفنوا بدمائهم، ولم يصلِّ عليهم[٤].

---

(١) مسلم (٧٧٢).

(٢) مسلم (٧٧٢).

(٣) مسلم (٧٧٢).

(٤) مسلم (٧٧٢).

صفة الصلاة

١- يستحب تكثير الصفوف ثلاثة فأكثر

عن مرثد عن مالك بن هبيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من ميت يموت، فيصلي عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجب**»[١].

قال: كان مالك إذا استقل أهل الجنازة جزَّأهم ثلاثة صفوف؛ للحديث.

٢- عند اجتماع أكثر من جنازة في وقت واحد جاز الصلاة على كل جنازة وهو الأصل، وجاز صلاة واحدة عليها جميعًا.

٣- يجوز صلاة الجنازة في المسجد، والأفضل صلاتها في مكان خاص خارج المسجد، قريبًا من المقابر، ولا تجوز الصلاة بين القبور.

٤- مقام الإمام بالنسبة للميت أن يقوم عند رأس الميت إن كان رجلًا، وإن كانت امرأة قام وسطها.

٥- أما التكبيرات في صلاة الجنازة، فقد صحَّ أنها أربع أو خمس أو ست أو سبع أو تسع، والمشهور بين الناس أربع تكبيرات، والأفضل التنويع كما فعل الصحابة.

يكبِّر الإمام تكبيرة الإحرام، ثم يقرأ فاتحة الكتاب أو الفاتحة وسورة، ثم يكبِّر الثانية ويصلي على النبي ﷺ: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. ثم يكبِّر الثالثة ويدعو للميت: اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعفُ عنه، وأكرم نزله ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقِّه من الخطايا كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلًا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار، ويكبِّر الرابعة، ويدعو للميت وللمسلمين بقوله: اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله وللمسلمين أجمعين، ويسلِّم تسليمة واحدة عن اليمين أو تسليمتين، وكلاهما ثابتٌ واردٌ عن النبي ﷺ، ولا تجوز الصلاة في أوقات الكراهة إلا للضرورة.

---

(١) أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (٩٩، ١٠٠).

صلاة الاستخارة

عن جابر ﷺ قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، يقول: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علَّام الغيوب، اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، -أو قال: في عاجل أمري- وآجله فاقدره لي، وإن كنتَ تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضِّني به، ويُسمِّي حاجتَه**»[1].

(١) مسلم (٧٧٢).

فتاوىٰ الصلاة (لابن باز)

س١: يصلي بعض الناس صلاة الفريضة، وليس على عاتقيه شيء يسترهما، وخصوصًا أيام الحج أثناء الإحرام، فما حكم ذلك؟

ج١: إذا كان عاجزًا فلا شيء عليه؛ لقوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] ولقول النبي ﷺ لجابر بن عبد الله: إن كان الثوب واسعًا فالتحف به، وإن كان ضيقًا فأتزر به[١]، أما مع القدرة على ستر العاتقين أو أحدهما فالواجب عليه سترهما أو أحدهما في أصح قولي العلماء، فإن ترك ذلك لم تصح صلاته؛ لقول النبي ﷺ: **«لا يصلي أحدكم في الثوب الواحد، ليس على عاتقة منه شيء»**[٢].

س٢: ما الحكم إذا تبيّن أن الصلاة تمّت إلى غير القبلة بعد الاجتهاد، وهل هناك فرق بين ما إذا كان ذلك في بلد مسلم أو كافر، أو كان في البرية؟

ج٢: إذا كان المسلم في السفر أو في بلاد لا يتيسر فيها من يرشده إلى القبلة فصلاته صحيحة إذا اجتهد في تحري القبلة ثم بان أنه صلى إلى غيرها، أما إذا كان في بلاد المسلمين فصلاته غير صحيحة؛ لأن في إمكانه أن يسأل من يرشده إلى القبلة، كما أن في إمكانه معرفة القبلة عن طريق المساجد.

س٣: ما حكم التلفظ بالنية في الصلاة؟ وهل له أصل في الشرع؟

ج٣: لا أصل للتلفظ بالنية في الشرع المطهّر، ولم يُحفظ عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ﷺ التلفظ بالنية عند الدخول في الصلاة، وإنما النية محلها القلب؛ لقول النبي ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»**[٣].

س٤: إذا كان على الشخص صلاة فائتة -الظهر مثلًا- فذكرها وقد أقيمت صلاة العصر فهل يدخل مع الجماعة بنية العصر أو بنية الظهر؟

---

(١) مسلم (٧٧٢).

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

ج٤: المشروع لمن ذكر في السؤال أن يصلي مع الجماعة الحاضرة صلاة الظهر بالنية، ثم يصلي العصر بعد ذلك لوجوب الترتيب، ولا يسقط الترتيب خشية فوات الجماعة.

س٥: ما حكم صلاة امرأة كاشفة قدمها في الصلاة؟

ج٥: الواجب على المرأة الحرة المكلفة ستر جميع بدنها في الصلاة ما عدا الوجه والكفين؛ لأنها عورة كلها، فإن صلَّت وقد بدا شيء من عورتها -كالساق والقدم والرأس أو بعضه- لم تصح صلاتها؛ لقول النبي ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار**»[١]، والمراد بالحائض البالغة، ولقوله ﷺ: «**المرأة عورة**»[٢]. ولما روى أبو داود -رحمه الله- عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنها سألت النبي ﷺ عن المرأة تصلي في درع وخمار بغير إزار؟ فقال: «**إذا كان الدرع سابغًا، يغطي ظهور قدميها**»[٣].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وصحح الأئمة وقفه على أم سلمة رضي الله عنها فإذا كان عندها أجنبي وجب عليها أيضًا ستر وجهها وكفَّيها.

س٦: ما حكم الصلاة في المسجد إذا كان فيه قبر أو بساحته أو قبلته؟

ج٦: إذا كان في المسجد قبر فالصلاة فيه غير صحيحة، سواء كان خلف المصلين أو أمامهم أو عن أيمانهم أو عن شمائلهم؛ لقول النبي ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٤]، ولقوله ﷺ: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»[٥]؛ ولأن الصلاة عند القبر من وسائل الشرك والغلو في أهل القبور، فوجب منع ذلك عملًا بالحديثين المذكورين وما جاء في معناهما وسدًّا لذريعة الشرك.

---

(١) أبو داود والترمذي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٦٤٨).

(٢) الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٩٠).

(٣) أبو داود وصححه الألباني.

(٤) متفق عليه.

(٥) مسلم.

س٧: ما حكم الصلاة الفائتة من حيث القضاء أو عدمه لمن أصيب بغيبوبة لمدة أيام، هل يجب عليه القضاء أم لا؟

ج٧: إن كانت المدة قليلة مثل ثلاثة أيام أو أقل وجب القضاء؛ لأن الإغماء في المدة المذكورة يشبه النوم فلم يمنع القضاء، وقد روي عن جماعة من الصحابة أنهم أصيبوا ببعض الإغماء لمدة أقل من ثلاثة أيام فقضوا، أما إن كانت المدة أكثر من ذلك فلا قضاء؛ لقول النبي ﷺ: «**رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، والصغير حتى يبلغ، والمجنون حتى يفيق**»[1]؛ والمغمى عليه في المدة المذكورة يشبه المجنون بجامع زوال العقل، والله ولي التوفيق.

س٨: هل يقضي الصلاة من تركها عمدًا، إذا وفقه الله للتوبة؟

ج٨: لا يلزمه القضاء إذا تركها عمدًا في أصح قولي العلماء؛ لأن تركها عمدًا يخرجه عن دائرة الإسلام ويجعله في حيِّز الكفار، والكافر لا يقضي ما ترك في حال الكفر؛ لقول النبي ﷺ: «**بين الرجل والكفر والشرك ترك الصلاة**»[2]. وقوله ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[3]؛ ولأن النبي ﷺ لم يأمر الكفار الذين أسلموا أن يقضوا ما تركوا، وهكذا أصحابه لم يأمروا المرتدين لمَّا رجعوا للإسلام أن يقضوا، فإن قضى من تركها عمدًا ولم يجحد وجوبها فلا حرج؛ احتياطًا وخروجًا من خلاف من قال: بعدم كفره إذا لم يجحد وجوبها، وهم أكثر العلماء، والله ولي التوفيق.

س٩: هل هناك حدٌّ معين للعبث والحركة في الصلاة تبطل به الصلاة؟

ج٩: ليس لذلك حد محدود، والقول بتحديده بثلاث حركات قول ضعيف لا دليل عليه، وإنما المعتمد كونه عبثًا كثيرًا في اعتقاد المصلي، فإذا اعتقد المصلي أن عبثه كثير، وقد توالى، فعليه أن يعيد الصلاة إن كانت فريضة وعليه التوبة من ذلك، ونصيحتي لكل مسلم ومسلمة العناية بالصلاة والخشوع فيها وترك العبث فيها وإن قلَّ؛ لعظم شأن الصلاة.

---

(١) الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٥١٣، ٣٥١٤).

(٢) مسلم.

(٣) أحمد.

س١٠: ما حكم النحنحة في الصلاة والنفخ والبكاء، وهل يبطل الصلاة أم لا؟

ج١٠: النحنحة والنفخ والبكاء كلها لا تبطل الصلاة، ولا حرج فيها إذا دعت إليها الحاجة، ويكره فعلها لغير الحاجة، أما البكاء فهو مشروع في الصلاة وغيرها إذا صدر عن خشوع وإقبال على الله من غير تكلف.

س١١: ما حكم المرور بين يدي المصلي؟ وهل يبطل الصلاة؟

ج١١: حكم المرور بين يدي المصلي -أو بينه وبين السترة- التحريم؛ لقول النبي ﷺ: **«لو يعلم المارُّ بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرًا له من أن يمر بين يدي المصلي»**(١)، وهو يقطع الصلاة ويبطلها إذا كان المارُّ امرأة بالغة أو حمارًا أو كلبًا أسودَ، أما إن كان المارُّ غير هذه الثلاثة فإنه لا يقطع الصلاة، ولكن ينقص ثوابها، أما المسجد الحرام فلا يحرم فيه المرور بين يدي المصلي، ولا يقطع الصلاة فيه شيء من الثلاث المذكورة، ولا غيرها؛ لكونه مظنة الزحام ويشق فيه التحرز بين يدي المصلي.

س١٢: ما حكم مسح الجبهة عن التراب في الصلاة؟

ج١٢: ليس له أصل فيما نعلم، وإنما يكره فعل ذلك قبل السلام؛ لأنه ثبت عن النبي ﷺ في بعض صلواته أنه سلَّم من صلاة الصبح في ليلة مطيرة ويرى على وجهه أثر الماء والطين، فدلَّ ذلك على أن الأفضل عدم مسحه قبل الفراغ من الصلاة.

س١٣: هل ورد في تغيير المكان لأداء السُّنَّة بعد الصلاة ما يدل على استحبابه؟

ج١٣: لم يرد في ذلك فيما أعلم حديث صحيح، ولكن ابن عمر رضي الله عنهما وكثير من السلف يفعلون ذلك، والأمر في ذلك واسع، والحمد لله.

س١٤: ما حكم المصافحة بعد السلام من الصلاة؟

ج١٤: إذا لم يصافحه قبل الفريضة شُرع له أن يصافحه بعدها، بعد الذكر المشروع

---

(١) متفق عليه.

(ختام الصلاة)، أما ما يفعله بعض الناس من المبادرة بالمصافحة بعد الفريضة من حين يُسلِّم التسليمة الثانية فلا أعلم له أصلًا، بل الأظهر كراهة ذلك؛ لعدم الدليل عليه، ولأن المصلي مشروعٌ له في هذه الحال أن يبادر بالأذكار الشرعية التي كان يفعلها النبي ﷺ بعد السلام من الفريضة، وأما صلاة النافلة فتشرع المصافحة بعد السلام منها إذا لم يتصافحا قبل الدخول فيها، فإذا تصافحا قبل ذلك كفى.

س١٥: ما حكم صلاة الجماعة بالنسبة للرجال؟

ج١٥: الصلاة في الجماعة مع المسلمين واجبة -بلا شك في أصح قولي أهل العلم- على كل رجل قادر يسمع النداء؛ لقول النبي ﷺ: «**من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر**»[1].

س١٦: كيف يبدأ الصف خلف الإمام؟

ج١٦: الصفُّ يبدأ من الوسط مما يلي الإمام، ويمين كل صف أفضل من يساره، والواجب ألا يُبدأ في صف حتى يكمُل الذي قبله، ولا بأس أن يكون الناس في يمين الصف أكثر، ولا حاجة إلى التعديل؛ أي تساوي يمين الصف ويساره من حيث عدد الواقفين، بل الأمر بذلك خلاف السُّنَّة، ولكن لا يصف في الثاني حتى يكمل الأول، ولا في الثالث حتى يكمل الثاني وهكذا بقية الصفوف.

س١٧: ما حكم صلاة المفترض خلف المتنفِّل؟

ج١٧: لا حرج في صلاة المفترض خلف المتنفل.

مثال ذلك: لو حضر إنسان في رمضان وهم يصلون التراويح وهو لم يصلِّ فريضة العشاء، فإنه يصلي معهم صلاة العشاء؛ ليحصل له فضل الجماعة، فإذا سلَّم الإمام قام وأتمَّ صلاته.

---

(١) أبو داود، والحاكم، وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٠٠).

س١٨: ما حكم من أدرك الإمام راكعاً فركع، ولكن رفع الإمام قبل تسبيحه (سبحان ربي العظيم)؟

ج١٨: إذا أدرك المأموم الإمام راكعًا أجزأته الركعة، ولو لم يُسبِّح المأموم إلا بعد رفع الإمام؛ لعموم قوله ﷺ: « **من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة**»[1] .

س١٩: يقول البعض: إنه لا يجوز إقامة جماعة أخرى في المسجد بعد انتهاء جماعة المصلين، فهل لهذا أصل؟ وما هو الصواب؟

ج١٩: هذا القول ليس بصحيح ولا أصل له في الشرع المطهَّر فيما أعلم، بل السُّنَّة الصحيحة تدل على خلافه.

س٢٠: إذا دخل المسبوق مع الإمام فصلى معه ركعتين، ثم تبيَّن له أن الإمام قد صلى خمسًا، هل يعتد بالركعة الزائدة التي صلاها مع الإمام، حيث يأتي بركعتين فقط، أم لا يعتد بها، ويأتي بثلاث؟

ج٢٠: الصواب أنه لا يعتد بها؛ لأنها لاغية في الحكم الشرعي، والواجب عدم متابعة الإمام عليها لمن علم أنها زائدة، وعلى المسبوق أن لا يعتد بها، ويجب أن يقضي ثلاث ركعات، لكونه لم يدرك في الحقيقة إلا ركعة واحدة.

س٢١: صلى الإمام بجماعته على غير وضوء ناسياً، فما حكم هذه الصلاة في الحالات الآتية:

١ - إذا تذكر أثناء الصلاة؟

٢- إذا تذكر بعد السلام وقبل تفرق الجماعة؟

٣- إذا تذكر بعد تفرق الجماعة؟

ج٢١: إذا لم يذكر إلا بعد السلام، فصلاة الجماعة صحيحة وليس عليهم إعادة، أما الإمام فعليه الإعادة، أما إن ذكر وهو في أثناء الصلاة فإنه يستخلف من يُكمل بهم صلاتهم في أصح قولي العلماء؛ لقصة عمر، فإنه لما طعن استخلف عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فأتم بهم الصلاة ولم يستأنف.

---

(١) مسلم.

س٢٢: ما هو المشروع إذا وقف المأموم الواحد مع إمامه؟ هل يساويه أم يتأخر عنه قليلًا؟

ج٢٢: المشروع للمأموم إذا كان واحدًا أن يقف عن يمين الإمام مساويًا له، وليس في الأدلة الشرعية ما يدل على خلاف ذلك.

س٢٣: هل الأفضل للمسافر القصر والجمع؟ أم القصر بلا جمع؟

ج٢٣: من شرع الله له القصر وهو المسافر جاز له الجمع، ولكن ليس بينهما تلازم، فله أن يقصر ولا يجمع، وترك الجمع أفضل إن كان المسافر نازلًا غير ظاعن. أما الجمع فأمره أوسع، فإنه يجوز للمريض، ويجوز أيضًا للمسلمين في مساجدهم عند وجود المطر، ولا يجوز لهم القصر؛ لأن القصر مختص بالسفر فقط.

س٢٤: ما حكم القصر للصلاة فيمن نوى الإقامة في سفره أكثر من أربعة أيام؟

ج٢٤ يرى الجمهور أن من عزم على الإقامة أكثر من أربعة أيام وجب عليه الإتمام أي: إتمام الصلاة بدون قصر والصوم في رمضان، وإذا كانت المدة أقل من ذلك فله القصر والفطر. أما إن لم يجمع إقامة -أي يحدد إقامته ويدري كم يومًا تكون إقامته، بل لا يدري متى يرتحل- فهذا له القصر والجمع والفطر، حتى يجمع على إقامته أكثر من أربعة أيام أو يرجع إلى وطنه.

س٢٥: هل النية شرط لجواز الجمع؟ فكثيرون يصلون المغرب بدون نية الجمع، وبعد صلاة المغرب يتشاورون فيرون الجمع ثم يصلون العشاء جمعًا؟

ج٢٥: اختلف العلماء في ذلك، والراجح أن النية ليست بشرط عند افتتاح الصلاة الأولى، بل يجوز الجمع بعد الفراغ من الأولى إذا وجد شرطه من خوفٍ أو مرضٍ أو مطرٍ.

س٢٦: ما حكم صلاة المقيم خلف المسافر أو العكس؟ وهل يحقُّ للمسافر القصر حينئذٍ سواء كان إمامًا أم مأمومًا؟

ج٢٦: صلاة المسافر خلف المقيم وصلاة المقيم خلف المسافر كلتاهما لا حرج فيها، لكن إن كان المأموم هو المسافر، والإمام هو المقيم وجب عليه الائتمام تبعًا لإمامه، لما ثبت عن ابن عباس أنه سئل عن صلاة المسافر خلف المقيم أربعًا، فأجاب بأن ذلك هو السُّنَّة، أما إن صلى المقيم خلف المسافر في الصلاة الرباعية فإنه يتم صلاته إذا سلَّم إمامه.

س٢٧: ما حكم صلاة السنن الرواتب والنوافل في السفر؟

ج٢٧: السُّنَّة للمسافر ترك راتبة الظهر والعصر والمغرب والعشاء مع الإتيان بسنة الفجر؛ تأسيًا بالنبي ﷺ في ذلك، وهكذا يشرع له التهجد في الليل والوتر في السفر؛ لأن النبي كان يفعل ذلك، وهكذا جميع الصلوات المطلقة وذوات الأسباب؛ كسنة الضحى وسنة الوضوء وصلاة الكسوف والخسوف، وهكذا يشرع له سجود التلاوة وتحية المسجد إذا دخل المسجد للصلاة أو لغرض آخر، فإنه يصلي التحية.

س٢٨: هل يشترط لسجود التلاوة طهارة؟ وهل يكبِّر إذا خفض ورفع، سواء في الصلاة أو خارجها؟ وماذا يقال فيه؟

ج٢٨: سجود التلاوة لا تشترط له الطهارة في أصح قولي العلماء، وليس فيه تسليم ولا تكبير عند الرفع منه في أصح قولي أهل العلم، ويشرع فيه التكبير عند السجود؛ لأنه قد ثبت من حديث ابن عمر ما يدل على ذلك، **أما إذا كان سجود التلاوة في الصلاة فإنه يجب** فيه التكبير عند الخفض والرفع؛ لأن النبي ﷺ **كان يفعل ذلك في الصلاة في كل خفض** ورفع، ويشرع في سجود التلاوة من الذكر والدعاء ما يشرع في سجود الصلاة، والواجب في ذلك قول: (سبحان ربي الأعلى) كالواجب في سجود الصلاة **وما زاد عن ذلك من الذكر** والدعاء فهو مستحب، وسجود التلاوة في الصلاة وخارجها سنة وليس واجبًا.

س٢٩: ما حكم الذكر الجماعي بعد الصلاة على وتيرة واحدة؟ وهل السُّنَّة الجهر بالذكر أم الإسرار؟

ج٢٩: السُّنَّة الجهر بالذكر عقب الصلوات الخمس، وعقب صلاة الجمعة بعد التسليم، لما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما **أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف** الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ، **قال ابن عباس: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته، أما كونه جماعيًّا بحيث يتحرى كل واحد نطق الآخر من أوله إلى آخره وتقليده في ذلك فهذا لا أصل له بل هو بدعة**[1].

---

(١) تحفة الإخوان لابن باز (٥٩ - ١٣٥) باختصار.

الزكـــاة

لغة: الزيادة والنماء، فكل شيء زاد عددًا أو نما حجمًا، فإنه يقال زكاة، فيقال: زكا الزرع، إذ نما وطال.

شرعًا: فهو قدر واجب شرعًا في أموال مخصوصة لطائفة مخصوصة.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي أن الزكاة وإن كان ظاهرها النقص نقص كمية، لكن أثرها زيادة المال؛ زيادة المال بركة، وزيادة المال كمية، فإن الإنسان قد يفتح الله له من أبواب الرزق ما لا يخطر على باله إذا قام بما أوجب الله عليه في ماله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩] أي: يأتي بخلفه وبدله.

وقال النبي ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال»[١]، وهذا أمر مشاهد، فإن الموفَّقين في أداء ما يجب عليهم في أموالهم يجدون بركة فيما ينفقون، وبركة فيما يبقى عندهم، وربما يفتح الله لهم أبواب رزق يشاهدونها رأي العين بسبب إنفاقهم أموالهم في سبيل الله؛ ولهذا كانت الزكاة في الشرع ملاقية للزكاة في اللغة من حيث النماء والزيادة، ثم إن الزكاة زيادة أخرى، وهي زيادة الإيمان في قلب صاحبها، فإن الزكاة من الأعمال الصالحة تزيد في إيمان الرجل؛ لأن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أن الأعمال الصالحة من الإيمان، وأن الإيمان يزداد بزيادتها وينقص بنقصانها.

وهي أيضًا تزيد الإنسان في خُلُقه فإنها بذل وعطاء، والبذل والعطاء يدل على الكرم والسخاء، والكرم والسخاء لا شك أنه خلق فاضل كريم، بل إن له آثارًا بالغة في انشراح الصدر، ونور القلب وراحته، ومن أراد أن يطَّلع على ذلك فليجرب الإنفاق يجد الآثار الحميدة التي تحصل له بهذا الإنفاق ولا سيما فيما إذا كان الإنفاق واجبًا مؤكدًا كالزكاة،

---

(١) مسلم (٤٦٨٩).

فإن الزكاة أحد أركان الإيمان ومبانيه العظام، وهي التي تأتي كثيرًا مقرونة بالصلاة التي هي عمود الإسلام وهي في الحقيقة محكٌّ، تبين كون الإنسان محبًّا لما عند الله عز وجل؛ لأن المال محبوب إلى النفس، وبذل المحبوب لا يمكن إلا من أجل محبوب يؤمن به الإنسان وبحصوله، ويكون هذا المحبوب أيضًا أحب ما يبذله(١) .

شروط وجوب الزكاة

قال ابن عثيمين رحمه الله: شروط وجوب الزكاة: **الإسلام، الحرية، ملك النصاب، واستقراره، ومضي الحول، إلا في المعشرات.**

١-الإسلام

فإن الكافر لا تجب عليه الزكاة ولا تُقبل منه، لو دفعها باسم الزكاة؛ لقول الله تعالى: **﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾**[التوبة: ٥٤].

لكن ليس معنى قولنا: إنها لا تجب على الكافر ولا تصح منه ولا تقبل منه أنه معفيٌّ عنها في الآخرة، بل إنه يعاقب عليها؛ لقوله تعالى: **﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾**[المدثر: ٣٨-٤٧]. وهذا يدل على أن الكفار يعذبون على إخلالهم بفروع الإسلام وهو كذلك.

٢-الحرية

فلأن المملوك لا مال له، إذ إن ماله لسيده؛ لقول النبيﷺ: **«من باع عبدًا له مال فماله للبائع إلا أن يشترط المبتاع»**(٢)، فهو إذن غير مالك للمال حتى تجب عليه الزكاة، وإذا قُدِّر أنه -أي العبد- ملك بالتمليك، فإن ملكه في النهاية يعود لسيده؛ لأن سيده له أن يأخذ ما بيده، وعلى هذا ففي ملكه نقص، ليس مستقرًا استقرار أملاك الأحرار.

---

(١) مسلم (٧٧٢).

(٢) أبو داود (٣٤٥٣)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٩٢٩).

٣- ملك النصاب

معناه أن يكون عند الإنسان مال يبلغ النصاب الذي قدره الشرع، وهو يختلف باختلاف الأموال، فإذا لم يكن عند الإنسان نصاب فلا زكاة عليه؛ لأن ماله قليل لا يحتمل المواساة، والنصاب يختلف باختلاف الأموال، ففي المواشي الأنصبة فيها مقدرة ابتداء وانتهاء، وفي غيرها الأنصاب مقدرة فيها ابتداء وما زاد فبحسابه.

٤- واستقراره

٥- مُضيُّ الحول

فلأن إيجاب الزكاة في أقل من الحول يستلزم الإجحاف بالأغنياء وإيجابها فيما فوق الحول يستلزم الضرر في حق الفقراء، فكان من حكمة الشرع أن يقدِّر لها زمنًا معينًا فيه، وهو الحول، وفي ربط ذلك بالحول توازنٌ بين حق الأغنياء وحق أهل الزكاة، وعلى هذا فلو مات الإنسان مثلًا أو تلف المال قبل تمام الحول سقطت الزكاة، إلا أنه يستثنى من تمام الحول ثلاثة أشياء: ربح التجارة، ونتاج السائمة، والمعشرات.

١- أما ربح التجارة: فإن حوله أصله.

٢- وأما نتائج السائمة: فحول النتاج حول الأمهات.

٣- وأما المعشرات: فحولها تحصيلها أو وقت تحصيلها.

أمثلة

مثال ذلك في الربح: أن يشتري الإنسان سلعة بعشرة آلاف ريال، ثم قبل تمام حول الزكاة بشهر تزيد هذه السلعة أو تربح نصف الثمن الذي اشتراها به فيجب عليه زكاة رأس مال وزكاة ربح، وإن لم يتم للربح حول؛ لأنه فرع، والفرع يتبع الأصل.

وأما النتاج: فمثل أن يكون عند الإنسان من البهائم نصاب، ثم في أثناء الحول يتوالد هذا النصاب حتى يبلغ نصابين، فيجب عليه الزكاة للنصاب الذي حصل بالنتاج، وإن لم يتم عليه الحول؛ لأن النتاج فرع فيتبع الأصل.

وأما المعشرات: فحولُها حيث أخذها مثل: الحبوب والثمار، فإن الثمار في النخل -مثلًا- لا يتم عليه الحول حتى يُجذَّ، فيجب الزكاة عند جذِّه، وكذلك الزرع يزرع ويحصد قبل أن يتم عليه الحول، فتجب عليه الزكاة عند حصاده؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ

يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]. فهذه الأشياء الثلاثة تستثنى من قولنا: إنه يشترط لوجوب الزكاة تمام الحول.

سؤال: هل يُعفى مال المملوك من الزكاة؟

والجواب: قال ابن عثيمين رحمه الله: زكاة المال الذي عند المملوك على مالكه؛ لأنه هو مالك المال كما أسلفنا من قول الرسول ﷺ: «**من باع عبدًا له مالٌ فماله للذي باعه إلا أن يشترط المتاع**»[1]، وعلى هذا فتكون الزكاة على مالك المال وليس على المملوك منها شيء، ولا يمكن أن تسقط الزكاة من هذا المال.

الأصناف التي يجب فيها الزكاة

قال ابن عثيمين رحمه الله: الأموال التي يجب فيها الزكاة، هي:

أولًا: الذهب والفضة

والزكاة فيها واجبة بالإجماع من حيث الجملة؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥] وكنز الذهب والفضة هو ألا يخرج الإنسان ما أوجب عليه فيه من زكاة أو غيرها، وإن كان ظاهرًا على سطح الأرض، وإذا أخذ الإنسان ما يجب لله فيه من الزكاة وغيرها فهو غير كنز وإن دفن في الأرض؛ ولقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار وأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، ثم يرى سبيله إلى الجنة وإما إلى النار**»[2]

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

والزكاة في الذهب والفضة واجبة على أي حال كان، سواء كانت دراهم من الفضة ودنانير من الذهب، أو كانت تبرًا -أي قطعًا من الذهب- أو كانت قطعًا من الفضة، أو كانت حُليًّا يستعمل أو لا يستعمل؛ لعموم الأدلة الواردة في ذلك، ولقول النبيﷺ في خصوص الحلي حين أتته امرأة معها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب، فقال لها رسول اللهﷺ: «**أتؤدين زكاة هذا؟**» قالت: لا، قال: «**أيسُرُّكِ أن يسوِّرك الله بهما سوارين من نار**»[1]، فخلعتهما وألقتهما إلى النبيﷺ، وقالت: هما لله ورسوله.

وهذا نص صريح في وجوب زكاة الحلي، ولو كان ملبوسًا، وإنما وجه النبيﷺ إلى أم البنت؛ لأنها ولية أمرها، وهذه المسألة فيها خلاف بين العلماء -أعني مسألة الحُلي- ولكن الراجح ما قلناه؛ لأن الأحاديث العامة، والأحاديث الخاصة بها جيدة، بل صححها بعضهم، ولا شك أنها تقوم على الحجة؛ لأنها يشد بعضها بعضًا، والأصل وجوب الزكاة في الذهب والفضة حتى يقوم الدليل على التخصيص.

والواجب في الذهب والفضة رُبع العُشر، أي: واحد من أربعين، وطريقة استخراج ذلك أن تقسِّم ما عندك على أربعين، فما خرج من القسمة فهو الزكاة، فإذا كان عند الإنسان أربعون ألفًا من الفضة -أي أربعون ألف درهم- فليقسِّم الأربعين على الأربعين؛ يخرج واحد، فهو الزكاة.

وكذلك لو كان عنده أربعون دينارًا، يقسِّم الأربعين على الأربعين؛ يخرج دينارًا واحدًا، وعلى هذا فَقِسْ، قَلَّ المال أو كثر، بشرط أن يبلغ النصاب.

نصاب الذهب: نصاب الذهب خمسة وثمانون جرامًا (٨٥) وخمسة وثمانون جرامًا، تساوي عشرة جنيهات سعودية ونصف وزيادة قليلة، يعني خمسة من ثمانية، فإذا كان الذهب تبلغ زنته هذا وجبت فيه الزكاة، وإن كان دون ذلك لم تجب.

نصاب الفضة: أما الفضة فنصابُها مائة وأربعون مثقالًا، وهي أيضًا خمسمائة وخمسة وتسعون جرامًا (٥٩٥)، وتساوي بالدراهم دراهم الفضة السعودية، ستة وخمسين ريالًا؛

---

(١) الترمذي (٦٢٧) وحسنه الألباني في المشكاة (١٨٠٩).



أي ما يزيد عن خمسة وستين ريالاً من ريالات الفضة السعودية، فإذا بلغ عند الإنسان من الفضة ما يزن ذلك فقد وجبت فيه الزكاة، وما دون ذلك لا زكاة فيه.

ليُعلم أن القول الراجح من أقوال أهل العلم أن الذهب لا يضم إلى الفضة في تكميل النصاب؛ لأنهما جنسان مختلفان، وهما إن اتفقا في المنفعة والغرض فإن ذلك لا يقتضي ضم أحدهما إلى الآخر في تكميل النصاب؛ لأن الشارع قدَّر لكل واحد منهما نصابًا يقتضي ألا تجب الزكاة فيما دونه، ولم يأتِ عن النبيﷺ نصٌّ بضم أحدهما إلى الآخر، وكما أن البُّر لا يضم إلى الشعير في تكميل النصاب -مع أن مقصودهما واحد- فكذلك الذهب والفضة.

وبناء على ذلك: لو كان عند الإنسان نصف نصاب من الفضة ونصف نصاب من الذهب لم تجب عليه الزكاة في واحد منهما؛ لما ذكرنا من أنه لا يضم الذهب إلى الفضة في تكميل النصاب[1].

زكاة المال

قال ابن عثيمين رحمه الله: ويُلحق بالذهب والفضة ما جُعل بدلًا عنهما في كونه نقدًا يُتعامل به، كالأوراق النقدية المعروفة بين الناس اليوم، فإذا كان عند الإنسان من هذه الأوراق ما تساوي قيمته نصابًا من الذهب والفضة، فإن الزكاة تجب عليه فيه؛ لأنها نقود وليست عَروض تجارة، إذ أنها هي قيمة الأشياء التي تقدَّر بها، وهي وسيلة التبادل بين الناس، فكانت كالدنانير والدراهم وليست لعروض التجارة كما زعمه بعضهم، وليُعلم أن الزكاة في الذهب والفضة واجبة وإن كان الإنسان قد ادخرها لنفقاته وحاجاته، فإذا كان عند الإنسان عشرة آلاف من الدراهم، أعدَّها لشراء بيت يسكنه، فإن الزكاة واجبة فيها ولو بقيت سنوات، وكذلك لو كان أعدها ليتزوج بها فإن الزكاة واجبة فيها ولو بقيت سنة أو أكثر.

---

(١) مسلم (٧٧٢).

ثانيًا: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار

لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، ولقول النبي ﷺ: «فيما سقت السماء العُشر، وفيما سُقي بالنضح نصف العُشر»[١]، ولقول النبي ﷺ: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»[٢]، فتجب الزكاة في الخارج من الأرض من الحبوب والثمار.

زكاة الحبوب والثمار

من الحبوب كالبُرِّ والذُرة والأرز وغيرها، ومن الثمار: كالنخيل والأعناب التي تزبب ويحصل فيها الزبيب، أما الأعناب التي لا تزبب ففيها خلاف بين العلماء، فمنهم من قال: إنه لا زكاة فيها؛ لأنها ملحقة بالفواكه فهي كالبُرتقال والتفاح.

ومنهم من قال: إنها يجب فيها زكاة، اعتبارًا بأصل العنب؛ لأن أصل العنب أن يزبب، فهو شبيه بثمار النخيل، أي: شبيه بالتمر، والاحتياط أن يخرج الإنسان الزكاة منه، وأما ما ليس بحبوب ولا ثمار، يُكال ويُدَّخر -مثل الفواكه على اختلاف أنواعها- فإنه لا زكاة فيها، ولو كثُرت.

نصاب زكاة الحبوب والثمار: مقدار الزكاة في الحبوب والثمار العُشر: أي عُشر في المائة، إذا كانت تسقى بلا مؤونة، كالذي يشرب بعروقه؛ لكون الأرض رطبة، أو الذي يشرب الطل، أو الذي يشرب بالأنهار، أو الذي يشرب بالقنوات التي تضرب في الأرض ثم ينبع منها الماء، هذا كله يجب فيه العُشر؛ لأنه لا مؤونة في استخراج الماء الذي يسقى به، وأما إذا كان يسقى بمؤونة كالذي يسقى بالسواني[٣]، أو بالمكائن، أو الغرفان أو ما أشبهها، فإن الواجب فيه نصف العُشر، فأسقط الشارع عنه نصف العُشر مراعاة لحاله، ونصف العُشر خمسة في المائة، فإذا قدرنا أن هذه المزرعة أنتجت خمسة آلاف صاع، كان

---

(١) البخاري (١٣٨٨).

(٢) البخاري (١٣١٧)، ومسلم (١٦٢٥).

(٣) السواني: جمع سانية، وهي الناقة أو الدابة التي يُستقى عليها.



الواجب فيها إذا كان الزرع يسقى بلا مؤونة خمسمائة صاع وإذا كان يسقى بمؤونة كان الواجب مائتين وخمسين صاعًا، والنصاب خمسة أوسق، والوسق ستون صاعًا، بصاع النبي ﷺ، فيكون مجموع الأصوُع ثلاثمائة صاع بصاع النبي ﷺ، فما دون ذلك فلا زكاة فيه؛ لقول النبي ﷺ: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة» هذان مالان تجب فيهما الزكاة[1].

سؤال: بالنسبة للفواكه التي لا زكاة فيها، هل إذا باعها الإنسان وجب عليه الزكاة في قيمتها؟

والجواب: هذه الفواكه والخضراوات لا زكاة فيها، لكن الإنسان إذا باعها فإن في ثمنها الزكاة إن بقي حتى تم عليه الحول وكان من النقدين الذهب والفضة، أو ما جرى مجراهما، أما لو باعها بعروض مثل أن باعها بسيارات أو بأقمشة أو بأواني فإنه لا زكاة فيها أيضًا، ما لم ينوِ التجارة بها جعله بدلًا، فإن نوى التجارة كانت الزكاة واجبة وجوب زكاة العروض، التي سنتكلم عنها -إن شاء الله تعالى- فيما بعد.

ثالثًا: زكاة الإبل والبقر والغنم

قال ابن عثيمين رحمه الله: من الأموال التي تجب فيها الزكاة بهيمة الأنعام: وهي الإبل والبقر والغنم، ولكن يشترط لوجوب الزكاة فيها شرطان:

١- الشرط الأول: أن تكون مُعدَّة للدرِّ والنسل والتسمين، لا للبيع ولا الشراء.

٢- والشرط الثاني: أن تكون سائمة الحول أو أكثره، يعني أن تتغذى على السوم – وهو الرعي- الحول أو أكثره.

فإن كانت غير معدَّة للدرِّ والتسمين وإنما هي معدَّة للاتِّجار والتكسُّب فهي عروض التجارة، وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى.

وإن كانت معدَّة للدرِّ والتسمين ولكنها تُعلف؛ فإنها لا زكاة فيها، فلو كان عند الفلاح عشرون بعيرًا، أبقاها للتناسل والدرِّ وللقنية، فإنه لا زكاة عليه في ذلك، ما دام

(١) يعني الذهب والفضة والحبوب والثمار.

يعلفها أكثر الحول؛ لحديث مالك بن أنس، فيما كتبه أبو بكر الصديق ﷺ في فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ وأمر بها، قال: «في الغنم سائمته»[1]، وفي حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: «في الإبل في سائمتها»[2].

وهذا يدل على أن غير السائمة ليس فيها زكاة، وهو كذلك، وأما مقدار الزكاة في البهائم؛ أي في بهيمة الأنعام فإنه يختلف؛ وذلك لأن الأنصبة في بهيمة الأنعام مقدَّرة ابتداء وانتهاء، ولكن قدر منها واجب خاص به، فمثلًا في الغنم في كل أربعين شاة شاة واحدة، وفي مائه وإحدى وعشرين شاتان، فما بين الأربعين إلى مائة وعشرين ليس فيها إلا شاة واحدة، وفي مائتين وواحدة ثلاث شياه، فما بين مائة وإحدى وعشرين إلى مائتين ليس فيها إلا شاتان، ثم في كل مائة شاة ، ففي مائتين وواحدة ثلاث شياه، وفي ثلاثمائة وواحدة ثلاث شياه، وفي أربعمائة أربع شياه، وهلمَّ جرا، ولذلك لا يمكن أن نحدد الواجب في بهيمة الأنعام؛ وذلك لاختلاف الأنصبة ابتداء وانتهاء، ومرجع ذلك إلى كُتُب الحديث وأهل الفقه؛ لأن العبرة عند وجوب الزكاة.

فإن شك الإنسان ولا يدري: هل تزيد قيمتها عما اشتراها به أو تنقص، أو هي هي؟ فالأفضل عدم الزيادة وعدم النقص، فيقوم بثمنها الذي اشتراها به، فإذا قدَّر أن هذه الأراضي التي اشتراها بمائة ألف تساوي عند تمام الحول إن طلبت منه مائة وعشرين، وتساوي إن جلبت ثمانين ألفًا، وهو متردد، نقول: قوِّمها بالذي اشتريتها به؛ لأن الأصل عدم الزيادة والنقص.

سؤال: يشكل على كثير من الناس أن عندهم أراضي كسدت في أيديهم ولا تساوي شيئًا، بل إنهم يعرضونها للبيع، ولا يجدون من يشتريها، فكيف تزكى هذه الأراضي؟

والجواب: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إن كان عند الإنسان أموال يمكن أن يزكي منها من الأموال التي عنده أدى زكاتها من أمواله التي عنده، وإن لم يكن عنده إلا

---

(١) البخاري (١٣٦٢).

(٢) النسائي (٢٤٥٥) وحسنه الألباني في صحيح النسائي (٢٢٩٢).

هذه الأراضي الكاسدة، فإن له أن يأخذ رُبع عشرها ويوزِّعها على الفقراء، إن كانت في مكان يمكن أن ينتفع بها الفقير ويعمِّرها، وإلا فليقيد قيمتها وقت وجوب الزكاة ليخرج زكاتها فيما إذا باعها.

وتكون هذه الأراضي مثل الدَّين الذي عند شخص فقير لا يستطيع الوفاء، فالزكاة هذه لا تجب عليه إلا إذا قبضها؛ أي إلا إذا قبض الدين، والصحيح أنه إذا قبض الدين من مدين معسر، فإنه يزكيه سنة واحدة فقط، ولو كان قد بقي سنين كثيرة عند الفقير، ويمكن أن يقال في هذه الأراضي التي كسدت ولم يجد من يشتريها، يمكن أن يقال إنه لا يزكيها إلا سنة واحدة (سنة البيع) ولكن الأحوط إذا باعها، أن يزكيها لكل ما مضى من السنوات؛ لأن الفرق بينها وبين الدَّين أن هذه ملك يده والدَّين في ذمة فقير.

زكاة الديون التي في ذمم الناس

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: الديون التي في ذمم الناس -سواء كانت ثمن بيع أو أجرة أو قرضًا، أو قيمة متلف، أو أرش جناية، أو غير ذلك مما يثبت في الذمة- تنقسم إلى قمسين، أما غير السائمة كالخيل والحمير والبغال، فهذه لا زكاة فيها ولو كثُرت، ولو سامت، إذا لم تكن للتجارة؛ لقول النبي ﷺ: «**ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة**»[1] فلو كان عند الإنسان مائة فرس يعدُّها للركوب والجهاد وغير ذلك من المصالح فإنه لا زكاة عليه فيها، ولو كانت تساوي دراهم كثيرة، إلا إن كان يتَّجر في الخيل يبيع ويشتري ويتكسب، فعليه فيها زكاة العروض. هذه ثلاثة أموال تجب فيها الزكاة: النقدان (وهما الذهب والفضة)، والخارج من الأرض، والثالث بهيمة الأنعام.

رابعًا: عروض التجارة

وهي الأموال التي عند الإنسان يريد بها التكسُّب، ولا تختص بنوع معين من المال، بل كل ما أراد به الإنسان التكسُّب من أي نوع كان من المال ففيه الزكاة، سواء كان المال عقارًا، أو حيوانًا، أو مملوكًا من الآدميين، أو سيارات، أو أقمشة، أو أواني، أو أطياب، أو

---

(١) سبق تخريجه.

غير ذلك، المهم: كل ما أعده الإنسان للتجارة والتكسُّب ففيه الزكاة، ودليل ذلك عموم قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥].

وقول النبي ﷺ في حديث معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «**أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم**»[1]، فالأصل في الأموال وجوب الزكاة إلا ما دل عليه الدليل؛ ولقول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[2]

وصاحب العروض إنما نوى قيمة العروض، ليس له حاجة أو غرض في نفس العروض، بدليل أنه اشترى السلعة في أول النهار فإذا ربحت في آخر النهار باعها، وليس كالإنسان المقتني للسلع الذي يبقيها عنده سواء زادت أم نقصت، فإذن يكون مراد هذا المالك هو القيمة، وهي الذهب والفضة أو ما جرى مجراهما، ولأننا لو قلنا بعدم وجوب الزكاة في العروض لسقطت الزكاة عن كثير من أموال التجار؛ لأن غالب أموال التجار التي يتجرون بها إنما هي عروض التجارة، هذه أربعة أنواع من المال تجب فيها الزكاة.

زكاة العسل

اختلف العلماء في العسل: هل تجب فيه زكاة أم لا؟

فمنهم من قال: لا تجب الزكاة فيه، ومنهم من قال: إنها تجب، واستدلوا بأثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه والمسألة عندي محل توقف، والعلم عند الله.

وبناء على ذلك[3] فإنه لا زكاة على الإنسان فيما يقتنيه من الأواني والفُرُش والمعدات والسيارات والعقارات وغيرها، وإن أعدَّه للإجارة، فلو كان عند الإنسان عقارات كثيرة تساوي قيمتها الملايين، ولكنه لا يتجر فيها؛ أي لا يبيعها ويشتري بدلها للتجارة مثلًا، وإنما أعدها للاستغلال، فإنه لا زكاة في هذه العقارات ولو كثُرت، وإنما الزكاة فيما يحصل

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري (١)، ومسلم (٣٥٣٠).

(٣) مسلم (٧٧٢).

من أجرة أو نماء، فتجب في أجرتها إذا تم عليها الحول من العقد، فإن لم يتم عليها الحول فلا زكاة فيها؛ لأن هذه الأشياء -ما عدا الأصناف الأربعة السابقة- الأصل فيها براءة الذمة حتى يقوم دليل على الوجوب، بل قد دل الدليل على أن الزكاة لا تجب فيها في قول النبيﷺ: «**ليس على المؤمن في عبده ولا في فرسه صدقة**»[1].

فإنه يدل على أن ما اختصه الإنسان لنفسه من الأموال غير الزكوية ليس فيها صدقة، أي ليس فيها زكاة، والأموال التي أعدها الإنسان للاستغلال من العقارات وغيرها، لا شك أن الإنسان قد أرادها لنفسه، ولم يردها لغيره؛ لأنه لا يبيعها، بل يستبقيها للاستغلال والنماء.

زكاة الأراضي

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: الأراضي التي اشتراها أهلُها للتجارة كما هو الغالب ينتظرون بها الزيادة، هذه عروض تجارة، وعروض التجارة تقدَّر عند حول الزكاة بما تساوي، ثم يُخرج رُبع العُشر منها؛ لأن العبرة بقيمتها، وقيمتُها بالذهب والفضة، فزكاتها رُبع العُشر، ولا فرق بين أن تكون قيمة هذه الأراضي قيمة ما اشتريت به أولًا، فلو قدرنا أن رجلًا اشترى أرضًا بمائة ألف، وكانت عند الحول تساوي مائتي ألف، فيجب عليه أن يزكي عن المائتين جميعًا، وإذا كان الأمر بالعكس: اشتراها بمائة ألف، وكانت عند تمام الحول تساوي خمسين ألفًا فقط، فإنه لا يجب عليه أن يزكي إلا عن خمسين ألفًا.

الأول: أن تكون مما لا تجب الزكاة في عينه كالعروض، بأن يكون عند الإنسان لشخص ما مائة صاع من البُرِّ أو أكثر، فهذا الدين لا زكاة فيه، وذلك؛ لأن الزروع أو الحبوب لا تجب الزكاة في عينها إلا من زروعها

وأما الثاني: فهي الديون التي تجب الزكاة في عينها كالذهب والفضة، وهذا فيه الزكاة على الدائن؛ لأن صاحبه يملك أخذه والإبراء منه، فيزكيه كل سنة، إن شاء زكاه مع ماله،

---

(١) سبق تخريجه.

وإن شاء قيَّد زكاته وأخرجها إذا قبضه، فإذا كان عند شخص لآخر مائة ألف فإن من له المائة يزكيها كل عام، أو فإن الزكاة تجب على من هي له كل عام، لكن هو بالخيار، إما أن يخرج زكاتها مع ماله، أو ينتظر حتى يقبضها، ثم يزكيها لما مضى، هذا إن كان الدين على موسر باذل، فإن كان الدين على معسر فإن الصحيح أن الزكاة لا تجب فيه؛ لأن صاحبه لا يملك المطالبة به شرعًا، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] .

فهو في الحقيقة عاجز شرعًا عن ماله، فلا تجب عليه الزكاة فيه، لكن إذا قبضه فإنه يزكيه سنة واحدة فقط وإن بقي في ذمة المدين عشر سنين؛ لأن قبضه إياه إنما يشبه تحصيل ما خرج من الأرض، وإنما يبتدئ به حولًا من جديد، وما ذكرنا أحوط وأبرأ للذمة، أن يزكيه سنة واحدة لما مضى، ثم يستأنف به حولًا والأمر في هذا سهل، وليس من الصعب على الإنسان أن يؤدي ربع العُشر من دينه الذي قبضه بعد أن آيس منه، فإن هذا من شكر نعمة الله عليه بتحصيله.

هذا هو القول في زكاة الديون وخلاصته، أنه ثلاثة أقسام:

١ -**قسم لا زكاة فيه:** وهو ما إذا كان الدين مما لا تجب الزكاة في عينه، مثل أن يكون في ذمة شخص لآخر أصواع من البُرِّ أو كيلوات من السكر أو الشاي أو ما أشبه ذلك، فما دام الدين مما لا تجب الزكاة في عينه فلا زكاة فيه ولو كان عنده مئات الأصواع.

٢ -**القسم الثاني: الدين الذين تجب الزكاة في عينه:** كالذهب والفضة، ولكنه على مُعسر، فهذا لا زكاة فيه إلا إذا قبضه، فإنه يزكيه لسنة واحدة ثم يستأنف فيه حولًا، وقيل: يستأنف فيه حولًا على كل حال، ولكن ما قلناه أولى لما ذكرنا من التعليل.

٣ -**القسم الثالث: ما تجب فيه الزكاة كل عام:** وهو الدين الذي تجب فيه الزكاة في عينه، وهو موسر باذل، فهذا فيه الزكاة كل عام، إن شاء أخرَّها، حتى يقبضه من المدين.

خرص عروض التجارة

سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هل يجوز خرص عروض التجارة إذا تعذر إحصاؤها أو شق على التاجر؟

فأجاب رحمه الله: لا يجوز خرصها؛ لأن الخرص إنما ورد في الثمار وألحق به بعض العلماء الزروع، وأما الأموال التي لا يمكن خرصها؛ لأنها أنواع متعددة، لكن على الإنسان أن يتحرى ما استطاع، وأن يحتاط لنفسه، فإذا قُدِّر أن هذه البضاعة قيمتها مائة ويحتمل أن تكون مائة وعشرين فليخرج مائة وعشرين إبراء لذمته.

الزكاة في مال الصبي والمجنون

هل تجب الزكاة في مال غير المكلف كالصغير والمجنون؟

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هذا فيه خلاف بين العلماء، فمنهم من قال: إن الزكاة في مال الصغير والمجنون غير واجبة نظرًا إلى تغليب التكليف بها، ومعلوم أن الصغير والمجنون غير واجبة نظرًا إلى تغليب التكيلف بها، ومعلوم أن الصغير والمجنون ليسا من أهل التكليف فلا تجب الزكاة في مالهما، ومنهم من قال: بل الزكاة واجبة في مالهما، وهو الصحيح؛ نظرًا لأن الزكاة من حقوق المال، لا ينظر فيها إلا المالك؛ لقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣]. فقال: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾، فجعل مناط الحكم -أو موضع الوجوب- المال.

ولقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «**أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم**»[1].

---

(١) سبق تخريجه.

مصارف الزكاة

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: المصارف التي يجب أن تصرف فيها الزكاة ثمانية، بيّنها الله تعالى بيانًا شافيًا كافيًا، وأخبر -عز وجل- أن ذلك فريضة، وأنه مبني على العلم والحكمة، فقال جل ذكره: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ٦٠] . فهؤلاء أصناف أهل الزكاة، الذين تدفع إليهم، وهم ثمانية كالتالي:

(١، ٢) الفقراء والمساكين

وهؤلاء يعطون من الزكاة لدفع ضرورتهم وحاجتهم، والفرق بين الفقراء والمساكين: أن الفقراء أشد حاجة، ولا يجد الواحد ما يكفيه وعائلته لنصف السنة، والمساكين أعلى حالًا من الفقراء؛ لأنهم يجدون نصف الكفاية فأكثر دون كمال الكفاية، هؤلاء يعطون لحاجتهم، ولكن كيف نقدِّر الحاجة؟

قال العلماء: يعطون لحاجتهم وما يكفيهم وعائلتهم لمدة سنة، ويحتمل أن يعطون ما يكونون به أغنياء، لكن الذين قدروا ذلك بسنة قالوا: لأن السنة إذا دارت وجبت الزكاة في الأموال، فكما أن الحول هو تقدير الزمن الذي تجب فيه الزكاة فكذلك ينبغي أن يكون الحول هو تقدير الزمن الذي تدفع فيه حاجة الفقراء والمساكين، الذين هم أهل الزكاة.

وهذا قول حسنٌ جيدٌ، أي: إننا نعطي الفقير والمسكين ما يكفيه وعائلته لمدة عام كامل سواء أعطيناه أحيانًا من الأطعمة والألبسة، أو أعطيناه نقودًا يشتري بها هو ما يناسبه، أو أعطيناه صنعة إذا كان يحسن الصنعة؛ يعني آلة يصنع بها إذا كان يحسن الصنعة، كخياط ونجار وحداد ونحوه، المهم أن نعطيه ما يكفيه وعائلته لمدة سنة.

(٣) العاملون عليها

أي الذين لهم ولاية عليها من قِبل ولي الأمر، ولهذا قال: ﴿ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ ولم يقل (العاملين فيها) إشارة إلى أن لهم نوع ولاية، وهم جُباتُها من أهلها وقُسَّامُها الذين يقسِّمونها في أهلها وكتَّابُها ونحوهم، فهؤلاء عاملون عليها من الزكاة ولكن كم يُعطون؟ نظر، هم عاملون عليها، فهم مستحقون بوصف العمالة، ومن يستحق بوصف أُعطى

بقدر ذلك الوصف، وعليه فيعطون من الزكاة بقدر عمالتهم فيها، سواء كانوا أغنياء أم فقراء؛ لأنهم يأخذون الزكاة لعملهم لا لحاجتهم، وعلى هذا فيعطون ما يقتضيه العمل من الزكاة، فإن قُدِّر أن العاملين عليها فقراء فإنهم يعطون بالعمالة ويعطون بالفقر كذلك، فيعطون ما يكفيهم لمدة سنة لفقرهم.

فهؤلاء يأخذون لعمالتهم أيضًا؛ لأنهم استحقوا الصدقة، أو الزكاة بوصفين: العمالة عليها والفقر، فيعطون بكلا الوصفين، ولكن إذا أعطيناهم للعمالة فسيصبحون أغنياء بقدر ما أخذوا من العمالة، فنكمل لهم المؤونة لمدة سنة.

مثال ذلك: إذا قدرنا أنه يكفيهم لمدة سنة عشرة آلاف ريال، وأننا إذا أعطيناهم لفقرهم أخذوا عشرة آلاف ريال، وأن نصيبهم من العمالة ألفا ريال، فعلى هذا نعطيهم ألفي ريال للعمالة، ونعطيهم ثمانية آلاف ريال للفقر.

هذا وجه قولنا: يعطون كفايتهم لمدة سنة؛ لأنهم إذا أخذوا بالعمالة صاروا لا يحتاجون إلا ما زاد على استحقاقهم العمالة لمدة سنة.

(٤) المؤلفة قلوبهم

هم الذين يعطون لتأليفهم على الإسلام، إما كافر يُرجى إسلامه، وإما مسلم نعطيه لتقوية الإيمان في قلبه، وإما شرير نعطيه لدفع شره عن المسلمين، أو نحو ذلك ممن يكون في تأليفه مصلحة للمسلمين، ولكن هل يشترط في ذلك أن يكون سيِّدًا مُطاعًا في قومه، حتى يكون في تأليفه مصلحة عامة؟ أو يجوز أن نعطيه لتأليفه ولو لمصلحة شخصية؛ كرجل دخل الإسلام حديثًا يحتاج إلى تأليفه وقوة إيمانه بإعطائه؟

هذا محلُّ خلاف بين العلماء، والراجح عندي أنه لا بأس أن نُعطي لتأليفه على الإسلام بتقوية إيمانه، وإن كان يعطى بصفة شخصية وليس سيدًا في قومه؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ولأنه إذا جاز أن نعطي الفقير لحاجته البدنية الجسمية فإعطاؤنا هذا الضعيف الإيمان لتقوية إيمانه من باب أولى؛ لأن تقوية الإيمان بالنسبة للشخص أهم من غذاء الجسد.

هؤلاء الأربعة[١] يُعطون الزكاة على سبيل التمليك، ويملَّكونها ملكًا تامًّا، حتى لو زال هذا الوصف منهم في أثناء الحول لم يلزمهم رد الزكاة، بل تبقى حلالًا لهم؛ لأن الله عبَّر عن استحقاقهم باللام، فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ ﴾. فأتى باللام، وفائدة ذلك أن الفقير لو استغنى في أثناء الحول فإنه لا يلزمه رد الزكاة، مثل لو أعطيناه عشرة آلاف لفقره، وهي تكفيه لمدة سنة، ثم إن الله تعالى أغناه في أثناء الحول، باكتساب مال أو موت قريب له يرثه، أو ما أشبه ذلك؛ فإنه لا يلزمه رد ما بقي من المال الذي أخذه من الزكاة؛ لأنه مَلَكَهُ.

(٥) الرقاب

أما الخامس من أهل الزكاة فهم الرقاب، لقوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ ويشمل:

١ - مكاتب اشترى نفسه من سيدة بدراهم مؤجلة في ذمته، فيعطى ما يوفِّي به سيده.

٢ - رقيق مملوك اشترى من الزكاة ليعتق.

٣- أسيرٌ مسلمٌ أسره الكفار، فيعطى الكفار من الزكاة لفكِّهم هذا الأسير، أيضًا الاختطاف، فلو اختطف المسلمَ أحدٌ من المسلمين أو الكفار، فلا بأس بأن يفدى هذا المُختطَف بشيء من الزكاة؛ لأن العلة واحدة، وهي فِكاك المسلم من الأسر، وهذا إذا لم يمكننا أن نرغم المختطف على فِكاكه بدون بذل المال، إذا كان المختطف من المسلمين.

(٦) الغارمون

الصنف السادس من أهل الزكاة الغارمون، والغارم هو المدين، وقسَّم العلماء - رحمهم الله- الغُرم إلى قسمين:

الأول: غُرم لإصلاح ذات البين، فيمثلوا له بأن يقع بين قبيلتين تشاحن وتشاجر أو حروب، فيأتي رجل من أهل الخير والجاه والشرف والسؤدد، ويصلح بين هاتين القبيلتين بدراهم في ذمته، فإننا نعطي هذا الرجل المصلح الدراهم التي تحملها من الزكاة، جزاء له على هذا العمل الجليل الذي قام به، والذي فيه إزالة الشحناء والعداوة بين المؤمنين

(١) مسلم (٧٧٢).

وحقن دماء الناس، وهذا يعطى سواءٌ كان غنيًا أم فقيرًا؛ لأننا لسنا نعطيه لسد حاجته، ولكننا نعطيه لما قام به من المصلحة العامة.

الثاني: هو الغارم لنفسه، الذي استدان لنفسه باستقراض شيء ليدفعه في حاجته، أو بشراء شيء يحتاجه، يشتريه في ذمته وليس عنده مال، فهذا وفِّي دينه من الزكاة، بشرط أن يكون فقيرًا ولو لم يعلم بذلك، وعليه: فهل الأفضل أن نعطي هذا المدين من الزكاة ليوفي دينه؟ أو نذهب نحن إلى دائنه ونوفِّي عنه؟

هذا يختلف، فإن كان الرجل المدين حريصًا على وفاء دينه وإبراء ذمته -وهو أمين فيما يعطى لوفاء الدين- فإننا نعطيه هو بنفسه يقضي دينه؛ لأن هذا أستر له عن تخجيله أمام الناس الذين يطلبونه.

أما إذا كان المدين رجلًا مبذِّرًا يفسد الأموال، ولو أعطيناه مالًا ليقضي دينه ذهب يشتري به أشياء لا ضرورة لها، فإننا لا نعطيه وإنما نذهب نحن إلى دائنه ونقول له: ما دين فلان لك؟ ثم نعطيه هذا الدين أو بعضه حسب ما يتيسر.

سؤال: هل يقضى من الزكاة دين على ميت لم يخلف تركة؟

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: قال ابن عبد البر، وأبو عبيدة: إنه لا يقضى منها دين على الميت بالإجماع، ولكن الواقع أن المسألة فيها خلاف، ولكن أكثر العلماء يقولون: إنه لا يقضى منها دين على ميت.

وإن الميت انتقل إلى الآخرة ولا يلحقه من الذل والهوان بالدين الذي عليه ما يلحق الأحياء؛ ولأن النبي ﷺ لم يقضِ ديون الأموات من الزكاة، بل كان يقضيها عليه السلام من أموال الفيء حين فتح الله عليه، وهذا يدل على أنه لا يصح قضاء دين الميت من الزكاة، ويقال: إن الميت إن كان قد أخذ أموال الناس يريد أداءها فإن الله تعالى يؤدي عنه بفضله وكرمه، وإن كان أخذها يريد إتلافها فهو الذي جنى على نفسه، ويبقى الدين في ذمته يُستوفى يوم القيامة، وعندي أن هذا أقرب من القول بأنه لا يقضى منها الدين على الميت.

رأيٌ آخر

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وقد يقال: يفرق بين ما إذا كان الأحياء يحتاجون إلى الزكاة لفقر أو غُرم أو جهاد أو غير ذلك، وما إذا كان الأحياء لا يحتاجون إليها، ففي الحالة التي يحتاج إليها الأحياء يُقدَّم الأحياء على الأموات، وفي الحالة التي لا يحتاج إليها الأحياء لا حرج أن نقضي ديون الأموات الذين ماتوا ولم يخلِّفوا مالًا، ولعل هذا قول يكون وسطًا بين القولين.

(٧) في سبيل الله

الصنف السابع: في سبيل الله، وسبيل الله هنا المراد الجهاد في سبيل الله لا غير، ولا يصح أن يراد بها جميع سبل الخير؛ لأنه لو كان المراد بها جميع سبل الخير لم تكن للحصر فائدة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠]إذ يكون الحصر عديم التأثير، فالمراد بسبيل الله هو الجهاد في سبيل الله، فيعطى المقاتلون في سبيل الله الذين يظهر من حالهم أنهم يقاتلون؛ لتكون كلمة الله هي العليا، فيعطون من الزكاة ما يحتاجون إليه من النفقات والأسلحة وغير ذلك، ويجوز أن تشترى الأسلحة لهم من الزكاة؛ ليقاتلوا بها، ولكن لا بد أن يكون القتال في سبيل الله، والقتال في سبيل الله بيَّنه الرسول ﷺ وبميزان عدل من قسط حين سئل عن الرجل يقاتل حمية، يقاتل شجاعة، ويقاتل ليرى مكانه أي ذلك في سبيل الله؟ قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» فالرجل المقاتل حمية لوطنه أو قوميته أو غير ذلك من أنواع الحميات ليس يقاتل في سبيل الله، فلا يستحق ما يستحقه المقاتل في سبيل الله، لا من الأمور المادية الدنيوية ولا من أمور الآخرة، والرجل الذي يقاتل شجاعة، أي يحب القتال؛ لكونه شجاعًا والمتصف بصفة غالبًا يحب أن يقوم بها على أي حال كانت، هو أيضًا ليس يقاتل في سبيل الله، والمقاتل لِيُرى مكانه -يقاتل رياء وسمعة- ليس من المقاتلين في سبيل الله، وكل من لا يقاتل في سبيل الله فإنه لا يستحق من الزكاة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، والذي يقاتل في سبيل الله، هو الذي يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فيعطى ما يحتاج إليه من الزكاة، من نفقة وكسوةٍ وطعام وشراب ومسكن وكتب علمية يحتاجها؛ لأن العلم الشرعي نوع من الجهاد في سبيل الله.

بل قال الإمام أحمد رحمه الله: العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته، فالعلم هو أصل الشرع كله، ولا شرع إلا بعلم، والله -سبحانه وتعالى- أنزل الكتاب ليقوم الناس بالقسط، ويتعلموا أحكام شريعته، وما يلزم من عقيدة وقول وفعل، وأما الجهاد في سبيل الله فنعم هو شرف من أشرف الأعمال، بل هو ذروة سنام الإسلام، ولا شك في فضله، لكن العلم له شأن كبير في الإسلام، فدخوله في الجهاد في سبيل الله دخول واضح لا إشكال فيه، فإذا جاءنا رجل أهل العلم وقال: أنا إن ذهبت اكتسبت لنفسي وأهلي لم أتمكن من طلب العلم، وإن تفرغت له فإنني أُحصِّل فيه، ولكن لا أجد ما يدفع حاجتي.

فإننا نقول له: تفرغ لطلب العلم ونحن نعطيك ما تدفع به حاجتك من الزكاة.

(٨) ابن السبيل

بقي من أصناف أهل الزكاة صنف واحد وهو ابن السبيل، وابن السبيل هو المسافر الذي انقطع به السفر ونفدت نفقته، فإنه يعطى من الزكاة ما يوصِّله إلى بلده، وإن كان في بلده غنيًا؛ لأنه محتاجه، ولا نقول له في هذه الحال: يلزمك أن تستقرض وتُوفِّي؛ لأننا في هذه الحالة نلزم ذمته دينًا، ولكن إذا أراد هو أن يستقرض ولا يأخذ من الزكاة فالأمر إليه، فإذا وجدنا شخصًا مسافرًا من مكة إلى المدينة، وفي أثناء السفر ضاعت نفقته ولم يبق معه شيء وهو غني في المدينة، فإننا نعطيه ما يوصله إلى المدينة فقط؛ لأن هذه هي حاجته ولا نعطيه أكثر.

وإذا كنا قد عرفنا أصناف أهل الزكاة الذين تدفع إليهم، فإن ما سوى ذلك من المصالح العامة أو الخاصة لا تدفع فيه الزكاة، وعلى هذا لا تدفع الزكاة في بناء المساجد، ولا في إصلاح الطرق، ولا في بناء المكاتب وشبه ذلك؛ لأن الله -عز وجل- لما ذكر أهل الزكاة، قال: ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾.

يعني أن هذا التقسيم جاء فريضة من الله عز وجل ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

أي الأصناف أولى؟

إذا قيل: أيُّها أَولى أن يصرف فيه الزكاة؟[١]

قلنا: إن الأولى ما كانت الحاجة إليه أشد؛ لأن هؤلاء استحقوا بوصف، فمن كان أشد إلحاحًا وحاجة فهو أولى، والغالب أن الأشد هم الفقراء والمساكين؛ ولهذا بدأ الله بهم فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠].

حكم صرف الزكاة للأقارب الفقراء

الزكاة في الأقارب الذين هم من أهلها أولى من أن تكون في غير الأقارب؛ لأن الصدقة على الأقارب صدقة وصلة، فإذا كان أخوك أو عمك أو أبوك أو أمك أهل الزكاة فهم أولى بها من غيرهم، لكن إذا كانوا يأخذون الزكاة لحاجاتهم وأنت تجب عليك نفقتهم فإنه لا يجوز أن تعطيهم من الزكاة في هذه الحالة؛ لأنك إذا أعطيتهم من الزكاة رفدت مالك ووقيته بها تعطيه من الزكاة، فإذا قدَّرنا أن لك أخًا فقيرًا وأنت عندك زكاة، ونفقته تجب عليك، فإنه لا يجوز أن تعطيه لفقره؛ لأنك إذا أعطيته لفقره رفدت مالك ووقيته بها تعطيه، إذا لو لم تعطه من الزكاة لوجب عليك الإنفاق عليه، أما لو كان على أخيك هذا دَينٌ لا يستطيع وفاءه، مثل أن يحصل منه إتلاف شيء أو جناية على أحد، ويلزمه مال، ففي هذه الحالة يجوز لك أن تقضي دينه من زكاتك؛ لأنه لا يجب عليك قضاء دينه، وإنما الواجب عليك نفقته.

وقاعدة ذلك: أن الأقارب إذا أعطاهم الإنسان زكاة لدفع حاجتهم وهم ممن تجب عليه نفقاتهم فإن ذلك لا يصح، وإن أعطاهم لدفع أمر لا يلزمه القيام به فإن ذلك جائز، بل هم أحق بذلك من غيرهم.

فإن قال قائل: ما دليلك على هذا؟

قلنا: الدليل عموم الأدلة، بل عموم آية الصدقة التي أشرنا إليها فيما سبق: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠]، وإنما منعنا إعطاءهم فيما إذا كان إعطاؤهم

---

(١) أي: الأصناف الثمانية المذكورة في الآية أولى من الأخرى.

لدفع حاجتهم التي يجب عليك دفعها؛ لأن هذا من باب إسقاط الواجب عن الإنسان بالحيلة والواجب لا يمكن إسقاطه بالحيل.

مثال: اشترى أبوك سيارة بخمسة آلاف ريال مثلًا، واحترقت السيارة ولزمه دفع خمسة آلاف ريال، وأنت لا يلزمك أن تدفعها له؛ لأن هذا ليس من النفقة، فيجوز لك أن تقضي دينه هذا من زكاتك، كذلك لو لزم أحدًا من أقاربك الآخرين من شيء من أجل جناية أو إتلاف، فإنه يجوز لك أن تدفع زكاتك في قضاء هذا الشيء.

حكم إسقاط الدين عن المدين

سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هل يجوز إسقاط الدين عن المدين ويكون ذلك من الزكاة؟

والجواب: لا يجوز ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣]، فقال تعالى: ﴿ خُذْ ﴾، والأخذ لا بد أن يكون ببذل من المأخوذ منه، وقال النبي ﷺ: «أعلِمْهُم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم»(١). فلا بد من أخذٍ وردٍّ، والإسقاط لا يوجد فيه ذلك؛ ولأن الإنسان إذا أسقط الدين عن زكاة العين التي في يده، فكأنما أخرج الرديء عن الطيب؛ لأن قيمة الدَّين في النفس ليست كقيمة العين؛ لأن العين ملكه وفي يده، والدَّين في ذمة الآخرين، قد يأتي وقد لا يأتي، فصار الدَّين دون العين وإن كان دونها فلا يصح أن يخرج -أي الدَّين- زكاة عنها لنقصه، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

مثال: لو كان على الإنسان عشرة آلاف ريال زكاة، وهو يطالب رجلًا فقيرًا عشرة آلاف ريال، فذهب إلى الرجل الفقير وقال: قد أسقطت عنك عشرة آلاف ريال، وهي زكاتي لهذا العام، قلنا: هذا لا يصح؛ لأنه لا يصح إسقاط الدين وجعله زكاة العين؛ لما أشرنا إليه آنفًا.

(١) فقه العبادات لابن تيمية (١٥٣-١٧٦).



وهذه المسألة يخطئ فيها بعض الناس ويتجاوزها جهلًا منه، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إنه لا يجزئ إسقاط الدَّين عن زكاة العين بلا نزاع.

سؤال: هل يجوز دفع الزكاة للفقير المدين بشرط أن يردها للدافع؟

والجواب: أجاب الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: لا يجوز، يعني لو كان عندك فقير مدين، ودفعت إليه زكاتك فلا بأس، ولا حرج، حتى لو ردها عليك من بعد فلا حرج، لكن إذا اشترطت عليه ذلك فلا يجوز؛ لأنك إن فعلت هذا فقد علمنا أنك إنما تريد بهذا العمل أن تسترد مالك الذي في ذمة الفقير، والزكاة لا يجوز للإنسان أن يحابي فيها أحدًا، لا نفسه ولا غيره.

فتـــاوى الزكاة

لابن باز

س١: ما حكم تارك الزكاة؟

ج١: في حكم تارك الزكاة تفصيل؛ فإن كان تركها جحدًا لوجوبها مع توافر شروط وجوبها عليه كفر بذلك إجماعًا، ولو زكَّى، ما دام جاحدًا لوجوبها، أما إن تركها بخلًا أو تكاسلًا فإنه يعتبر بذلك فاسقًا، قد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، هو تحت مشيئة الله إن مات، وقد دل القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة المتواترة على أن تارك الزكاة يُعَذَّب يوم القيامة بأمواله التي ترك زكاتها، ثم يُرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، وهذا الوعيد في حق من ليس جاحدًا وجوبها.

س٢: من يملك أنواعًا مختلفة من المواشي لم يبلغ كل نوع بمفرده نصاب الزكاة، لكن بمجموعها تبلغ النصاب، فهل عليه زكاة؟

ج٢: المواشي من الإبل والبقر والغنم لها نُصب معلومة، لا تجب فيها الزكاة حتى تبلغها مع توافر الشروط التي من جملتها أن تكون الإبل والبقر والغنم سائمة، وهي الراعية جميع الحول أو أكثره، فإذا كان نصاب الإبل أو البقر أو الغنم لم يكمل فلا زكاة فيها، ولا يضم بعضها إلى بعض، أما إذا كانت للتجارة فإنه يضم بعضها إلى بعض؛ لأنها والحال ما ذكر تعتبر من عروض التجارة، وتُزكى زكاة النقدين، كما نصَّ على ذلك أهل العلم.

س٣: رجل عنده مائة من الإبل، لكن أغلب السَّنة يعلفها، فهل فيها زكاة؟

ج٣: إذا كانت الماشية من الإبل، أو البقر، أو الغنم ليست سائمة جميع الحول، أو أكثره؛ فإنها لا تجب فيها الزكاة؛ لأن النبيﷺ شرط في وجوب الزكاة أن تكون سائمة، فإن أعلفها صاحبها غالب الحول أو نصف الحول فلا زكاة فيها إلا أن تكون للتجارة؛ فإنها تجب فيها زكاة التجارة، وتكون من عروض التجارة كالأراضي المعدة للبيع والسيارات ونحوها إذا بلغت قيمة الموجود منها نصاب الذهب أو الفضة، كما تقدم.

س٤: يختلف تقدير الفقير الذي يُعطى من الزكاة من وقت لآخر، فما هو الضابط لذلك؟

ج٤: يعطى الفقير من الزكاة قدر كفايته لسنة كاملة.

س٥: ما حكم إخراج الزكاة للمجاهدين في سبيل الله، كالمسلمين المجاهدين في البوسنة والهرسك وغيرها؟

ج٥: المسلمون في البوسنة والهرسك مستحقون للزكاة؛ لفقرهم وجهادهم ولكونهم مظلومين وبحاجة إلى النصر وتأليف القلوب، وهم من أحق الناس بالزكاة، وهكذا أمثالهم، وهكذا القائمون على المراكز الإسلامية بالتعليم والدعوة إلى الله إذا كانوا فقراء.

س٦: هل على الحُلي الملبوس وحُلي الزينة زكاة؟

ج٦: في وجوب زكاة الحُلي الملبوس أو المعد للبس أو العارية من الذهب والفضة خلاف مشهور بين العلماء، والأرجح وجوبها فيه؛ لعموم الأدلة في وجوب الزكاة في الذهب والفضة.

س٧: كيف تخرج زكاة عروض التجارة المتنوعة؛ كالألبسة والأواني وغيرها؟

ج٧: يجب عليه إخراج الزكاة إذا تم الحول على العروض التي عنده المعدَّة للتجارة، إذا بلغت قيمتها النصاب من الذهب أو الفضة؛ للأحاديث الواردة في ذلك، ومنها حديث سمرة بن جندب، وأبي ذر الغفاري.

س٨: هل على الأسهم في الشركات زكاة؟

ج٨: على أصحاب الأسهم المعدة للتجارة إخراج زكاتها إذا حال عليها الحول كسائر العروض من الأراضي والسيارات وغيرها، أما إن كانت للمساهمة في أموال معدَّة للتأجير لا للبيع كالأراضي والسيارات فإنها لا زكاة فيها، وإنما الزكاة تكون في الأجرة إذا حال عليها الحول وبلغت النصاب كسائر النقود، والله ولي التوفيق.

س٩: تنتج بعض المزارع أنواعًا من الفواكه والخضراوات، فهل فيها زكاة؟

ج٩: ليس في الفواكه ونحوها من الخضراوات التي لا تكال ولا تدخر كالبطيخ والرمان ونحوهما زكاة، إلا إذا كانت للتجارة، فإنه يزكى ما حال عليه الحول من قيمتها، إذا بلغت النصاب كسائر عروض التجارة، وإنما يجب الزكاة في الحبوب والثمار التي تُكال وتدخر: كالتمر، والزبيب، والحنطة، والشعير، ونحو ذلك.

س١٠: على من تجب زكاة الفطر؟ وهل لها نصاب محدد؟

ج١٠: ليس لها نصاب، بل يجب على المسلم إخراجها عن نفسه وأهل بيته؛ من أولاده وزوجاته ومماليكه، إذا فضُلت عن قوته وقوتهم، يومه وليلته، أما الخادم المستأجر فزكاته على نفسه، إلا أن يتبرع بها المستأجر أو تشترط عليه، أما الخادم المملوك فزكاته على سيده، والواجب إخراجها من قوت البلد؛ سواء كان تمرًا، أو شعيرًا، أو بُرًّا، أو ذرة، أو غير ذلك في أصح قولي العلماء[1].

---

(١) تحفة الإخوان لابن باز (١٣٩-١٥٥) باختصار.

الصيام وحكمه

قال الدكتور صالح الفوزان: صوم شهر رمضان ركن من أركان الإسلام، وفرض من فروض الله، ومعلوم من الدين بالضرورة، ويدل عليه الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، إلى قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ومعنى ﴿ كُتِبَ ﴾: فرض، وقال: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ والأمر للوجوب.

وقال النبي ﷺ: «بُني الإسلام على خمس»[1] وذكر منها صوم رمضان، والأحاديث في الدلالة على فريضته وفضله كثيرة مشهورة، وأجمع المسلمون على وجوب صومه، ومن أنكره كفر.

حكمة الصيام

الحكمة الشرعية من الصيام أن فيه تزكية للنفس وتطهيرًا وتنقية لها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة؛ لأنه يُضيِّق مجاري الشيطان في بدن الإنسان؛ لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فإذا أكل أو شرب انبسطت نفسه للشهوات وضعُفت إرادتها، وقلَّت رغبتها في العبادات، والصوم على العكس من ذلك.

وفي الصوم تزهيد في الدنيا وشهواتها، وترغيب في الآخرة، وفيه باعث على العطف على المساكين والإحساس بآلامهم، لما يذوقه الصائم من ألم الجوع والعطش؛ لأن الصوم في الشرع هو الإمساك بنيَّة، عن أشياء مخصوصة من أكل وشرب وجماع وغير ذلك مما ورد به الشرع، ويتبعُ ذلك الإمساكُ عن الرفث والفسوق.

وقت الصيام

يبتدئ وجوب الصوم اليومي بطلوع الفجر الثاني، وهو البياض المعترض في الأفق،

---

(١) البخاري (٨) ومسلم (١٦/ ٢١).

وينتهي بغروب الشمس، قال الله تعالى: ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، يعني: أن يتضح بياض النهار من سواد الليل، ويبدأ وجوب صوم شهر رمضان إذا عُلم دخوله.

كيفية العلم بدخول رمضان

للعلم بدخوله ثلاث طرق:

الطريقة الأولى: رؤية الهلال

قال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال النبيﷺ: «**صوموا لرؤيته**»[(١)] فمن رأى الهلال بنفسه وجب عليه الصوم.

الطريقة الثانية: الشهادة على الرؤية، أو الإخبار عنها

فيصام برؤية عدل مكلَّف، ويكفي إخباره بذلك؛ لقول ابن عمر ﷺ تراءى الناسُ الهلال، فأخبرت رسول اللهﷺ أني رأيته، فصامه وأمر الناس بصيامه[(٢)].

الطريقة الثالثة: إكمال عدة شهر شعبان ثلاثين يومًا

وذلك حينما لا يرى الهلال ليلة الثلاثين من شعبان، مع عدم وجود ما يمنع الرؤية من غيم أو قتر، أو مع وجود شيء من ذلك؛ لقولهﷺ: «**إنما الشهر تسعة وعشرون يومًا، فلا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غُمَّ عليكم فاقدروا له**» ومعنى «اقدروا له» أي أتموا شهر شعبان ثلاثين يومًا؛ لما ثبت في حديث أبي هريرة ﷺ: «**فإن غُمَّ عليكم فعدوا ثلاثين**»[(٣)].

على من يجب صوم رمضان؟

يلزم صوم رمضان كلَّ مسلم مكلَّف قادر، فلا يجب على الكافر ولا يصح منه، فإن تاب في أثناء الشهر صام الباقي ولا يلزمه قضاء ما سبق حال الكفر، ولا يجب الصوم أداء

---

(١) البخاري (١٩٠٩) ومسلم (١٠٨١).

(٢) أبو داود (٢٣٤٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٥٢).

(٣) البخاري (١٩٠٩) ومسلم (١٠٨١).

عن مريض يعجز عنه ولا عن مسافر، ويقضيانه حال زوال عذر المرض والسفر. قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

والخطاب بإيجاب الصيام يشمل المقيم والمسافر، والصحيح والمريض، والطاهر والحائض والنفساء، والمغمى عليه، فإن هؤلاء كلهم يجب عليهم الصوم في ذممهم، بحيث إنهم يخاطَبون بالصوم ليعتقدوا وجوبه في ذممهم، والعزم على فعله إما أداءً وإما قضاء.

١- فمنهم من يُخاطَب بالصوم في نفس الشهر أداءً، وهو الصحيح والمقيم، إلا الحائض والنفساء.

٢- ومنهم من يُخاطَب بالقضاء فقط، وهو الحائض والنفساء، والمريض الذي يقدر على أداء الصوم، ويقدر على القضاء.

٣- ومنهم من يُخيَّر بين الأمرين، وهو المسافر والمريض يمكنه الصوم بمشقة من غير خوف تلف.

من أفطر لعذر ثم زال عذره

من أفطر لعذر ثم زال عذره في أثناء نهار رمضان، كالمسافر الذي يقدم من سفره، والحائض والنفساء إذا طهُرَتا والكافر إذا أسلم، والمجنون إذا أفاق من جنونه، والصغير إذا بلغ، فإن كلًّا من هؤلاء لا يلزمه الإمساك بقية اليوم ويقضيه، وكذا إذا قامت البينة بدخول الشهر في أثناء النهار، فإن المسلمين يمسكون بقية اليوم ويقضون اليوم بعد رمضان[١].

السحور بركة

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تسحَّرُوا فإن في السُّحور بركة»[٢]، وقد ورد في الترغيب بالسحور آثار كثيرة، ولو بجرعة ماء، ويستحب تأخيره إلى وقت انفجار الفجر، ولو استيقظ الإنسان وعليه جنابة أو طهُرت الحائض قبل الفجر؛ فإنهم يبدءون بالسحور ويصومون ويؤخِّرون الاغتسال إلى بعد طلوع الفجر.

---

(١) الملخص الفقهي للفوزان (١/ ٢٠٥-٢٠٧).

(٢) البخاري (١٩٢٣) ومسلم (١٠٩٥).

وبعض الناس يبكرون بالتَّسَحُّر، لأنهم يسهرون معظم الليل ثم يتسحرون وينامون قبل الفجر بساعات، وهؤلاء قد ارتكبوا عدة أخطاء:

أولًا: أنهم صاموا قبل وقت الصيام.

ثانيًا: يتركون صلاة الفجر مع الجماعة، فيعصون الله بترك ما أوجب الله عليهم من صلاة الجماعة.

ثالثًا: ربما يؤخرون صلاة الفجر عن وقتها، فلا يصلونها إلا بعد طلوع الشمس، وهذا أشد جرمًا وأعظم إثمًا.

قال الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[الماعون: ٤-٥]، ولا بد أن ينوي الصيام الواجب من الليل، فلو نوى الصيام ولم يستيقظ إلا بعد طلوع الفجر فإنه يمسك وصيامه صحيح تامٌّ بإذن الله.

تعجيل الفطر خير

يستحب تعجيل الإفطار إذا تحقق غروب الشمس بمشاهدتها، أو غلب على ظنه بخبر ثقة بأذان أو غيره، فعن سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**»[1]، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «**إن أحب عبادي إليَّ أعجلهم فطرًا**»[2]، والسُّنَّة أن يفطر على رطب، فإن لم يجد فعلى تمر، فإن لم يجد فعلى ماء؛ لقول أنس ﷺ: كان النبي ﷺ يفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء[3].

تنبيه: بعض الناس قد يجلس على مائدة إفطاره ويتعشى ويترك صلاة المغرب مع الجماعة في المسجد، فيرتكب بذلك خطأ عظيمًا، وهو التأخر عن الجماعة في المسجد، ويفوِّت على نفسه ثوابًا عظيمًا، ويعرِّضها للعقوبة؛ والمشروع للصائم أن يفطر أولًا ثم يذهب للصلاة، ثم يتعشى بعد ذلك.

---

(١) البخاري (١٩٥٧) ومسلم (١٠٩٨).

(٢) الترمذي (٧٠٠، ٧٠١) وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (١١١).

(٣) أبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٦٥).

دعوة الفطر لا تُردُّ

يُستحب أن يدعو عند إفطاره بما أحب، قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث دعوات لا ترد؛ دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر**»[(١)].

نية الصائم

١- نية صيام الفرض

يجب على المسلم تعيين نية الصوم الواجب من الليل؛ كصوم رمضان، وصوم الكفارة، وصوم النذر، بأن يعتقد أنه يصوم من رمضان أو قضائه أو يصوم نذرًا أو كفارة؛ لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[(٢)] وعن حفصة رضي الله عنها مرفوعًا: «**من لم يُجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له**»[(٣)]، فيجب أن ينوي الصوم الواجب في الليل، فمن نوى الصوم من النهار كمن أصبح ولم يطعم شيئًا بعد طلوع الفجر، ثم نوى الصيام لم يجزئه إلا في التطوع، وأما الصوم الواجب فلا ينعقد بنيته من النهار؛ لأن جميع النهار يجب فيه الصوم، والنية لا تنعطف على الماضي.

٢- نية صيام النفل

أما صوم النفل، فيجوز بنية من النهار، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ ذات يوم، فقال: «**هل عندكم من شيء؟**» فقلنا: لا، قال: «**فإني إذًا صائم**»[(٤)]، ففي الحديث أنه ﷺ كان مفطرًا؛ لأنه طلب طعامًا، وفيه دليل على جواز تأخير نية الصوم إذا كان تطوعًا، فتخصص به الأدلة المانعة.

فشرط صحة صوم النفل من النهار أن لا يوجد قبل النية منافٍ للصيام من أكل وشرب ونحوهما، فإن فعل قبل النية ما يفطره لم يصح الصيام بلا خلاف[(٥)].

---

(١) الضياء المقدسي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٢).

(٢) البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

(٣) أبو داود (٢٤٥٤) والترمذي (٧٣٠) والنسائي (٢٣٣٣) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢١٤٣).

(٤) مسلم (١١٥٤).

(٥) الملخص الفقهي للفوزان (١/ ٢١٨).

مُفسدات الصوم

للصيام مفسدات يجب على المسلم أن يعرفها ليتجنبها ويحذر منها؛ لأنها تفطر الصائم وتفسد عليه صيامه، وهذه المفطرات منها:

١- الجماع

فمتى جامع الصائم بطل صيامه، ولزمه قضاء ذلك اليوم الذي جامع فيه، ويجب عليه مع قضائه الكفارة وهي عتق رقبة، فإن لم يجد الرقبة أو لم يجد قيمتها فعليه أن يصوم شهرين متابعين، فإن لم يستطع صيام شهرين متتابعين -بأن لم يقدر على ذلك لعذر شرعي- فعليه أن يطعم ستين مسكينًا، لكل مسكين نصف صاع من الطعام المأكول في البلد.

٢- إنزال المني

بسبب تقبيل أو لمس أو استمناء أو تكرار نظر، فإذا حصل شيء من ذلك فسد صومه، وعليه القضاء فقط بدون كفارة؛ لأن الكفارة تختص بالجماع، والنائم إذا احتلم فأنزل فلا شيء عليه وصيامه صحيح؛ لأن ذلك وقع بدون اختياره، لكن يجب عليه الاغتسال من الجنابة.

٣- الأكل والشرب متعمداً

لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾[البقرة: ١٨٧] ، أما من أكل وشرب ناسيًا فإن ذلك لا يؤثر على صيامه، وفي الحديث:« **من أكل أو شرب ناسيًا فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه**»[١] . ومما يفطِّر الصائم إيصال الماء ونحوه إلى الجوف عن طريق الأنف، وهو ما يسمى بالسعوط، وأخذ المغذي عن طريق الوريد، وحقن الدم في الصائم، كلُّ ذلك يفسد صومه؛ لأنه تغذية له، ومن ذلك أيضًا حقن الصائم بالإبر المغذية، لأنها تقوم مقام الطعام وذلك يفسد الصيام، أما الإبر غير المغذية فينبغي للصائم أيضًا أن يتجنبها محافظة على

---

(١) البخاري (١٩٣٣) ومسلم (١١٥٥).



صيامه؛ ولقوله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى مالا يريبك**»(١) ويؤخرها إلى الليل.

٤- إخراج الدم من البدن

بالحجامة أو الفصد أو سحب دم يتبرع به لإسعاف مريض، فيفطر بذلك كله، أما إخراج دم قليل كالذي يستخرج لتحليل، فهذا لا يؤثر على الصيام، وكذا خروج الدم بغير اختياره -برعاف أو جرح أو خلع سن- فهذا لا يؤثر على الصيام.

٥- التقيؤ المتعمد

ومن المفطِّرات التقيُّؤ، وهو استخراج ما في المعدة من طعام أو شراب عن طريق الفم متعمدًا، فهذا يفطر به الصائم، أما إذا غلبه القيء وخرج بدون اختياره فلا يؤثر على صيامه؛ لقوله ﷺ: « **من ذرعه القيء فليس عليه قضاء، وإن استقاء فليقضِ**»(٢)، ومعنى: ذرعه القيء: أي خرج بدون اختياره، ومعنى استقاء: أي تعمد القيء.

وينبغي أن يتجنب المريض الصائم الاكتحال ومداواة العين بقطرة أو بغيرها وقت الصيام، محافظة على صيامه، ولا يبالغ في المضمضة والاستنشاق؛ لأنه ربما ذهب الماء إلى جوفه، قال ﷺ: «**وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا**»(٣).

والسواك لا يؤثر على الصيام، بل هو مستحَب ومرغَّب فيه للصائم وغيره، في أول النهار وآخره على الصحيح، ولو طار إلى حلقه غبار أو ذباب لم يؤثر على صيامه.

ويجب على الصائم اجتناب كذب وغيبة وشتم، وإن سابَّه أحدٌ أو شتمه فليقل: إني صائم، فإن بعض الناس قد يسهل عليه ترك الطعام والشراب، ولكن لا يسهل عليه ترك ما اعتاده من الأقوال والأفعال الرديئة، ولهذا قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الطعام والشراب، فعلى المسلم أن يتقي الله ويخافه، ويستشعر عظمة ربه واطلاعه عليه في كل حين وعلى كل حال، فليحافظ على صيامه من المفسدات والمنقصات؛ ليكون صيامه صحيحًا.

---

(١) الترمذي (٢٥١٨) والنسائي (٥٧٢٧) وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) أبو داود (٢٣٨٠) والترمذي (٧٢) والنسائي (٣١٣٠) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٨٤).

(٣) أبو داود (٢٣٦٦) والترمذي (٧٨٨) والنسائي (٨٧) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٧٣).

وينبغي للصائم أن يشتغل بذكر الله وتلاوة القرآن والإكثار من النوافل، فقد كان السلف إذا صاموا جلسوا في المساجد، وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحدًا، وقال ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[١]؛ وذلك لأنه لا يتم التقرب إلى الله بترك هذه الشهوات المباحة في غير حال الصيام، إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرم الله عليه في كل حال من الكذب والظلم والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم[٢].

أحكام القضاء للصيام

من أفطر في رمضان بسبب مباح؛ كالأعذار الشرعية التي تبيح الفطر، أو بسبب محرم، كمن أبطل صومه بجماع أو غيره وجب عليه القضاء؛ لقوله تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٤]. ويستحب له المبادرة بالقضاء؛ لإبراء ذمته، ويستحب أن يكون القضاء متتابعًا؛ لأن القضاء يحكي الأداء، وإن لم يقضِ على الفور وجب العزم عليه ويجوز له التأخير؛ لأن وقته موسَّع، وكل واجب موسَّع يجوز تأخيره مع العزم عليه، كما يجوز تفرقته بأن يصومه متفرِّقًا، لكن إذا لم يبقَ من شعبان إلا قدر ما عليه فإنه يجب عليه التتابع إجماعًا؛ لضيق الوقت، ولا يجوز تأخيره إلى ما بعد رمضان الآخر لغير عذر؛ لقول عائشة ﵂: كان يكون عليَّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان؛ لمكان رسول الله ﷺ[٣].

فدل هذا على أن وقت القضاء موسَّع إلى أن لا يبقى من شعبان إلا قدر الأيام التي عليه، فيجب عليه صيامها قبل دخول رمضان الجديد، فإن أخَّر القضاء حتى أتى عليه رمضان الجديد، فإنه يصوم رمضان الحاضر ويقضي ما عليه بعده، ثم إن كان تأخيره لعذر -لم يتمكن معه القضاء في تلك الفترة- فإنه ليس عليه إلا القضاء، وإن كان لغير عذر وجب عليه القضاء وإطعام مسكين، كل يوم نصف صاع من قوت البلد.

---

(١) البخاري (١٩٠٣).

(٢) الملخص الفقهي (١/ ٢٠٩-٢١١).

(٣) البخاري (١٩٥٠) ومسلم (١١٤٦).

وإن مات وعليه القضاء قبل دخول رمضان الجديد فلا شيء عليه؛ لأن تأخيره في تلك الفترة التي مات فيها، وإن مات بعد رمضان الجديد؛ فإن كان تأخيره القضاء لعذر كالمرض والسفر حتى أدركه رمضان الجديد فلا شيء عليه أيضًا، وإن كان تأخيره لغير عذر وجبت الكفارة في تركته، بأن يُخرج عنه إطعام مسكين عن كل يوم.

وإن مات مَن عليه صوم كفارة كصوم كفارة الظهار والصوم الواجب عن دم المتعة في الحج، فإنه يطعِم عن كل يوم مسكينًا ولا يصام عنه، ويكون الإطعام من تركته؛ لأنه صيام لا تدخله النيابة في الحياة، فكذا بعد الموت، وهذا هو قول أكثر أهل العلم.

وإذا مات من عليه صوم نذر استُحب لوليه أن يصوم عنه؛ لما ثبت في الصحيحين أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صيام نذر، أفأصوم عنها؟ قال: «نعم»[١].. والولي هو الوارث.

قال ابن القيم رحمه الله: يُصام عنه النذر دون الفرض الأصلي، هذا مذهب أحمد وغيره والنصوص عن ابن عباس وعائشة، وهو مقتضى الدليل والقياس؛ لأن النذر ليس واجبًا بأصل الشرع، وإنما أوجبه العبد على نفسه فصار بمنزلة الدين؛ ولهذا شبَّهه النبي ﷺ بالدَّين، وأما الصوم الذي فرضه الله عليه ابتداء فهو أحد أركان الإسلام، فلا تدخله النيابة بحال كما لا تدخل الصلاة بحال والشهادتين، فإن المقصود منهما طاعة العبد بنفسه وقيامه بحق العبودية التي خلق لها وأُمر بها، وهذا لا يؤديه عنه غيره ولا يصلي عنه غيره.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: يُطعم عنه عن كل يوم مسكين، وبذلك أخذ أحمد وإسحاق وغيرهما، وهو مقتضى النظر، كما هو موجب الأثر، فإن النذر كان ثابتًا في الذمة فيفعل بعد الموت، أما صوم رمضان فإن الله لم يوجبه على العاجز عنه، بل أمر العاجز بالفدية طعام مسكين، والقضاء إنما على من قدر عليه، لا على من عجز عنه، فلا يحتاج إلى أن يقضي أحد عن أحدٍ، وأما الصوم لنذر وغيره من المنذورات فيفعل عنه بلا خلاف؛ للأحاديث الصحيحة[٢].

---

(١) البخاري (١٩٠٣) ومسلم (١١٤٨).

(٢) الملخص الفقهي للفوزان (١/ ٢١٥-٢١٦).

من أفطر لكبر أو مرض

الله سبحانه وتعالى أوجب صوم رمضان على المسلمين أداء في حق غير ذوي الأعذار، وقضاء في حق ذوي الأعذار، الذين يستطيعون القضاء في أيام أُخر، وهناك صنف ثالث لا يستطيعون الصيام أداء ولا قضاء كالكبير الهرم والمريض الذي لا يرجى برؤه، فهذا الصنف قد خفف الله عنه، فأوجب عليه بدل الصيام إطعام مسكين، عن كل يوم نصف صاع من الطعام، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤]. قال ابن عباس ﷺ: هي للكبير الذي لا يستطيع الصوم[1]، والمريض الذي لا يُرجى بُرؤه من مرض في حكم الكبير، فيطعم عن كل يوم مسكينًا، وأما من أفطر لعذر يزول كالمسافر، والمريض الذي يُرجى برؤه والحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما، والحائض والنفساء فإن كلًّا من هؤلاء يتحتم عليه القضاء، بأن يصوم من أيام أُخر بعدد الأيام التي أفطرها، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وفطر المريض الذي يضره الصوم والمسافر الذي يجوز له قصر الصلاة سنة؛ لقوله تعالى في حقهم: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ أي: فليفطر وليقض عدد ما أفطره، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والنبي ﷺ ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وفي الصحيحين: «**ليس من البرِّ الصيام في السفر**»[2]، وإن صام المسافر أو المريض الذي يشق عليه الصوم صحَّ صومهما مع الكراهية، وأما الحائض والنفساء يحرم في حقها الصوم حال الحيض والنفاس ولا يصح، والمرضع والحامل يجب عليهما قضاء ما أفطرتا من أيام أُخر، ويجب مع القضاء على من أفطرت للخوف على ولدها إطعام مسكين عن كل يوم أفطرته[3].

---

(١) البخاري (٤٥٠٥).

(٢) البخاري (١٩٤٦) ومسلم (١١١٥).

(٣) الملخص الفقهي (١/ ٢١٧)، من حديث جابر بن عبد الله.

فتاوىٰ الصيام لابن عثيمين

س١: ما حكم صوم يوم الشك حيث أفطر أناس فيه وسيقضون هذا اليوم، وآخرون صاموا هذا اليوم، فهل عليهم قضاؤه أم لا؟

ج١:قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: الذي ينبغي أن يقضي هذا اليوم؛ لأنك صمت على غير أساس، ومن صام على غير أساس فإنه لا يجزئه صومه، فهو صام بدون أن يتثبت الهلال، ومن كان كذلك فإنه يجب عليه أن يقضي هذا اليوم عند أكثر أهل العلم، والأمر هيِّن في ذلك ولله الحمد، فما هو إلا يوم واحد والله الموفق.

س٢: ما حكم من جامع زوجته يوم الشك، ثم تبين بعد ذلك أنه أول يوم من رمضان؟

ج٢: ليس عليهما إثم ولا كفارة؛ لأنهما غير عالمين بأن هذا اليوم من الشهر، والأصل بقاء شعبان حتى يتبين دخول شهر رمضان، وعليه فإن من جامع زوجته في الثلاثين[١] من شعبان ثم بعد ذلك تبين أنه من رمضان فإن ذلك لا شيء عليه، وأما القضاء[٢] فأمره هين، والله الموفق.

س٣: فضيلة الشيخ: والدتي كانت مريضة بمرض شديد، ودخل رمضان وهي على هذه الحالة، فأحضرت لها الطبيب وذهبت بها إلى المستشفى، ولم نجد أي فائدة، مع العلم بأنها تجاوزت من العمر مائة وعشرين سنة، ولم تقدر على الصيام، وتوفيت -رحمها الله- بعد رمضان بثلاثة أشهر، فهل عليَّ صيام عنها هذا الشهر كله، أم عليَّ كفارة، وهل يجوز من أبنائي أن يصوم عنها أم لا يجوز إلا أنا أو أحد إخوتي؟

ج٣: إن والدتك هذه ليست ممن يجب عليها الصيام، بل ممن يجب عليها الإطعام؛ لأن الكبير الذي لا يستطيع الصيام ذكر أهل العلم أنه لا صوم عليه، وإنما يطعم عنه فقط، عن كل يوم مسكينًا، وعلى هذا فأطعم عن أمك عن كل يوم من رمضان مسكينًا، فإذا كان رمضان تسعة وعشرين يومًا فأطعم عنها تسعة وعشرين مسكينًا، وإذا كان رمضان ثلاثين يومًا، فأطعم عنها ثلاثين مسكينًا، وبهذا تبرأ ذمة الوالدة، وتكونوا مشكورين على بِرِّكم إياها، ومقدار الطعام عن كل يوم مدٌّ من الطعام، ولكم أن تجمعوا مساكين بعدد الأيام فتعشُّوهم أو تغدُّوهم[٣].

س٤: أنا شاب أعاني من مرض ألم َّبي منذ عدة سنوات، وأستعمل علاجًا لهذا المرض ولا

---

(١) أي نهار اليوم الثلاثين.

(٢) أي: قضاء هذا اليوم.

(٣) أي: تقدموا لهم طعام العشاء أو الغداء.

أقدر أن أستغني عنه في نهار رمضان المبارك؛ لأنني إذا أوقفت العلاج في نهار رمضان أو غيره يحدث لي مضاعفات شديدة وحرج على صحتي، فهل عليَّ ذنبٌ في هذا؟ وماذا أفعل؟

ج٤: السائل لم يذكر نوع العلاج الذي يتناوله، فإن كان إبرًا[1] فإنه يستعملها ولا يضره ولا يفطر بذلك، وإن كان العلاج مأكولًا أو مشروبًا[2] والمرض الذي معك دائم لا يُرجى زواله، ففي هذه الحالة يكون الحكم حكم الكبير الذي لا يطيق الصوم، فيجب عليك أن تطعم لكل يوم مسكينًا، ولا صيام عليك، لقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[التغابن: ١٦]، وقال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾[البقرة: ١٨٤]، قال: هو الشيخ الكبير إذا لم يستطع الصوم يطعم عن كل يوم مسكينًا، ومقدار الإطعام: صاع لكل خمسة فقراء، وهكذا حتى نهاية أيام التشهد، والله الموفق.

س٥: صائم سافر مسافة ثلاثة وسبعين كيلومترًا، وسافر صائمًا بحجة أنه سيفطر بتلك المنطقة، ولكن لم تتوفر له الإقامة هناك فرجع في نفس اليوم نفس المسافة، وعند شروعه في الرجوع أفطر، فماذا عليه من القضاء والكفارة؟

ج٥: هذا الرجل ليس له أن يفطر؛ لأنه لم يسافر سفرًا تقصر فيه الصلاة، وعليه أن يتوب إلى الله من هذا الفعل وأن يقضي يومًا بدلًا من اليوم الذي أفطره وليس عليه كفارة؛ لأن الكفارة لا تلزم إلا بالجماع في نهار رمضان ممن يلزمه الصوم، وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا، وتجب هذه الكفارة على زوجته أيضًا، إلا أن يكون مكرها لها على ذلك، وهي عاجزة عن مدافعته، فلا تلزمها الكفارة، ولا تلزم الكفارة إلا في الحال التي لزم فيها الصوم.

أما لو كان مسافرًا ومعه زوجته وجامعها في السفر، إن هذا ليس فيه كفارة، لكن إن كان صائمًا فسد صومه ووجب عليه قضاؤه، وإن كان مفطرًا فالأمر ظاهر، ويجب التنبيه إلى أنه في غير الجماع لا تجب الكفارة أبدًا؛ لعدم الدليل على ذلك، والأصل براءة الذمة.

س٦: جاء رمضان وأنا في الشهر التاسع، ولما وضعت خفت على نفسي وعلى الجنين فأفطرت وقد قضيت هذه الأيام، فهل عليَّ شيءٌ غير ذلك؟ وهل عليَّ إثم؛ لأنني أفطرت؟

ج٦: هذا السؤال يفتح حكمًا آخر، وهو أن الحامل والمرضع إذا شق عليهما الصيام وخافتا

(١) أي حقنًا (عضلًا كانت أو وريدًا).

(٢) يعني كالأقراص والدواء المشروب ونحوهما.

على أنفسهما أو على الولد؛ فإنهما تفطران، ثم إن كان الخوف على أنفسهما أو على أنفسهما مع الولد، فلا شيء عليهما إلا القضاء، وإن كان الخوف على الولد فقط فإن المشهور من مذهب الإمام أحمد - رحمه الله- أن عليهما القضاء، وعلى من يمون (يعول) الطفل إطعام مسكين لكل يوم، فتقضيان، والإطعام على ممون (عائل) الطفل كأبيه مثلًا، أما جواب السؤال فإن عليهما القضاء، وقد قضت وليس عليها إثم، والحمد لله.

س٧: هل ممارسة العادة السرية حرام أم حلال؟ ولما كانت حرامًا وفُعلت في نهار رمضان هل تبطل الصوم أم لا؟ وهل له كفارة؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا

ج٧: العادة السرية حرام لقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ [المعارج: ٢٩-٣١] ولقوله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**»[1].

فأرشد النبي ﷺ من لم يستطع الباءة إلى الصوم، ولو كانت العادة السرية جائزة لكانت أيسر من الصيام وأسهل عليه، وبهذا ينال اللذة والمتعة ويُخفِّف عن نفسه من وطأة الشهوة، فلو كانت جائزة لأرشد النبي ﷺ إليها، ولما لم يُرشد إليها مع سهولتها ونيل اللذة بها عُلم أنها غير جائزة، وعلى هذا فيجب على الإنسان أن يحفظ نفسه عن هذا الأمر وأن يستعين بالله -عز وجل- فيصبر حتى يغنيه الله من فضله.

وأما من استعملها في نهار رمضان، حتى خرج منه المني، فإنه يفطر بذلك، ويكون آثمًا وعليه القضاء، سواء كان رجلا أم امرأة، وأما الكفارة فإنها لا تجب إلا على من جامع في نهار رمضان إذا كان الصوم يلزمه، فمن جامع في نهار رمضان فإنه يلزمه القضاء والكفارة، وامرأته مثله إن كانت مطاوعة له، سواء حصل إنزال أم لم يحصل.

أما إذا كان ممن لا يلزمه الصوم، كمن جامع وهو وأهله في سفر، فإنه لا إثم ولا كفارة؛ لأن المسافر يجوز له الفطر.

س٨: الحجامة مفطِّرة للصائم، فما حكم الدم الذي يخرج من الإنسان أو يخرج ليحقن في مريض؟ هل يفطر به الصائم أم لا؟ وجزاكم الله خيرًا.

---

(١) البخاري: (١٧٧٢) ومسلم (٢٤٨٥).

ج٨: الحجامة كما ذكر السائل مفطرة؛ لقول النبي ﷺ: «**أفطر الحاجم والمحجوم**»[١]، والفطر بالحجامة من حكمة الشريعة، وذلك أن المحجوم يخرج منه دم كثير يؤثر على بدنه، ويؤدي به إلى الضعف والانحطاط البالغ، الذي قد لا يتحمل معه البقاء إلى غروب الشمس، فكان من الحكمة أن الحجامة مفطرة ومحرمة على الصائم الذي يكون صيامه فرضًا، فلا تجوز للصائم الذي صيامه فرض، إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك، فإذا دعت الضرورة إليها احتجم، وقلنا له: الآن كل واشرب، وتناول ما يكون فيه قوة لجسمك. وأما خروج الدم بغير الحجامة - فإن كان بمعنى الحجامة كالفصد- فإنه يلحق بها على القول الراجح، وكذلك إذا أُخذ من الإنسان دم كثير؛ ليحقن في شخص آخر محتاج إليه[٢]، فإنه يكون حكمه حكم الحجامة، فإن كان الصوم واجبًا فإنه لا يجوز أن يمكن الإنسان من إخراج الدم الكثير من بدنه، إلا أن يكون هناك ضرورة مُلِحة، بحيث يهلك المريض لو لم يحقن به قبل غروب الشمس، فحينئذ يكون له أن يمكن من أخذ الدم منه، ونقول له: الآن أفطرت فكل واشرب حتى تعود القوة إلى بدنك، أما خروج الدم بغير اختيار للرعاف[٣] والجرح، كالذي يصاب بجرح من زجاجة أو مسمار أو حادث أو نحو ذلك فإنه لا يفطر به؛ لأنه بغير اختياره، والقاعدة في جميع المفطِّرات أنها لا تفطر إذا لم تكن عن قصد واختيار، وعليه فلا يفطر الرعاف وقلع السن، وإخراج الدم من أجل الفحص لا يفطر أيضًا؛ لأنه دم قليل لا يؤثر تأثير الحجامة، وبهذه المناسبة نعرف أن المفطرات نوعان:

أولاً: مفطرات بشيء داخل كالأكل والشرب

ثانياً: مفطرات بشيء خارج للحجامة والقيء

فإذا قاء الإنسان عمدًا فإنه يفطر، أما إذا غلبه القيء فلم يتعمده فإنه لا يفطر بذلك.

س٩: شخص أكل وشرب ولم يعلم بطلوع الفجر، ولكنه عرف فيما بعد أنه أكل وشرب في وقت تبين فيه الفجر، أفيدونا، هل يلزمه إعادة اليوم أم لا؟

ج٩: الأكل والشرب من المفطِّرات التي نُص عليها في القرآن، وأجمعت عليها الأمة، قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾[البقرة: ١٨٧] ولكن من أكل أو شرب يظن الليل لم ينته، وأن الفجر لم يطلع -بيد أنه

---

(١) أحمد (٨٤١٣) ، وصححه الألباني في الإرواء (٤/ ٦٥).

(٢) كنقل الدم مثلًا من شخص إلى آخر.

(٣) الرعاف: نزيف الأنف.

أخذ التحري- فلا شيء عليه؛ لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٥].

ولأن عدي بن حاتم كان يأكل ويشرب، وقد جعل عنده عقالين أحدهما أسود والثاني أبيض، والعقالان هما: الخيطان اللذان تعقل بهما البعير، فجعل يأكل ويشرب وينظر إلى هذين العقالين، فلما تبين له أحدهما من الآخر أمسك، فأخبر النبي ﷺ بذلك فبين له ﷺ أن المراد بالخيطين بياض النهار وسواد الليل[١].

ولم يأمره النبي ﷺ بالقضاء؛ لأنه كان جاهلًا بالحكم، فدل هذا على أن من أكل في وقت يظن فيه أنه مباح فإنه لا حرج عليه، إذا تبين له أنه في النهار، سواء كان ذلك في أول النهار أو من آخره؛ لأن العلة واحدة، ولكن الفرق بين أول النهار وآخره أن أول النهار يجوز له الأكل مع الشك في طلوع الفجر؛ لأن الأصل بقاء الليل، وأما في آخر النهار فلا يجوز له الأكل مع الشك في غروب الشمس؛ لأن الأصل بقاء النهار.

وكذلك أيضًا لا يفطر المرء بالأكل والشرب ناسيًا، فلو أكل أو شرب وهو ناسٍ فإنه لا قضاء عليه للآية السابقة، ولقوله ﷺ: **«من نسي وهو صائم، فأكل وشرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه»**[٢].

س١٠: هل تنقض مشاهدة التليفزيون والفيديو الصيام في شهر رمضان؟

ج١٠: ما يشاهده الإنسان أو يستمع إليه إذا كان من الأمور المباحة فلا بأس به ولا يخل بالصوم، ومع ذلك لا ينبغي للصائم أن يمضي وقته إلا فيما يقربه لله تعالى؛ من صلاة وقراءة قرآن وذكر ونحو ذلك.

أما النظر إلى ما يحرم النظر إليه أو الاستماع إلى ما يحرم الاستماع إليه فإنه لا شك يؤثر على الصيام وينقصه؛ لأن الحكمة من الصيام هي تقوى الله عز وجل، كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فبين الله الحكمة من فرض الصيام أنها تقوى، وقال ﷺ: **«من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»**[٣]، **وعلى هذا فكل معصية يفعلها الصائم فإنها تؤثر**

---

(١) مسلم (نووي ١٨٢٤).

(٢) البخاري (١٧٩٧) ومسلم (١٩٥٢)، فقه العبادات (١٨١-١٨٨).

(٣) البخاري (١٧٧٠) ومسلم (٩٤٦٣).

على صيامه، ومن ذلك ما يفعله بعض الناس من أنهم يصومون عن المآكل والمشارب والمناكح، ويقعون في معصية الله، تجد الواحد منهم إذا تسحَّر نام عن صلاة الفجر، ولم يقم إلا بعد طلوع الشمس، ومنهم من ينام عن صلاة العصر، ولا يقوم إلا عند الإفطار، فينقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا، ومن الناس من يكذب ويغتاب الآخرين ويغش في البيع ويخدع ويفعل كثيرًا من المحرمات وهو صائم، كل هؤلاء لا شك أن هذا العمل المحرم ينقص من أجور صيامهم، وربما يتعادل الأجر والإثم فيُحرمون من أجر صيامهم.

س١١: امرأة تسأل وتقول: عليَّ من الصيام القضاء الكثير، لا يقل عن ثلاثة أشهر تقريباً، فهل هذا لا يقضى إلا بالصوم، أم هناك كفارة عنه تكون مقبولة عند الله؟ وإذا كنت لا أعرف مساكين للكفارة مثلاً، فماذا أفعل؟

ج١١: هذه الأعوام الثلاثة التي تركت الصيام فيها، فلا بد أن نعرف السبب، فإذا كنت تركتيها متعمدة، فإن ذلك ذنب عظيم، ولا ينفعك الآن إذا قضيتيه ولكن عليك الآن أن تتوبي إلى الله وتصلحي العمل، ومن تاب تاب الله عليه، أما إذا كنت تركتيها لجهلٍ منكِ كما يحصل لبعض النساء، حيث يعتقدن أن المرأة لا تصوم إلا إذا بلغت خمسة عشر عامًا، ولو أتاها الحيض ومبكرًا، وهذا خطأ منهن، وفي مثل هذه الحالة فإنك تقضين الصيام ويُقبل منك؛ لأنك تركتيه جاهلة، وتقضينها فورًا؛ لأنه قد مضى عليها سنة، وقضاء رمضان على التراخي حتى يأتي رمضان الثاني، فلا يحل لمن عليه قضاء رمضان أن يؤخر إلى رمضان آخر، فليتب إلى الله -عز وجل- وليبادر بقضاء ما عليه، والله الموفق.

س١٢: عند سفري إلى مصر كنت في شهر شعبان الماضي وأتى عليَّ رمضان وأنا في البلد، وكان عندي شغل في المنزل استعداداً لزواجي بعد عيد الفطر المبارك فأفطرت فيه عشرين يوماً، فما الحل أفيدوني جزاكم الله خيراً، لأني قلق جدا؟

ج١٢: الحل في ذلك أن عملك هذا وهو الفطر في رمضان عمل محرم، وعليك أن تتوب إلى الله -عز وجل- والتوبة لا بد فيها من ندم على ما مضى، وعزم على أن لا تعود في المستقبل، فاندم على ما فات واعزم على التوبة مستقبلًا، وأما قضاء رمضان الذي أفطرته متعمدًا، فقد اختلف أهل العلم ترك صوم رمضان متعمدًا، فمنهم من قال: إنه لا ينفعه القضاء، وأنه لو قضى ألف يوم عن اليوم ما نفعه، وإنما عليه أن يتوب إلى الله ويستغفره، ومنهم من قال: إن عليه مع التوبة الاستغفار والقضاء. والصحيح: أنه لا ينفعه القضاء؛ لأن الله سبحانه وتعالى إنما ذكر القضاء في حال العذر ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾[البقرة: ١٨٥] ، وأما غير المعذور

فلا ينفعه القضاء؛ لأن كل عبادة مؤقتة بوقت إذا أخرها الإنسان عن وقتها لا تنفعه ولو قضاها ألف مرة، وعلى هذا فعليك أن تتوب إلى ربك مما فعلت وتستغفر فإن صمت قضاء فهو أفضل؛ لأن إفطارك فيه شيء من الشبهة التي تأولت فيها جواز الفطر.

س١٣: توفي والدي في شهر رمضان وهو صائم، وبقي عليه خمسة عشر يومًا من شهر رمضان، فهل يجوز أن أصوم عنه هذه الأيام التي بقيت عليه أم عليه كفارة؟

ج١٣: ما دام أن والدك قد توفي في أثناء رمضان وهو يصوم إلى أن مات، فإن الأيام الباقية لا تلزمه، أما إذا كان قد أفطر في مرضه ثم بقي به المرض حتى مات فإنه في هذه الحالة لا يلزمكم قضاء؛ لأن من كان مريضًا فعليه عِدة من أيام أُخر، فإذا لم يبقَ حتى يدرك الأيام الأُخر فلا شيء عليه، إلا إذا كان أبوك مريضًا لا يُرجى برؤه، فإنه يطعم عن كل يوم مسكينًا، والله الموفق.

س١٤: ما حكم من أفطر لعذر شرعي كالمرض مثلًا؟

ج١٤: يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[البقرة: ١٨٥].

فأنت أفطرت لعذر شرعي وهو المرض، فإذا قضيت الصيام فيما بين رمضان ورمضان الذي يليه فلا حرج عليك؛ لأن الوقت واسع، قالت عائشة ﵂: كان يكون الصيام من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلى شعبان(١).

وهي لا شك تحت النبي ﷺ ويعلم أحوالها وقد أقرت، وإقرارها دليل على الجواز، وعلى ذلك فلك التأخير حتى يشفيك الله عز وجل، فإذا شفيت قضيت، ولو قُدِّر أن المرض استمر بك إلى رمضان القادم فلا حرج عليك؛ لأن الأمر والحمد لله مع العذر، لكن إذا شفيت يجب عليك ألا تؤخِّر إلى رمضان الثاني.

س١٥: نذرت صوم شهر، هل أصومه أم أطعم مسكينًا؟

ج١٥: قبل أن أجيب أُكرِّر ما قلت سابقًا، وما أقوله الآن من النهي عن النذر؛ لأن النبي ﷺ نهى عنه وقال: «إنه لا يأتي بخير»(٢)؛ ولأن النذر إلزام الإنسان نفسه بما هو في عافية منه؛ ولأن بعض الناذرين قد لا يوفِّي بنذره تكاسلًا وتهاونًا، وحينئذ يقع في هذه العقوبة العظيمة التي قال الله عنها: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا

---

(١) البخاري (١٨١٤) ومسلم (١٧١٩).

(٢) مسلم (٣٠٩٥).

أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

فكانت عقوبتهم كما رأيت في الآية: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٧]، والإنسان إذا كان يريد التعبد لله فيمكنه ذلك بدون نذر، قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٥٣].

والحاصل: أن النذر مكروه، وذهب بعض أهل العلم إلى تحريمه؛ لنهي النبي ﷺ عنه، ولما فيه من إلزام الإنسان نفسه بما لم يلزمه الله به، ولأنه قد يتكاسل فيعرِّض نفسه لهذه العقوبة العظيمة، نسأل الله السلامة والعافية، وهذا الذي نذر أن يصوم شهرًا يجب عليه أن يوفِّي بنذره، ما دام قادرًا عليه، فيصومه إما متواليًا إن كان قد شرطه بلفظه وبنيته، وإن لم يشترط بلفظه ولا بنيته فإنه يصومه متواليًا أو متفرقًا.

وهنا مسألة أخرى: أن بعض الناس يعلِّق نذره على حصول محبوب له، أو اندفاع مكروه عنه، كأن الله لا يمُنُّ عليه بذلك إلا إذا نذر لله شيئًا، وهذا لا ينبغي، بل الله -عز وجل- يمن عليك منته بدون أن تشترط عليه شيئًا.

س١٦: ما جزاء من يصوم شهر رجب، وكم يومًا يصومه؟

ج١٦: شهر رجب من الأشهر الحرم، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة: ٣٦]، وهذه الأربعة: (ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب) ولكن ليس لرجب عبادات تختص به، لا صلاة ولا صيام ولا عمرة، ولا زيارة للمسجد النبوي، ولا غير ذلك، إنما هو شهر كغيره من الأشهر الحرام، ولم يرد في حديث صحيح عن النبي ﷺ تخصيص يوم منه بصيام ولا ليلة بقيام.

س١٧: قال رسول الله ﷺ: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم، فإن لم يجد أحدكم إلا لحاء عنب أو عود شجر فليمضغها»[(١)].

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: كان أكثر ما يصوم من الأيام يوم السبت ويوم الأحد، وكان يقول: «إنهما يومي عيد للمشركين، وأنا أريد أن أخالفهم»[(٢)]. أفيدونا عن معنى هذين الحديثين، وجزاكم الله خيرًا؟

---

(١) الترمذي (٧٤٤) وصححه الألباني في الإرواء (٩٦٠).

(٢) النسائي (٢٧٧٥) وضعفه الألباني في الضعيفة (١٠٩٩).

ج١٧: الحديث الأول: وهو صيام يوم السبت؛ اختلف العلماء في تصحيحه، فمنهم من صحَّحه، ومنهم من ضعَّفه، والذين صححوه قال بعضهم: إنه منسوخ، وقال بعضهم: إن النهي عن إفراده فقط، فأما لو صامه هو ويوم الأحد فلا نهي في ذلك، وعلى هذا فلا يُعارض الحديث الثاني، الذي فيه أن النبي ﷺ كان أكثر ما يصوم هو يوم السبت والأحد. وعلى كل حال فإن أهل العلم اختلفوا في صوم يوم السبت، فمنهم من قال: إنه ليس بمكروه وأطلق، ومنهم من فصَّل فقال: إن أفرد فهو مكروه، وإن جمع مع يوم الأحد الذي بعده أو يوم الجمعة الذي قبله فلا كراهة في ذلك، وهذا هو الأقرب، والله أعلم.

س١٨: **ما حكم ترك صلاة التراويح في شهر رمضان المبارك؟**

ج١٨: التراويح من قيام رمضان، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**»[١]، وإنما سُمِّيت تراويح؛ لأنهم كانوا في الزمن الأول يطيلون فيها القيام والركوع والسجود، فإذا صلوا أربع ركعات استراحوا قليلًا ثم استأنفوا، وذلك استنادًا لحديث عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ كان يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن[٢]؛ ولهذا سُمِّيت هذه الصلوات بـ (التراويح)، قال: وهذه التراويح سُنَّة وليست بواجبة وليس في تركها إثم؛ لكنها سُنَّة سنَّها رسول الله ﷺ، إذ صلى بأصحابه ثلاث ليال ثم تركها وقال: «**إني خشيت أن تُفرض عليكم**»[٣]. فلا ينبغي للمرء أن يخلَّ بصلاة التراويح، وليعلم أنه إذا صلاها فإنه يحصل على أجر عظيم، حيث قال النبي ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه**»[٤]. وليحرص على متابعة الإمام حيث ينتهي، فإن: «**من قام مع الإمام حتى ينصرف كُتِب له قيام ليلة**»[٥].

ومن ترك صلاة التراويح فصيامه صحيح، ولا ارتباط بين التراويح والصيام.

س١٩: **هل الزكاة تفضل في رمضان مع أنها ركن من أركان الإسلام؟**

ج١٩: الزكاة كغيرها من أنواع الخير تكون في الزمن الفاضل أفضل، لكن متى وجبت

---

(١) البخاري (٣٦) ومسلم (١٢٦٦).

(٢) البخاري (١٠٧٩) ومسلم (١٢١٩).

(٣) البخاري (٨٧٢) ومسلم (١٢٧٠).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) الترمذي وصححه الألباني في المشكاة (١٢٩٨).

الزكاة وتمَّ الحول وجب على الإنسان أن يخرجها ولا يؤخِّرها إلى رمضان، فلو كان حولُ ماله في رجب فإنه لا يؤخرها إلى رمضان، بل يؤديها في رجب، ولو كان يتم حولها في محرم يؤديها في محرم ولا يؤخرها إلى رمضان، أما إذا كان حولُ الزكاة يتم في رمضان فإنه يخرجها في رمضان[1].

س٢٠: إذا قبَّل الشيخ أو الشاب زوجته وهو صائم هل يلحقه بذلك إثم؟

ج٢٠: لا يلحق الصائم بذلك إثم بتقبيل زوجته سواء كان شابًّا أم شيخًا؛ لما في صحيح مسلم عن عمر بن أبي سلمة ﷺ أنه سأل النبيﷺ: أَيُقَبِّلُ الصائم؟ فقال النبيﷺ: «**سل هذه**» يعني: أم سلمة، فأخبرته أن النبيﷺ كان يصنع ذلك، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، فقال النبيﷺ: «**أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له**»[2].

س٢١: يتفاوت ظهور الهلال -هلال رمضان أو هلال شوال- بين الدول الإسلامية، فهل يصوم المسلمون عند رؤيته في إحدى هذه الدول؟

ج٢١: مسألة الهلال مُختَلَفٌ فيها بين أهل العلم، فمنهم من يرى أنه إذا ثبت رؤية هلال رمضان في مكان على وجه شرعي فإنه يلزم جميع المسلمين الصوم، وإذا ثبت رؤية هلال شوال لزم جميع المسلمين الفطر، وهذا هو المشهور من مذهب أحمد -رحمه الله- وعلى هذا فإذا رؤي الهلال في المملكة العربية السعودية -مثلًا- وجب على جميع المسلمين في كل الأقطار أن يعملوا بهذه الرؤية؛ صومًا في رمضان وفطرًا في شوال، استدلوا على ذلك بعموم قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وعموم قول النبيﷺ: «**إذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا**»[3].

ومن العلماء من يقول: إنه لا يجب الصوم من هلال رمضان ولا الفطر من شوال إلا لمن رأى الهلال، أو ما كان موافقًا لمن رآه في مطالع الهلال؛ لأن مطالع الهلال تختلف باتفاق أهل المعرفة، فإذا اختلفت وجب أن يُحكَم لكل بلد برؤيته، والبلاد التي توافق في مطالع الهلال فهن تبع له، وإلا فلا، وهذا القول هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- واستدل على هذا بقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وبقول النبي ﷺ: «**إذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا**».

---

(١) فقه العبادات (١٨٨-٢٠٢).

(٢) مسلم (١٨٦٣).

(٣) سبق تخريجه.

أي: بنفس الدليل الذي استدل به من يرى عموم وجوب حكم الهلال، ولكن وجه الاستدلال عند ابن تيمية في هذه الآية وهذا الحديث مختلف؛ إذ أن الحكم قد عُلِّق بالشاهد والرائي، وهذا يقتضي أن من لم يشهد ومن لم يرَ لا يلزم الحكم، وعليه إذا اختلفت المطالع لا تثبت أحكام الهلال بالتعميم، وهذا بلا شك وجه قوي في الاستدلال ويؤيده النظر والقياس.

س٢٢: ماذا ينبغي للصائم؟ وماذا يجب عليه؟

ج٢٢: ينبغي للصائم أن يُكثِر من الطاعات ويجتنب جميع المنهيَّات، ويجب عليه المحافظة على الواجبات، والبعد عن المحرمات، فيُصلي الصلوات الخمس في أوقاتها مع الجماعة، ويترك الكذب والغيبة والغش والمعاملات الربوية، وكل قول أو فعل محرَّم، قال النبي ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدعَ طعامه وشرابه»[1].

س٢٣: الإفراط في إعداد الأطعمة هل يقلِّل ثواب الصوم؟

ج٢٣: لا يقلل من ثواب الصيام، والفعل المحرَّم بعد انتهاء الصوم لا يقلِّل من ثوابه، ولكن ذلك يدخل في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[الأعراف: ٣١]، فالإسراف في نفسه محظور، والاقتصاد نصف المعيشة.

س٢٤: بعض الشباب -هداهم الله- يتكاسلون عن الصلاة في رمضان وغيره، ولكنهم يحافظون على صيام رمضان ويتحملون الجوع والعطش، فبماذا تنصحهم؟ وما حكم صيامهم؟

ج٢٤: نصيحتي لهؤلاء أن يفكروا مليًّا في أمرهم، وأن يعلموا أن الصلاة هي أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأن من لم يصلِّ وترك الصلاة متهاونًا فإنه -على القول الراجح عندي، الذي تؤيده دلالة الكتاب والسُّنَّة- يكون كافرًا مُخرجًا عن الملة، مرتدًا عن الإسلام.

فالأمر ليس بالهيِّن؛ لأن من كان كافرًا مُرتدًا عن الإسلام لا يُقبل منه لا صيام ولا صدقة، ولا يقبل منه أي عمل؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾[التوبة: ٥٤].

فبين سبحانه وتعالى أن نفقاتهم مع أنها ذات نفع متعدٍّ للغير لا تُقبل منهم مع كفرهم، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[الفرقان: ٢٣].

---

(١) سبق تخريجه.

وهؤلاء الذين يصومون ولا يصلون لا يقبل صيامهم، بل هو مردود عليهم ما دمنا نقول: إنهم كفار، كما يدل على ذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فنصيحتي لهم: أن يتقوا الله -عز وجل- وأن يحافظوا على الصلاة، ويقوموا بها في أوقاتها ومع جماعة المسلمين.

س٢٥: النوم طوال ساعات النهار، ما حكمه؟ وما حكم صيام من ينام؟ وإذا كان يستيقظ لأداء الفرائض ثم ينام فما حكم ذلك؟

ج٢٥: هذا السؤال يتضمن حالتين:

الأولى: رجل ينام طوال النهار ولا يستيقظ، ولا شك أن هذا جانٍ على نفسه وعاصٍ لله -عز وجل- بتركه الصلاة في أوقاتها، وإن كان من أهل الجماعة فقد أضاف إلى ذلك ترك الجماعة أيضًا، وهو حرام ونقص لصومه، وما مثله إلا مثل من يبني قصرًا ويهدمه مِصرًا، فعليه أن يتوب إلى الله -عز وجل- وأن يقوم ويؤدي الصلاة في أوقاتها، حسب ما أُمِر به.

أما الحالة الثانية: وهي حالة من يقوم ويصلي الصلاة المفروضة في وقتها، ومع الجماعة، فهذا ليس بآثم؛ ولكنه فوَّت على نفسه خيرًا كثيرًا؛ لأنه ينبغي للصائم أن يشتغل بالصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن الكريم، حتى يجمع في صيامه عبادات شتى، والإنسان إذا عوَّد نفسه على الكسل والخمول والراحة صار يألف ذلك وصعُبت عليه العبادات والأعمال في حال الصيام، فنصيحتي لهذا: ألا يستوعب وقت صيامه في نومه، فليحرص على العبادة، وقد يسر الله -والحمد لله- في وقتنا هذا ما يزيل عنه مشقة الصوم من المكيفات وغيرها مما يهوِّن عليه الصيام.

س٢٦: إذا تمضمض الصائم أو استنشق فدخل في حلقه ماء دون قصد، هل يفسد صومه؟

ج٢٦: إذا تمضمض الصائم أو استنشق فدخل الماء إلى جوفه لم يفطر؛ لأنه لم يتعمد ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥].

س٢٧: هناك من يتحرَّز من السواك في رمضان خشية إفساد الصوم، هل هذا صحيح؟ وما الوقت المفضَّل للسواك في رمضان؟

ج٢٧: التحرُّز من السواك في رمضان أو في غيره من الأيام التي يكون الإنسان فيها صائمًا لا وجه له؛ لأن السواك سُنة، فهو كما جاء في الحديث الصحيح: «**مطهرَةٌ للفم مرضاةٌ للرب**»(١).

---

(١) النسائي (٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٦٨).

التحرُّز من السواك في رمضان أو في غيره من الأيام التي يكون الإنسان فيها صائمًا لا وجه له؛ لأن السواك سُنةٌ هو كما جاء في الحديث الصحيح «**مطهرة للفم مرضاة للرب**».

ومشروعٌ متأكَّدٌ عند الوضوء وعند الصلاة وعند القيام من النوم وعند دخول أول ما يدخل، في الصيام وفي غيره، وليس مفسدًا للصوم إلا إذا كان السواك له طعمٌ وأثرٌ في ريقك، فإنك لا تبتلع طعمه، وكذلك لو خرج بالتسوك دمٌ من اللِّثة، فإنك لا تبتلعه، وإذا تحرَّزت من هذا فإنه لا يؤثر في الصيام شيئًا.

س٢٨ :هل الإبر والحقن العلاجية في نهار رمضان تؤثِّر على الصيام؟

ج٢٨: الإبر العلاجية قسمان:

أحدهما: ما يقصد به التغذية ويستغنى به عن الأكل والشرب؛ لأنها بمعناه، فتكون مفطرة؛ لأن نصوص الشرع إذا وُجِد المعنى الذي تشتمل عليه في صورة من الصور حُكِمَ على هذه الصورة بحكم ذلك النص.

أما القسم الثاني: وهو الإبر التي لا تغذي؛ أي لا يستغنى بها عن الأكل والشرب، فهذه لا تفطر؛ لأنه لا ينالها النص لفظًا ولا معنى، فهي ليست أكلًا ولا شربًا ولا بمعنى الأكل والشرب، والأصل صحة الصيام حتى يثبت ما يفسده بالدليل الشرعي.

س٢٩ : ما حكم استعمال الصائم للروائح العطرية في نهار رمضان؟

ج٢٩: لا بأس أن يستعملها في نهار رمضان وأن يستنشقها، إلا البخور لا يستنشقه؛ لأنه له جرم يصل إلى المعدة وهو الدخان.

س٣٠ :هل يجوز وضع الحناء للشعر أثناء الصيام والصلاة؟

ج٣٠: وضع الحناء أثناء الصيام لا يفطِّر ولا يؤثر على الصائم شيئًا، كالكحل وقطرة الأذن والقطرة في العين، فإن ذلك كله لا يضر الصائم ولا يفطره، وأما الحناء أثناء الصلاة، فلا أدري كيف يكون هذا السؤال، إذ أن المرأة التي تصلي لا يمكن أن تتحنى[١] ولعلها تريد أن الحناء هل يمنع صحة الوضوء إذا تحنت المرأة؟

والجواب: أن ذلك لا يمنع صحة الوضوء؛ لأن الحناء ليس له جرم يمنع وصول الماء، وإنما هو لون فقط، والذي يؤثر على الوضوء هو ما كان له جسم جرم يمنع وصول الماء، فإنه لا بد من

---

(١) تحنى: تضع الحناء على شعرها أو في يدها أو رجلها.



إزالته حتى يصح الوضوء.

س٣١: ما حكم من أكل أو شرب ناسياً؟ وهل يجب على من رآه يأكل أو يشرب ناسياً أن يذكِّره بصيامه؟

ج٣١: من أكل أو شرب ناسيًا فإن صيامه صحيح، لكن إذا تذكر يجب عليه أن يُقلِع (يَكُفَّ) حتى إذا كانت اللقمة أو الشربة في فمه فإنه يجب عليه أن يلفظها، ودليل تمام صومه قول النبيﷺ فيما ثبت عنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه**»[1]، ولأن النسيان لا يؤاخذ به المرء في فعل المحظور؛ لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[البقرة: ٢٨٦]، فقال الله تعالى: «قد فعلت». أما من رآه فإنه يجب عليه أن يذكِّره؛ لأن هذا من تغيير المنكر، وقد قال النبيﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه**»[2]، ولا ريب أن أكل الصائم وشربه حال صيامه من المنكر، ولكن يعفى عنه حال النسيان لعدم المؤاخذة، أما من رآه فإنه لا عذر له في ترك الإنكار عليه..

س٣٢: ما حكم الاستحمام في نهار رمضان أكثر من مرة؟ أو الجلوس عند المكيف طوال الوقت، وهذا المكيف يفرز رطوبة؟

ج٣٢: إن ذلك جائز، ولا بأس به، وقد كان الرسولﷺ يصب على رأسه الماء من الحرِّ ومن العطش وهو صائم[3]، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يبل ثوبه وهو صائمٌ بالماء لتخفيف شدة الحرارة أو العطش، والرطوبة لا تؤثر؛ لأنها ليست ماء يصل إلى المعدة.

س٣٣: تتعمد بعض النساء أخذ حبوب في رمضان لمنع الدورة الشهرية، والرغبة في ذلك حتى لا تقضي فيما بعد، فهل هذا جائز؟ وهل في ذلك قيود حتى تعلم بها هؤلاء النسوة؟

ج٣٣: الذي أراه في هذه المسألة ألا تفعله المرأة، وتبقى على ما قدره الله -عز وجل- وكتبه على بنات آدم، فإن هذه الدورة الشهرية لله تعالى حكمة في إيجادها، هذه الحكمة تناسب طبيعة المرأة، فإذا منعت هذه العادة فإنه لا شك يحدث منها فعلٌ ضارٌّ على جسم المرأة، وقد قال النبي

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أبو داود (٢٠١٨) وصححه الألباني.

(٣) أبو داود (٢٠١٨) وصححه الألباني.

ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[(١)].

هذا بقطع النظر عما تسببه هذه الحبوب من أضرار على الرحم كما ذكر ذلك الأطباء، والذي أرى في المسألة أن النساء لا يستعملن هذه الحبوب، والحمد لله على قدره وعلى حكمته.

إذا أتاها الحيض تمسك عن الصوم والصلاة، وإذا طهرت تستأنف الصيام والصلاة، وإذا انتهى رمضان تقضي ما فاتها عن الصوم.

س٣٤: ماذا على الحامل والمرضع إذا أفطرتا رمضان؟ وماذا يكفي إطعامه من الأرز؟

ج٣٤: لا يحل للحامل والمرضع أن تفطرا في نهار رمضان إلا للعذر، فإن أفطرتا للعذر وجب عليهما قضاء الصوم؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وإن كان عذرهما الخوف على المولود فعليهما القضاء مع إطعام مسكين لكل يوم من البُرِّ أو التمر أو الأرز أو غيرها من قُوت الآدميين.

وقال بعض العلماء: ليس عليهما سوى القضاء، على كل حال؛ لأنه ليس في إيجاب الإطعام دليل من الكتاب والسُّنَّة، والأصل براءة الذمة حتى يقوم الدليل على شغلها، وهذا مذهب أبي حنيفة - رحمه الله- وهو قوي.

س٣٥: صوم سائقي الحافلات، هل ينطبق عليهم حكم المسافر؟

ج٣٥: نعم ينطبق حكم السفر عليهم، فلهم القصر والجمع والفطر، فإذا قال قائل: متى يصومون، وعلمهم متواصل؟

قلنا: يصومون أيام الشتاء؛ لأنها أيام قصيرة وباردة، أما السائقون داخل المدن فليس لهم حكم المسافر، ويجب عليهم الصوم.

س٣٦: هل يجوز صيام ستة أيام من شوال قبل صيام قضاء رمضان؟ وهل يجوز صيام يوم الإثنين من شهر شوال بنية قضاء رمضان وبنية الحصول على أجر صيام يوم الإثنين؟

ج٣٦: صيام ستة أيام من شوال لا يحصل ثوابها إلا إذا كان الإنسان قد استكمل صيام شهر رمضان، فمن كان عليه قضاء من رمضان فإنه لا يصوم ستة أيام من شوال إلا بعد قضاء رمضان؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستًّا من شوال**»[(٢)]. وعلى هذا نقول لمن عليه قضاء صم القضاء أولًا ثم صم ستة أيام من شوال، وإذا اتفق أن يكون صيام هذه الأيام

---

(١) ابن ماجه (٢٣٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥١٧).

(٢) مسلم (١٩٨٤).

الستة في يوم الإثنين أو الخميس فإنه يحصل على أجر الإثنين بنية أجر الأيام الستة وبنية أجر يوم الإثنين أو الخميس؛ لقولهﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[1].

س٣٧- في البلاد الإسكندنافية وما فوقها شمالا يتعرض المسلم لمشكلة الليل والنهار طولا وقصرا، إذ قد يستمر النهار ٢٢ ساعة والليل ساعتين، وفي فصل آخر العكس، كما حصل لأحد السائلين عندما مرَّ بهذه البلاد في رمضان مساء، ويقول أيضًا بأنه قيل: إن الليل في بعض المناطق ستة أشهر والنهار مثله؟ فكيف يقدَّر الصيام في مثل هذه البلاد؟ وكيف يصوم أهلُها المسلمون، والمقيمون فيها للعمل وللدراسة؟

ج٣٧: الإشكال في هذه البلاد ليس خاصًا بالصوم، بل هو أيضًا يشمل الصلاة، ولكن إذا كانت الدولة لها نهارٌ وليلٌ فإنه يجب العمل بمقتضى ذلك، سواء طال النهار أم قصُر.

أما إذا كان ليس فيها ليل ولا نهار -كالدوائر القطبية، التي يكون فيها النهار ستة أشهر، أو الليل ستة أشهر -فهؤلاء يقدِّرون وقت صيامهم ووقت صلاتهم، ولكن على ماذا يقدِّرون؟

قال بعض أهل العلم: يقدِّرون على أوقات مكة؛ لأن مكة هي أم القرى وجميع القرى تؤول إليها.

وقال آخرون: بل يعتبرون في تلك البلاد الوسط، فيقدِّرون الليل اثنتي عشرة ساعة والنهار اثنتي عشرة ساعة؛ لأن هذا هو الزمن المعتدل في الليل والنهار.

وقال بعض أهل العلم: أنهم يعتبرون أقرب بلد إليهم يكون لها ليل ونهار منتظم، وهذا هو القول الراجح؛ لأن أقرب البلاد إليهم هي أحق ما يتبعون وهي أقرب إلى مناخهم من الناحية الجغرافية، وعلى هذا فلينظروا إلى أقرب البلاد إليهم ليلًا ونهارًا فيتقيدون به سواء في الصيام أو في الصلاة.

س٣٨: نحن في بلاد لا تغرب الشمس فيها إلا الساعة التاسعة والنصف مساء أو العاشرة مساء، فمتى نفطر؟

ج٣٨: تفطرون إذا غربت الشمس، فما دام لديكم ليل ونهار في أربع وعشرين ساعة فيجب عليكم الصوم ولو طال النهار.

س٣٩: طفلي الصغير يصُرُّ على صيام رمضان رغم أن الصيام يضرُّه لصغر سنهٍ واعتلال

---

(١) متفق عليه.

صحته، فهل أستخدم معه القوّة ليُفطر؟

ج٣٩: إذا كان صغيرًا لم يبلغ فإنه لا يلزمه الصوم، ولكنه إذا كان يستطيعه -دون مشقة- فإنه يؤمر به، وكان الصحابة ﷺ يصوِّمون أولادهم[١]، حتى إن الصغير منهم ليبكى فيعطونه اللُّعب يتلهَّى بها، ولكن إذا ثبت أن هذا يضرُّه فإنه يُمنع منه، وإذا كان الله -سبحانه وتعالى- منعنا إعطاء الصغار أموالهم خوفًا من الإفساد بها؛ فإن خوف إضرار الأبدان من باب أولى أن يمنعهم منه.

ولكن المنع لا يكون عن طريق القسوة، فإنها لا تنبغي في معاملة الأولاد عند تربيتهم.

س٤٠: ما هو الوصال؟ وهل هو سُنَّة؟

ج٤٠: الوصال ألا يفطر الإنسان في يومين، فيواصل الصيام يومين متتالين، وقد نهى عنه النبي ﷺ، وقال: «**من أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر**»[٢].

والمواصلة للسحر من باب الجائز، وليست من باب المشروع، والرسول ﷺ حثَّ على تعجيل الفطر، وقال: «**لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطر**»[٣]، لكنه أباح لهم أن يواصلوا إلى السَّحر فقط، فلما قالوا: يا رسول الله إنك تواصل، فقال: «**إني لست كهيئتكم**»[٤].

س٤١: هل الاعتكاف في شهر رمضان سُنة مؤكَّدة؟ وما شروطه؟

ج٤١: الاعتكاف في رمضان سُنة، فعله النبي ﷺ في حياته، واعتكف أزواجه من بعده، وحكى أهل العلم إجماع العلماء على أنه مسنون، ولكن الاعتكاف ينبغي أن يكون على الوجه الذي من أجله شُرع، وهو أن يلزم الإنسان مسجدًا طاعة لله سبحانه وتعالى، بحيث يتفرغ من أعمال الدنيا إلى طاعة الله، بعيدًا عن شئون الدنيا، ويقوم بأنواع الطاعة من صلاة وذكر وغير ذلك، وكان رسول الله ﷺ يعتكف ترقبًا لليلة القدر، والمعتكف يبعد عن أعمال الدنيا فلا يبيع ولا يشتري ولا يخرج من المسجد ولا يتبع جنازة ولا يعود مريضًا، وأما ما يفعله بعض الناس من كونهم يعتكفون ثم يأتي إليهم الزوار أثناء الليل وأطراف النهار -وقد يتخلل ذلك أحاديث محرمة- فذلك منافٍ لمقصود الاعتكاف[٥].

---

(١) البخاري (١٩٦٠)، ومسلم (١١٣٦).

(٢) البخاري (١٨٢٦) ومسلم (٢٤٣٩).

(٣) البخاري (١٨٢١)، ومسلم (١٨٣٨).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) فقه العبادات (٢٠٣-٢١٨).

فقه الحج والعمرة

معاني النسك

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: النُّسك يطلق على ثلاث إطلاقات:

١- فتارة يراد بها العبادة عمومًا

٢- وتارة يراد به التقرب إلى الله تعالى بالذبح

٣- وتارة يراد به أفعال الحج وأقواله

فالأول: كقولهم: فلان ناسك، أي عابد لله عز وجل.

والثاني: كقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. ويمكن أن يراد بالنسك -هنا- التعبد، فيكون من المعنى الأول.

والثالث: كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [البقرة: ٢٠٠] ، هذا هو معنى النسك، وهذا الأخير هو الذي يخص شعائر الحج. والنسك المراد به الحج نوعان:

١- نسك العمرة ٢- ونسك الحج

أما نسك العمرة: فهو ما اشتمل على هيئتها من الأركان والواجبات والمستحبات، بأن يُحرِم من الميقات ويطوف بالبيت ويصعد إلى الصفا والمروة ويحلق أو يقصِّر.

وأما الحج: فهو أن يحرِم لله من الميقات أو من مكة إن كان من مكة، ويخرج من منى ثم إلى عرفة، ثم إلى المزدلفة، ثم إلى منى مرة ثانية، ويطوف ويسعى، ويكمل أفعال الحج على ما سيُذكر إن شاء الله تفصيلًا.

حكم الحج

قال ابن عثيمين رحمه الله: الحج فرض بإجماع المسلمين. أي بالكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين، وهو أحد أركان الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[آل عمران: ٩٧]، وقال النبيﷺ: « **إن الله قد فرض عليكم الحج فحُجُّوا**»[١]، وقال النبيﷺ: «**بُني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام**»[٢].

فمن أنكر فريضة الحج فهو كافر مرتد عن الإسلام، إلا أن يكون جاهلًا بذلك، وهو مما لا يمكن جهله أو مما يمكن جهله به؛ كحديث عهد بإسلام وناشئ في بادية بعيدة لا يعرف من أحكام الإسلام شيئًا، فهذا يعذر بجهله ويُعرَّف ويُبيَّن له الحكم، فإن أصرَّ على إنكاره حُكِم بردَّته. وأما من تركه -أي الحج- متهاونًا مع اعترافه بشرعيته فهذا لا يكفر، ولكنه على خطر عظيم، وقال بعض أهل العلم بكفره.

وجوب الحج على الفور

سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هل يجب الحج على الفور أم على التراخي؟

فأجاب رحمه الله: الصحيح أنه واجب على الفور، وأنه لا يجوز للإنسان الذي استطاع أن يحج بيت الله الحرام أن يؤخِّره، وهكذا جميع الواجبات الشرعية، إذا لم تقيد بزمن أو سبب فإنها على الفور.

حكم العمرة

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: أما العمرة فقد اختلف العلماء في وجوبها، فمنهم من قال: إنها واجبة، ومنهم من قال: إنها سنة، ومنهم من فرَّق بين المكي وغيره؛ فقال: واجبة على غير المكي، غير واجبة على المكي.

---

(١) مسلم (١٣٣٧).

(٢) متفق عليه.

والراجح عندي أنها واجبة على المكي وغير المكي؛ ولكن وجوبها أصغر من وجوب الحج؛ لأن وجوب الحج فرض مؤكد؛ لأن الحج أحد أركان الإسلام بخلاف العمرة.

شروط وجوب الحج والعمرة

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: شروط وجوب الحج والعمرة خمسة مجموعة في قول الناظم:

الحـــج والعمـــرة واجبـــان	الحـــج والعمـــرة واجبـــان
بـــشرط إســـلامك يـــا حُذِيْـــة	بـــشرط إســـلامك يـــا حُذِيْـــة

فيشترط للواجب:

أولًا: الإسلام

فغير المسلم لا يجب عليه الحج، ولا يصح منه لو حج، بل ولا يجوز له دخول مكة؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [التوبة: ٢٨].

فلا يحل لمن كان كافرًا بأي سبب كان كفره، لا يحل له دخول حرم مكة، ولكن يحاسب الكافر على ترك الحج وغيره من فروع الإسلام على القول الراجح من أقوال أهل العلم؛ لقوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ [المدثر: ٣٩-٤٧].

٢- العقل

فالمجنون لا يجب عليه الحج، فلو كان إنسان مجنونًا -من قبل أن يبلغ حتى مات- فإنه لا يجب عليه الحج، ولو كان غنيًّا.

٣- البلوغ

فمن كان دون البلوغ فإن الحج لا يجب عليه، ولكن لو حج فحجه صحيح إلا أنه لا

يجزئه عن فريضة الإسلام؛ لقول النبي ﷺ للمرأة التي رفعت إليه صبيًّا، وقالت: ألهذا حج؟ قال: «**نعم ولك أجر**»[١]، لكنه لا يجزئه عن فريضة الإسلام؛ لأنه لم يوجَّه إليه الأمر بها حتى يجزئه عنه، إذ لا يتوجه الأمر إليه إلا بعد بلوغه.

٤- الحرية

فالرقيق المملوك لا يجب عليه الحج؛ لأنه مملوك مشغول بسيده، فهو معذور بترك الحج، لا يستطيع السبيل إليه.

٥- القدرة

القدرة على الحج بالمال والبدن، فإذا كان الإنسان قادرًا بماله دون بدنه فإنه ينيب من يحج عنه؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة (خثعمية) سألت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أبي أدركته فريضة الله على عباده في الحج، شيخًا كبيرًا، لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «**نعم**»[٢]، وذلك في حجة الوداع.

ففي قولها: أدركته فريضة الله على عباده، وإقرار النبي ﷺ في ذلك دليل على أن من كان قادرًا بماله دون بدنه فإنه يجب عليه أن يقيم من يحج عنه.

أما إذا كان قادرًا ببدنه دون ماله ولا يستطيع الوصول إلى مكة ببدنه فإن الحج لا يجب عليه، ومن القدرة أن تجد المرأة محرمًا لها، فإن لم تجد محرمًا فإن الحج لا يجب عليها، لكن اختلف العلماء؛ هل يجب عليها في هذه الحالة أن تقيم من يحج عنها أو يعتمر أم لا يجب؟ على قولين لأهل العلم، بناء على أن وجود المحرم شرط لوجوب الأداء، أو هو شرط للوجوب من أصله.

والمشهور عند الحنابلة -رحمهم الله- أن المحرم شرط للوجوب، وأن المرأة التي لا تجد محرمًا ليس عليها حج ولا يلزمها أن تقيم من يحج عنها، فهذه شروط خمسة لوجوب الحج.

أعيدها فأقول: هي الإسلام، والعقل، والبلوغ، والحرية، والاستطاعة. فهذه

---

(١) مسلم (٢٣٧٨).

(٢) البخاري (١٧٢٢)، ومسلم (٢٣٧٥).

الشروط تشمل الحج والعمرة معًا.

سؤال: بعض النساء من داخل مكة يذهبن إلى الحج بدون محرم مع جماعات من النساء عن طريق النقل الجماعي، فهل هذا جائز؟

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: الصحيح أنه لا يجوز للمرأة أن تحج بدون محرم حتى وإن كانت من أهل مكة؛ لأن ما بين مكة وعرفات سفر على الراجح؛ ولهذا كان أهل مكة يقصرون مع النبيﷺ في المشاعر.

آداب السفر للحج

قال ابن عثيمين رحمه الله: آداب الحج تنقسم إلى قسمين:

١- آداب واجبة

٢- وآداب مستحبة

١-فأما الآداب الواجبة: فهي أن يقوم الإنسان بواجبات الحج وأركانه وأن يتجنب محظورات الإحرام الخاصة والمحظورات العامة الممنوعة في الإحرام وفي غير الإحرام؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[البقرة: ١٩٧]

٢-وأما الآداب المستحبة في سفر الحج: فهي أن يقوم الإنسان بكل ما ينبغي له أن يقوم به من الكرم بالنفس والمال والجاه وخدمة إخوانه وتحمل أذاهم والكف عن مساوئهم والإحسان إليهم، سواء كان ذلك بعد لبسه الإحرام أو قبل لبس الإحرام، لأن هذه آداب عالية فاضلة تطلب من كل مؤمن في كل زمان ومكان، وكذلك الآداب المستحبة في نفس فعل العبادة؛ كأن يأتي الإنسان بالحج على الوجه الأكمل، فيحرص على تكميله بفعل مستحباته القولية والفعلية، التي ربما يتسنَّى لنا الكلام عليها إن شاء الله.

مواقيت الحج الزمنية

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: مواقيت الحج الزمانية تبتدئ بدخول شهر شوال وتنتهي إما بعشر ذي الحجة -أي بيوم العيد- أو بآخر يوم من شهر ذي الحجة، وهو القول الراجح؛ لقول الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وأشهر جمع، والأصل في الجمع أن يراد به حقيقة، ومعنى هذا الزمن أن الحج يقع في خلال هذه الأشهر الثلاثة، وليس يفعل في أي يوم منها، فإن الحج له أيام معلومة، إلا أن نسك الطواف والسعي إذا قلنا بأن شهر ذي الحجة كل وقت للحج فإنه يجوز للإنسان أن يؤخِّر طواف الإفاضة وسعي الحج إلى آخر يوم من شهر ذي الحجة، ولا يجوز له أن يؤخرهما عن ذلك، اللهم إلا لعذر، كما لو نفست المرأة قبل طواف الإفاضة، وبقي النفاس عليها حتى خرج الحجة، فهي إذًا معذورة في تأخير طواف الإفاضة، هذه هي المواقيت الزمنية في الحج.

مواقيت العمرة الزمنية

قال ابن عثيمين رحمه الله: أما العمرة فليس لها ميقات زمني، تفعل في أي يوم من أيام السنة، لكنها في رمضان تعدل حجة[١]. وفي أشهر الحج اعتمر النبي ﷺ كل عمراته؛ فعمرة الحديبية كانت في ذي القعدة، وعمرة القضاء كانت في ذي القعدة، وعمرة الحج كانت أيضًا مع الحج، في ذي القعدة، وهذا يدل على أن العمرة في أشهر الحج لها مزية وفضل؛ لاختيار النبي ﷺ هذه الأشهر لها[٢].

حكم الإحرام قبل المواقيت الزمنية

قال ابن عثيمين رحمه الله: اختلف العلماء -رحمهم الله- في الإحرام بالحج قبل دخول أشهر الحج؛ فمن العلماء من قال: إن الحج قبل أشهره ينعقد، ويبقى محرمًا بالحج، وإلا أنه يكره أن يحرم بالحج قبل دخول أشهره، ومن العلماء من قال: إن من يحرم بالحج قبل أشهره فإنه لا ينعقد ويكون عمرة؛ أي يتحول إلى عمرة؛ لأن العمرة كما قال النبي ﷺ

---

(١) مسلم (٢٢٠١).

(٢) فقه العبادات (٢٢٣-٢٣٢).

«دخلت في الحج»، وسماها النبيﷺ: الحج الأصغر، كما في حديث عمرو بن حزم المرسل المشهور، الذي تلقاه الناس بالقبول.

مواقيت الحج المكانية

قال ابن عثيمين رحمه الله: المواقيت المكانية خمسة، وهي:

١- ذو الحليفة ٢- الجحفة ٣- يلملم

٤- قرن المنازل ٥- ذات عرق

١- ذو الحليفة: هي المكان المسمى الآن بأبيار علي، وهي قرية قريبة من المدينة، وتبعد عن مكة بنحو عشر مراحل، وهي أبعد المواقيت عن مكة، وهي لأهل المدينة ومن مرَّ به من غير أهل المدينة.

٢- الجحفة: هي قرية قديمة في طريق أهل الشام إلى مكة، بينها وبين مكة نحو ثلاث مراحل، وقد خربت القرية وصار الناس يُحرمون بدلًا منها من رابغ.

٣- يلملم: هو جبل أو مكان في طريق أهل اليمن إلى مكة، ويسمى اليوم السعدية، وبينه وبين مكة نحو مرحلتين.

٤- قرن المنازل: هو جبل في طريق أهل نجد إلى مكة، ويسمى الآن: السيل الكبير، وبينه وبين مكة نحو مرحلتين.

٥- ذات عرق: هي مكان في طريق أهل العراق إلى مكة، وبينه وبين مكة نحو مرحلتين أيضًا، فأما الأربعة الأولى -وهي ذو الحليفة والجحفة ويلملم وقرن المنازل- فقد وَقَّتها النبيﷺ، وأما ذات عرق فقد وقَّتها النبيﷺ كما رواه أهل السُّنَّة من حديث عائشة ﵂ وصحَّ عن عمر ﵁ أنه وقتها لأهل الكوفة والبصرة حين جاءوا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن النبيﷺ وقت لأهل نجد قرنًا، وأنها جور في طريقنا، فقال عمر ﵁: انظروا إلى حذوها من طريقكم.

وعلى كل حال، فإن ثبت ذلك عن رسول اللهﷺ فالأمر ظاهر، وإن لم يثبت فإن هذا ثبت بسنة عن عمر بن الخطاب ﵁ وهو أحد الخلفاء الراشدين المهديين الذين أُمرنا

باتباعهم، والذي جرت موافقاته لحكم الله -عز وجل- في عدة مواضع ومنها هذا ، إذن صحَّ أن النبي ﷺ وقَّتها، وهو أيضًا مقتضى القياس.

فإن الإنسان إذا مرَّ بميقات لزمه الإحرام منه، فإذا حاذاه صار كالمار به، وفي أثر عمر ﷺ فائدة عظيمة، في وقتنا هذا، وهو أن الإنسان إذا كان قادمًا إلى مكة بالطائرة -يريد الحج أو العمرة -فإنه يلزمه إذا حاذى الميقات من فوق أن يحرم منه عند محاذاته، ولا يحل له تأخير الإحرام إلى أن يصل إلى جدة كما يفعله كثير من الناس، فإن المحاذاة لا فرق أن تكون في البَر أو في الجو أو في البحر؛ ولهذا يحرم أهل البواخر التي تمر من طريق البحر، فتحاذي يلملم أو رابغًا، يحرمون إذا حاذوا هذين الميقاتين.

حكم الإحرام قبل الميقات المكاني

قال ابن عثيمين رحمه الله: الإحرام قبل هذه المواقيت المكانية مكروه؛ لأن النبي ﷺ وقَّتها، وكون الإنسان يحرم قبل أن يصل إليها فيه شيء من تقدم حدود الله سبحانه وتعالى؛ لهذا قال النبي ﷺ: «لا يتقدمَنَّ أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجلًا كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم»[١]، وهذا يدل على أنه ينبغي أن يتقيد بما وقته الشرع في الحدود الزمنية والمكانية، ولكنه إذا أحرم قبل أن يصل إليها فإن إحرامه ينعقد.

وهنا مسألة أحب أنه أُنبِّه عليها، وهي أن الرسول ﷺ لما وقَّت هذه المواقيت قال: «هن لهن، ولمن أتى عليهن، من غير أهلهن، فمن يريد الحج أو العمرة »[٢]، فمن كان من غير أهلهن من أهل نجد[٣] فمر بالمدينة فإنه يحرم من ذي الحليفة، ولا يحل له أن ينتظر حتى يصل إلى ميقات الشام الأصلي على القول الراجح من قولي أهل العلم.

حكم من تجاوز الميقات بدون إحرام

قال ابن عثيمين رحمه الله: من تجاوز الميقات بدون إحرام فلا يخلو من حالتين:

---

(١) مسلم (١٨١٢).

(٢) مسلم (نووي- ٢٠٢٢).

(٣) أي: مثلًا.

١- إما أن يكون مريدًا للحج أو العمرة، فحينئذٍ يلزمه أن يرجع إليه ليحرم منه بما أراد من النسك؛ الحج أو العمرة، فإن لم يفعل فقد ترك واجبًا من واجبات النسك، وعليه عند أهل العلم فدية دم، يذبحه في مكة ويوزعه على الفقراء هناك.

٢- وأما إذا تجاوزه، وهو لا يريد الحج أو العمرة، فإنه لا شيء عليه سواء طالت مدة غيابه عن مكة أم قصرت؛ وذلك لأننا لو ألزمناه بالإحرام في مروره هذا لكان الحج يجب عليه أكثر من مرة أو العمرة، وقد ثبت عن النبيﷺ أن الحج لا يجب في العمر إلا مرة، وأن ما زاد فهو تطوع، وهذا هو القول الراجح من أقوال أهل العلم فيمن تجاوز الميقات بغير إحرام؛ أي إنه إذا كان لا يريد الحج ولا العمرة فليس عليه شيء ولا يلزمه الإحرام من الميقات.

سؤال: **هناك أناس يأتون من بلادهم قاصدين المدينة فيمرون بالميقات، فهل يلزمهم الإحرام من الميقات ويذهبون إلى المدينة محرمين، أم يذهبون إلى المدينة بدون إحرام، وإذا رجعوا من المدينة إلى مكة أحرموا من ميقات أهل المدينة؟**

والجواب: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: يذهبون بلا إحرام إلى المدينة؛ لأن هؤلاء لم يقصدوا مكة، وإنما قصدوا المدينة فيذهبون إلى المدينة، وإذا رجعوا من المدينة حينئذ يكونون قد توجهوا إلى مكة، فيحرمون من ميقات أهل المدينة وهو (ذو الحليفة) التي تسمى الآن (أبيار علي).

الفرق بين الإحرام كواجب والإحرام كركن

قال ابن عثيمين رحمه الله: الإحرام كواجب معناه أن يقع الإحرام من الميقات، والإحرام كركن معناه أن ينوي النسك.

مثال: إذا نوى النسك بعد مجاوزة الميقات -بعد وجوب الإحرام منه- فهذا ترك واجبًا، وأتى بركن وهو الإحرام، وإذا أحرم من الميقات فقد أتى بالواجب والركن؛ لأن الركن هو نية الدخول في النسك، وأما الواجب فهو أن يكون الإحرام من الميقات، هذا هو الفرق بينهما.

التلبية والنية

قال ابن عثيمين رحمه الله: التلبية أن يقول: لبيك عمرة إذا كان في عمرة، ولبيك حجًا

إذا كان في حج.

أما النية فلا يجوز التلفظ بها، فلا يقول مثلًا: اللهم إني أريد العمرة أو أريد الحج، فهذا لم يَرد عن النبي ﷺ.

كيفية إحرام القادم إلى مكة جوًّا

قال ابن عثيمين رحمه الله: القادم إلى مكة جوًّا -كما أسلفنا من قبل- يجب عليه إذا حاذى الميقات أن يحرم، وعلى هذا فيتأهب أولًا بالاغتسال في بيته، ثم يلبي الإحرام قبل أن يصل إلى الميقات، ومن حين أن يصل إلى الميقات ينوي الدخول في النسك ولا يتأخر؛ لأن الطائرة مرها سريع، فالدقيقة يمكن أن تقطع بها مسافات كبيرة، وهذا أمر يغفل عنه بعض الناس، تجد بعض الناس لا يتأهب، فإذا أعلن موظف الطائرة بأنهم وصلوا الميقات ذهب يخلع ثيابه، ويلبس ثياب الإحرام، وهذا تقصير جدًّا، على أن الموظفين في الطائرة فيما يبدوا ينبهون الناس قبل أن يصلوا إلى الميقات بربع ساعة أو نحوها، وهذا عمل يشكرون عليه؛ لأنهم إذا نبهوهم قبل هذه المدة جعلوا لهم فرصة في تغيير ثيابهم وتأهبهم، ولكن في هذه الحالة ينبغي بل يجب على من أراد الإحرام أن يتنبه للوقت، فإذا أعلن موظف الطائرة أنه قد بقي ربع ساعة فلينظر إلى ساعته حتى إذا مضى هذا الجزء الذي هو ربع الساعة ولو قبله بدقيقتين أو ثلاث لبى بما يرده من النسك.

صفة الحج

قال ابن عثيمين رحمه الله: نذكر هنا صفة الحج على سبيل الإجمال والاختصار، فنقول: إذا أراد الإنسان الحج أو العمرة فتوجه إلى مكة في أشهر الحج فإن الأفضل أن يحرم بالعمرة أولًا؛ ليصير متمتعًا، فيحرم من الميقات بالعمرة وعند الإحرام يغتسل كما يغتسل من الجنابة ويتطيب في رأسه ولحيته، ويلبس ثياب الإحرام ويحرم عقب صلاة فريضة إن كان وقتها حاضرًا، أو نافلة ينوي بها سنة الوضوء؛ لأنه ليس للإحرام نافلة معينة، إذ لم يرد عن النبي ﷺ،ثم يلبي فيقول: لبيك اللهم عمرة، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. ولا يزال يلبي حتى يصل مكة. فإذا شرع في الطواف قطع التلبية، فيبدأ بالحجر الأسود يستلمه ويقبِّله إن تيسر وإلا

أشار إليه، ويقول: بسم الله والله أكبر، اللهم إيمانًا بك، وتصديقًا بكتابك، ووفاء بعهدك، واتباعًا لسُنة نبيك، ثم يجعل البيت عن يساره ويطوف سبعة أشواط، يبتدئ بالحجر ويختتم به.

وفي هذا الطواف يسن أن يرمل في الثلاثة أشواط الأولى بأن يسرع المشي ويقارب الخطى، وأن يضطبع في جميع الطواف، بأن يخرج كتفه الأيمن ويجعل طرفي الرداء على الكتف الأيسر، وكلما حاذى الحجر الأسود كبَّر ويقول بينه وبين الركن اليماني: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ ويقول بقية طوافه ما شاء من ذكر ودعاء، وليس للطواف دعاء مخصوص لكل شوط، وعلى هذا فليحذر الإنسان من هذه الكتيبات التي بأيدي كثير من الحجاج والتي فيها لكل شوط دعاء مخصوص، فإن هذا لم يرد عن رسول الله ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**»[1] ويجب أن ينتبه الطائف إلى أمر يخل به بعض الناس في وقت الزحام، فتجده يدخل من باب الحجر، ويخرج من الباب الثاني، فلا يطوف بالحجر مع الكعبة وهذا خطأ؛ لأن الحِجر أكثر من الكعبة فمن دخل من باب الحِجر وخرج من الباب الثاني لم يكن قد طاف بالبيت فلن يصح طوافه، وبعد الطواف يصلي ركعتين خلف مقام إبراهيم إن تيسر له، وإلا ففي أي مكان من المسجد، ثم يخرج إلى الصفا، فإذا دنا منه قرأ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ ولا يعيد هذه الآية بعد ذلك ثم يصعد على الصفا ويستقبل القبلة ويرفع يديه ويكبر ويحمد ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم يدعو، ثم يعيد الكرَّة مرة ثانية ثم ينزل متجهًا إلى المروة، فيمشي إلى العلم الأخضر؛ أي العمود الأخضر، ويسعى من العمود الأخضر إلى العمود الثاني سعيًا شديدًا، أي يركض ركضًا شديدًا إن تيسر له ولم يتأذَّ أو يؤذي أحدًا، ثم يمشي بعد العلم الثاني إلى المروة مشيًا عاديًّا، فإذا وصل المروة صعد عليها واستقبل القبلة ورفع يديه، وقال: مثل الذي قال على الصفا، فهذا شوط، ثم يرجع إلى الصفا من المروة، وهذا هو الشوط الثاني، ويقول فيه ويفعل كما قال في الشوط الأول وفعل،

---

(١) مسلم (١٤٣٥).

فإذا أتم سبعة أشواط (من الصفا إلى المروة شوط، ومن المروة إلى الصفا شوط آخر)، إذا أتم سبعة أشواط فإنه يقصِّر شعر رأسه، ويكون التقصير شاملًا لجميع الرأس، بحيث يبدو واضحًا في الرأس، والمرأة تقصِّر من كل طرف رأسها بقدر أنملة، ثم يحل من إحرامه حلًّا كاملًا، يتمتع بها أحل الله له من النساء والطيب واللباس وغير ذلك، فإذا كان يوم الثامن من ذي الحجة أحرم بالحج فاغتسل وتطيب ولبس ثياب الإحرام، وخرج إلى منى، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر خمس صلوات، يصلي الرباعية ركعتين وكل صلاة في وقتها، فلا جمع في منى، وإنما القصر فقط.

فإذا طلعت الشمس يوم عرفة سار إلى عرفة فنزل بها بنمرة إن تيسر له، وإلا استمر إلى عرفة فينزل بها، فإذا زالت الشمس صلى الظهر والعصر قصرًا، وجمع جمع تقديم، ثم يشتغل بعد ذلك بذكر الله ودعائه وقراءة القرآن وغير ذلك مما يقرب إلى الله تعالى، وليحرص على أن يكون آخر ذلك اليوم مُلحًّا في دعاء الله -عز وجل- فإنه حري بالإجابة، فإذا غربت الشمس انصرف إلى مزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء جمعًا وقصرًا، ثم يبقى هناك حتى يصلي الفجر، ثم يدعو الله -عز وجل- إلى أن يسفر جدًّا، ثم يدفع بعد ذلك إلى منى ويجوز للإنسان الذي يشق عليه مزاحمة الناس أن ينصرف من مزدلفة قبل الفجر؛ لأن النبي ﷺ رخص لمثله[1]، فإذا وصل إلى منى بادر فرمى جمرة العقبة الأولى قبل كل شيء بسبع حصيات؛ يكبر مع كل حصاة، ثم ينحر هديه، ثم يحلق رأسه، وهو أفضل من التقصير وإن قصَّره فلا حرج، والمرأة تقصِّر من أطرافه بقدر أنملة، وحينئذ يحل التحلل الأول، فيباح له جميع محظورات الإحرام ما عدا النساء، فينزل بعد أن يتطيب ويلبس ثيابه المعتادة وينزل مكة فيطوف طواف الإفاضة سبعة أشواط بالبيت، ويسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط وهذا الطواف والسعي للحج، كما أن الطواف والسعي الذي حصل منه أول ما قدم للعمرة، وبهذا يحل من كل شيء حتى من النساء.

ولنقف هنا لننظر ماذا فعل الحاج يوم العيد؟ فالحاج يوم العيد رمى جمرة العقبة، ثم نحر هديه، ثم حلق رأسه أو قصَّر، ثم طاف، ثم سعى، فهذه خمسة أنسك يفعلها على

---

(١) البخاري (١٦٧٨) ومسلم (١٢٩٣).

الترتيب، فإن قدم بعضها على بعض فلا حرج؛ لأن النبي ﷺ كان يُسأل يوم العيد عن التقديم والتأخير، فما سُئل عن شيء قُدِّم ولا أُخر يومئذ إلا قال: «**افعل ولا حرج**»[1].

فإذا نزل من مزدلفة إلى مكة وطاف وسعى، ثم خرج ورمى، فلا حرج ولو رمى ثم حلق قبل أن ينحر فلا حرج، ولو رمى ثم نزل مكة وسعى قبل أن يطوف فلا حرج، المهم أن تقديم هذه الأنسك الخمسة بعضها على بعض لا بأس به؛ لأن الرسول ﷺ ما سئل عن شيء قدِّم ولا أخِّر يومئذ إلا قال: «**افعل ولا حرج**» وهذا من تيسير الله سبحانه ورحمته بعباده.

ويبقى من أفعال الحج بعد ذلك المبيت في منى ليلة الحادي عشر وليلة الثاني عشر وليلة الثالث عشر لمن تأخر؛ لقول الله تعالى: ﴿ **وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ** ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، فيبيت الحاج بمنى ليلة الحادي عشر وليلة الثاني عشر، ويجزئ أن يبيت في هاتين الليلتين معظم الليل.

فإذا زالت الشمس من اليوم الحادي عشر رمى الجمرات الثلاث، يبدأ بالصغرى وهي الأولى، التي تعتبر شرقية بالنسبة للجمرات الثلاث، فيرميها بسبع حصيات متعاقبات، يكبر مع كل حصاة، ثم يتقدم عن الزحام قليلًا، ثم يتجه إلى الوسطى فيرميها بسبع حصيات متعاقبات، يكبر مع كل حصاة، ثم يتقدم قليلًا عن الزحام ويقف مستقبل القبلة رافعًا يديه يدعو الله تعالى دعاءً طويلًا، ثم يتقدم إلى جمرة العقبة فيرميها بسبع حصيات متعاقبات، يكبر مع كل حصاة، ولا يقف عندها اقتداء برسول الله ﷺ.

وفي ليلة الثاني عشر يرمي الجمرات الثلاث كذلك، وفي اليوم الثالث عشر إن تأخر يرمي الجمرات الثلاث كذلك، ولا يجوز للإنسان أن يرمي الجمرات الثلاث في اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر قبل الزوال؛ لأن النبي ﷺ لم يرم إلا بعد الزوال، وقال: «**خذوا عني مناسككم**».

وكان الصحابة يتحينون الزوال، فإذا زالت الشمس رموا، ولو كان الرمي قبل الزوال جائزًا لبينه النبي ﷺ لأمته؛ إما بفعله، أو قوله، أو إقراره، ولما اختار النبي ﷺ وسط

---

(١) البخاري (١٢١)، ومسلم (٢٣٠١).

النهار للرمي -وهو شدة الحر- دون الرمي في أوله، الذي هو أهون على الناس، عُلم أن الرمي في أول النهار لا يجوز؛ لأنه لو كان شرع الله -عز وجل- لكان هو الذي يشرع لعباد الله؛ لأنه الأيسر، والله -عز وجل- إنما يشرع لعباده ما هو الأيسر، ولكن يمكنه إذا كان يشق عليه الزحام أو المضي إلى الجمرات في وسط النهار أن يؤخر الرمي إلى الليل، فإن الليل وقت الرمي، إذ لا دليل على أن الرمي لا يصح ليلًا، فالنبي ﷺ وقَّت أول الرمي، ولم يوقت آخره، والأصل فيما جاء مطلقًا أن يبقى على إطلاقه حتى يقوم دليل على تقييده بسبب أو بوقت، ثم ليحذر الحاج من التهاون في رمي الجمرات، فإن من الناس من يتهاون فيها حتى يوكل من يرمي عنه وهو قادر على الرمي بنفسه، وهذا لا يجوز ولا يجزئ؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٩٦]، والرمي من أفعال الحج فلا يجوز الإخلال به؛ ولأن النبي ﷺ لم يأذن لضعفة أهله أن يوكلوا من يرمي عنهم، بل أذن لهم بالذهاب من المزدلفة في آخر الليل ليرموا بأنفسهم قبل زحمة الناس ولأن النبي ﷺ لم يأذن للرعاة الذين يغادرون منى في إبلهم، لم يأذن لهم أن يوكلوا من يرمي عنهم، بل أذن لهم أن يرموا يومًا ويدعوا يومًا، ليرموه في اليوم الثالث، وعند الضرورة لا بأس بالتوكيل كما لو كان الحاج مريضًا أو كبيرًا، لا يمكنه الوصول إلى الجمرات، أو امرأة حاملًا، تخشى على نفسها أو ولدها، ففي هذه الحالة يجوز التوكيل.

ولو أنه ورد عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يرمون عن الصبيان لقلنا: إن العاجز يسقط عنه الرمي؛ لأنه واجب عجز عنه، فيسقط عنه لعجزه عنه، ولكن ما ورد جنس التوكيل في الرمي عن الصبيان، فإنه لا مانع من أن يلحق به من يشابههم في تعذر الرمي من قبل نفسه.

المهم أنه يجب علينا أن نعظم شعائر الله وألا نتهاون بها، وأن نفعل ما يمكننا فعله بأنفسنا؛ لأنه عبادة، كما قال النبي ﷺ: «**إنما جُعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمرات لإقامة ذكر الله**»[1].

وإذا أتم الحاج فإنه لا يخرج من مكة إلى بلده حتى يطوف للوداع؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الناس ينفرون من كل وجه، فقال النبي ﷺ: «**لا ينظرن أحد حتى يكون آخر**

(١) أبو داود (١٨٨٨) وضعفه الألباني.

عهده بالبيت»[1]، إلا إذا كانت المرأة حائضًا أو نفساء، وقد طافت طواف الإفاضة، فإن طواف الوداع يسقط عنها؛ لحديث ابن عباس ﷺ: أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خفف عن الحائض[2]؛ ولأن النبي ﷺ لما قيل له: إن صفية قد طافت طواف الإفاضة قال: «**فلتنفر إذن**»[3]، وكانت حائضًا.

ويجب أن يكون هذا الطواف هو آخر شيء، وبه نعرف أن ما يفعله بعض الناس حين ينزلون إلى مكة فيطوفون طواف الوداع ثم يرجعون إلى منى فيرمون الجمرات ويسافرون من هناك هذا خطأ، ولا يجزئهم طواف الوداع؛ لأن هؤلاء لم يجعلوا آخر عهدهم بالبيت، وإنما جعلوا آخر عهدهم بالجمرات[4].

---

(١) مسلم (٢٣٥٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ابن ماجه (٣٠٧١) وصححه الألباني في الإرواء (١٠٦٩).

(٤) فقه العبادات لابن عثيمين (٢٣٢-٢٤٢).



أركان الحج

قال ابن عثيمين رحمه الله: أركان الحج، يقول العلماء: إنها أربعة:

١- الإحرام

٢- والوقوف بعرفة

٣- والطواف

٤- والسعي

أركان العمرة

قال ابن عثيمين رحمه الله: يقول العلماء: إن أركان العمرة ثلاثة:

١- الإحرام

٢- والطواف

٣- والسعي

وأن واجباتها اثنان:

١- أن يكون الإحرام من الميقات

٢- والحلق أو التقصير

وما عدا ذلك فهو سنن.

حكم الإخلال بشيء من أركان الحج أو العمرة

قال ابن عثيمين رحمه الله: الإخلال بشيء من الأركان لا يتم النسك إلا به؛ فمن لم يطف بالعمرة مثلًا فإنه يبقى على إحرامه حتى يطوف، ومن لم يسعَ يبقى إحرامه حتى يسعى، وكذلك نقول للحاج: من لم يأت بأركانه فإنه لا يصح حجه، فمن لم يقف بعرفة حتى طلوع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج، فلا يصح حجه، لكنه يتحلل بعمرة، فيطوف ويسعى ويقصِّر أو يحلق، وينصرف إلى أهله، فإذا كان العام القادم أتى بالحج.

وأما الطواف والسعي إذا فاته في الحج فإنه يقضيه؛ لأنه لا آخر لوقته، لكن لا يؤخره عن شهر ذي الحجة إلا من عذر.

واجبات الحج

واجبات الحج هي:

١ - أن يكون الإحرام من الميقات

٢ - وأن يقف بعرفة إلى الغروب

٣ - وأن يبيت بمزدلفة

٤ - وأن يبيت بمنى ليلتين بعد العيد

٥ - وأن يرمي الجمرات

٦ - وأن يطوف للوداع

حكم الإخلال بشيء من واجبات الحج أو العمرة

قال ابن عثيمين رحمه الله: الإخلال بشيء من واجبات الحج أو العمرة إذا كان الإنسان متعمدًا فعليه الإثم والفدية، كما قال أهل العلم: شاة يذبحها ويفرقها في مكة، وإن كان غير متعمد فلا إثم عليه، ولكن عليه الفدية يذبحها في مكة ويفرقها على الفقراء؛ لأنه ترك واجبًا له بدل، فلما تعذر الأصل تعين البدل، هذا هو قول أهل العلم فيمن ترك واجبًا؛ أن عليه فدية يذبحها في مكة ويوزعها على الفقراء.

صفة القران

قال ابن عثيمين رحمه الله: التمتع كما ذكرنا: أن يأتي بالعمرة مستقلة ويحل منها ثم يحرم بالحج، أما القران فله صورتان:

١ - الصورة الأولى: أن يحرم بالعمرة والحج جميعًا من الميقات، فيقول: لبيك عمرة وحجًّا.

٢ - الصورة الثانية: أن يحرم بالعمرة أولًا، ثم يدخل الحج عليها قبل الشروع في طوافها.

وهناك صورة ثالثة موضع خلاف بين العلماء، وهي: أن يحرم بالحج ثم يدخل العمرة عليه قبل أن يفعل شيئًا من أفعال الحج كالطواف والسعي مثلًا، والقارن يبقى على إحرامه، فإذا قدم مكة يطوف للقدوم ويسعى للحج والعمرة ويبقى على إحرامه إلى أن يتحلل منه يوم العيد، ويلزمه هدي كهدي المتمتع، وأما المفرد فيحرم بالحج مفردًا من الميقات ويبقى على ذلك، فإذا قدم من مكة طاف للقدوم وسعى للحج، ولم يدخل إلا يوم

العيد، فيكون القارن والمفرد سواء في الأفعال، لكن يختلفان في أن القارن يحصل له عمرة وحج ويلزمه هدي، وأما المفرد فلا يحصل له إلا الحج ولا يلزمه هدي.

حكم الاعتمار بعد الحج

قال ابن عثيمين رحمه الله: هذا العمل لا أصل له في السُّنَّة، فلم يكن الصحابة ﷺ مع حرصهم على الخير، يأتون بهذه العمرة بعد الحج، وخير الهدي هدي النبيﷺ وخلفائه الراشدين وأصحابه الذين هم خير القرون، وإنها جاء ذلك في قضية معينة، في قصة عائشة ﵂ أم المؤمنين حيث كانت محرمة بعمرة ثم حاضت قبل الوصول إلى مكة، فأمرها النبي ﷺ أن تحرم بالحج ليكون نسكها قرانًا، وقال لها: «**طوافك بالبيت وبالصفا والمروة يسعك لحجك وعمرتك**»[1].

فلما انتهى الحج ألحت على النبيﷺ أن تأتي بعمرة بدلًا عن عمرتها التي حولتها إلى قران، فأذن لها وأمر أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر أن يخرج بها من الحرم إلى الحل، فخرج بها، إلى التنعيم وأتت بعمرة، فإذا وجدت صورة كالصورة التي حصلت لعائشة ﵂ وأبت المرأة أن تأتي بعمرة، فحينئذٍ نقول: لا حرج أن تأتي المرأة بعمرة كما فعلت أم المؤمنين عائشة ﵂ بأمر النبيﷺ.

ويدل على أن هذا أمر ليس بمشروع أن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ وهو مع أخته لم يحرم العمرة، ولو كان هذا من الأمور المشروعة لكان ﷺ يأتي بالعمرة؛ لأن ذلك أمر سهل عليه، حيث إنه قد خرج مع أخته، والمهم أن ما يفعله الحجاج -كما أشرت إليه- ليس له أصل من السُّنة.

نعم، لو فرض أن بعض الحجاج يصعب عليه أن يأتي إلى مكة بعد مجيئه هذا، وهو قد أتى بحج مفرد فإنه في هذه الحالة في ضرورة إلى أن يأتي بعد الحج بالعمرة؛ ليؤدي واجب العمرة، فإن العمرة واجبة على القول الراجح من أقوال أهل العلم، وحينئذ يخرج إلى التنعيم أو إلى غيره من الحل فيحرم منه، ثم يطوف ويسعى ويحلق ويقصر.

---

(١) مسلم (٢١٢٣).

حكم الانتقال من نسك إلى آخر

قال ابن عثيمين رحمه الله: الانتقال من نسك إلى آخر، مرَّ علينا في صفة القران أنه من الممكن أن يحرم الإنسان أولًا بالعمرة، ثم يدخل الحج عليها في طوافها، فيكون انتقل من العمرة إلى الجمع بينهما وبين الحج، وكذلك يمكن أن ينتقل من الحج المفرد أو من القران إلى عمرة ليصير متمتعًا، كما أمر بذلك النبي ﷺ أصحابه، فلم يكن منهم ساق الهدي حيث إن الرسول ﷺ كان قارنًا، وكان قد ساق الهدي وساقه معه أغنياء الصحابة ﷺ فلما طاف وسعى أمر من لم يسقَ الهدي أن يجعلها عمرة، فانتقلوا من الحج المفرد أو المقرون بالعمرة إلى أن يجعلوا ذلك عمرة ولكن هذا مشروط بما إذا تحول من حج أو قران إلى عمرة ليصير متمتعًا، أما من تحول من قران أو إفراد إلى عمرة ليتخلص من الإحرام ويرجع إلى أهله، فإن ذلك لا يجوز.

حكم التحول من التمتع إلى الإفراد

قال ابن عثيمين رحمه الله: التمتع إلى الإفراد لا يجوز، وإنما يجوز أن يتحول من الإفراد إلى التمتع، بمعنى أن يكون متمتعًا بالحج مفردًا، ثم بعد ذلك يحول إحرامه إلى عمرة؛ ليصير متمتعًا، وكذلك القارن يجوز أن يحول نيته من القران إلى العمرة؛ ليصير متمتعًا إلا من ساق الهدي في الصورتين، فإنه لا يجوز له ذلك؛ لأن النبي ﷺ أمر أصحابه الذين معه أن يجعلوا إحرامهم بالحج (المفرد أو المقرون بالعمرة)، أن يجعلوه عمرة؛ ليصيروا متمتعين إلا من ساق الهدي[1].

من عجز عن إكمال النسك

قال ابن عثيمين رحمه الله: إذا ما عجز الحاج عن إتمام النسك فلا يخلو من حالتين: إما أن يكون عجزه بصدِّ عدو صدَّه عن البيت، كما جرى للنبي ﷺ حين صده المشركون عام الحديبية، ففي هذه الحالة يحلق بعد أن ينحر هديه، ويحل من إحرامه؛ لقول الله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ﴾ [البقرة: ١٩٦]،

(١) فقه العبادات (٢٤٢-٢٤٦).

وأمر النبي ﷺ أصحابه عام الحديبية أن يحلقوا، ولما تأخروا رجاء أن ينسخ الحكم أو لسبب آخر غلب عليه الصلاة والسلام في ذلك، حتى أشارت عليه إحدى أمهات المؤمنين أن يخرج إليهم فيحلق رأسه، ففعل، وحينئذ تتابع الناس على حلق رءوسهم والإحلال من إحرامهم، وفي هذه الحالة لا يلزمه أن يقضي ما أحصر عنه، إلا إذا كان لم يؤدي الفريضة، فإنه يلزمه أداء الفريضة بالأمر الأول، لا قضاءً عما أحصر فيه، هذا إذا كان الحصر بعدو، أما إذا كان الحصر بغير عدو كما لو أحصر بذهاب نفقته أو بمرض امتد به، فإنه في هذه الحالة يحل من إحرامه بعد أن ينحر هديًا ويحلق، إما قياسًا على حصر العدو، وإما إدخالًا له في العموم، وهو قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾، فإن هذا الإحصار شامل، وكون الإحصار بالعدو هو الذي وقع في عهد النبي ﷺ لا يمنع أن تتناول الآية غيره.

على كل حال، إذا حصر بغير عدو من مرض أو بذهاب نفقة أو ما أشبه ذلك فالقول الراجح: أنه يحل بهذا الإحصار بعد أن ينحر هديًا ويحلق رأسه، ولا يلزمه القضاء؛ أي قضاء ما أحصر فيه، إلا إذا كان واجبًا بأصل الشرع، مثل أن يكون لم يؤدِّ الفريضة من قبل، فيلزمه فعل الفريضة بالخطاب؛ أي بالأمر الأول، لا من حيث القضاء، هذا إذا لم يكن اشترط في ابتداء إحرامه أنه إن حبسني حابس فمحلي حيث حبسني، فإن كان قد اشترط فإنه يحل من إحرامه مجانًا ولا شيء عليه؛ لقول النبي ﷺ لضباعة بنت الزبير وقد أرادت الحج وهي شاكية: «حُجِّي واشترطي إن محلي حيث حبستني»[1][2].

صفة الاشتراط

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: صفة الاشتراط أن الإنسان إذا أراد الإحرام يقول: (إن حبسني حابس فمحلي حيث حبسني) يعني فإنني أحل إذا حبسني؛ أي منعني مانع من إكمال النسك، وهذا يشمل أي مانع كان.

---

(١) البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢١٠١).

(٢) فقه العبادات (٢٥١-٢٥٢).

لأن كلمة حابس نكرة في سياق الشرط، فتعم أي حابس كان، وفائدة هذا الاشتراط أنه لو حصل له حابس يمنعه من إكمال النسك فإنه يحل من نسكه ولا شيء عليه.

وقد اختلف أهل العلم في الاشتراط سواء كان في حال خوف أو في حال أمن لما يترتب عليه من الفائدة، والإنسان لا يدري ما يعرض له، ومنهم من قال: إنه لا يُسنُّ إلا عند الخوف، أما إذا كان الإنسان آمنًا فإنه لا يشترط، ومنهم من أنكر الاشتراط مطلقًا.

والصواب: القول الوسط، وأنه إذا كان الإنسان خائفًا من عائق يمنعه من إتمام نسكه -سواء كان هذا العائق عامًّا أو خاصًّا- فإنه يشترط، وإن لم يكن خائفًا فإنه لا يشترط؛ وبهذا تجمع الأدلة، فإن النبي ﷺ أحرم ولم يشترط، وأرشد ضباعة بنت الزبير رضي الله عنها أن تشترط حيث كانت شاكية، والشاكي؛ أي المريض خائف من عدم إتمام نسكه.

وعلى هذا القول؛ إذا كان الإنسان خائفًا من طارئ يطرأ يمنعه من إتمام نسكه فليشترط أخذًا بإرشاد النبي ﷺ ضباعة بنت الزبير، وإن لم يكن خائفًا فالأفضل ألا يشترط اقتداء برسول الله ﷺ حيث أحرم بدون شرط.

صيغة الشرط

لا يلزم أن يأتي المحرم بالصيغة الواردة؛ لأن هذا مما لا يتعبد بلفظه، والشيء الذي لا يتعبد بلفظه يكتفي فيه بالمعنى.

محظورات الإحرام

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: محظورات الإحرام هي الممنوعات بسبب الإحرام، يعني المحرمات التي سببها الإحرام، وذلك أن المحرمات نوعان:

١- محرمات في حال الحل: وإليها أشار بقوله: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وكلمة فسوق عامة تشمل ما كان الفسق فيه بسبب الإحرام وغيره.

٢- ومحرمات خاصة سببها الإحرام: إذا تلبس الإنسان بالإحرام؛ فإنها تحرم عليه وتحل له في حال الحل.

من محظورات الإحرام

١- الجماع: وهو أشد المحظورات إثمًا وأعظمها أثرًا، ودليله قوله تعالى: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾، فإن (الرفث) هو الجماع ومقدماته، وإذا وقع الجماع قبل التحلل الأول في الحج فإنه يترتب عليه أمور خمسة:

الأول: الإثم

الثاني: فساد النسك

الثالث: وجوب الاستمرار فيه

الرابع: وجوب فدية بدنة يذبحها ويفرقها على الفقراء

الخامس: وجوب القضاء من العام القادم

وهذه آثار عظيمة تكفي المؤمن من الانزعاج منه والبعد عنه.

٢- المباشرة والتقبيل والنظر بشهوة: وكل ما كان من مقدمات الجماع؛ لأن هذه المقدمات تفضي إلى الجماع.

٣- حلق الشعر: لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وألحق العلماء بحلق الرأس تقليم الأظافر وقصها.

٤- عقد النكاح: لقول النبي ﷺ: «لا يَنكح المحرم ولا يُنكح ولا يخطب»[١].

٥- الخطبة: فلا يجوز للإنسان أن يخطب امرأة وهو محرم بحج أو عمرة.

٦- قتل الصيد: لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ [المائدة: ٩٥].

٧- الطيب: بعد عقد الإحرام سواء في البدن أو في الثوب أو في المأكول أو في المشروب، فلا يحل لمحرم استعمال الطيب على أي وجه كان بعد عقد إحرامه؛ لقول النبي ﷺ في الرجل الذي وقصته ناقته في عرفة فمات: «لا تحنطوه»[٢]، والحنوط: الطيب يجعل في الميت عند تكفينه. فأما أثر الطيب الذي تطيَّب به عند الإحرام فإنه لا

---

(١) مسلم (٢٥٢٢).

(٢) سبق تخريجه.

بأس به، ولا تجب عليه إزالته؛ لقول عائشة ﵂: كنت أطيِّب النبيﷺ لإحرامه قبل أن يحرم[١]، وقالت: كنت أنظر إلى وبيص -بريق- المسك في مفارق رسول اللهﷺ وهو محرم[٢].

٨- لبس الرجل القميص والبرنس والسراويل والعمائم والخفاف: هكذا أجاب النبي ﷺ حين سئل: ما يلبس المحرم؟ فقال: «**لا يلبس القميص ولا السراويل ولا البرانس ولا العمائم ولا الخفاف، إلا من لم يجد إزارًا فليلبس السراويل، ومن لم يجد نعلين فليلبس الخفين**»[٣].

وما كان بمعنى هذه المحظورات فهو مثلها، فالكلوت والفانلة والصدرية والغطرة والطاقية أو المشلح كل هذه بمعنى المنصوص عليه، فيكون لها حكم المنصوص عليه، وأما لبس الساعة والخاتم وسماعة الأذن ونظارة العين والكمر الذي تكون فيه الفلوس وما أشبهها فإن ذلك لا يدخل في المنهي عنه، ولا بالنص ولا بالمعنى، وعلى هذا فيجوز للمحرم أن يلبس هذه الأشياء، وليعلم أن كثيرًا من العامة فهموا من قول أهل العلم أن المحرم لا يلبس المخيط النهي عن لبس الإزار أو الرداء المرقع وعن لبس النعال المخوذة وما أشبه ذلك، ظنًّا منهم أن العلماء يريدون بلبس المخيط لبس ما كان فيه خياطة، والأمر ليس كذلك، وإنما مراد العلماء بذلك ما يلبس من الثياب المفصلة على الجسم، على العادة المعروفة.

وتأمل قول الرسولﷺ: «**لا يلبس القميص ولا السراويل .... إلخ**» تبين ذلك أن الإنسان لو تلفف بالقميص بدون لبس فإنه لا حرج عليه، فلو جعل القميص إزارًا لفه عليه على ما بين سرته وركبته فإنه لا حرج عليه في ذلك؛ لأن ذلك لا يعد لباسًا للقميص.

٩- تغطية الرأس بملاصق معتاد: كالطاقية والعمامة والغطرة، فأما تغطية الرأس بالشمسية أو سقف السيارة أو بثوب يرفعه بيده على رأسه فهذا لا بأس به؛ لأن

---

(١) البخاري (١٤٣٩)، ومسلم (٢٠٥٥).

(٢) البخاري (١٤٣٨) ومسلم (٢٠٥٢).

(٣) البخاري (١٣١)، ومسلم (٢٠١٢).

للمحرم تغطية الرأس لا تظليله، وقد ثبت من حديث أم حصين ﷺ قالت: رأيت النبي ﷺ راكبًا وأسامة وبلال أحدهما آخذ بخطام ناقته، والثاني رافع ثوبه، أو قالت: ثوبًا يظلله به من الحر، حتى رمى جمرة العقبة، ولا يحرم على المحرم أن يجعل عفشه على رأسه؛ لأن ذلك لا يراد التغطية وإنما المراد به الحمل.

١٠- أن تتنقب المرأة: أي تضع النقاب على وجهها؛ لأن النقاب لباس الوجه، وقد نهى رسول الله ﷺ المرأة أن تنتقب وهي محرمة[1]، إلا إذا كان حولها رجال غير محارم لها، فإنه يجب عليها أن تستر الوجه، وهي في هذه الحالة لا بأس أن يلاصق الستائر بشرتها، ولا حرج في ذلك.

١١- لبس القفازين: لبس القفازين وهي جوارب اليدين، وهذا يشمل الرجل والمرأة، فلا تلبس المرأة القفازين في حال الإحرام وكذلك الرجل لا يلبس القفازين؛ لأنها لباس، فهما كالخفين بالنسبة للرجل.

حكم من ارتكب محظورًا

قال ابن عثيمين رحمه الله: أما الصيد، فقد بين سبحانه وتعالى ما يترتب عليه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]، فإذا كان الصيد مما له مثل النعم: أي من الإبل أو البقر أو الغنم فإنه يذبح مثله في مكة ويتصدق به على الفقراء أو يجعل بدل المثل طعامًا يشترى ويوزع على الفقراء أو يُصام عن إطعام كل مسكين يومٌ، هذا إن كان له مثل، أما إذا لم يكن له مثل فإن العلماء يقولون: يُخير بين الإطعام والصيام، فيقدر الصيد بدراهم ويطعم بها يقابل هذه الدراهم الفقراء في مكة أو يصوم عن إطعام كل مسكين يومًا، هذا في الصيد أو صدقة أو نسك، وبيَّن الله -عز وجل- أن الواجب فدية من صيام أو صدقة أو نسك، وبيَّن الرسول ﷺ أن الصيام ثلاثة أيام، وأن الشاة يوزعها على الفقراء، وحلق الرأس حرام إلا لمن تأذى بالشعر.

قال أهل العلم: هي واجبة يعني فدية الأذى في كل محظور من محظورات الإحرام ما

---

(١) البخاري (١٨٣٨).

عدا الجماع، قبل التحلل الأول في الحج، وجزاء الصيد؛ لأن في الأول بدنة، وفي الثاني المثل، أو ما يقوم مقامه، فكل المحظورات عندهم -عدا ما ذكرنا- التي فيها فدية، فديتها فدية الأذى، فدخل في ذلك القميص والسراويل والبرانس وتغطية الرأس للرجال وتغطية الوجه للمرأة، والطيب والمباشرة وما أشبه ذلك، هكذا قال أهل العلم.

حكم من ارتكب محظوراً جاهلا

قال ابن عثيمين رحمه الله: محظورات الإحرام تنقسم إلى قسمين:

١- منها ما لا فدية فيه أصلًا، ومثل له العلماء بعقد النكاح والخطبة وخطبة النكاح، وقالوا: إن هذا ليس فيه فدية.

٢- ومنها ما فديته فدية الأذى

٣- ومنها ما فديته بدنة

٤- ومنها ما فديته الجذع.

وكل شيء فيه فدية فإن فاعله لا يخلو من ثلاث حالات:

١-إما أن يفعله عالماً ذاكراً مختاراً، وفي هذه الحالة يترتب عليه الإثم، وما يجب فيه الفدية.

٢- وإما أن يفعله متعمداً عالماً مختاراً لكن لعذر، فهذا ليس عليه إثم ولكن عليه الفدية، مثل أن يحلق رأسه لأذى أو شبهة متعمدًا عالمًا ذاكرًا، فإنه يجب عليه الفدية ولا إثم عليه؛ لأنه معذور.

٣-وإما أن يفعل هذه المحظورات ناسياً أو جاهلاً أو مكرهاً، فهذا ليس عليه شيء؛ لا إثم ولا فدية أيًا كان المحظور؛ لعموم قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، ولقوله: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥] ، وقوله في جزاء الصيد: ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾[المائدة: ٩٥] ، فإذا اشترطت العمدية في جزاء الصيد مع أن قتل الصيد إتلاف فما عداه من باب أولى.

حكم اغتسال المحرم

قال ابن عثيمين رحمه الله: المحرم يجوز له أن يغتسل من أجل النظافة؛ لأن النبي ﷺ ثبت عنه أنه اغتسل وهو محرم(١).

ويجوز للمحرم أن يغير ثياب الإحرام إلى ثياب أنظف منها أو أجود، ويجوز له أيضًا أن يتَرَفَّه باستعمال المكيفات أو بغيرها من أسباب الراحة، أما قول بعض أهل العلم: إنه لا يجوز له أن يقلم أظافره -وقاسوه على حلق شعر الرأس بجامع الترفه- فهذا أمر ينظر فيه، وليس محل إجماع من أهل العلم.

وقال رحمه الله: تبديل المحرم لباس الإحرام بلبس يجوز لبسه في الإحرام، لا بأس به سواء فعله لحاجة أو لضرورة، أو لغير ضرورة.

فأما فعله للضرورة: فمثل أن يتنجس ثوب الإحرام، وليس عنده ماء يغسله به، فهنا يضطر إلى تبديله بثوب طاهر؛ لأنه لا يمكن أن تصح منه الصلاة إلا بثياب طاهرة.

ومثال الحاجة: أن يتسخ ثوب الإحرام فيحتاج إلى غسل، فله أن يخلعه ويلبس ثوبًا آخر مما يجوز لبسه في الإحرام.

ومثال ما لا حاجة لخلعه ولا ضرورة: أن يغير لباس الإحرام بدون أي سبب، فله ذلك ولا حرج عليه إذا غيَّره بما يجوز لبسه(٢).

حكم المبيت بمنىٰ يوم النحر

قال ابن عثيمين رحمه الله: المبيت بمنى ذكرنا فيما سبق أنه من واجبات الحج، وأن المعروف عند أهل العلم أن من ترك واجبًا من واجبات الحج فعليه فدية ذبح شاة، تذبح في مكة وتوزع على فقرائها.

---

(١) فقه العبادات (٢٥٣-٢٦١).

(٢) فقه العبادات (٢٥٣-٢٦١).

حد المبيت بمنىٰ

المشروع للحاج أن يبقى في منى طول الوقت، هكذا سنة الرسول ﷺ والإنسان لم يتغرب عن وطنه ولم يتجشم المشاق إلا لأداء هذه العبادة العظيمة على وَفق ما جاء عن رسول الله ﷺ، لم يأت من بلده إلى هذا المكان ليترفه ويسلك ما هو أيسر مع مخالفته لهدي النبي ﷺ، فالمشروع في حق الحاج أن يبقى في منى ليلًا ونهارًا، ولكن مقتضى كلام الفقهاء أن الواجب أن يبقى في منى معظم الليل؛ في الليلة الحادية عشرة والثانية عشرة، وأما بقية الليل والنهار جميعه فليس بواجب عندهم أن يمكث في منى، ولكن ينبغي على الإنسان أن يتقيد بما جاءت به السُّنة وأن يبقى في منى ليلًا ونهارًا، والمسألة ما هي إلا يومان فقط بالإضافة إلى يوم العيد، بل يوم ونصف وزيادة يسيره مع يوم العيد[1].

الحكمة من رمي الجمار

قال ابن عثيمين رحمه الله: الحكمة من رمي الجمار بيَّنها رسول الله ﷺ في قوله: «**إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله**»[2] وفي رمي الجمار أيضًا تحقيق لعبادة الله -عز وجل- فإن الإنسان يرمي هذه الجمار وهو لا يعرف حكمة بينة في رميها، وإنما يفعل ذلك تعبدًا لله وذكرًا له، وكذلك يرمي هذه الجمرات اتباعًا لرسول الله ﷺ، فإنه رماها، وقال: «**لتأخذوا عني مناسككم**».

مسائل عن رمي الجمار

سؤال: هل يجوز أن يرمي الجمرات في اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر قبل الزوال؟

والجواب: لا يجوز، لأن النبي ﷺ لم يرمِ إلا بعد الزوال، وقال: «**لتأخذوا عني مناسككم**».

---

(١) فقه العبادات (٢٦٤، ٢٦٥).

(٢) فقه العبادات (٢٥٢، ٢٥٣).

سؤال: هل يجوز الرمي بالليل؟

والجواب: أما رمي جمرة العقبة في العيد فقد علمت أنه لا يجوز أن يدفع في آخر الليل من المزدلفة، وإذا وصل إلى منى قبل أن يطلع التشريق فالصحيح أنه جائز تأخير رمي النهار إلى الليل، إلا اليوم الثالث عشر فلا يجوز تأخيره إلى غروب الشمس.

سؤال: هل يجوز أن يجمع الجمرات الثلاث في يوم واحد، بمعنى أن يؤخر رمي اليوم الحادي عشر إلى الثاني عشر؟

والجواب: لا يجوز ذلك، بل يجب أن رمى كل يوم في يومه، إلا لعذر، كما لو كان في مكان بعيد في أقصى منى، ويشق عليه أن يتردد يوميًّا فلا بأس أن يجمع؛ لأن النبي ﷺ أذن للرعاة أن يرموا يومًا ويدعوا يومًا من أجل حاجتهم.

سؤال: ما حكم الذي يرمي زيادة عن سبع جمرات خوفًا من أن بعضها لم يسقط في الحوض؟

والجواب: لا بأس إذا شك الإنسان هل رمى بسبع أو أقل أن يرمي حتى يطمئن أنه رمى بسبع حصيات وقعت في الحوض، بل يجب عليه ذلك، إلا أن يكون كثير الشكوك، أو يطرأ عليه الشك بعد فراغ الرمي، فلا يلتفت لهذا الشك، وليحرص على أن يكون قريبًا من الحوض، حتى لا يخطأ الرمي.

سؤال: ما صفة رمي الجمار؟

والجواب: الذي ينبغي على الحاج إذا ذهب إلى رمي جمرة العقبة أن يكون ملبيًا، فإذا شرع في الرمي قطع التلبية، هذا في رمي جمرة العقبة يوم العيد، أما في رمي الجمرات الثلاث فينبغي أن يذهب بسكينة وخشوع لله -عز وجل- وإن كبَّر في مسيره فحسن؛ لأن أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله -عز وجل- ومن ذِكر الله تعالى التكبير، فإذا ذهب مكبرًا فهو حسن؛ لأن التكبير هنا مطلق، ولكنه لا يعتقد أنه مشروع من أجل الذهاب إلى الرمي، وإنما يعتقد أنه مشروع مطلقًا، أما ذهابه بخشوع وتعظيم لله فهذا أمر مطلوب، ولهذا يكبر الإنسان الله -عز وجل- عند رمي كل حصاة.

سؤال: هل هناك أدعية عند رمي الجمرات؟

والجواب: نعم، إذا رمى الجمرة الأولى استقبل القبلة ورفعت يديه وقام يدعو دعاء طويلًا[١]، وكذلك بعد رمي الجمرة الوسطى، وأما بعد رمي جمرة العقبة فلا يقف.

سؤال: هل هناك دعاء مخصوص عند رمي الجمار؟

والجواب: ليس هناك دعاء مخصوص فيما أعلم.

سؤال: هل تلزم الطهارة لرمي الجمار؟

والجواب: لا، الطهارة لا تلزم في أي منسك من مناسك الحج إلا الطواف بالبيت، فإنه لا يجوز للحائض أن تطوف بالبيت؛ لقول النبيﷺ لعائشة: «**افعلي ما يفعل الحاج، غير ألا تطوفي بالبيت**»[٢].

سؤال: ما حكم غسل حصى الجمار؟

والجواب: لا يغسل، بل إذا غسله الإنسان على سبيل التعبد لله كان هذا بدعة؛ لأن النبيﷺ لم يفعله.

حكم من نسي شيئًا من أشواط الطواف أو السعي

قال ابن عثيمين رحمه الله: إذا نسي الإنسان شيئًا من أشواط الطواف أو السعي فإن ذكر قريبًا أتم ما بقي عليه، فلو طاف ستة أشواط بالبيت، ثم انصرف إلى مقام إبراهيم يصلي، وفي أثناء انصرافه ذكر أنه لم يطُف إلا ستة أشواط فإنه يرجع من الحجر الأسود ليأتي بالشوط السابع ولا حرج عليه.

---

(١) راجع صفة الحج السابقة.

(٢) فقه العبادات (٢٦٤-٢٧٠).

أما إذا لم يذكر إلا بعد مدة طويلة فإن كان الطواف طواف نسك وجب عليه إعادة الطواف من جديد؛ لأن طوافه الأول لم يصح لكونه ناقصًا، ولا يمكن بناء ما تركه على ما سبق لطول الفصل بينهم، فيستأنف أشواط الطواف من جديد، وهكذا نقول في السعي: إنه إذا نسي شوطًا من السعي فإن ذكر قريبًا أتى بالشوط الذي نسيه، وإن طال الفصل استأنفه من جديد[١].

حكم من توفي أثناء إحرامه بالنسك

قال ابن عثيمين رحمه الله: إن توفي الحاج أثناء تلبسه بالنسك فإن من أهل العلم من يقول: إذا كان حجه فريضة فإنه يقضى عنه ما بقي، ومنهم من يقول: إنه لا يقضى عنه ما بقي، وهذا هو القول الراجح، ودليله حديث ابن عباس ﷺ في قصة الرجل وَقَصَتْهُ ناقته وهو واقف بعرفة، فقال النبي ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبه، ولا تخمروا رأسه، ولا تحنطوه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا»[٢]، ولم يأمر النبي ﷺ أن يقضي أحد عنه ما بقي من نسكه؛ ولأننا لو قضينا ما بقي من نسكه لكان هذا النائب الذي قام مقاه يحل من إحرامه، وحينئذٍ لا يبعث الرجل يوم القيامة ملبيًا؛ لأن نائبه قد حلَّ من الإحرام الذي تلبس به بدلًا عنه، وعلى كل حال فالقول الراجح بلا شك: أن الإنسان إذا مات أثناء تلبسه بالنسك فإنه لا يقضى عنه؛ سواء كان ذلك في فريضة أم نافلة، وقال: يشمل (ذلك) جميع الحج، يعني سواء كان ذلك قبل التحلل الأول أم بعد التحلل الأول، فإنه لا يقضى عنه ما بقي[٣].

زمان ومكان الإحرام بالحج

قال ابن عثيمين رحمه الله: يحرم الإنسان بالحج يوم التروية -وهو اليوم الثامن من ذي الحجة- من مكانه الذي هو نازل فيه، ويحرم ضحى، ويذهب إلى منى، فيصلي به الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر، كما أسلفنا في بيان صفة الحج.

---

(١) فقه العبادات (٢٦٤-٢٧٠).

(٢) فقه العبادات (٢٥٢، ٢٥٣).

(٣) فقه العبادات (٢٥٢، ٢٥٣).

سؤال: هل يلزم المحرم في يوم التروية أن يطوف بالبيت أو يحرم من البيت؟

والجواب: لا يلزمه أن يطوف بالبيت ولا أن يحرم من البيت، ولا يسن له ذلك أيضًا؛ لأن الصحابة ﷺ الذين حلوا من عمرتهم مع النبي ﷺ أحرموا من مكانهم، ولم يأمرهم النبي ﷺ أن يذهبوا إلى البيت فيحرموا منه، أو أن يطوفوا قبل إحرامهم.

متىٰ يبدأ ومتىٰ ينتهي الوقوف بالمزدلفة؟

قال ابن عثيمين رحمه الله: الوقوف بالمزدلفة الذي يعبر عنه أهل العلم بالمبيت بالمزدلفة يبدأ من انتهاء الوقوف بعرفة، ولا يصح قبله، فلو أن حاجًّا وصل إلى مزدلفة في أثناء الليل قبل أن يقف بعرفة، فوقف في مزدلفة ثم إلى عرفة ووقف بها، ثم نزل من عرفة إلى منى- فإن وقوفه بمزدلفة غير معتبر؛ لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ [البقرة: ١٩٨]، فجعل محل الذكر عند المشعر الحرام، أو وقت الذكر عند المشعر الحرام بعد الإفاضة من عرفة، فيبتدأ المكث في مزدلفة من انتهاء الوقوف بعرفة ويستمر إلى أن يصلي الإنسان الفجر، ويقف قليلًا إلى أن يسفر جدًّا ثم ينصرف إلى منى. ولكنه يجوز لمن كان ضعيفًا لا يستطيع المزاحمة مع الناس في الرمي أن يدفع من مزدلفة في آخر الليل؛ لأن النبي ﷺ أذن للضعفة من أهله أن يدفعوا في آخر الليل. وكانت أسماء بنت أبي بكر ﷺ ترقب غروب القمر، فإذا غربت دفعت، وهذا أحسن من التحديد بنصف الليل؛ لأنه هو الوارد عن النبي ﷺ وهو الموافق للقواعد، وذلك أنه يجعل حكم الكل للنصف، وإنما جعل حكم الكل للأكثر والأغلب، وبهذا نعرف أن قول من قال من أهل العلم: إنه يكفي أن يبقى في مزدلفة بمقدار صلاة المغرب والعشاء، ولو قبل منتصف الليل قول مرجوح، وأن الصواب الاقتداء برسول الله ﷺ فيما فعله وفيما أذن فيه.

وقال ابن عثيمين رحمه الله: ظاهر حديث عروة بن المضرس ﷺ الذي قال فيه الرسول ﷺ: «من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا حتى ندفع» أن الإنسان لو وصل مزدلفة بعد طلوع الفجر وأدرك صلاة بغلس في الوقت الذي صلاها فيه رسول الله ﷺ فإنه يجزئه، ومعروف عند الفقهاء -رحمهم الله- أنه لا بد من أن يدرك جزءًا من الليل، بحيث يأتي إلى مزدلفة قبل الفجر[1].

---

(١) فقه العبادات (٢٦٢، ٢٦٣).

أخطاء تقع في مناسك الحج

أخطاء تقع في الإحرام

١- ترك الإحرام من الميقات، فإن بعض الحجاج -ولا سيما القادمون بطريق الجو- يدعون الإحرام من الميقات، حتى ينزلوا إلى جدة، مع أنهم يمرون به من فوق[١] وقد وقت النبي ﷺ المواقيت لأهلها، وقال: «**هن لهن ولمن أتى عليهنَّ من غير أهلهنَّ**»[٢].

وقال ابن عثيمين أيضًا: وهذا يدل على أن محاذاة الميقات كالمرور به، والذي يأتي محاذيًا للميقات من فوق بالطائرة كالمار به[٣]، فعليه أن يحرم إذا حاذى الميقات، ولا يجوز له أن يتعدى الميقات لينزل في جدة ويحرم منها.

٢- مما يخطئ فيه بعض الناس أنهم يعتقدون أنه لا بد أن يحرم بالنعلين، وأنه إذا لم يكن النعلان عليه حين الإحرام فإنه لا يجوز له لبسهما، وهذا خطأ، فإن الإحرام بالنعلين ليس بواجب ولا شرط.

فالإحرام ينعقد بدون أن يكون عليه النعلان، ولا يمنع إذا أحرم من غير نعلين أن يلبسهما فيما بعد، فله أن يلبس النعلين فيما بعد وإن كان لم يحرم بهما، ولا حرج عليه في ذلك.

٣- أن بعض الناس يظن أنه يحرم بثياب الإحرام وتبقى عليه إلى أن يحل من إحرامه، وأنه لا يحل له تبديل هذه الثياب، وهذا خطأ.

فإن الإنسان المحرم يجوز له أن يغير ثياب الإحرام لسبب أو لغير سبب إذا غيرهما إلى شيء يجوز لبسه في الإحرام، ولا فرق في ذلك بين الرجال والنساء، فكل من أحرم بشيء من ثياب الإحرام وأراد أن يغيره فله ذلك؛ لكن أحيانًا يجب عليه تغييره، كما لو تنجس بنجاسة لا يمكن غسله إلا أن يخلعه، وأحيانًا يكون تغييره أحسن، إذا تلوث تلوثًا كثيرًا بغير نجاسة فينبغي أن يغيره إلى ثوب نظيف، أو إلى ثوب إحرام نظيف، وتارة يكون الأمر

---

(١) أي بالطائرة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أي بالميقات.

واسعًا إن شاء بدَّل، المهم أن هذا الاعتقاد غير صحيح، وهو أن يعتقد الحاج أنه إذا أحرم بثوب لا يجوز له خلعه حتى يحل من إحرامه.

٤- أن بعض الناس يضطبعون بالإحرام من حين الإحرام؛ أي من حين عقد النية. والاضطباع أن يخرج الإنسان كتفه الأيمن، ويجعل طرفي الرداء على كتفه الأيسر، فنرى كثيرًا من الحجاج وإن لم يكن أكثر الحجاج يضطبعون من حين أن يحرموا إلى أن يحلوا، وهذا خطأ؛ لأن الاضطباع إنما يكون في طواف القدوم فقط، ولا يكون في السعي ولا فيها قبل الطواف.

٥- هناك أيضًا خطأ زائد على ما قلت، فإنه لا يجب أن يصلي الإنسان ركعتين عند الإحرام، بل القول الراجح الذي ذهب إليه أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- أنه لا يسن للإحرام صلاةٌ خاصة؛ لأن ذلك لم يرد عن النبيﷺ، فإذا اغتسل الإنسان ولبس ثياب الإحرام أحرم بدون صلاة، إلا إذا كان وقت صلاة، مثل أن تكون صلاة الفريضة قد حان وقتها أو قرب وقتها وهو يريد أن يمكث في الميقات حتى يصلي، فهنا الأفضل أن يكون إحرامه بعد الصلاة، أما أن يتعمد صلاة معينة في الإحرام فإن القول الراجح: أنه ليس للإحرام الصلاة تخصه، هذا ما يحضرني الآن مما يخطئ فيه الناس عند الإحرام.

أخطاء في الإحرام بالحج يوم التروية

قال ابن عثيمين رحمه الله: نعم، هناك أخطاء في الإحرام في الحج يوم التروية، فمنها ما سبق ذكره من الأخطاء عند الإحرام بالعمرة.

قال: ومن الأخطاء في إحرام الحج أن بعض الناس يعتقد أنه يجب أن يحرم من المسجد الحرام فتجده يتكلف ويذهب إلى المسجد الحرام ليحرم منه، وهو ظن خطأ، فإن الإحرام من المسجد الحرام لا يجب، بل السُّنة أن يحرم بالحج من مكانه الذي هو نازل فيه؛ لأن الصحابة الذي حلوا من إحرام العمرة بأمر النبيﷺ ثم أحرموا بالحج يوم التروية، لم يأتوا إلى المسجد الحرام ليحرموا منه، بل أحرم كل إنسان منهم من موضعه وهذا في عهد النبي ﷺ فيكون هذا هو السُّنة. فالسُّنة للمحرم بالحج أن يكون إحرامه من المكان الذي

هو نازل فيه، سواء كان في مكة أو في منى، كما يفعله بعض الناس الآن، حيث يتقدمون إلى منى من أجل حماية الأمكنة لهم.

ومن الأخطاء أيضًا: أن بعض الحجاج يظن أنه لا يصح أن يحرم بثياب الإحرام التي أحرم بها في عمرته إلا أن يغسلها، وهذا ظن خطأ أيضًا؛ لأن ثياب الإحرام لا يشترط أن تكون جديدة ونظيفة.

صحيح أنه كلما كانت أنظف فهو أولى، وأما أنه لا يصح الإحرام بها؛ لأنه أحرم بها في العمرة فإنه ظن ليس بصواب، هذا ما يحضرني الآن بالنسبة للأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج في الإحرام بالحج.

أخطاء تقع في التلبية

قال ابن عثيمين رحمه الله: هناك أخطاء في الواقع تقع بعد الميقات، أو بعد الإحرام من الميقات، إلى الوصول إلى المسجد الحرام، وذلك في التلبية، فإن المشروع في التلبية أن يرفع الإنسان صوته بها؛ لأن النبي ﷺ قال: «**أتاني جبريل فأمرني أن اؤمر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال**»؛ يعني بالتلبية، ونرى أفواج الحجيج تمر بأعداد ضخمة لا نسمع أحدًا يلبي، فلا يكون للحج مظهر في ذكر الله -عز وجل- بل إنه تمر بك الأفواج وكأنهم لا ينطقون، والمشروع للرجال أن يرفعوا أصواتهم بقدر ما يستطيعون من غير مشقة في التلبية؛ لأن الصحابة ﷺ كانوا يفعلون هكذا في عهد النبي ﷺ امتثالًا لأمر النبي ﷺ، فذلك كما أشرنا إليه آنفًا.

وخطأ آخر في التلبية، أن بعض الحجاج يلبون بصوت جماعي فيتقدم واحد منهم ويكون في الوسط أو في الخلف ويلبي ثم يتبعونه بصوت واحد، وهذا لم يرد عن الصحابة ﷺ بل قال أنس بن مالك: كنا مع النبي ﷺ -يعني في حجة الوداع- فمنا المكبر ومنا المهلل ومنا الملبي، وهذا هو المشروع للمسلمين أن يلبي كل واحد بنفسه، وألا يكون له تعلق بغيره.

أخطاء تقع عند دخول الحرم

قال ابن عثيمين رحمه الله: من الأخطاء التي تكون من بعض الحجاج عند دخول المسجد الحرام:

أولًا: أن بعض الناس يظن أنه لا بد أن يدخل الحاج أو المعتمر من باب معين في المسجد الحرم، فيرى بعض الناس أنه لا بد أن يدخل إذا كان معتمرًا من الباب الذي يسمى باب العمرة، وأن هذا أمر لا بد منه أو أمر مشروع، ويرى آخرون أنه لا بد أن يدخل من (باب السلام) وأن الدخول من غيره يكون إثمًا أو مكروهًا، وهذا لا أصل له، فللحاج والمعتمر أن يدخل من أي باب كان، وإذا دخل المسجد فليقدم رجله اليمنى وليقل ما ورد في الدخول لسائر المساجد، فيسلم على النبي ﷺ، ويقول: «**اللهم اغفر ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك**»[1].

ثانيًا: أن بعض الناس يبتدع أدعية معينة عند دخول المسجد ورؤية البيت، يبتدع أدعية لم ترد عن النبي ﷺ فيدعو الله بها، وهذا من البدع، فإن التعبد لله تعالى بقول أو فعل أو اعتقاد لم يكن عليه النبي ﷺ وأصحابه، بدعة وضلالة، حذر منه رسول الله ﷺ.

ثالثًا: يخطئ بعض الناس حتى من غير الحجاج، حيث إنهم يعتقدون أن تحية المسجد الحرام الطوافُ، بمعنى أنه يسن لكل من دخل المسجد الحرام أن يطوف، اعتمادًا على قول بعض الفقهاء في أن سنة المسجد الحرام الطوافُ، والوقع أن الأمر ليس كذلك، فالمسجد الحرام كغيره من المساجد التي قال فيها رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين**»[2].

ولكن إذا دخلت المسجد الحرام للطواف سواء كان الطواف طواف نسك كطواف العمرة والحج أو كان طواف تطوع كالأطوفة في غير النسك فإنك يجزئك أن تطوف وإن لم تصلِّ ركعتين، هذا هو معنى قولنا: إن المسجد الحرام تحيته الطواف، وعلى هذا فإذا دخلت بغير نية الطواف، ولكن لانتظار الصلاة، أو لحضوك مجلس علم أو ما أشبه ذلك

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٢١٣) وصححه الألباني.

(٢) البخاري (٤٢٥) مسلم (١١٦٦).

فإن المسجد الحرام كغيره؛ يسن فيه أن تصلى ركعتين قبل أن تجلس؛ لأمر النبيﷺ في ذلك.

هذا الذي يحضرني الآن فيما يخطئ فيه الناس عند دخول المسجد الحرام.

أخطاء تقع في الطواف

قال ابن عثيمين رحمه الله: في الطواف أيضًا أخطاء كثيرة تقع من بعض الحجاج أو غير الحجاج، ومنها:

١- النطق بالنية عند إرادة الطواف، نجد الحاج يقف مستقبلا الحجر إذا أراد الطواف، فيقول: اللهم إني نويت أن أطوف سبعة أشواط للعمرة، أو: اللهم إني نويت أن أطوف سبعة أشواط للحج، أو إني نويت أن أطوف سبعة أشواط تقرُّبًا لك.

والتلفظ بالنية بدعة؛ لأن الرسولﷺ لم يفعله، ولم يأمر أمته به، وكل من تعبد لله بأمر لم يتعبد به رسول اللهﷺ ولم يأمر أمته به فقد ابتدع في دين الله ما ليس منه، فالتلفظ بالنية عند الطواف خطأ وبدعة، وكما أنه خطأ من ناحية الشرع فهو خطأ من ناحية العقل، فما الداعي إلى أن تتلفظ بالنية مع أن النية بينك وبين ربك، والله سبحانه وتعالى عالم بما في الصدور، وعالم بأنك سوف تطوف هذا الطواف، وإن كان الله سبحانه وتعالى عالمًا بذلك، فلا حاجة أن تظهر هذا لعباد الله.

٢- بعض الطائفين يزاحم مزاحمةً شديدةً عند استلام الحجر والركن اليماني مزاحمة يتأذى بها ويؤذي غيره، مزاحمة قد تكون مع امرأة، وربما ينزغه من الشيطان نزغ فتحصل في قلبه شهوة عندما يزاحم هذه المرأة في هذا المقام الضنك، والإنسان بشر قد تستولي عليه النفس الأمارة بالسوء، فيقع في هذا الأمر المنكر، تحت بيت الله عز وجل، وهذا أمر يكبر ويعظم باعتبار مكانه، كما أنه فتنة في أي مكان كان، والمزاحمة الشديدة عند استلام الحجر أو الركن اليماني ليست بمشروعة، بل إن تيسَّر لك بهدوء فذلك المطلوب، وإن لم يتيسَّر فإنك تشير إلى الحجر الأسود.

أما الركن اليماني فلم يرد عن النبيﷺ أنه أشار إليه، ولا يمكن قياسه على الحجر

الأسود؛ لأن الحجر الأسود أعظم منه، والحجر الأسود ثبت عن النبيﷺ أنه أشار إليه.

والمزاحمة كما أنها غير مشروعة في هذه الحال، وكما أنه يخشى من الفتنة فيها إذا كان الزحام مع امرأة، فهي أيضًا تحدث تشويشًا في القلب والفكر؛ لأن الإنسان لا بد عند المزاحمة من أن يسمع كلامًا يكرهه، فتجده يشعر بامتعاض وغضب على نفسه إذا فارق هذا المحل.

والذي ينبغي للطائف أن يكون دائمًا في هدوء وطمأنينة من أجل أن يستحضر ما هو متلبس به من طاعة الله.

٣- بعض الناس يظنون أن الطواف لا يصحُّ إلا بتقبيل الحجر، وأن تقبيل الحجر شرط لصحة الطواف ولصحة الحج أيضًا أو العمرة، وهذا ظنٌ خطأٌ، وتقبيل الحجر سنةٌ، وليست سنة مستقلة أيضًا، بل هي سنة للطائف، ولا أعلم أن تقبيل الحجر يسنُّ في غير الطواف، وعلى هذا فإذا كان تقبيل الحجر سنة وليس بواجب ولا بشرط فإن من لم يقبل الحجر لا نقول إن طوافه غير صحيح أو أن طوافه ناقص نقصًا يأثم به، بل طوافه صحيح.

بل نقول: إنه إذا كان هناك مزاحمة شديدة فإن الإشارة أفضل من الاستلام؛ لأنه هو العمل الذي فعله الرسولﷺ عند الزحام، ولأن الإنسان يتقي به أذى يكون منه لغيره، أو يكون من غيره له.

سؤال: لو سألنا سائل، وقال: إن المطاف مزدحم، فما ترون؟ هل الأفضل أن أزاحم، فأستلم الحجر وأُقَبِّله، أم الأفضل أن أشير إليه؟

والجواب: قلنا: الأفضل أن تشير إليه؛ لأن السنة هكذا جاءت عن رسول الله ﷺ وخير الهدي هدي رسول اللهﷺ.

٤- تقبيل الركن اليماني، وتقبيل الركن اليماني لم يرد عن رسول اللهﷺ، والعبادة إذا لم تثبت عن رسول الله ﷺ فهي بدعة وليست بقربة، وعلى هذا فلا يشرع للإنسان أن يقبل الركن اليماني؛ لأن ذلك لم يثبت عن رسول اللهﷺ، وإنما ورد فيه حديث ضعيف لا تقوم

به الحجة[١]. وكذلك أيضًا: نجد بعض الناس عندما يمسح الحجر الأسود أو الركن اليماني يمسحه بيده اليسرى كالمتهاون به، وهذا خطأ، فإن اليد اليمنى أشرف من اليد اليسرى، واليد اليسرى لا تقدم إلا للأذى؛ كالاستنجاء بها والاستجمار بها والامتخاط بها وما أشبه ذلك، وأما مواضع التقبيل والاحترام فإنه يكون باليد اليمنى.

٥- من الأخطاء التي يرتكبها بعض الطائفين أنهم يظنون أن استلام الحجر والركن اليماني للتبرك لا للتعبد، فيتمتعون به تبركًا، وهذا لا شك خلاف ما قصد به، فإن المقصود بالتمسح بالحجر الأسود أو مسحه وتقبيله تعظيم الله عز وجل؛ ولهذا كان النبيﷺ إذا استلم الحجر قال: «الله أكبر» إشارة إلى أن المقصود بهذا التعظيم الله، وليس المقصود بهذا التبرك بمسح هذا الحجر.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطابﷺ: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول اللهﷺ يُقبِّلُك ما قبَّلتُك[٢].

٦- وننتقل من هذا الخطأ إلى خطأ يقع في المدينة المنورة عند حجرة قبر الرسولﷺ حيث كان بعض العامة يتمسحون بالشبَّاك الذي على الحجرة، ويمسحون بأيديهم وجوههم ورءوسهم وصدورهم، اعتقادًا منهم أن في هذا بركة، وكل هذه الأمور وأمثالها مما لا شرعية فيه، بل هو بدعة، ولا ينفع صاحبه بشيء، ولكن إن كان صاحبه جاهلًا ولم يطرأ على باله أنه من البدع فيرجى أن يعفى عنه، وإن كان عالمًا أو متهاونًا لم يَسأل عن دينه، فإنه يكون آثمًا، فالناس في هذه الأمور التي يفعلونها إما جاهل جهلًا مطبقًا لا يطرأ بباله أن هذا محرم، فهذا يرجى ألا يكون عليه شيء، وإما عالم متعمد ليضل ويضل الناس فهذا آثم بلا شك وعليه إثم من اتبعه واقتدى به، وإما رجل جاهل ومتهاون في سؤال أهل العلم فيخشى أن يكون آثمًا بتفريطه وعدم سؤاله.

٧- الرمل في جميع الأشواط، إذ إن المشروع أن يكون الرمل في الأشواط الأولى

---

(١) ضعيف، ابن خزيمة (٢٧٢٧) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٣٣٧).

(٢) البخاري (١٤٩٤) ومسلم (٢٢٣٠).

الثلاثة فقط؛ لأن النبي ﷺ إنما رمل هو وأصحابه في الأشواط الثلاثة الأولى فقط، وأما الأربعة الباقية فيمشي على ما هو عليه عادته، وكذلك الرمل لا يكن إلا للرجال، وفي الطواف أول ما يقدم إلى مكة، سواء كان ذلك طواف قدوم أو طواف عمرة.

٨- ومن الأخطاء أيضًا أن بعض الناس يخصص كل شوط بدعاء معيَّن، وهذا من البدع التي لم ترد عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فلم يكن النبي ﷺ يخص كل شوط بدعاء، ولا أصحابه أيضًا، غاية ما في ذلك أنه ﷺ كان يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وتزداد هذه البدع خطأ إذا حمل الطائف كتيبًا فيه لكل شوطٍ دعاء وهو يقرأ هذه الكتب ولا يدري ماذا يقول، إما لكونه جاهلًا باللغة العربية ولا يدري ما المعنى، وإما لكونه عربيًّا ينطق باللغة العربية؛ ولكنه لا يدري ما يقول، حتى إننا نسمع بعضهم يدعو بأدعية هي في الواقع محرفة تحريفًا بينًا، من ذلك أننا سمعنا من يقول: (اللهم اغنني بجلالك عن حرامك) والصواب (بحلالك عن حرامك). ومن ذلك أننا نشاهد بعض الناس يقرأ هذا الكتيب، فإذا انتهى دعاء الشوط وقف ولم يدعُ بقية شوطه، وإذا كان المطاف خفيفًا وانتهى الشوط قبل انتهاء الدعاء قطع الدعاء.

ودواء ذلك أن نبين للحجاج بأن الإنسان في الطواف يدعو بما شاء وبما أحب، ويذكر الله تعالى بما شاء، فإذا بُيِّن للناس هذا زال الإشكال.

٩- ومن الخطأ أيضًا وهو خطأ عظيم جدًّا، أن بعض الناس يدخل في الطواف من باب الحِجر أي: الحجر الذي على شمال الكعبة، يدخل من باب الحجر ويخرج من الباب الثاني، من أيام الزحام، يرى أن هذا أقرب وأسهل وهذا خطأ عظيم؛ لأن الذي يفعل ذلك لا يعتبر طائفًا بالبيت، والله تعالى يقول: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩]، والنبي ﷺ طاف بالبيت من وراء الحجر، فإذا طاف الإنسان من داخل الحِجر فإنه لا يعتبر طائفًا بالبيت، فلا يصح طوافه. لا سيما إذا كان الطواف ركنًا كطواف العمرة وطواف الإفاضة.

ودواء ذلك أن نبين للحجاج أنه لا يصح الطواف إلا بجميع البيت ومنه الحِجر.

مفهومٌ خطأٌ

إن كثيرًا من الناس يطلقون على هذا الحِجر اسم (حِجر إسماعيل)، والحقيقة أن إسماعيل لا يعلم به، وأنه ليس حجرًا له، وإنما هذا الحجر حصل حين قصرت النفقة على قريش حين أرادوا بناء الكعبة، فلم تكفِ النفقة لبناء الكعبة على قواعد إبراهيم، فحطموا منها هذا الجانب، وحجروه بهذا الجدار وسمي حطيمًا وحِجرًا، وإلا فليس لإسماعيل فيه أي علم أو أي عمل.

١٠- ومن الأخطاء أيضًا: أن بعض الناس لا يلتزم بجعل الكعبة عن يساره، فنجده يطوف ومعه نساؤه ويكون قد وضع يده مع يد زميله لحماية النساء، فنجده يطوف والكعبة خلف ظهره، وزميله الآخر يطوف والكعبة بين يديه، وهذا خطأ عظيم أيضًا؛ لأن أهل العلم يقولون: من شروط صحة الطواف أن يجعل الكعبة عن يساره، فإذا جعلها خلف ظهره أو جعلها أمامه أو جعلها يمينه وعكّس الطواف فكل هذا الطواف لا يصح، والواجب على الإنسان أن يعتني بهذا الأمر وأن يحرص على أن تكون الكعبة عن يساره في جميع طوافه. ومن الناس من يتكيف في طوافه حال الزحام، فيجعل الكعبة خلف ظهره أو أمامه لبضع خطوات من أجل الزحام، وهذا خطأ.

١١- ومن الأخطاء في الطواف أيضًا أن بعض الطائفين يستلم جميع أركان الكعبة الأربعة: الحجر الأسود، والركن اليماني، والركن الشامي، والركن العراقي، يزعمون بذلك أنهم يعظِّمون بيت الله -عز وجل- بل من الناس من يتعلق بأستار الكعبة من جميع الجوانب، وهذا أيضًا من الخطأ؛ وذلك لأن المشروع استلام الحجر الأسود وتقبيله إن أمكن وإلا فالإشارة إليه.

أما الركن اليماني فالمشروع استلامه دون تقبيل إن تيسر، وإن لم يتيسر فلا يُشِر إليه أيضًا؛ لأنه لم يرد عن النبي ﷺ.

أما استلام الركن العراقي وهو أول ركن بعد الحجر الأسود، والشامي وهو الركن الذي يليه -فهذا من البدع، وقد أنكر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه استلام جميع الأركان، وقال له: لقد رأيت رسول الله ﷺ يستلم الركنين اليمانيين، وقد كان

لكم في رسول الله أسوة حسنة، وقال معاوية ﷺ: صدقت. ورجع إلى قول ابن عباس بعد أن كان ﷺ يستلم الأركان الأربعة، ويقول: ليس شيء من البيت مهجورًا[١].

١٢- ومن الأخطاء في الطواف: رفع الصوت بالدعاء، فإن بعض الطائفين يرفع صوته بالدعاء رفعًا مزعجًا يذهب الخشوع، ويسقط هيبة البيت، ويشوش على الطائفين، والتشويش على الناس في عباداتهم أمر منكر، فقد خرج النبي ﷺ على أصحابه ذات ليلة وهم يقرءون ويجهرون بالقراءة في صلاتهم، فأخبرهم -عليه الصلاة والسلام- بأن كل مصلٍّ يناجي ربه، ونهاهم أن يجهر بعضهم على بعض في القراءة، وقال: «**لا يؤذين بعضكم بعضًا**»[٢].

١٣- ومن الأخطاء العظيمة في الطواف: أن بعض الناس يبتدئ من عند باب الكعبة لا يبتدئ من الحجر الأسود، والذي يبتدئ من عند باب الكعبة ويتم طوافه على هذا الأساس لا يعتبر متمًا للطواف؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩] وقد بدأ النبي ﷺ من الحجر الأسود، وقال: «**لتأخذوا عني مناسككم**»[٣].

أخطاء في ركعتي الطواف

قال ابن عثيمين رحمه الله: نبدأ بالأخطاء في ركعتي الطواف

١- فمن الأخطاء أن بعض الناس يظنون أن هاتين الركعتين لا بد أن تكونا خلف المقام وقريبًا منه أيضًا؛ ولهذا تجدهم يزاحمون زحامًا شديدًا يؤذون الطائفين وهم ليس لهم حق في هذا المكان؛ لأن الطائفين أحقُّ به منهم مادام المطاف مزدحمًا؛ لأن الطائفين ليس لهم مكان سوى هذا، وأما المصلون للركعتين بعد الطواف فلهم مكان آخر.

المهم أننا نجد بعضا الناس -نسأل الله لنا ولهم الهداية- يتحلقون خلف المقام،

---

(١) البخاري (١٦٧٩) ومسلم (١٢٩١).

(٢) أبو داود (١١٣٥) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٢٠٣).

(٣) سبق تخريجه.

ويشغلون مكانًا كبيرًا واسعًا من أجل رجل واحد أو امرأة واحدة تصلي خلف المقام، ويحصل في ذلك من قطع الطواف للطائفين وازدحامهم؛ لأنهم يأتون من مكان واسع، ثم يضيق بهم المكان هنا من أجل هذه الحلقة التي تحلَّق بها هؤلاء، فيحصل بذلك ضنك وضيق وربما حصل مضاربة ومشاتمة وهذا كله إيذاء لعباد الله -عز وجل- وتحجر لمكان غيرهم به أولى.

وهذا الفعل لا يشك عاقل عرف مصادر الشريعة ومواردها أنه محرَّم وأنه لا يجوز؛ لما فيه من إيذاء للمسلمين وتعريض طواف الطائفين للفساد أحيانًا؛ لأن الطائفين أحيانًا باشتباكهم مع هؤلاء يجعلون البيت إما خلفهم وإما أمامهم، مما يخل بشرط من شروط الطواف، فالخطأ هنا أن بعض الناس يعتقد أنه لا بد أن تكون الركعتان تجزيان خلف المقام وقريبًا منه.

والأمر ليس كما ظن هؤلاء، فالركعتان تجزيان في كل مكان من المسجد، ويمكن للإنسان أن يجعل المقام بينه وبين البيت؛ أي بينه وبين الكعبة ولو كان بعيدًا منه، ويكون بذلك قد حقق السُّنة من غير إيذاء الطائفين ولا غيرهم.

٢- ومن الأخطاء في هاتين الركعتين أن بعض الناس يطولهما ويطيل القراءة فيهما، ويطيل الركوع والسجود، والقيام، والقعود، وهذا مخالف للسُّنة، فإن النبي ﷺ كان يخفف هاتين الركعتين، ويقرأ في الأولى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ وفي الثانية: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، وينصرف من حين أن يسلِّم تشريعًا للأمة، ولئلا يحجر المكان عمن هو أحق منه، فإن هذا المكان إنما يكون للذين يصلون الركعتين خلفه بعد الطواف أو للطائفين إن ازدحم المطاف؛ ولهذا يخطئ بعض الناس الذين يطيلون الركعتين خلف المقام لمخالفتهم للسُّنة، وللتضييق على إخوانهم من الطائفين، إذا كان الطواف مزدحمًا، ولاحتجاز المكان الذي غيرهم أولى به، ممن أتموا طوافهم ويريدون أن يصلوا ركعتين خلف المقام.

٣- ومن الأخطاء أيضًا في هاتين الركعتين أن بعض الناس إذا أتمهما جعل يدعو يرفع يديه ويدعو دعاء طويلًا، والدعاء بعد الركعتين هنا ليس بمشروع؛ لأن رسول الله ﷺ لم يفعله، ولا أرشد أمته إليه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، فلا ينبغي للإنسان أن يبقى بعد الركعتين يدعو؛ لأن ذلك خلاف السُّنة؛ ولأنه يؤذي الطائفين إذا كان الطواف

مزدحمًا؛ ولأنه يحجز مكانًا غَيرُه أولى به ممن أتموا الطواف وأرادوا أن يصلوا في هذا المكان.

٤- ومن البدع -أيضًا- ما يفعله بعض الناس، حيث يقوم عند مقام إبراهيم ويدعو دعاء طويلًا يسمى دعاء المقام، وهذا الدعاء لا أصل له أبدًا في سُنة الرسول ﷺ فهو من البدع التي ينهى عنها، وفيه مع كونه بدعة -وكل بدعة ضلالة- أن بعض الناس يمسك كتابًا فيه هذا الدعاء، ويبدأ يدعو بصوت مرتفع ويؤمن من خلفه، وهذا بدعة إلى بدعة. وفيه أيضًا تشويش على المصلين حول المقام، والتشويش على المصلين سبق أن رسول الله ﷺ نهى عنه. وكل هذه الأخطاء -التي ذكرناها في الركعتين وبعدهما- تصويبها أن الإنسان يتمشى في ذلك على هدي رسول الله ﷺ، فإن خير الهدي هدي محمد ﷺ، فإذا تمشينا عليه زالت عنا هذه الأخطاء كلها[١].

أخطاء في الطريق إلى المسعى

قال ابن عثيمين رحمه الله: أما بالنسبة للأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج في المسعى فيحضرني منها الأخطاء التالية:

الأول: النطق بالنية، فإن بعض الحجاج إذا أقبل على الصفا قال: إني نويت أن أسعى سبعة أشواط لله تعالى، ويعين النسك الذي يسعى فيه، يقول ذلك أحيانًا إذا أقبل على الصفا، وأحيانًا إذا صعد على الصفا، وقد سبق أن النطق بالنية من البدع؛ لأن الرسول ﷺ لم ينطق بالنية لا سرًا ولا جهرًا، وقد قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال النبي ﷺ: «إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ»[٢].

الخطأ الثاني: أن بعض الناس إذا صعد الصفا واستقبل القبلة جعل يرفع يديه ويشير بهما كما يفعل ذلك في تكبيرات الصلاة (صلاة الجنازة) أو عند تكبيرات الإحرام، والركوع والرفع منه، أو القيام من التشهد الأول، يرفع هكذا إلى حدود المنكبين ويشير،

---

(١) البخاري (١٦٧٩) ومسلم (١٢٩١).

(٢) البخاري (٦٧٣٥)، ومسلم (١٤٣٥).

وهذا خطأ، فإن الوارد عن النبي ﷺ في ذلك: «رفع يديه وجعل يدعو»، وهذا يدل على أن رفع اليدين هنا رفع دعاء وليس رفعًا كرفع التكبير، وعليه فينبغي للإنسان إذا صعد الصفا أن يتجه إلى القبلة ويرفع يديه للدعاء، ويأتي بالذكر الوارد عن رسول الله ﷺ في هذا المقام ويدعو كما ورد عن رسول الله ﷺ.

الخطأ الثالث: أن بعض الحجاج يمشي بين الصفا والمروة مشيًا واحدًا مشيه المعتاد، ولا يلتفت إلى السعي الشديد بين العلمين الأخضرين، وهذا خلاف السُّنة، فإن رسول الله ﷺ كان يسعى سعيًا شديدًا في هذا المكان، أعني في المكان الذي بين العلمين الأخضرين، وهما إلى الصفا أقرب منهما إلى المروة.

فالمشروع للإنسان إذا وصل إلى العلم الأخضر الأول الذي يلي الصفا أن يسعى سعيًا شديدًا بقدر ما يتحمله، بشرط أن لا يتأذى ولا يؤذي أحدًا بذلك، وهذا إنما يكون حينما يكون المسعى خفيفًا، فيمشي بين هذين العلمين، ثم يمشي إلى المروة مشية المعتاد، هذه هي السُّنَّة.

الخطأ الرابع: على العكس من ذلك، فإن بعض الناس إذا كان يسعى تجده يرمل في جميع السعي من الصفا إلى المروة ومن المروة إلى الصفا، فيحصل من ذلك مفسدتان أو أكثر.

المفسدة الأولى: مخالفة السُّنَّة.

المفسدة الثانية: الإشقاق على نفسه، فإن بعض الناس يجد مشقة شديدة في هذا العمل؛ لكنه يتحمل بناء على اعتقاده أن ذلك هو السُّنَّة، فتجده يرمل من الصفا إلى المروة ومن المروة إلى الصفا، وهكذا حتى يُنهي سعيه، ومن الناس من يفعل ذلك لا تحريًا للخير، ولكنه حبًّا للعجلة وإنهاء للسعي بسرعة، وهذا شر ممن قبله؛ لأن هذا ينبئ عن تبرم الإنسان بالعبادة بسرعة، وملله منها وحبه للفرار منها.

والذي ينبغي للمسلم أن يكون قلبه مطمئنًا، وصدره منشرحًا بالعبادة، يجب أن يتأنى فيها على الوجه المشروع الذي جاءت به سُنَّة الرسول ﷺ، أما أن يفعلها وكأنه يريد الفرار منها فهذا دليل على نقص إيمانه وعدم اطمئنانه بالعبادة.

والمفسدة الثالثة من الرمل في جميع أشواط السعي أنه يؤذي الساعين، فأحيانًا يصطدم بهم ويؤذيهم، وأحيانًا يكون مضيقًا عليهم ومزاحمًا لهم؛ فيتأذون بذلك.

الخطأ الخامس: أن بعض الناس يتلو قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨] في كل شوط، كلما أقبل على الصفا، وكلما أقبل على المروة، هذا خلاف السُّنَّة، فإن السُّنَّة الواردة عن رسول الله ﷺ في تلاوة هذه الآية أنه تلاها حين دنا من الصفا بعد أن أتم الطواف وركعتي الطواف وخرج إلى المسعى، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾، «أبدأ بما بدأ الله به»(١)، إشارة منه ﷺ إلى أنه إنما جاء ليسعى؛ لأن هذا من شعائر الله -عز وجل- وأنه إنما بدأ من الصفا؛ لأن الله تعالى بدأ به، فتكون تلاوة هذه الآية مشروعة منذ ابتداء المسعى إذا دنا من الصفا، وليست مشروعة كلما دنا من الصفا في كل شوط، ولا كلما دنا من المروة، وإذا لم تكن مشروعة فلا ينبغي للإنسان أن يأتي بها إلا في الموضع الذي أتى بها فيه رسول الله ﷺ.

الخطأ السادس: أن بعض الذين يسعون يخصصون كل شوط بدعاء معين، وقد سبق أن قلتُ أن هذا من البدع، وأن النبي ﷺ لم يكن يخصص كل شوط بدعاء معين، لا في الطواف ولا في السعي أيضًا، وإذا كان هذا من البدع فإن رسول الله ﷺ قال: «كل بدعة ضلالة»(٢)، وعليه فاللائق بالمؤمن أن يدع هذه الأدعية، وأن يشتغل بالدعاء الذي يرغبه ويريده، يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة، ويذكر الله، ويقرأ القرآن، وما أشبه ذلك من الأقوال المقرِّبة إلى الله سبحانه وتعالى.

الخطأ السابع: الدعاء من كتاب لا يعرف معناه، فإن كثيرًا من الكتب التي بأيدي الناس لا يعرف معناها بالنسبة لحاملها، وكأنهم يقرءونها تعبدًا لله تعالى بتلاوة ألفاظها؛ لأنهم لا يعرفون المعنى، ولاسيما إذا كانوا غير عالمين باللغة العربية، وهذا من الخطأ أن تدعوا الله -سبحانه وتعالى- بدعاء لا تعرف معناه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

والمشروع أن تدعو الله -سبحانه وتعالى- بدعاء تعرف معناه وترجو حصوله من الله -عز وجل- وعليه فالدعاء بما تريده أنت -بالصيغة التي تريدها ولا تخالف الشرع- أفضل بكثير من الدعاء بهذه الأدعية التي لا تعرف معناها.

وكيف يمكن لشخص أن يسأل الله تعالى شيئًا وهو لا يدري ما ذا يسأله؟! وهل هذا إلا من إضاعة الوقت والجهل، ولو شئت لقلت: إن هذا من سوء الأدب مع الله -عز وجل- أن تدعو الله -سبحانه وتعالى- بأمر لا تدري ما تريد منه.

الخطأ الثامن: البدء بالمروة، فإن بعض الناس بدأ بالمروة جهلًا منه، يظن أن الأمر سواء فيما إذا بدأ بالصفا أو بدأ بالمروة، أو يسوقه تيار الخارجين من المسجد حتى يكون أقرب إليه من الصفا فيبدأ بالمروة جهلًا منه.

وإذا بدأ الساعي بالمروة فإنه يلغي منها الشوط الأول، فلو فرضنا أنه بدأ بالمروة فأتم سبعة أشواط فإنه لا يصح منها إلا ستة أشواط؛ لأن الشوط الأول يكون لاغيًا.

وقد أشار النبي ﷺ إلى وجوب البداءة بالصفا حيث قال: «أبدأ بما بدأ الله به».

الخطأ التاسع: أن بعض الناس يعتبر الشوط الواحد من الصفا إلى الصفا، يظن أنه لابد من إتمام دورة كاملة، كما يكون في الطواف من الحِجر إلى الحجر، فيبدأ بالصفا وينتهي بالمروة ويجعل هذا نصف الشوط لا كله، فإذا رجع من المروة إلى الصفا اعتبر هذا شوطًا واحدًا، وعلى هذا فيكون سعيه أربعة عشر شوطًا، وهذا أيضًا خطر عظيم وضلال بيِّن، فإن رسول الله ﷺ سعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط؛ لكنه ابتدأ بالصفا واختتم بالمروة، وجعل الذهاب من الصفا إلى المروة شوطًا، والرجوع من المروة إلى الصفا شوطًا آخر، وهذا الذي يقع من بعض الحجاج إنما يكون جهلًا منهم بالسُّنة وتفريطًا منهم في عدم التعلم.

الخطأ العاشر: السعي في غير النسك، يعني أن بعض الناس يتعبد لله تعالى بالسعي بين الصفا والمروة في غير نسك؛ أي في غير حج ولا عمرة.

يظن أن التطوع بالسعي مشروع، كالتطوع بالطواف، وهذا أيضًا خطأ، والذي يدلنا على هذا أنك تجد بعض الناس في زمن العمرة -أي غير زمن الحج- يسعى بين الصفا

والمروة بغير أن يكون عليه ثياب الإحرام، مما يدل على أنه مُحِلٌّ، فإذا سألته لماذا تفعل ذلك؟ قال: لأني أتعبد لله -عز وجل- بالسعي كما أتعبد بالطواف، وهذا جهل مركَّب، جهل مركَّب؛ لأنه صار جاهلًا بحكم الله -عز وجل- وجاهلًا بحاله، حيث يظن أنه عالم وليس هو بعالم، أما إذا كان السعي في زمن الحج بعد الوقوف بعرفة فيمكن أن يسعى الإنسان وعليه ثيابه المعتادة؛ لأنه يتحلل برمي جمرة العقبة يوم العيد وبالحلق أو التقصير، ثم يلبس ثيابه ويأتي إلى مكة ليطوف ويسعى بثيابه المعتادة.

الخطأ الحادي عشر: التهاون بالسعي على العربة بدون عذر، فإن بعض الناس يتهاون بذلك ويسعى على العربة بدون عذر، مع أن كثيرًا من أهل العلم قالوا: إن السعي راكبًا لا يصح إلا لعذر. وهذه المسألة مسألة خلاف بين العلماء؛ أي هل يشترط في السعي أن يكون ماشيًا إلا من عذر أو لا يشترط؟ ولكن الإنسان ينبغي أن يحتاط لدينه، وأن يسعى ماشيًا ما دام قادرًا، فإن عجز فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، قال النبي ﷺ لأم سلمة حين قالت: إني أريد أن أطوف، وأجدني شاكية. قال: «**طوفي من وراء الناس وأنت راكبة**»[1]، فأذن لها بالركوب في الطواف؛ لأنها مريضة، وهكذا نقول في السعي: إن الإنسان إذا كان لا يستطيع أو يشق عليه مشقة تتعبه فلا حرج عليه أن يسعى على العربة، هذا ما يحضرني الآن من الأخطاء في المسعى.

أخطاء تقع في الحلق والتقصير

قال ابن عثيمين رحمه الله: في الحلق والتقصير في العمرة يحصل أخطاء

١- منها أن بعض الناس يحلق رأسه حلقًا تامًّا بالموسى ويبقي البقية، وقد شاهدت ذلك بعيني، فقد شاهدت رجلًا يسعى بين الصفا والمروة حلق نصف رأسه تمامًا وأبقى بقية شعره، وهو شعر كثيف أيضًا بيِّن، فأمسكت به وقلت له: لماذا صنعت هذا؟ فقال: صنعت هذا لأني أريد أن أعتمر مرتين، فحلقت نصفه للمرة الأولى، وأبقيت نصفه لعمرتي هذه، وهذا جهل وضلال لم يقل به أحد من أهل العلم.

---

(١) متفق عليه.

٢- ومن الخطأ أيضًا أن بعض الناس إذا أراد أن يتحلل من العمرة قصر شعيرات قليلة من رأسه ومن جهة واحدة، وهذا خلاف ظاهر الآية الكريمة، فإن الله تعالى يقول: ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧]، فلا بد أن يكون للتقصير أثر بيِّن على الرأس، ومن المعلوم أن قص شعرة أو شعرتين أو ثلاث شعرات لا يؤثر ولا يظهر على المعتمر أنه قصَّر، فيكون مخالفًا لظاهر الآية الكريمة.

ودواء هذين الخطأين أن يحلق الرأس إذا أراد حلقه، وأن يقصر من جميع الرأس إذا أراد تقصيره، ولا يقتصر على شعرة أو شعرتين.

٣- خطأ ثالث، وذلك أنه إذا فرغ من السعي ولم يجد حلاقًا يحلق عنده أو يقصر ذهب إلى بيته فتحلل ولبس ثيابه، ثم حلق أو قصر بعد ذلك، وهذا خطأ عظيم؛ لأن الإنسان لا يحل من العمرة إلا بالحلق أو التقصير؛ لقول النبي ﷺ حين أمر أصحابه في حجة الوداع، أمر من لم يسق الهدي أن يجعلها عمرة، قال: «فليقصِّر ثم ليحلل»[1].

وهذا يدل على أنه لا يحل إلا بعد التقصير، وعلى هذا فإن فرغ الحاج من السعي، ولم يجد حلاقًا أو أحدًا يقصر رأسه فليبقَ على إحرامه حتى يحلق أو يقصر، ولا يحل له أن يتحلل قبل، فلو قدر أن شخصا فعل هذا جاهلا بأن يحلق أو يُقصِّر ظنا منه أن ذلك جائز، فإن ذلك لا حرج عليه لجهله، ولكن يجب عليه حين يعلم أن يخلع ثيابه ويلبس الإحرام؛ لأنه لا يجوز التمادي في الحل مع علمه بأنه لم يحل ثم إذا حلق أو قصر تحلل.

هذا ما يحضرني الآن من الأخطاء في الحلق والتقصير[2].

أخطاء تقع في منىٰ

١ - من الأخطاء التي تكون في الذهاب إلى منى ما سبق ذكره من الخطأ في التلبية، حيث إن بعض الناس لا يجهرون بالتلبية مع مشروعية الجهر بها، فتمر بك أفواج الحجاج ولا تكاد تسمع أحدًا يلبي، وهذا خلاف السُّنة وخلاف ما أمر به النبي ﷺ أصحابه.

---

(١) البخاري (١٥٤١)، ومسلم (٢١٥٩).

(٢) فقه العبادات (٢٩٦-٣٠٤).

٢- ومن ذلك أيضًا أن بعض الحجاج يذهب رأسًا إلى عرفة ولا يبيت في منى، وهذا وإن كان جائزًا -لأن المبيت في منى ليس بواجب- لكن الأفضل للإنسان أن يتَّبع السنة التي جاء بها الرسول ﷺ بحيث ينزل من منى ضحى اليوم الثامن وإلى أن تطلع الشمس من اليوم التاسع، فإن رسول الله ﷺ فعل ذلك، وقال: «**لتأخذوا عني مناسككم**»[1] لكنه لو تقدم إلى عرفة ولم يبت في منى ليلة التاسع فلا حرج عليه؛ لحديث عروة بن المضرس أنه أتى إلى النبي ﷺ في صلاة الفجر يوم العيد في مزدلفة، وقال: يا رسول الله أكلت راحلتي وأتعبت نفسي فلم أرَ جبلًا إلا وقفت عنده، يعني فهل لي من حج؟ فقال النبي ﷺ: «**من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا حتى ندفع -وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلًا أو نهارًا- فقد تم حجه وقضى تفثه**»[2]، ولم يذكر النبي ﷺ المبيت بمنى ليلة التاسع، وهذا يدل على أنه ليس بواجب.

٣- ومن الخطأ في بقاء الناس في منى في اليوم الثامن أن بعض الناس يقصر ويجمع في منى، فيجمع الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وهذا خلاف السُّنة، فإن المشروع للناس في منى أن يقصروا الصلاة بدون جمع، هكذا جاءت السُّنة عن رسول الله ﷺ، وإن كان الجمع جائزًا؛ لأنه في سفر والمسافر يجوز له الجمع حالًا وسائرًا؛ لكن الأفضل لمن كان حالًا ونازلًا من المسافرين، الأفضل ألا يجمع إلا لسبب، ولا سبب يقتضي الجمع في منى؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ لا يجمع في منى، ولكن يقصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين، يصلي الظهر ركعتين في وقتها والعصر ركعتين في وقتها والمغرب ثلاثًا والعشاء ركعتين في وقتها، والفجر في وقتها.

أخطاء في الذهاب إلى عرفة

من الأخطاء في الذهاب إلى عرفة أن جميع الحجاج يمرون بك ولا تسمعهم يلبون، فلا يجهرون بالتلبية في مسيرهم في منى إلى عرفة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه لم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة في يوم العيد[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٢١).

(٣) البخاري (١٦٧٩) ومسلم (١٢٩١).

أخطاء في الوقوف بعرفة

قال ابن عثيمين رحمه الله: من الأخطاء العظيمة الخطيرة في الوقوف بعرفة

١- أن بعض الحجاج ينزلون قبل أن يصلوا في عرفة، ويبقون في منزلهم حتى تزول الشمس، ويمكثون هناك إلى قرب أن تغرب الشمس، ثم ينطلقون منه إلى مزدلفة، وهؤلاء الذين وقفوا هذا الموقف ليس لهم حج؛ لقول النبي ﷺ: «**الحج عرفة**»[1]. فمن لم يقف بعرفة في المكان الذي هو منها وفي الزمان الذي عُيِّنَ للوقوف بها، فإن حجه لا يصح؛ للحديث الذي أشرنا إليه.

٢- ومن الأخطاء في الوقوف بعرفة أن بعض الناس إذا اشتغلوا بالدعاء في آخر النهار تجدهم يتجهون إلى الجبل الذي وقف عنده رسول الله ﷺ مع أن القبلة تكون خلف ظهورهم أو عن أيمانهم أو عن شمائلهم، وهذا أيضًا جهل وخطأ؛ فإن المشروع في الدعاء يوم عرفة أن يكون الإنسان مستقبل القبلة، سواء كان الجبل أمامه أو خلفه أو عن يمينه أو عن شماله، وإنما استقبل النبي ﷺ الجبل؛ لأن موقفه كان خلف الجبل، فكان ﷺ مستقبل القبلة وإذا كان الجبل بينه وبين القبلة فبالضرورة سيكون مستقبلًا له.

٣- ومن الأخطاء التي يرتكبها الحجاج في يوم عرفة أن بعضهم يظن أنه لا بد أن يذهب الإنسان إلى موقف الرسول ﷺ الذي عند الجبل ليقف هناك، فتجدهم يتجشمون المصاعب، ويركبون المشاق، حتى يصلوا إلى ذلك المكان، وربما يكونون مشاة جاهلين بالطرق فيعطشون ويجوعون إذا لم يجدوا ماءً وطعامًا ويضلون يتيهون في الأرض، ويحصل عليهم ضرر عظيم بسبب هذا الظن الخاطئ. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**وقفت ههنا، وعرفة كلُّها موقف**»[2].

٤- ومن الأخطاء أيضًا حال الوقوف بعرفة أن بعض الناس يعتقدون أن الأشجار في عرفة كالأشجار في منى ومزدلفة؛ أي إنه لا يجوز للإنسان أن يقطع منها ورقة أو

---

(١) الترمذي (٨٨٩)، وأبو داود (١٦٦٤) وصححه الألباني في الإرواء (١٠٦٤).

(٢) مسلم (٢١٣٨).

غصونًا، أو ما أشبه ذلك. لأنهم يظنون أن قطع الشجر له تعلق بالإحرام كالصيد، وهذا ظن خطأ، فإن قطع الشجر لا علاقة له بالإحرام وإنما علاقته بالمكان، فما كان داخل حدود الحرم -أي داخل الأميال من الأشجار- فهو مُحَرَّم، لا يعضد ولا يقطع منه ورق ولا أغصان، وما كان خارجًا عن حدود الحرم فإنه لا بأس بقطعه، ولو كان الإنسان محرمًا، وعلى هذا فقطع الأشجار في عرفة لا بأس به، ونعني بالأشجار هنا التي حصلت بغير فعل الحكومة، أما الأشجار التي حصلت بفعل الحكومة، فإنه لا يجوز قطعها، لا لأنها محترمة احترام الشجر في داخل الحرم؛ ولكن لأنه اعتداء على حق الحكومة -وفقها الله- غرست أشجارًا في عرفة؛ لتلطف الجو، ليستظل بها الناس من حر الشمس، فالاعتداء عليها اعتداءٌ على حق الحكومة وعلى حق المسلمين.

٥-بعض الحجاج يعتقدون أن للجبل الذي وقف عنده النبي ﷺ قدسية خاصة؛ ولهذا يذهبون إليه، ويصعدون ويتبركون بأحجاره وترابه ويعلقون على أشجاره قصاصات الخرق وغير ذلك مما هو معروف، وهذا من البدع، فإنه لا يشرع صعود الجبل ولا الصلاة فيه ولا أن تعلق قصاصات الخرق على أشجاره؛ لأن ذلك كله لم يرد عن النبي ﷺ، بل فيه شيء من رائحة الوثنية، وهذا الجبل ليس له قدسية خاصة، بل هو كغيره من الروابي التي في عرفة والسهول التي فيها، ولكن الرسول -عليه الصلاة والسلام- وقف هناك، فكان المشروع أن يقف الإنسان في موقف الرسول -عليه الصلاة والسلام- إن تيسر له، وإلا فليس بواجب، ولا ينبغي أن يتكلف الإنسان الذهاب إليه لما سبق.

٦-ومن الأخطاء في الوقوف بعرفة أيضًا أن بعض الناس يظن أنه لا بد أن يصلي الظهر والعصر مع الإمام في المسجد؛ فلهذا تجدهم يذهبون إلى ذلك المكان من أماكن بعيدة، ليكونوا مع الإمام في المسجد؛ فيحصل عليهم المشقة والأذى والتيه، مما يجعل الحج في حقهم حرجًا وضيقًا، ويضيق بعضهم على بعض، ويؤذي بعضهم بعضًا، والرسول ﷺ يقول في الوقوف: « **وقفت ههنا، وعرفة كلها موقف**»[1] ، وكذلك أيضًا يقول: « **جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»[1] . فإذا صلى الإنسان في خيمته صلاة يطمئن فيها بدون أذى

---

(١) سبق تخريجه.

الأرض مسجدًا وطهورًا»[(١)]. فإذا صلى الإنسان في خيمته صلاة يطمئن فيها بدون أذى عليه ولا مِنْهُ وبدون مشقة تلحق.. الحج بالأمور المحرجة فإن ذلك خير وأولى.

٧- ومن الأخطاء التي يرتكبها الناس في الوقوف بعرفة أن بعضهم يتسلل من عرفة قبل أن تغرب الشمس، فيندفع منها إلى المزدلفة، وهذا خطأ عظيم، وفيه مشابهة للمشركين الذين كانوا يدفعون من عرفة قبل غروب الشمس، ومخالفة للرسول ﷺ الذي لم يدفع من عرفة إلا بعد أن غابت الشمس وذهبت الصفرة قليلًا، كما جاء في حديث جابر ﷺ، وعلى هذا فإنه يجب على المرء أن يبقى في عرفة داخل حدودها حتى تغرب الشمس؛ لأن هذا الموقوف مؤقت بغروب الشمس، فكما أنه لا يجوز للصائم أن يفطر قبل غروب الشمس فلا يجوز للواقف بعرفة أن ينصرف منها قبل أن تغرب الشمس.

٨- ومن الأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج في الوقوف بعرفة إضاعة الوقت في غير فائدة، فتجد الناس من أول النهار إلى آخر جزء منه وهم في أحاديث؛ قد تكون بريئة سالمة من الغيبة والقدح في أعراض الناس، وقد تكون غير بريئة؛ لكونهم يخوضون في أعراض الناس ويأكلون لحومهم، فإن كان الثاني فقد وقعوا في محذورين:

أحدهما: أكل لحوم الناس وغيبتهم، وهذا خلل حتى في الإحرام؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والثاني: إضاعة الوقت، أما إذا كان الحديث بريئًا لا يشتمل على محرم ففيه إضاعة الوقت، لكن لا حرج على الإنسان أن يشغل وقته بالأحاديث البريئة فيما قبل الزوال، وأما بعد الزوال وصلاة الظهر والعصر فإن الأولى أن يشتغل بالدعاء والذكر وقراءة القرآن، وكذلك في الأحاديث النافعة لإخوانه إذا ملَّ من القراءة والذكر، فيتحدث إليهم أحاديث نافعة في بحث من العلوم الشرعية أو نحو ذلك مما يدخل السرور عليهم ويفتح لهم باب الأمل والرجاء لرحمة الله -سبحانه وتعالى- ولكن لينتهز الفرصة في آخر ساعات النهار فيشتغل بالدعاء ويتجه إلى الله -عز وجل- متضرعًا إليه مخبتًا منيبًا طامعًا في فضله راجيًا لرحمته، ويلح في الدعاء ويكثر من الدعاء الوارد في القرآن وفي السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فإن هذا خير الأدعية، فإن الدعاء في هذه الساعة حريٌّ بالإجابة.

---

(١) أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٩٩).

أخطاء تقع في الطريق إلى مزدلفة وفي مزدلفة

قال ابن عثيمين رحمه الله: تقع أخطاء في الانصراف إلى المزدلفة

١- منها ما يكون في ابتداء الانصراف وهو ما أشرنا إليه سابقًا؛ من انصراف بعض الحجاج من عرفة قبل غروب الشمس، ومنها أنه في دفعهم من عرفة إلى المزدلفة تحدث المضايقات بعضهم لبعض والإسراع الشديد، حتى يؤدي ذلك أحيانًا إلى تصادم السيارات، وقد دفع النبي ﷺ من عرفة بسكينة، وكان -عليه الصلاة والسلام- دفع وقد شنق لناقته القصواء الزمام، حتى إن رأسها ليصيب موضع رحله، ويقول بيده الكريمة: «**أيها الناس السكينة السكينة**» ولكنه ﷺ مع ذلك إذا أتى فجوة أسرع، وإذا أتى جبلًا من الجبال أرخى لناقته الزمام حتى تصعد، فكان ﷺ يراعي الأحوال في مسيره هذا، ولكن إذا دار الأمر بين كون الإسراع أفضل أو التأني فالتأني أفضل.

٢- ومن الأخطاء في المزدلفة والدفع إليها أن بعض الناس ينزلون قبل أن يصلوا إلى مزدلفة، ولا سيما المشاة منهم، يعييهم المشي ويتعبهم، فينزلون قبل أن يصلوا إلى مزدلفة، ويبقون هناك حتى يصلوا الفجر، ثم ينصرفوا منه إلى منى، ومن فعل هذا فإنه قد فاته المبيت في المزدلفة، وهذا أمر خطير جدًّا؛ لأن المبيت بالمزدلفة ركن من أركان الحج عند بعض أهل العلم، وواجب من واجباته عن جمهور أهل العلم، وسنة في قول بعضهم، ولكن الصواب: أنه واجب من واجبات الحج، وأنه يجب على الإنسان أن يبيت في مزدلفة، وألا ينصرف إلا في الوقت الذي أجاز الشارع له فيه الانصراف، كما سيأتي إن شاء الله تعالى. المهم أن بعض الناس ينزلون قبل أن يصلوا إلى المزدلفة.

٣- ومن الأخطاء أيضًا أن بعض الناس يصلي المغرب والعشاء في الطريق على العادة قبل أن يصل إلى مزدلفة، وهذا خلاف السُّنة، فإن النبي ﷺ لما نزل في أثناء الطريق وبال وتوضأ قال له أسامة بن زيد، وكان رديفه: الصلاة يا رسول الله، قال: «**الصلاة أمامك**»[1]. وبقي رسول الله ﷺ ولم يصلِّ حتى وصل إلى مزدلفة، وكان قد وصلها بعد دخول وقت العشاء فصلى فيها المغرب والعشاء جمع تأخير.

---

(١) البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٢٤٥).

وقال ابن عثيمين أيضًا: **فإن بعض الناس لا يصلي المغرب والعشاء حتى يصل إلى مزدلفة، ولو خرج وقت صلاة العشاء، وهذا لا يجوز، وهو حرام من كبائر الذنوب؛ لأن تأخير الصلاة عن وقتها محرم بمقتضى دلالة الكتاب والسُّنة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾** [النساء: ١٣]، **وبيَّن النبي ﷺ هذا الوقت وحدده، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾** [الطلاق: ١]، **﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾** [البقرة: ٢٢٩]، **فإذا خشي الإنسان خروج وقت العشاء قبل أن يصل إلى مزدلفة فإن الواجب عليه أن يصلي، وإن لم يصل إلى مزدلفة يصلي على حسب حاله إن كان ماشيًا وقف وصلَّى الصلاة بقيامها وركوعها وسجودها، وإن كان راكبًا ولم يتمكن من النزول فإنه يصلي ولو على ظهر سيارته؛ لقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾** [التغابن: ١٦] **وإن كان عدم تمكنه من النزول في هذه الحالة أمرًا بعيدًا؛ لأنه بإمكان كل إنسان أن ينزل ويقف على جانب الخط من اليمين أو اليسار ويصلي.**

٤- ومن الأخطاء أيضًا في الوقوف بمزدلفة أن بعض الحجاج يصلون الفجر قبل وقته، فتسمع بعضهم يؤذن قبل الوقت بساعة أو بأكثر أو بأقل.

المهم أنه يؤذن قبل الفجر، ويصلون وينصرفون، وهذا خطأ عظيم، فإن الصلاة قبل وقتها غير مقبولة بل محرمة؛ لأنها اعتداء على حدود الله -عز وجل- فإن الصلاة مؤقتة بوقت حدد الشرع أوله وآخره، فلا يجوز لأحد أن يتقدم بالصلاة قبل دخولها، فيجب على الحاج أن ينتبه لهذه المسألة، وأن لا يصلي الفجر إلا بعد أن يتيقن أو يغلب على ظنه دخول وقت الفجر.

٥- ومن الخطأ في الوقوف بالمزدلفة أن بعض الحجاج يدفعون منها قبل أن يمكثوا فيها أدنى مكث، فتجده يمر بها مررًا ويستمر ولا يقف، ويقول: إن المرور كافٍ، وهذا خطأ عظيم، فإن المرور غير كافٍ، بل السُّنة تدل على أن الحاج يبقى في مزدلفة، حتى يصلي الفجر، ثم يقف عند المشعر الحرام يدعو الله تعالى حتى يسفر جدًّا، ثم ينصرف إلى منى،

ورخَّص النبي ﷺ للضعفة من أهله أن يدفعوا من مزدلفة بليل[1]، وكانت أسماء بنت أبي بكر ﭬ ترقب غروب القمر فإذا غاب القمر دفعت من مزدلفة إلى منى[2].

وهذا ينبغي أن يكون هو الحد الفاصل؛ لأنه فعل صحابي، والنبي ﷺ أذن للضعفة من أهله أن يدفعوا بليل، ولم يتبين في هذا الحديث حد الليل، ولكن فعل الصحابي قد يكون مبينًا له ومفسرًا له، وعليه فالذي ينبغي أن يحدد الدفع للضعفة ونحوهم ممن يشق عليهم مزاحمة الناس، ينبغي أن يقيد بذلك، أي بغروب القمر، وغروب القمر في الليلة العاشرة يكون قطعًا بعد منتصف الليل، يكون ثلثي الليل تقريبًا[3].

أخطاء تقع عند رمي الجمار

قال ابن عثيمين رحمه الله: الخطأ الذي يرتكبه بعض الناس في رمي الجمرات يكون من وجوه متعددة منها:

١- أن بعض الناس يظنون أنه لا يصح الرمي إلا إذا كانت الحصى من مزدلفة؛ ولهذا تجدهم يتعبون كثيرًا في لقط الحصى من مزدلفة قبل أن يذهبوا إلى منى، وهذا ظن خاطئ، فالحصى يؤخذ من أي مكان؛ من مزدلفة، من منى، من أي مكان كان يؤخذ، المقصود أن يكون حصى.

ولم يرد عن النبي ﷺ أنه التقط الحصى من مزدلفة، حتى نقول: إنه من السنة، فليس من السنة ولا من الواجب أن يلتقط الإنسان الحصى من مزدلفة، لأن السُّنة إما قول الرسول ﷺ أو فعله أو إقراره، وكل هذا لم يكن في لقط الحصى من مزدلفة.

٢- ومن الخطأ أيضًا: أن بعض الناس إذا لقط الحصى غسله، إما احتياطًا لخوف أن يكون أحد قد بال عليه، وإما تنظيفًا لهذا الحصى؛ لظنه أن كونه نظيفًا أفضل، وعلى كل

---

(١) سبق تخرجه.

(٢) البخاري (١٦٧٩) ومسلم (١٢٩١).

(٣) البخاري (١٦٧٩) ومسلم (١٢٩١).



حال فغسل حصى الجمرات بدعة؛ لأن رسول الله ﷺ لم يفعله، والتعبد بشيء لم يفعله الرسول ﷺ بدعة، وإذا فعله الإنسان من غير تعبد كان سفهًا وضياعًا للوقت.

٣- ومن الأخطاء أيضًا أن بعض الناس يظنون أن هذه الجمرات شياطين وأنهم يرمون شياطين،فتجد الواحد منهم يأتي بعنف شديد وحنق وغيظ منفعلًا انفعالًا عظيمًا كأن الشيطان أمامه، ثم يرمي هذه الجمرات ويحدث من ذلك مفاسد.

أولًا: أن هذا ظن خاطئ، فإنما نرمي هذه الجمرات إقامة لذكر الله تعالى واتباعًا لرسول الله ﷺ،وتحقيقًا للتعبد، فإن الإنسان إذا عمل طاعة -وهو لا يدري فائدتها- إنما يفعلها تعبدًا لله كان هذا أدل على كمال ذلِّه وخضوعه لله عز وجل.

ثانيًا: مما يترتب على هذا الظن أن الإنسان يأتي بانفعال شديد وغيظ وحنق وقوة واندفاع فتجده يؤذي الناس إيذاء عظيمًا، حتى كأن الناس أمامه حشرات، لا يبالي بهم ولا يبالي بضعيفهم، وإنما يتقدم كأنه جمل هائج.

ثالثًا: مما يترتب على هذه العقيدة الفاسدة أن الإنسان لا يستحضر أنه يعبد الله عز وجل أو يتعبد لله -عز وجل- بهذا الرمي، ولذلك يعدل عن الذكر المشروع إلى قول غير مشروع فتجده يقول حين يرمي، اللهم غضبًا على الشيطان ورضًا للرحمن، مع أن هذا ليس بمشروع عند رمي الجمرة، بل المشروع أن يكبِّر كما فعل النبي ﷺ.

رابعًا: بناء على هذه القاعدة الفاسدة تجده يأخذ أحجارًا كبيرة يرمي بها، بناء على ظنه أنه كلما كان الحجر أكبر كان أشد أثرًا وانتقامًا من الشيطان، وتجده أيضًا يرمي بالنعال والخشب وما أشبه ذلك مما لا يشرع الرمي به، ولقد شاهدت رجلًا قبل الجسور على الجمرات جالسًا على زمرة الحصى التي يرمي بها في وسط الحوض وامرأة معه؛ يضربان العمود بأحذيتهما بحنق وشدة وحصى الرامين تصيبهما، ومع ذلك فكأنهما يريان أن هذا في سبيل الله، وأنهما يصبران على هذا الأذى وعلى هذه الإصابة ابتغاء وجه الله عز وجل.

إذا قلنا: إن هذا الاعتقاد اعتقاد فاسد فما الذي نعتقده في رمي الجمرات؟

نعتقد في رمي الجمرات أننا نرمي الجمرات تعظيمًا لله -عز وجل- وتعبدًا له واتباعًا لسنة رسول الله ﷺ.

٤-وبعض الناس لا يتحقق من رمي الجمرة من حيث ترمى، فإن رمي جمرة العقبة -كما هو معلوم في الأعوام السابقة- كان لها جدار من الخلف والناس يأتون إليه من نحو هذا الجدار، فإن شاهدوا الجدار رموا، ومعلوم أن الرمي لا بد أن تقع فيه الحصى في الحوض، فيرمونها من الناحية الشرقية من ناحية الجدار ولا يقع الحصى في الحوض لحيلولة الجدار بينهم وبين الحوض، ومن رمى هكذا فإن رميه لا يصح؛ لأن من شرط الرمي أن تقع الحصاة في الحوض، وإذا وقعت الحصاة في الحوض فقد برئت بها الذمة، سواء بقيت في الحوض أو تدحرجت منه.

٥-ومن الأخطاء أيضًا في الرمي أن بعض الناس يظن أنه لا بد أن تصيب الحصاة الشاخص؛ أي العمود، وهذا ظن خطأ، فإنه لا يشترط لصحة الرمي أن تصيب الحصاة هذا العمود، فإن هذا العمود إنما جعل علامة على المرمى الذي تقع فيه الحصى، فإذا وقعت الحصاة في المرمى أجزأت، سواء أصابت العمود أم لم تصبه.

٦- ومن الأخطاء العظيمة الفادحة أيضًا أن بعض الناس يتهاونون في الرمي، فيوكِّل من يرمي عنه مع قدرته عليه، وهذا أيضًا عظيم؛ وذلك لأن رمي الجمرات من شعائر الحج ومناسكه، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وهذا يشمل إتمام الحج بجميع أجزائه، فجميع أجزاء الحج يجب على الإنسان أن يقوم بها بنفسه ولا يوكِّل بها أحدًا. وقال: لو فرض أن الإنسان عاجز ولا يمكنه الرمي بنفسه، لا في النهار ولا في الليل، فهنا يتوجه القول بجواز التوكيل؛ لأنه عاجز، وقد ورد عن الصحابة ﷺ أنهم كانوا يرمون عن صبيانهم؛ لعجز صبيانهم عن الرمي.

٧- ومن الأخطاء أيضًا في الرمي أن بعض الناس يعكس الترتيب فيها في اليومين الحادي عشر والثاني عشر، فيبدأ بجمرة العقبة ثم بالجمرة الوسطى ثم بالجمرة الصغرى الأولى، وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ، فإن النبي رماها مرتبة وقال: «**لتأخذوا عني** مناسككم»[1]. فيبدأ بالأولى، ثم الوسطى، ثم بجمرة العقبة، فإن رماها منكَّسة وأمكنه أن يتدارك ذلك فليتداركه، فإذا رمى العقبة ثم الوسطى ثم الأولى فإننا نقول: ارجع فارمِ

---

(١) سبق تخريجه.

الوسطى ثم العقبة؛ وذلك لأن الوسطى والعقبة وقعتا في غير موضعهما؛ لأن موضعهما تأخَّر عن الأولى. ولو أنه رمى الأولى ثم العقبة ثم الوسطى قلنا له: ارجع فارمِ جمرة العقبة؛ لأنك رميتها في غير موضعها، فعليك أن تعيدها بعد الجمرة الوسطى، هذا إن أمكن أن يتلافى هذا الأمر، بأن كان في أيام التشريق وسهل عليه تلافيه، أما لو قدِّر أنه انقضت أيام الحج فإنه لا حرج عليه في هذه الحالة؛ لأنه ترك الترتيب جاهلًا فسقط عنه بجهله. والرمي للجمرات الثلاث قد حصل، غاية ما فيه اختلاف الترتيب، واختلاف الترتيب عند الجهل لا يضر، لكن متى أمكن تلافيه -بأن علم ذلك في وقته- فإنه يعيده.

٨- ومن الخطأ أيضًا في رمي الجمرات أيام التشريق أن بعض الناس يرميها قبل الزوال، وهذا خطأ كبير؛ لأن رميها قبل الزوال رمي لها قبل دخول وقتها، فلا يصح؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[(١)] .

٩- بعض الناس يرمي بحصى أقل مما ورد، فيرمي بثلاث أو أربع أوخمس، وهذا خلاف السنة، بل يجب عليه الرمي بسبع حصيات كما رمى رسول الله ﷺ، فإنه رمى بسبع حصيات بدون نقص، لكن رخص بعض العلماء في نقص حصاة أو حصاتين؛ لأن ذلك وقع من بعض الصحابة ﷺ، فإذا جاءنا رجل يقول: إنه لم يرمِ إلا بست ناسيًا أو جاهلًا، فإننا في هذه الحالة نعذره، ونقول: لا شيء عليك؛ لورود مثل ذلك عن بعض الصحابة ﷺ وإلا فالأصل أن المشروع سبع حصيات، كما جاء ذلك عن رسول الله ﷺ.

١٠- ومن الخطأ الذي يرتكبه بعض الحجاج في الرمي -وهو سهل لكن ينبغي أن يتفطن له الحاج- أن كثيرًا من الحجاج يهملون الوقوف للدعاء بعد رمي الجمرة الأولى والوسطى أيام التشريق، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان إذا رمى الجمرة الأولى انحدر قليلًا ثم استقبل القبلة، فرفع يديه يدعو الله دعاءً طويلًا، وإذا رمى الجمرة الوسطى فعل ذلك، وإذا رمى جمرة العقبة انصرف ولم يقف، فينبغي للحاج أن لا يفوِّت هذه السُّنة على نفسه، بل يقف ويدعو الله تعالى دعاء طويلًا إن تيسر له، وإلا فبقدر ما تيسر له بعد الجمرة الأولى والوسطى.

---

(١) سبق تخريجه.

وقفات الدعاء في الحج

قال ابن عثيمين رحمه الله: في الحج ست وقفات للدعاء؛ على الصفا، على المروة، في عرفة، في المزدلفة، بعد رمي الجمرة الأولى وبعد الجمرة الوسطى ، فهذه ست وقفات للدعاء في هذه المواطن ثبتت من رسول الله ﷺ[1].

أخطاء في المبيت بمنىٰ أيام التشريق

قال ابن عثيمين رحمه الله: أما الأخطاء في منى فمنها:

١- أن بعض الناس لا يبيتون بها ليلتي الحادي عشر والثاني عشر، بل يبيتون خارج منى من غير عذر، يريدون أن يترفهوا وأن يشموا الهواء كما يقولون، وهذا جهل وضلال ومخالفة لسُنة الرسول ﷺ، والإنسان الذي يريد أن يترفه لا يأتي للحج، فإن بقاءه في بلده أشد ترفهًا وأسلم من تكلف المشاق والنفقات.

٢- ومن الأشياء التي يخل بها بعض الحجاج في الإقامة بمنى، بل التي يخطئ فيها، أن بعضهم لا يهتم بوجود مكان في منى، فتجده إذا دخل في الخطوط ووجد ما حول الخطوط ممتلئًا قال: إنه ليس في منى مكان، ثم ذهب ونزل في خارج منى، والواجب عليه أن يبحث بحثًا تامًّا حول الخطوط وما داخلها، لعله يجد مكانًا يمكث فيه أيام منى؛ لأن البقاء في منى واجب.

٣- ومن الأخطاء أيضًا أن بعض الناس إذا بحث ولم يجد مكانًا في منى نزل إلى مكة أو العزيزية وبقي هنالك، والواجب إذا لم يجد مكانًا في منى أن ينزل عند آخر خيمة من خيام الحجاج؛ ليبقى الحجيج كله في مكان واحد متصلًا بعضٌ ببعضٍ، كما نقول فيما لو امتلأ المسجد بالمصلين؛ فإنه يصلي مع الجماعة حيث تتصل الصفوف، ولو كان خارج المسجد.

٤- ومن الأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج في الإقامة بمنى -وهو يسير لكنه ينبغي المحافظة عليه- أن بعض الناس يبيت في منى، ولكنه إذا كان النهار نزل إلى مكة ليترفه في الظل والمكيفات والمبردات ويسلم من حر الشمس ولفح الحر، وهذا وإن كان جائزًا على مقتضى قواعد الفقهاء -حيث قالوا: إنه لا يجب إلا المبيت- فإنه خلاف السنة؛ لأن النبي ﷺ بقي في منى ليالٍ وأيامًا، فكان عليه الصلاة والسلام يمكث في منى ليالي أيام

---

(١) البخاري (١٦٧٩) ومسلم (١٢٩١).

التشريق وأيام التشريق. نعم، إن كان الإنسان محتاجًا إلى ذلك -كما لو كان مريضًا أو مرافقًا لمريض- فهذا لا بأس به؛ لأن النبي ﷺ رخَّص للرعاة أن يبيتوا خارج منى وأن يبقوا هذه الأيام في مراعيهم مع إبلهم[١][٢].

أخطاء تقع في الهدي

قال ابن عثيمين رحمه الله: يرتكب بعض الحجاج أخطاء في الهدي، منها:

١- أن بعض الحجاج يذبح هديًا لا يجزئ، كأن يذبح هديًا صغيرًا لم يبلغ السن المعتبر شرعًا للإجزاء، وهو في الإبل خمس سنوات، وفي البقر سنتان، وفي المعز سنة، وفي الضأن ستة أشهر؛ لقول النبي ﷺ: «**لا تذبحوا إلا مسنة، إلا أن يعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن**»[٣].

٢- ومن الأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج في الهدي أنه يذبح هديا معيبا بعيب يمنع من الإجزاء، والعيوب المانعة من الإجزاء ذكرها النبي ﷺ حين تحدث عن الأضحية وسئل: ماذا يتقي من الضحايا؟ فقال: «أربع»، وأشار بيده عليه الصلاة والسلام: «**العوراء البيِّن عورها، والمريضة البيِّن مرضها، والعرجاء البيِّن ضلعها، والهزيلة أو العجفاء التي لا تنقى**»؛ أي التي ليس فيها نقًى؛ أي مخ، فهذه العيوب الأربعة مانعة من الإجزاء، فأي بهيمة يكون فيها شيء من هذه العيوب أو ما كان مثلها، أو أولى منها فإنها لا تجزئ في الأضحية ولا في الهدي الواجب، كهدي التمتع والقران والجبران.

٣- ومن الأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج في الهدي أن بعضهم يذبح الهدي ثم يرمي به ولا يقوم بالواجب الذي أوجبه الله عليه في قوله: ﴿ **فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ** ﴾ [الحج: ٢٨]، فقوله تعالى: ﴿ **وَأَطْعِمُواْ** ﴾ أمر لا بد من تنفيذه؛ لأنه حق للغير.

٤- ومن الأخطاء أيضًا أن بعض الحجاج يذبح الهدي قبل وقت الذبح، فيذبح قبل وقت العيد، وهذا وإن كان قال به بعض أهل العلم في هدي التمتع والقران، فإنه قول ضعيف؛ لأن النبي ﷺ لم يذبح هديه قبل يوم العيد مع أن الحاجة كانت داعية إلى ذبحه،

---

(١) البخاري (١٦٧٩) ومسلم (١٢٩١).

(٢) فقه العبادات (٣١٩-٣٢١).

(٣) مسلم (٣٦٣١).

فإنه حين أمر أصحابه ﷺ أن يحلوا من إحرامهم بالحج ليجعلوه عمرة ويكونوا متمتعين وحصل منهم شيء من التأخير قال: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سُقتُ الهدي**» قال محمد: أحسبه قال: «**ولحللت مع الذي أحلوا من العمرة**»[(١)].

فلو كان ذبح الهدي جائزًا قبل النحر لذبحه النبي ﷺ وحل من إحرامه معهم تطييبًا لقلوبهم واطمئنانًا لهم في ذلك، فلما لم يكن هذا منه ﷺ علم أن ذبح الهدي قبل يوم العيد لا يصح ولا يجزئ[(٢)].

أخطاء تقع في طواف الوداع

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: الناس يخطئون في طواف الوداع في أمور.

أولًا: أن بعض الناس يخطئون في طواف الوداع آخر أمره، بل ينزل إلى مكة ويطوف طواف الوداع، وقد بقي عليه رمي الجمرات، ثم يخرج إلى منى فيرمي الجمرات ثم يغادر، وهذا خطأ، ولا يجزئ طواف الوداع في مثل هذه الحالة.

ثانيا: من الخطأ أيضا في طواف الوداع أن بعض الناس يطوف للوداع ويبقى في مكة بعده، وهذا يوجب إلغاء طواف الوداع وأن يأتي ببدله عند سفره، نعم لو أقام الإنسان في مكة بعد طواف الوداع لشراء حاجة في طريقه أو لتحميل عفشه أو ما أشبه ذلك فهذا لا بأس.

ثالثًا: ومن الخطأ في طواف الوداع أن بعض الناس إذا طاف للوداع وأراد الخروج من المسجد رجع على قفاه يزعم أنه يتحاشى بذلك تولية البيت ظهره، أي تولية الكعبة ظهره، وهذا بدعة، لم يفعله رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه ﷺ.

رابعًا: ومن الخطأ أيضًا أن بعض الناس إذا طاف للوداع ثم انصرف ووصل إلى باب المسجد الحرام اتّجه إلى الكعبة وكأنه يودعها فيدعو أو يسلم أو ما أشبه ذلك، وهذا من البدع أيضًا؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعله، ولو كان خيرًا لفعله النبي ﷺ[(٣)].

---

(١) أبو داود (١٧٨٤) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٥٦٨).

(٢) البخاري (١٦٧٩) ومسلم (١٢٩١).

(٣) البخاري (١٦٧٩) ومسلم (١٢٩١).

فتاوىٰ العمرة والحج

(لابن باز)

س١: ما حكم من أحرم من الميقات لكنه نسي التلبية؟

ج١: إذا كان نوى العمرة عند إحرامه ولكن نسي التلبية وهو ناوِ العمرة حكمه حكم من لبى، يطوف ويسعى ويقصر ويتحلل وتشرع له التلبية في أثناء الطريق، فلو لم يلبِّ فلا شيء عليه؛ لأن التلبية سُنَّة مؤكدة، فيطوف ويسعى ويقصر ويجعلها عمرة إن كان ناويًا عمرة، أما إن كان في الإحرام ناويًا حجًّا والوقت واسع فإن الأفضل أن يفسح حجة إلى عمرة، فيطوف ويسعى ويقصر ويتحلل، والحمد لله، ويكون حكمه حكم المتمتعين.

س٢: ما حكم من حج عن والدته، وعند الميقات لبى بالحج، ولم يلبِّ عن والدته؟

ج٢: ما دام قصده الحج عن والدته ولكن نسي فإن الحج يكون لوالدته، والنية أقوى، فإذا كان القصد من مجيئه هو الحج عن أمه أو عن أبيه ثم نسي عند الإحرام فإن الحج يكون للذي نواه وقصده من أب أو أم أو غيرهما.

س٣: ما صفة النية في الإحرام لنفسه أو لغيره؟

ج٣: النية محلها القلب وصفتها أن ينوي بقلبه؛ أنه يحج عن فلان أو عن أخيه أو عن فلان بن فلان، هكذا تكون النية.

س٤: ما حكم من قدم مكة في عمل أو مهمة ثم حصل له فرصة الحج، هل يحرم من مكانه أو يخرج إلى الحل؟

ج٤: إذا قدم مكة ولم ينو عمرة أو حجًا ثم بدا له أن يحج فإنه يحرم من مكانه، سواء كان في داخل مكة أو في ضواحي مكة، أما إذا أراد العمرة فإنه يخرج إلى الحل؛ التنعيم أو الجعرانة أو غيرهما.

س٥: هل يجوز تغيير لباس الإحرام لغَسله؟

ج٥: لا بأس أن يغسل ملابس الإحرام، ولا بأس أن يغيرها ويستعمل غيرها من ملابس جديدة أو مغسولة.

س٦: ما حكم وضع الطيب على ملابس الإحرام قبل عقد النية والتلبية؟

ج٦: لا ينبغي وضع الطيب على الرداء أو الإزار، إنما السُّنَّة تطييب البدن كرأسه ولحيته وإبطيه ونحو ذلك، أما الملابس فلا يطيبها، وإذا طيبها لم يلبسها حتى يغسلها أو يغيرها.

س٧: ما حكم من كان في منى قبل يوم التروية؟ هل يدخل ويُحرم من مكة أو يُحرم من منى؟

ج٧: الجالس في منى يشرع له أن يحرم من منى، والحمد لله، ولا حاجة إلى الدخول إلى مكة، بل يلبي من مكانه بالحج إذا جاء وقته.

س٨: ما حكم من جاوز الميقات دون أن يحرم؟

ج٨: من جاوز الميقات لحج أو عمرة ولم يُحرم وجب عليه الرجوع والإحرام بالحج والعمرة من الميقات.

س٩: هل يجوز للمرأة أن تحرم في أي الثياب شاءت؟

ج٩: نعم، تحرم فيما شاءت، ليس لها ملابس مخصوصة في الإحرام، لكن الأفضل أن يكون إحرامها في ملابس غير جميلة وغير لافتةٍ للنظر، أما الرجل فالأفضل أن يحرم في ثوبين أبيضين؛ إزار ورداء، وإن أحرم في غير أبيضين فلا بأس.

س١٠: من كان سكنه دون المواقيت فمن أي يحرم؟

ج١٠: من كان دون المواقيت أحرم من مكانه، مثل أهل أم السلم وأهل بحرة؛ يحرمون من مكانهم، وأهل جدة يحرمون من بلدهم.

س١١: ما حكم استعمال المرأة لحبوب منع العادة الشهرية في أيام الحج؟

ج١١: لا حرج في ذلك؛ لأن فيها فائدة ومصلحة، حتى تطوف مع الناس، وحتى لا تعطل رفقتها.

س١٢: هل ركعتا الطواف خلف المقام تلزم لكل طواف؟ وما حكم من نسيها؟

ج١٢: لا تلزم خلف المقام، وتجزئ الركعتان في كل مكان من الحرم، ومن نسيها فلا حرج عليه؛ لأنها سنة وليست واجبة.

س١٣: ما حكم من أخَّر طواف الإفاضة إلى طواف الوداع وجعله طوافًا واحدًا بنية طواف الإفاضة والوداع؟ وهل يجوز الطواف ليلًا؟

ج١٣: لا حرج في ذلك، إذا طاف بعد أعمال الحج، فإن طوافه للإفاضة حينها يكفيه عن طواف الوداع، سواء نوى طواف الإفاضة مع الوداع أم لم ينو، وإن نواهما جميعًا فلا حرج في ذلك، ويجوز أن يؤدي طواف الإفاضة وطواف الوداع ليلًا أو نهارًا.

س١٤: ما الحكم إذا أقيمت الصلاة ولم يتم الطواف أو السعي؟

ج١٤: يصلي الطائف أو الساعي -بين الصفا والمروة- مع الناس، ثم يكمل طوافه أو سعيه من حيث انتهى.

س١٥: هل يلزم للطواف والسعي طهارة؟

ج١٥: تلزم الطهارة في الطواف فقط، أما السعي فالأفضل أن يكون عن طهارة، وإن سعى بدون طهارة أجزأ ذلك.

س١٦: ما حكم من شك في نقصان عدد حصى الجمرات التي رمى بها؟

ج١٦: من شك فعليه التكميل؛ يأخذ من الحصى الذي عنده في منى من الأرض ويكمل به.

س١٧: هل يجوز للحاج أن يرمي من الحصى الذي حول الجمار؟

ج١٧: يجوز له ذلك؛ لأن الأصل أنه لم يحصل به الرمي، أما الذي في الحوض فلا يرمى بشيء منه.


الموسوعة الأم
في تربية الأولاد


٣


التربية الأدبية

مقدمة

الحمد لله الذي ابتعث بلطفه السَّحاب؛ فروى الأودية والهضاب، وأنبت الحدائق وأخرج الأعناب، وألبس الأرض نباتًا أحسن من ثياب العناب، يبتلي ليُدعى فإذا دُعي أجاب، قضى على آدم بالذنب ثم برحمته علَّمه فتاب، ورفع إدريس بلطفه إلى أكرم جناب، وأرسل الطوفان وكانت السفينة من العُجاب، ونجَّى الخليل من نارٍ شديدة الالتهاب، وكانت سلامة يوسف عبرة لأولي الألباب، وشدَّد البلاء على أيوب إلى أن كَلَّ الظفرُ والناب، وفارق الأهل والأحباب، فنادى مستغيثًا بالمولى فجاء الجواب: اركض برجلك هذا مغتسل باردٌ وشرابٌ.

أحمده حمد مَنْ أخلص وأناب، وأُصلِّي على النبي المصطفى، أفضل نبيٍّ نزل عليه أفضلُ كتاب، وعلى أبي بكرٍ مقدَّمِ الأصحاب، وعلى الفاروق عمر بن الخطاب، وعلى عثمان شهيد الدار، وقتيل المحراب، وعلى عليٍّ وما سُلَّ سيفًا بعدُ من قراب[1].

(١) التبصرة (١/ ٢٣٨) بتصرف.

أهداف التربية الأدبية

١- التعريف بالآداب المتنوعة، كآداب الطعام، والشراب، والنوم، واللباس، والجماع، وآداب السلام والاستئذان، وآداب المجلس والحديث، وآداب العطاس والتثاؤب، وآداب حفظ اللسان.

٢- الحث على الآداب الإسلامية والترغيب فيها.

٣- إخراج الأجيال المرَّباة تربية إسلامية.

٤- تأصيل الآداب الفاضلة والتنفير من الآداب السيئة.

٥- صلاح المجتمعات والأمم بآداب أبنائها وشبابها.

٦- وضع منهج تربوي أدبي علمي مبسَّط يحتوي على الآداب الإسلامية بصورة ميسرة يمكن الرجوع إليها من قبل الآباء أو الأبناء؛ ليستقوا منها ما يعينهم ويرشدهم إلى فاضل الآداب.

٧- الأدب مع الله طريق لمحبة الله ومغفرته ورضاه.

٨- الأدب مع رسول الله وأحاديثه وسنته طريقٌ لرفقته في الجنة؛ لأنه علامةٌ على حبه.

٩- الأدب مع خلق الله طريق لمحبتهم والتآلف معهم ودعوتهم إلى الخير.

١٠- الأدب مع النفس سبيلٌ للنهضة بها والنهوض بأخلاقها، وتصفيتها من شوائب السوء وسيئ الآداب وقبيح الأخلاق.

كيف نربي أولادنا أدبيًّا؟

اعلم -رحمك الله- أنه لا يستقيم إيمانٌ مع سوء أدب، وأنى للمؤمن أن يكون سيئ الأدب وإنَّ نبيَّه لعلى خلق عظيم؟!

فعلى كلِّ والدٍ أن يؤدب أولاده بأدب القرآن والسُّنَّةِ، وليذكرهم دائمًا وأبدًا بأدب نبيهم الجمّ الذي لا يوازيه أدب، وهو النبي المصطفى، والرسول المجتبى، وهو خير الورى، وبه يقتدي الورى، وهاك توجيهات ثم تفصيلات، فأما التوجيهات التربوية من الناحية الأدبية فتشمل:

١- تعريف الأبناء بضرورة الأدب، وحثهم عليه من القرآن والسُّنَّة وتعريفهم بأنواع الأدب وصوره التي بها تعلو هممهم؛ فيتأدبوا بأدب سلفهم الصالح من الصحابة الكرام وأتباعهم الأعلام، الذين شابهت آدابهم أدب نبيهم فكانوا أئمةً مهتدين، ودعاة ربانيين، سيماهم سيما الصالحين، وأخلاقهم أخلاق المتقين، وقدوتهم سيد الغر المحجلين وإمام النبيين محمدٌ النبيُّ الأمينُ ﷺ.

٢- تعريفهم بهدي نبيهم في جميع أحواله؛ حتى يتعلموا آداب نبيهم في جميع هيئاته وأوقاته وأحواله؛ فبها يتأدبون وبهداه يقتدون؛ فتصلح أحوالهم، وتسمو نفوسهم بإذن الله تعالى.

٣- تعليمهم آداب الطعام، والشراب، واللباس، والنوم، والسلام، والاستئذان، وآداب المجلس، وآداب الحديث، وآداب العطاس والتثاؤب من خلال سُنَّة النبيِّ الأمينِ ﷺ ويا ليت الآباء يكونون خير قدوةٍ وأفضل أسوةٍ عمليةٍ أمام أبنائهم؛ فإن هذا لمن أنجح السبل التربوية، أن يكون الداعي عاملًا بما يدعو إليه من خيرٍ، منتهيًا عما ينهى عنه من شر، فإن كان كذلك رأيت الثمرة المرجوة في بنيك بإذن الله تعالى وإلا فكيف يقتدي ولدٌ بأبٍ يقول ما لا يفعل، ويفعل ما لا يؤمر، ولا يأتمر بأمرٍ يأمر به، ولا ينتهي عن أمرٍ ينهى عنه، وأدهى من ذلك وَأَمَرّ أن ذلك من خصال المنافقين.

٤- تعليم المتزوجين منهم (وكذلك من سيتزوجون) آداب النكاح والجماع وهدي النبي المصطفى ﷺ في ذلك؛ ليكون على بصيرة من أمره، وليسعد في دنياه وأخراه باقتفائه لهدي رسول الله ﷺ.

٥- تعليم الأولاد أدب الصمت، وحفظ اللسان عن الآثام من كذب وغيبة ونميمة وشهادة زور، وتعريفهم بفضائل الصمت، وثمار حفظ اللسان، ويكفي أن أكثر ما يدخل الناسَ النارَ الفمُ والفرجُ، فمن لم يحفظ فاه فسيندم غدًا على ما فرط في جنب الله، كما أن حفظ اللسان من خصال المتقين، ومن لم يحفظ لسانه ففيه خصلة -أو أكثر- من خصال المنافقين.

وأخيرًا، حفظ اللسان سبيل لدخول الجنان، نسأل الله جل في علاه أن يجعل الجنة دارنا ومستقرنا يوم نلقاه، إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كلِّ شيء قدير.

هذا وإن ما سبق من توجيهات تربوية في الناحية الأدبية لمفصَّل ومفسَّر بصورة شافية كافية في الصفحات التالية:

الأدبُ لغةً واصطلاحًا

الأدبُ لغةً

اسم مأخوذ من مادة (أدب) التي تدل على معنى تجميع الناس إلى الطعام، والآدب: هو الداعي لذلك.

قال أبو زيد الأنصاري: الأدبُ: يقع على رياضة محمودة يتخّرج بها الإنسانُ في فضيلةٍ من الفضائل.

وقال الأزهري نحوه، فالأدبُ: اسمٌ لذلك، والجمعُ: آداب، مثل: سبب وأسباب، وأدَّبْتُه تأديبًا: مبالغةٌ وتكثيرٌ، ومنه قيل: أدَّبْتُه تأديبًا: إذا عاقبته على إساءته.

قال ابن منظور: سُمِّي أدبًا لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، **وقال أيضًا**: وأصل الأدب الدعاء ومنه قيل للصنيع يُدعى إليه الناس: مدعاةٌ ومأدبة[(١)].

الأدبُ اصطلاحًا

قال المناوي: الأدبُ رياضةُ النفوس، ومحاسنُ الأخلاق، ويقعُ على كل رياضةٍ محمودة، ويتخرَّج بها الإنسانُ في فضيلةٍ من الفضائل، وقيل: هو عبارةٌ عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ، وقال أهل التحقيق: الأدبُ: الخروج من صدق الاختبار، والتضرُّع على بساط الافتقار، وقال بعضهمُ: الأدبُ مجالسة الخلق على بساط الصدق ومطابقة الحقائق. وقيل: الأدبُ عند أهل الشرع: الورعُ، وعند أهل الحكمة: صيانة النفس[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله: وحقيقة الأدب: استعمال الخُلُقِ الجميل، ولهذا كان الأدب استخراجًا لما في الطبيعة من الكمال من القول إلى الفعل[(٣)].

وقال رحمه الله: علمُ الأدب؛ هو علم إصلاح اللسان والخطاب، وإصابة مواقعه، وتحسين ألفاظه عن الخطأ والخلل، وهو شعبةٌ من الأدب العام[(٤)].

---

(١) لسان العرب (١/ ٢٠٦)، ومقاييس اللغة (١/ ٧٤)، والمصباح المنير (١٢).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ٧٩،٨٠)، والتعريفات للجرجاني (١٥).

(٣) تهذيب المدارج (٤٤٨).

(٤) الكليات (٦٨).

وقيل: هو الكلامُ الجميلُ الذي يتركُ في نفس سامعه أو قارئه أثرًا قويًّا يحمله على استعادته والاستزادة منه، والميل إلى محاكاته[1] وهو الأخذُ بمكارم الأخلاق.

وبعبارة أخرى: الوقوفُ مع المستحسنات أي: استعمالُ ما يُحمدُ قولًا وفعلًا مثل: تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك[2].

---

(١) تهذيب المدارج (٥٤٥).

(٢) الكليات (٦٥).

الآيات الواردة في الأدب

١ - الأدب مع الله عز وجل وكتابه الكريم

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨] ، وقال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢] وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨] وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣]

وقال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٩-٨٢] وقال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا

يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠]، وقال تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [القصص: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥].

٢- الأدب مع النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٢-٦٣].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ١-٢].

٣- الأدب مع الخلق

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٢٧-٣١]، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ٥٨-٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١١-١٢]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ

فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ٩-١١].

٤-الأدب مع النفس

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١].

الأدبُ في السُّنَّة النبوية

١ - أمثلة الأدب مع الله

طأطأة الرأس في الصلاة والنظر موضع السجود: عن عائشة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض[١].

عدم رفع البصر إلى السماء حال الصلاة: فقد نهى عن ذلك النبي ﷺ، بقوله: «**إذا كان أحدكم في الصلاة فلا يرفع بصره إلى السماء أن يلتمع بصره**»[٢][٣].

عدم الالتفات في الصلاة: عن أبي ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الله -عز وجل- مقبلًا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه**»[٤].

عدم بصق المصلي تجاه القبلة: فقد نهى عن ذلك رسول الله ﷺ بقوله: «**إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربه، وإن ربه بينه وبين قبلته، فلا يبزق أحدكم في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه**»[٥].

٢ - أمثلةٌ من الأدب مع النبي ﷺ

الصلاة على النبي عند ذكره ﷺ؛ عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**البخيلُ من ذُكرتُ عنده فلم يُصلِّ عليَّ**»[٦].

الائتمار بأمر النبي والسمع له والطاعة: عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم**»[٧].

---

(١) الحاكم (١/ ٤٧٩)، وصححه الألباني . انظر صفة صلاة النبي (١٨٩).

(٢) أي: فليحذر أن يُخطف بصره.

(٣) أحمد (٥/ ٢٩٤)، وصححه الألباني. انظر صحيح الجامع (٧٦٢).

(٤) أبو داود (٩٠٩)، وصححه الألباني.

(٥) البخاري.

(٦) الترمذي (٣٥٤٦)، وصححه الألباني. انظر صحيح الجامع (٢٨٧٨).

(٧) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

اتباع السُّنَّة وعدم الابتداع في الدين: عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[١].

٣- أمثلة التأدب مع الخلق

الأدب مع الوالدين: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَنْ أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أُمُّكَ**» قال: ثم مَنْ؟ قال: «**أُمُّكَ**» قال: ثم مَنْ؟ قال: «**أُمُّكَ**» قال: ثم مَنْ؟ قال: «**أبوك**»[٢].

الأدب مع ذوي الأرحام: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: «**لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفّهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك**»[٣].

الأدب مع الجيران: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت**»[٤].

---

(١) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

(٣) مسلم (٢٥٥٨).

(٤) البخاري (١٠/ ٣٧٣)، ومسلم (٤٧).

كلمات في الأدب

قال ابن المبارك رحمه الله: مَنْ تهاون بالأدب؛ عُوقب بحرمان السُّنن، ومَنْ تهاون بالسُّنن عوقب بحرمان الفرائض، ومَنْ تهاون بالفرائض عُوقب بحرمان المعرفة[١].

وقال الحسن البصري -رحمه الله- لما سُئل عن أنفع الأدب-: التفقُّه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بما لله عليك[٢].

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: مَنْ تأدب بأدب الله صار من أهل محبة الله[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: من كمال أدب الصلاة أن يقف العبدُ بين يدي ربه مُطرِقًا خافضًا طرفه إلى الأرض ولا يرفع بصره إلى فوق[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله: وأدبُ المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقِلَّةَ أدبه عنوان شقاوته وبواره[٥].

وقال بعضهم: الزم الأدب ظاهرًا وباطنًا، فما أساء أحدٌ الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهرًا، وما أساء أحدٌ الأدب في الباطن إلا عوقب باطنًا[٦].

وقيل: الأدب في العمل علامة قبول العمل[٧].

---

(١) شرح الأدب المفرد (٢/ ٣٩٧).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٣٩٢).
(٣) المرجع السابق (٢/ ٣٩٢).
(٤) مدارج السالكين (٢/ ٤٠١).
(٥) المرجع السابق (٢/ ٤٠٧).
(٦) المرجع السابق (٢/ ٣٩٧).
(٧) المرجع السابق (٢/ ٣٩٧).

أنواع الأدب

قال ابن القيم رحمه الله: والأدب ثلاثة أنواع: أدبٌ مع الله سبحانه وتعالى. وأدبٌ مع رسوله ﷺ وشرعه. وأدبٌ مع خلقه.

أولًا: الأدب مع الله عز وجل ثلاثة أنواع:

أحدها: صيانة معاملته أن يشوبها بنقيصه. **الثاني**: صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره. **الثالث**: صيانة إرادته أن تتعلق بما يمقتك عليه. فالأدب مع الله -عز وجل- حسنُ الصحبة معه، بإيقاع الحركات الظاهرة والباطنة، على مقتضى التعظيم والإجلال والحياء.

ثانيًا: الأدب مع الرسول ﷺ مظاهر

١- من الأدب مع الرسول الكريم أن لا يُتقدم بين يديه بأمرٍ ولا نهيٍ ولا إذنٍ ولا تصرفٍ حتى يأمر هو، وينهى، ويأذن.

٢- ومن الأدب معه أن لا تُرفع الأصوات فوق صوته؛ فإنه سببٌ لحبوط الأعمال، فما الظنُّ برفع الآراء، ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به؟!

٣- ومن الأدب معه أن لا يُجعل دعاؤه كدعاء غيره، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣].

٤- ومن الأدب معه أنهم إذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ من خطبةٍ أو جهاد أو رباط لم يذهب أحدٌ منهم مذهبًا في حاجته حتى يستأذنه.

٥- ومن الأدب معه أن لا يستشكل قوله بل تستشكل الآراء لقوله، ولا يُعارض نصُّه بقياس، بل تُهدر الأقيسة لنصوصه، ولا يُحرَّف كلامه عن حقيقته لخيالٍ يُسمِّيه أصحابُه معقولًا.

٦- ورأس الأدب معه ﷺ كمالُ التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقِّي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارض خيال باطل.

ثالثًا: الأدب مع الخلق

وأما الأدب مع الخلق فهو معاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم فلكل مرتبة أدب. والمراتب فيها أدبٌ خاص:

١- فمع الوالدين: أدب خاصٌ للأب منهما أدبٌ هو أخصُ به.

٢- ومع العالم: أدبٌ آخر.

٣- ومع السلطان: أدبٌ يليق به وله.

٤- ومع الأقران: أدبٌ يليق بهم.

٥- ومع الأجانب: أدبٌ غير أدبه مع أصحابه وذوي أُنسه.

٦- ومع الضيف: أدب غير أدبه مع أهل بيته، ولكل حالٍ أدب: فللأكل آداب، وللشراب آداب، وللركوب والدخول والخروج والسفر والإقامة والنوم آداب، وللتبول آداب، وللكلام آداب، وللسكون والاستماع آداب[1].

من صور الآدب

١- مجانبة الكبر والإعجاب: وما ذلك إلا لأنهما يسلبان الفضائل، ويكسبان الرذائل.

٢- ومنها: التخلي بحسن الأخلاق: ذلك أن الإنسان إذا حسنت أخلاقه كثر مصافُوه، وقلَّ معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب.

٣- ومنها: التحلى بالحياء: الخير والشر معانٍ كامنةٌ، تُعرف بسماتٍ دالةٍ، وسمة الخير: الدعة والحياء، وسمة الشر: القحة والبذاءة، وكفى بالحياء خيرًا أن يكون على الخير دليلًا. وكفى بالقحة والبذاءة شرًّا أن يكونا إلى الشر سبيلًا.

٤- ومنها: التحلي بالحلم: ذلك أن الحلم من أشرف الأخلاق، وأحقها بذوي الألباب، لما فيه من سلامة العرض، وسلامة الجسد، واجتلاب الحمد.

٥- ومنها: التحلي بصفة الصدق والتخلي عن الكذب.

٦- ومنها: التخلى عن الحسد ذلك أن الحسد خلقٌ ذميمٌ يضرُّ بالبدن، وفيه إفسادٌ للدين، ولو لم يكن من ذمِّ الحسد إلا أنه خُلُقٌ دنيء لكانت النزاهة عنه كرمًا والسلامة منه

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٠٦-٤٠٨) باختصار وتصرف.

مغنمًا، فكيف وهو بالنفس مُضرّ وعلى الهمّ مُصرّ؛ حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف من غير نكايةٍ في عدوٍّ، ولا إضرارٍ بمحسودٍ[1].

الفرق بين الأدب والتأدُّبِ والتأديب

أما الأدب، فقد قال عنه المناوي: الأدبُ رياضةُ النفوس ومحاسنُ الأخلاق ويقع على كل رياضةٍ محمودةٍ ويتخرج بها الإنسانُ في فضيلة من الفضائل. **والتأدب:** يعني التصرف اللائق الذي يتفق مع المروءة. **والتأديب:** هو تعليم فضيلة من الفضائل ومعاقبة مَنْ يخالف ذلك على إساءته. وسُمِّيت المعاقبة تأديبًا؛ لأنها تدعو إلى حقيقة الأدب[2].

---

(١) نضرة النعيم (٢/ ١٥٣) باختصار.

(٢) السلسلة الذهبية في الأخلاق الإسلامية د. أحمد مصطفى.



من قصص الأدب

١ - يا عم ارضَ عَنِّي

عن صهيب مولى العباس ﷺ قال: رأيتُ عليًّا[١] يُقبِّلُ يد العباس ورجله، ويقول: يا عم ارض عني[٢].

٢ - هو أكبر وأنا وُلدتُ قبله

عن أبي زريق قال: قيل للعباس: أنت أكبر أم النبيﷺ؟، قال: هو أكبر[٣] وأنا ولدتُ قبله[٤].

٣ - هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا

عن أبي سلمة أن ابن عباس قام إلى زيد بن ثابت، فأخذ له بركابه، فقال: تنحَّ يا ابن عم رسول اللهﷺ فقال: هكذا نفعُل بعلمائنا وكبرائنا[٥].

٤ - كأني لم أسمعه

عن ابن جريج قال: قال عطاء بن أبي رباح: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له، كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد[٦].

٥ - ووضعه على رقبته

قال عثمان بن عاصم رحمه الله: رأيت سفيان الثوري بمكة آخذًا بزمام ناقة الأوزاعي، وهو يقول: كُفُّوا عنا يا معشر الشباب حتى نُسلِّل الشيخ.

وقال رجلٌ من ولد الأحنف بن قيس: بلغني أن سفيان الثوري بلغه مقدم

---

(١) أي: علي بن أبي طالب.

(٢) السير (٢/ ٩٤).

(٣) أي: أكبر شأنًا ومقامًا.

(٤) السير (٢/ ٩٧).

(٥) السير (٢/ ٤٣٧).

(٦) السير (٥/ ٨٦).

الأوزاعي، فخرج حتى لقيه، بذي طوى، قال: فحلَّ سفيانُ رأس البعير، ووضعه على رقبته، فكان إذا مَرَّ بجماعةٍ قال: الطريق للشيخ[١][٢].

٦- فما رأيته بزق

قال سالم بن جنادة: جالستُ وكيعًا سبع سنين، فما رأيته بزق، ولا مسَّ حصاة، ولا جلس مجلسًا فتحرك، وما رأيته إلا مستقبل القبلة، وما رأيته يحلفُ بالله[٣][٤].

٧- دعني أُقبِّلُ رِجليك

قال محمد بن حمدون رحمه الله: سمعتُ مسلم بن الحجاج وجاء إلى البخاري فقال: دعني أُقبِّل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، ويا طبيب الحديث في عِلَلِهِ.

٨- أُوَقِّرُ أرضًا دُفن فيها رسول الله

قال أبو مصعب رحمه الله: وكان مالك لا يُحَدِّث إلا وهو على طهارةٍ إجلالًا للحديث، وكان مالك بن أنس إمام دار الهجرة لا يركبُ دابةً بالمدينة ويقول: أوقِّر أرضًا دُفن فيها رسول الله ﷺ[٥].

---

(١) أي: أفسحوا الطريق للشيخ.

(٢) الجرح والتعديل (١/ ٢٠٧، ٢٠٨).

(٣) أي: يندر أن يحلف.

(٤) السير (٩/ ١٦٨).

(٥) السير (٨/ ١٣٥).



آداب الطعام

١ - غسل اليدين قبل الطعام وبعده

ولا يخفى على عاقلٍ ما لغسل اليدين قبل الطعام وبعده من النظافة والطهارة والوقاية من الأمراض والأدواء.

٢ - عدم الجلوس متكئًا

عن أبي جحيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا آكل متكئًا**»[1].

قال الخطابي: المتكئ هنا: هو الجالس، معتمدًا على وطاءٍ تحته قال: وأراد أنه لا يقعد على الوطاء والوسائد كفعل من يريد الإكثار، بل يقعد مستوفزًا لا مستوطئًا.

وعن أنس ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مقعيًا يأكل تمرًا[2]، والمقعي: هو الذي يلصق أليتيه بالأرض، وينصب ساقيه.

قال ابن عثيمين رحمه الله: الأكل ينقسم بالنسبة للجلوس له إلى قسمين:

١ - قسمٌ منهيٌّ عنه، وليس من هدى النبي ﷺ، وهو أن يأكل الإنسان متكئًا على اليد اليمنى أو على اليد اليسرى؛ وذلك لأن الاتكاء يدل على غطرسة وكبرياء، وهذا معنى نفسي؛ ولأنه إذا أكل متكئًا يتضرر؛ حيث يكون مجرى الطعام متمايلًا ليس مستقيمًا فلا يكون على طبيعته.

وذكر المؤلف حديث أنس أنه رأى النبي يأكل تمرًا مقعيًا، والإقعاء أن ينصب قدميه ويجلس على عقبيه، هذا هو الإقعاء، وإنما كان يأكل النبي ﷺ كذلك؛ لئلا يستقر في الجلسة فيأكل أكلًا كثيرًا؛ لأن الغالب أن الإنسان إذا كان مقعيًا لا يكون مطمئنًا في الجلوس، فلا يأكل كثيرًا.

قال: والحاصل: أن عندنا جلستين: الجلسة الأولى الاتكاء، وهذه ليست من هدي النبي أن يأكل متكئًا. وكل أنواع الجلوس الباقية جائزة.

---

(١) البخاري (٩/ ٤٧٢).

(٢) مسلم (٢٠٤٤).

٣- التسمية قبل الأكل، والأكل باليمين

عن عمر بن أبي سلمة ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»(١).

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله، فليقل: بسم الله أوله وآخره**»(٢).

قال ابن عثيمين رحمه الله: قال: (سَمِّ الله): يعني قل: بسم الله. فإن قال: (بسم الله الرحمن الرحيم) فلا حرج. وإن اقتصر على (بسم الله) كفى، والتسمية على الأكل واجبة، وإن تركها الإنسان؛ فإنه يأثم ويشاركهُ الشيطان في أكله، ولا أحد يرضى أن يشاركه عدوه في أكله، فإن نسيت أن تُسمِّي الله في أوله، وذكرت في أثنائه، فقل: (بسم الله أوله وأخره)(٣).

٤- الأكل مما يلي الأكل، ومن جانب القصعة

لحديث عمر بن أبي سلمة السابق ولحديث ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه**»(٤).

قال ابن عثيمين رحمه الله: (كل مما يليك): يعني إذا كان معك مشاركٌ فكلْ مما يليك، لا تأكل من جهته، ولا من الذي يليه، فإن هذا سوء أدب، قال العلماء: إلا أن يكون الطعام أنواعًا، مثل أن يكون فيه قرع، وباذنجان، ولحم، وغيره فلا بأس أن تتخطى يدك هذا النوع أو ذاك، كما كان رسول الله ﷺ يتبع الدباء من الصحفة ويأكلها، والدباء: يعني القرع. وكذلك لو كنت وحدك فلا حرج أن تأكل من الطرف الآخر؛ لأنك لا تؤذي أحدًا في ذلك، لكن لا تأكل من أعلى الصحفة؛ لأن البركة تنزل في أعلاها، ولكن كُل من الجوانب.

وفي هذا الحديث دليلٌ على أنه ينبغي لنا أن نُعَلِّم الصبيان والغلمان آداب الأكل

---

(١) البخاري (٩/ ٤٥٨)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٢) أبو داود (٣٧٦٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٠٢).

(٣) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٧١، ٥٧٢) باختصار.

(٤) أبو داود (٣٧٦٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣١٩٩).

والشرب، وكذلك آداب النوم، فضلًا عن الأمور الأخرى كالصلاة[١].

٥- عدم عيب الطعام، ولكن إن اشتهاه أكله، وإلا تركه

عن أبي هريرة ﷺ قال: ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قطُّ إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه[٢].

٦- أخذ اللقمة التي تسقط ومسحها وأكلها وعدم تركها للشيطان

عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان، ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة**»[٣].

٧- عدم القران[٤] بين تمرتين ونحوهما إذا أكل مع جماعة إلا بإذنهم

عن جبلة بن سحيم قال: أصابنا عام سِنةٍ[٥] مع ابن الزبير فرُزقنا تمرًا، وكان عبد الله بن عمر ﷺ يمر بنا ونحن نأكل فيقول: لا تقارنوا، فإن النبي ﷺ نهى عن الإقران، ثم يقول: إلا أن يستأذن الرجلُ أخاه[٦].

قال ابن عثيمين رحمه الله: **النهي عن القران بين التمرتين ونحوهما مما يؤكل افرادًا إذا كان مع جماعة إلا بإذن أصحابه، فمثلًا الشيء الذي جرت العادة أن يؤكل واحدة واحدة كالتمر، إذا كان معك جماعة فلا تأكل تمرتين جميعًا؛ لأن هذا يضرُّ بإخوانك الذين معك، فلا تأكل أكثر منهم إلا إذا استأذنت.**

وقلت: تأذنون لي أن آكل تمرتين في آن واحدٍ، فإن أذنوا لك فلا بأس، وكذلك ما جاء في العادة بأنه يؤكل إفرادًا، كبعض الفواكه الصغيرة التي يلتقطها الناس حبة حبةً

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٧٢).
(٢) البخاري (٩/ ٤٧٧)، ومسلم (٢٠٦٤).
(٣) مسلم (٢٠٣٣).
(٤) الجمع.
(٥) فقر وشدة.
(٦) البخاري (٩/ ٤٩٣)، ومسلم (٢٠٤٥).

ويأكلونها، فإن الإنسان لا يجمع بين اثنتين إلا بإذن صاحبه الذي معه مخافة أن يأكل أكثر مما يأكل صاحبه. أما إذا كان الإنسان وحده فلا بأس أن يأكل التمرتين جميعًا أو الحبتين مما يؤكل إفرادًا جميعًا؛ لأنه لا يضر بذلك أحدًا، إلا أن يخشى على نفسه من الشَّرق أو الغصص[١].

٨- لعق الأصابع قبل مسحها أو غسلها

عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث، وقال: « **إذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط عنها الأذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان**»، وأمر أن نسلت[٢] القصعة، وقال: «**إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة**»[٣].

٩- الاجتماع على الطعام وعدم التفرق

عن وحشي بن حرب ﷺ أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع؟!، قال: «**فلعلكم تتفرقون؟**» قالوا: نعم. قال: «**فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه**»[٤].

١٠- حمد الله بعد الفراغ من الطعام:

عن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «**الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا**»[٥].

وعن معاذ بن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أكل طعامًا فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حولٍ مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٦].

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٨٨، ٥٨٩).

(٢) نسلت: نمسح.

(٣) مسلم (٢٠٣٤).

(٤) أبو داود (٣٧٦٤)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣١٩٩).

(٥) البخاري (٩/ ٥٠١، ٥٠٢).

(٦) أبو داود (٤٠٢٣)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٣٩٤).

هديُ النبي ﷺ في الطعام

قال ابن القيم رحمه الله:

١- فأما الطعام والشراب فلم يكن عادته ﷺ حبس النفس على نوعٍ واحدٍ من الأغذية لا يتعدَّاه إلى ما سواه؛ فإن ذلك يضرُّ بالطبيعة جدًّا، وقد يتعذر عليها أحيانًا، فإن لم يتناول غيره؛ ضعف أو هلك، وإن تناول غيره لم تقبله الطبيعة، واستضرَّ به، فَقَصْرُها على نوعٍ واحدٍ دائمًا، ولو أنه أفضل الأغذية خطرٌ مضرٌّ.

٢- بل كان يأكل ما جرى عادةُ أهل بلده بأكله من اللحم والفاكهة، والخبز والتمر، وغيره.

٣- وإذا كان في أحد الطعامين كيفية تحتاج إلى كسرٍ وتعديلٍ كسرها وعدَّلها بضدِّها إن أمكن، كتعديل حرارة الرطب بالبطيخ، وإن لم يجد ذلك تناوله على حاجةٍ وداعيةٍ من النفس من غير إسراف، فلا تتضرَّر به الطبيعة.

٤- وكان إذا عافت نفسُهُ الطعام لم يأكله، ولم يُحمِّلها إياه على كُرهٍ، وهذا أصلٌ عظيمٌ في حفظ الصحة، فمتى أكل الإنسان ما تُعافِهِ نفسه ولا يشتهيه، كان تضرُّرُه به أكثر من انتفاعه.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: مَا عَابَ رسول الله ﷺ طعامًا قطُّ إن اشتهاه أكله وإلا تركه، ولم يأكل منه[1].

ولما قُدِّم إليه الضبُّ المشويّ لم يأكل منه، فقيل له: أهو حرامٌ؟ قال: «**لا، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه**»[2]. فراعى عادته وشهوته، فلما لم يكن يعتادُ أكله بأرضه، وكانت نفسُهُ لا تشتهيه أمسك عنه، ولم يمنع من أكله مَنْ يشتهيه.

٥- وكان يحب اللحم، وأحبُّهُ إليه الذراع، ومقدم الشاة، ولذلك سُمَّ فيه، وفي الصحيحين: أُتي رسول الله ﷺ بلحمٍ، فرُفع إليه الذراع وكانت تُعجبه.

ولا ريب أن أخفَّ لحم الشاة لحم الرقبة، ولحم الذراع والعضد، وهو أخفُّ على

(١) البخاري (٩/ ٤٧٧)، ومسلم (٢٠٤٦).

(٢) البخاري (٩/ ٥٧٢، ٥٧٤)، ومسلم (١٩٤٦).

المعدة، وأسرع انهضامًا، وفي هذا مراعاة الأغذية التي تجمع ثلاثة أوصاف:

أحدها: كثرة نفعها وتأثيرها في القوى.

الثاني: خِفَّتها على المعدة، وعدم ثقلها عليها.

الثالث: سرعة هضمها.

وهذا أفضل ما يكون من الغذاء، والتغذي باليسير من هذا أنفعُ من الكثير من غيره.

٦- وكان يحبُّ الحلوى والعسل، وهذه الثلاثة: أعني: اللحم والعسل، والحلوى، من أفضل الأغذية وأنفعها للبدن والكبد والأعضاء، وللاغتذاء بها نفعٌ عظيمٌ في الصحة والقوة، ولا ينفرُ منها إلا مَنْ به عِلَّةٌ وآفةٌ.

٧- وكان يأكلُ الخبزَ مأدومًا ما وجد له إدامًا، فتارة يأدِمُهُ باللحم، وتارة بالبطيخ، وتارة بالتمر، وتارة بالخل ويقول: « **نعم الإدامُ الخلُّ** »، وهذا ثناء عليه بحسب مقتضى الحال الحاضر، لا تفضيل له على غيره كما يظنُّ الجهال.

وسببُ الحديث أنه دخل على أهله يومًا فقدَّموا له خبزًا، فقال: « **هل عندكم من إدام؟** » قالوا: ما عندنا إلا خل، فقال: «**نعم الإدامُ الخلُّ**»[1].

والمقصود: أن أكل الخبز مأدومًا من أسباب حفظ الصحة، بخلاف الاقتصار على أحدهما وحده، وسُمِّي الإدام أُدمًا؛ لإصلاحه الخبز، وجعله ملائمًا لحفظ الصحة، ومنه قوله في إباحته للخاطب النظر: إنه أحْرَى أن يُؤدم بينهما، أي: أقرب إلى الالتئام والموافقة، فإن الزوج يدخل على بصيرة فلا يندم.

٨- وكان يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها، ولا يحتمي عنها، وهذا أيضًا من أكبر أسباب حفظ الصحة، فإن اللهَ -سبحانه- بحكمته جعل في كل بلدةٍ من الفاكهة ما ينتفع به أهلها في وقته، فيكون تناوله من أسباب صحتهم وعافيتهم.

ويُغني عن كثير من الأدوية، وقلَّ من احتمى عن فاكهة بلده خشية السُّقم إلا وهو من أسقم الناس جسمًا، وأبعدهم من الصحة والقوة، وما في تلك الفاكهة من الرطوبات،

---

(١) مسلم (٢٠٥٢).

فحرارة الفصل والأرض، وحرارة المعدة تُنضجها وتدفع شرَّها إذا لم يُسرف في تناولها، ولم يُحمل منها الطبيعة فوق ما تحتمله.

ولم يُفسد بها الغذاء قبل هضمه، ولا أفسدها بشرب الماء عليها، وتناول الغذاء بعد التحلي منها، فإن القولنج كثيرًا ما يُحدث عند ذلك، فمن أكل منها ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي، كانت له دواءً نافعًا[1].

هدي النبي ﷺ في هيئة الجلوس للأكل

عن أبي جحيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا آكل مُتكئًا**»[2].

قال ابن القيم رحمه الله: وقد فُسِّر الاتكاء بالتَّربُّع، وفُسِّر بالاتكاء على الشيء، وهو الاعتماد عليه، وفُسِّر بالاتكاء على الجنب.

والأنواع الثلاثة من الاتكاء، فنوعٌ منها يضرُّ بالأكل، وهو الاتكاء على الجنب، فإنه يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيئته، ويعوقه عن سرعة نفوذه إلى المعدة، ويضغط المعدة، فلا يستحكم فتحها للغذاء، وأيضًا فإنها تميل ولا تبقى منتصبة، فلا يصلُ الغذاء إليها بسهولة.

وأما النوعان الآخران: فمن جلوس الجبابرة المنافي للعبودية، ولهذا قال: «**آكل كما يأكل العبدُ**»[3].

ويذكر أنه كان يجلس للأكل متورِّكًا على ركبتيه، ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى تواضعًا لربه -عزَّ وجلَّ-، وأدبًا بين يديه، واحترامًا للطعام وللمؤاكِل، فهذه الهيئة أنفع هيئات الأكل وأفضلها؛ لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي

---

(١) الطب النبوي (٢١٧-٢٢٠).

(٢) البخاري (٩/ ٤٧٢).

(٣) قال الأرناؤوط: أخرجه أبو الشيخ من حديث عائشة: «**إنما أجلسُ كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد**» وفي سنده عبيد الله بن الوليد الصافي وهو ضعيف، لكن له طريقٌ أخرى عند ابن سعد (١/ ٣٨١)، وشاهد مرسل من حديث الحسن عن أحمد في الزهد (٥، ٦)، وإسناده صحيح فيتقوى الحديث ويصحُّ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦).



خلقها اللهُ -سبحانه- عليه مع ما فيها من الهيئة الأدبية.

وأجودُ ما يتغذى الإنسانُ إذا كانت أعضاؤه على وضعها الطبيعي، ولا يكون كذلك، إلا إذا كان الإنسان منتصبًا الانتصاب الطبيعي، وأردأ الجلسات للأكل الاتكاء على الجنب، لما تقدَّم من أن المريء وأعضاء الازدراء تضيق عند هذه الهيئة، والمعدة لا تبقى على وضعها الطبيعي؛ لأنها تنعصر مما يلي البطن بالأرض، ومما يلي الظهر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء، وآلات النفس.

وإن كان المراد بالاتكاء الاعتماد على الوسائد والوطاء الذي تحت الجالس فيكون المعنى أني إذا أكلت لم أقعد متكئًا على الأوطية والوسائد، كفعل الجبابرة ومَنْ يريد الإكثار من الطعام؛ لكني آكل بُلغة كما يأكل العبدُ.

٩- وكان يأكل بأصابعه الثلاث، وهذا أنفع ما يكون من الأكلات، فإن الأكل بأُصبع أو أصبعين لا يستلذُّ به الآكل ولا يُمريه، ولا يُشبعه إلا بعد طول، ولا تفرحُ آلات الطعام والمعدة بما ينالها في كل أكلة، فتأخذها على إغماضٍ، كما يأخذ الرجل حقَّه حبَّةً أو حبَّتين، ونحو ذلك، فلا يلتذُّ بأخذه، ولا يُسرُّ به، والأكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على آلاته، وعلى المعدة، وربما انسدت الآلات فمات، وتُغصب الآلات على دفعه، والمعدة على احتماله، ولا يجد له لذَّةً ولا استمراء، فأنفع الأكل أكله ﷺ، وأكل من اقتدى به بالأصابع الثلاث.

١٠- ومَنْ تدبَّر أغذيته ﷺ، وما كان يأكله وجده لم يجمع قطُّ بين لبنٍ وسمكٍ، ولا بين لبنٍ وحامضٍ، ولا بين غذائين حارَّين، ولا باردين، ولا لزجين، ولا قابضين، ولا مُسهِّلين، ولا غليظين، ولا مرخيين، ولا مستحيلين إلى خلطٍ واحدٍ، ولا بين مختلفين كقابض ومسهِّل، وسريع الهضم وبطيئه، ولا بين شوي وطبيخ.

ولا بين طري وقديد، ولا بين لبن وبيض، ولا بين لحم ولبن، ولم يكن يأكل طعامًا في وقت شدَّة حرارته، ولا طبيخًا باتتًا يُسخن له بالغد، ولا شيئًا من الأطعمة العفنة والمالحة، كالكوامخ، والمخللات، والملوحات، وكل هذه الأنواع ضار مولد لأنواع من الخروج عن الصحة والاعتدال.

١١- وكان النبي ﷺ يأكل بيمينه، ويأمر بذلك. فعن عائشة ﵂ قالت: كانت يدُ رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى[1].

وعن سلمة بن الأكوع ﵁ أن رجلًا كان عنده يأكل بشماله فقال له النبي ﷺ: «**كُلْ بيمينك**» قال: لا أستطيع، قال: «**لا استطعت، فما رفعها إلى فيه**»[2].

آداب الشراب

١- التسمية قبله.

٢- الشرب باليمين، لفعل النبي وأصحابه والتابعين، ولمخالفة الكافرين والشياطين.

٣- الشرب قاعدًا أفضل: عن أنس ﵁ عن النبي ﷺ أنه نهى أن يشرب الرجل قائمًا، قال قتادة، فقلنا لأنس: فالأكل؟ قال: ذلك أشر أو أخبث[3]. وعن ابن عباس ﵄ قال: سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم[4]. وعن ابن عمر ﵄ قال: كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام[5].

قال ابن عثيمين رحمه الله: الأفضل في الأكل والشرب أن يكون الإنسان قاعدًا؛ لأن هذا هو هدي النبي ﷺ، ولا يأكل وهو قائم ولا يشرب وهو قائم، أما الشرب وهو قائم فإنه صحَّ عن النبي ﷺ أنه نهى عن ذلك، وسئل أنس بن مالك عن الأكل، قال: ذاك أشر وأخبث يعني معناه: أنه إذا نهى عن الشرب قائمًا فالأكل قائمًا من باب أَوْلى، لكن في حديث ابن عباس الذي أخرجه الترمذي وصححه، قال: كنا في عهد النبي ﷺ نأكل ونحن نمشي، ونشرب ونحن قيام فهذا يدل على أن النهي ليس للتحريم؛ ولكنه لترك الأَوْلى. بمعنى: أن الأحسن والأكمل أن يشرب الإنسان وهو قاعد وأن يأكل وهو قاعد، ولا بأس أن يشرب وهو قائم، وأن يأكل وهو قائم، والدليل على ذلك حديث ابن عباس قال: سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم.

---

(١) أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) مسلم (٢٠٢٤).

(٤) البخاري (١٠/ ٧٤، ٧٥)، ومسلم (٢٠٢٧).

(٥) الترمذي (١٨٨١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٣٣).

٤- الشرب ثلاثًا: عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثًا[١]. يعني: يتنفس خارج الإناء.

٥- عدم التنفس في الإناء: عن أبي قتادة ﷺ أن النبي ﷺ نهى أن يُتنفس في الإناء[٢].

٦- عدم الشرب من فم القربة أو السقاء: عن أبي هريرة ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُشرب من في[٣] السقاء أو القربة[٤].

٧- عدم الشرب في آنية الذهب والفضة: عن حذيفة ﷺ قال: إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج، والشرب في آنية الذهب والفضة، وقال: «هي لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة»[٥]. وعن أم سلمة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»[٦].

٨- استحباب كون ساقي القوم آخرهم شربًا: عن أبي قتادة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ساقي القوم آخرهم»[٧]. يعني: شربًا.

٩- استحباب إدارة الإناء على الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ: عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أُتي بلبنٍ قد شيب بماء، وعن يمينه أعرابي وعن يساره أبو بكر ﷺ فشرب، ثم أعطى الأعرابي، وقال: «الأيمن فالأيمن»[٨].

١٠- حمد الله بعد الانتهاء من الشراب.

هدي النبي ﷺ في الشراب

قال ابن القيم رحمه الله: وأما هديُهُ في الشراب، فمن أكمل هدي يُحفظُ به الصحة، فإنه كان يشربُ العسل الممزوج بالماء البارد، وفي هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدي إلى

---

(١) البخاري (١٠/ ٨١)، ومسلم (٢٠٢٨).

(٢) البخاري (١/ ٢٢١)، ومسلم (٢٦٧).

(٣) في: فوهة.

(٤) البخاري (١٠/ ٧٨، ٧٩).

(٥) البخاري (١٠/ ٨٢، ٨٣)، ومسلم (٢٠٦٧).

(٦) البخاري (١٠/ ٨٣، ٨٤)، ومسلم (٢٠٦٥).

(٧) الترمذي (١٨٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٤٤).

(٨) البخاري (٥/ ١٤٨، ١٠/ ٦٦)، ومسلم (٢٠٢٩).

معرفته إلا أفاضل الأطباء، فإن شُربه ولعقه على الريق؛ يذيبُ البلغم، ويغسلُ خَمْل المعدة، ويجلو لزوجتها، ويدفع عنها الفضلات، ويُسخِّنها باعتدال، ويفتحُ سُدَدَها، ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلى والمثانة، وهو أنفع للمعدة من كلِّ حلو دخلها، وإنما يضرُّ بالعرض لصاحب الصفراء؛ لحدته وحدة الصفراء، فربما هيَّجها، ودفع مضرَّته لهم بالخل، فحينئذٍ يعود لهم نافعًا جدًّا. وشربُهُ أنفعُ من كثير من الأشربة المتخذة من السكر، أو أكثرها، ولا سيما لمن لم يعتد هذه الأشربة، ولا ألفها طبعُهُ؛ فإنه إذا شربها لا تلائمه ملاءمة العسل، ولا قريبًا منه، والمتحكم في ذلك العادةُ؛ فإنها تهدمُ أصولًا، وتبني أصولًا.

وأما الشرابُ إذا جمع وصفي الحلاوة والبرودة فمن أنفع شيءٍ للبدن، ومن أكبر أسباب حفظ الصحة، وللأرواح والقوى والكبد والقلب عشقٌ شديدٌ له، واستمدادٌ منه، وإذا كان فيه الوصفان، حصلت به التغذيةٌ، وتنفيذُ الطعام إلى الأعضاء، وإيصاله إليها أتمَّ تنفيذٍ.

والماءُ الباردُ رطبٌ يقمع الحرارة، ويحفظ على البدن رطوباته الأصلية، ويردُّ عليه بدل ما تحلَّل منها، ويُرقِّق الغذاء وينفذه في العروق.

قال: والمقصود أنه إذا كان باردًا وخالطه ما يُحلِّيه كالعسل أو الزبيب، أو التمر أو السكر، كان من أنفع ما يدخل البدن، وحفظ عليه صحته.

فلهذا كان أحبُّ الشراب إلى رسول اللهﷺ البارد. وهذا يُحتمل أن يُراد به الماء العذب، كمياه العيون والآبار الحلوة، فإنه كان يُستعذب له الماء، ويُحتمل أن يراد به الماء الممزوج بالعسل، أو الذي نُقع فيه التمر أو الزبيب، وقد يُقال (وهو الأظهر): يعمُّهما جميعًا.

وقوله في الحديث الصحيح: وكان من هديه الشربُ قاعدًا، هذا كان هديهُ المعتاد، وصحَّ عنه أنه نهى عن الشرب قائمًا[(١)]، وصحَّ عنه أنه أمر الذي شرب قائمًا أن يستقيء[(٢)]

---

(١) عن أنس -رضي الله عنه- عن النبيﷺ أنه نهى أن يشرب الرجلُ قائمًا، قال قتادة: فقلنا: لأنس، فالأكل؟ قال: ذلك أشرُّ أو أخبثُ. مسلم (٢٠٢٤).

(٢) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «لا يشربن أحدٌ منكم قائمًا، فمن نسي فليستقيء». مسلم (٢٠٢٦)، وقال الألباني: منكرٌ بهذا اللفظ، انظر الضعيفة (٩٢٧).

وصحَّ عنه أنه شرب قائمًا(١).

فوائد التنفس في الشراب ثلاثًا

قال ابن القيم رحمه الله: وفي هذا الشرب حكم جمَّة، وفوائد مهمة، وقد نبَّه ﷺ على مجامعها بقوله: «إنه أروى وأمرأ وأبرأ».

(فأَرْوَى): أشدُّ ريًّا، وأبلغه، وأنفعه. (وأبرأ): أفعل من البرء، وهو الشفاء. أي يُبرئ من شدة العطش ودائه؛ لتردده على المعدة الملتهبة دفعات، فتسكِّنُ الدفعةُ الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه، والثالثة ما عجزت الثانية عنه، وأيضًا فإنه أسلم لحرارة المعدة، وأبقى عليها من أن يهجم عليها الباردُ وهلةً واحدةً ونهلةً واحدةً، وأيضًا فإنه لا يروي لمصادفته لحرارة العطش لحظة، ثم يُقلع عنها، ولما تُكسر سورتُها وحدَّتُها.

وإن انكسرت لم تبطل بالكلية بخلاف كسرها على التمهل والتدريج، وأيضًا: فإنه أسلم عاقبة، وآمن غائلة من تناول جميع ما يُروى دفعة واحدة، فإنه يخاف من أن يطفئ الحرارة الغريزية بشدة برده وكثرة كميته، أو يضعفها؛ فيؤدي ذلك إلى فساد مزاج المعدة والكبد، وإلى أمراض رديئة، خصوصًا سكان البلاد الحارة، كالحجاز واليمن ونحوهما، أو في الأزمنة الحارة كشدة الصيف، فإن الشرب وهلة واحدة مخوفٌ عليهم جدًّا.

فإن الحار الغريزي ضعيفٌ في بواطن أهلها، وفي تلك الأزمنة الحارة وقوله: (أمرأ) هو أفعل من مَرِئ الطعام والشراب في بدنه إذا دخله، وخالطه بسهولة ولذةٍ ونفعٍ، ومنه: ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء: ٤]، هنيئًا في عاقبته، مريئًا في مذاقه. وقيل: معناه أنه أسرع انحدارًا في المريء؛ لسهولته وخفَّته عليه بخلاف الكثير، فإنه لا يسهل على المريء

---

(١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: سقيتُ النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائمٌ. البخاري (١٠/ ٧٤، ٧٥) . ومسلم (٢٠٢٧).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده -رضي الله عنهم- قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا. الترمذي (١٨٨٤)، وابن ماجه (٣٣٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٣٥).

وعن النزال بن سبره -رضي الله عنه- قال: أتى عليٌّ -رضي الله عنه- من باب الرحبة فشرب قائمًا، وقال: إني رأيتُ رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت. البخاري: (١٠/ ٧١)، والرحبة: المكان المتسع، ويُقصد بها هنا: رحبة الكوفة.

انحداره.

ومن آفات الشرب نهلة واحدة: أنه يُخاف منه الشَّرق بأن ينسدَّ مجرى الشراب؛ لكثرة الوارد عليه فيغصُّ به، فإذا تنفَّس رويدًا، ثم شرب أمن من ذلك.

ومن فوائده أن الشارب إذا شرب أول مرة تصاعد البخار الدخاني الحارُّ الذي كان على القلب والكبد؛ لورود الماء لبارد عليه، فأخرجته الطبيعةُ عنها، فإذا شربُ مرةً واحدةً اتفق نزول الماء عليه البارد وصعود البخار، فيتدافعان ويتعالجان، ومن ذلك يحدث الشرق والغُصَّة، ولا يتهنَّأ الشارب بالماء، ولا يُمرئُه، ولا يتمُّ ريُّهُ.

وقد عُلم بالتجربة أن ورود الماء جُملةً واحدةً على الكبد يؤلمها ويضعف حرارتها؛ وسبب ذلك المضادة التي بين حرارتها، وبين ما ورد عليها من كيفية المبرود وكميته، ولو ورد بالتدريج شيئًا فشيئًا، لم يضاد حرارتها، ولم يُضعفها وهذا مثاله صبُّ الماء البارد على القدر وهي تفور، لا يضرها صبُّهُ قليلًا قليلًا، وللتسمية في أول الطعام والشراب وحمد الله في آخره تأثيرٌ عجيبٌ في نفعه واستمرائه ودفع مضرَّتهِ.

بم يَكْمُلُ الطعام؟

قال الإمام أحمد رحمه الله:

إذا جمع الطعام أربعًا، فقد كَمُلْ:

١ - إذا ذُكر اسم الله في أوله.
٢ - وحُمد اللهُ في آخره.
٣- وكثرت عليه الأيدي.
٤ - وكان من حلٍّ [1].

---

(١) حِلٍّ: حلال (أي: من كسبِ طيبٍ حلالٍ).



هدي النبي ﷺ في إدارة الإناء

على الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أُتي بلبنٍ قد شيب[١] بماءٍ وعن يمينه أعرابي وعن يساره أبو بكر ﷺ فشرب، ثم أعطى الأعرابي، وقال: «**الأيمن فالأيمن**»[٢].

وعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ أُتي بشرابٍ فشرب منه، وعن يمينه غلامٌ، وعن يسارهُ أشياخ، فقال للغلام[٣]: أتأذن لي أن أُعطي هؤلاء؟، فقال الغلام: لا والله، لا أوثر بنصيبي منك أحدًا، فتلَّه[٤] رسول الله ﷺ في يده[٥].

ساقي القوم آخرهم شُربًا

عن أبي قتادة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ساقي القوم آخرهم**» يعني: شُربًا[٦].

النهي عن الشرب في آنية الذهب والفضة

عن حذيفة ﷺ قال: إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج، والشرب في آنية الذهب والفضة، وقال: «**وهي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**»[٧].

وعن أم سلمة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**الذي يشرب في آنية الفضة إنما يُجرجر في بطنه نار جهنم**»[٨].

هديُ النبي في شرب اللبن والنبيذ

قال ابن القيم رحمه الله: وكان ﷺ يشربُ اللبن خالصًا تارة، ومشوبًا بالماء أخرى، وفي

---

(١) شيب: خُلط.

(٢) البخاري (٥/ ١٤٨، ١٠/ ٦٦)، ومسلم (٢٠٢٩).

(٣) الغلام: هو ابن عباس ﷺ.

(٤) تلَّه: أي: وضعه.

(٥) البخاري (١٠/ ٧٦)، ومسلم (٢٠٣٠).

(٦) الترمذي (١٨٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٤٤).

(٧) البخاري (١٠/ ٨٣، ٨٤)، ومسلم (٢٠٦٥).

(٨) البخاري (١٠/ ٨٣، ٨٤)، ومسلم (٢٠٦٥).

شرب اللبن الحلو في تلك البلاد الحارة خالصًا ومشوبًا نفعٌ عظيمٌ في حفظ الصحة وترطيب البدن وريُّ الكبد، ولا سيما اللبنُ الذي ترعى دوابه الشيح والقيصوم والخُزامى وما أشبهها، فإن لبنها غذاءٌ مع الأغذية وشرابٌ مع الأشربة ودواءٌ مع الأدوية.

وثبت في صحيح مسلم أنه ﷺ كان يُنبذ له أول الليل، ويشربه إذا أصبح يومه ذلك، والليلة التي تجيء والغد والليلة الأخرى، والغد إلى العصر، فإن بقي منه شيءٌ سقاه الخادم أو أمر به فصُبَّ[1]. وهذا النبيذ: هو ما يُطرح فيه تمرٌ يُحلِّيه، وهو يدخل في الغذاء والشراب وله نفعٌ عظيمٌ يزيد في القوة وحفظ الصحة، ولم يكن يشربه بعد ثلاث خوفًا من تغيره إلى الإسكار[2].

آداب اللباس

١ - استحباب لبس القميص:

عن أم سلمة ﵂ قالت: كان أحبَّ الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص[3].

٢ - استحباب لبس الثياب البيض:

عن ابن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «**البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم**»[4].

٣- جواز لبس الأحمر والأخضر والأصفر والأسود:

عن البراء ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ مربوعًا ولقد رأيته في حُلَّةٍ حمراء ما رأيت شيئًا قطُّ أحسن منه[5].

وعن أبي رمثة رفاعة التيمي ﵁ قال: رأيت رسول الله ﷺ وعليه ثوبان أخضران[6].

---

(١) مسلم (٢٠٠٤).

(٢) الطب النبوي (٢٢٤-٢٣٧) بتصرف.

(٣) أبو داود (٤٠٢٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٣٩٦).

(٤) الترمذي (٩٩٤)، وأبو داود (٣٨٧٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤٢٦).

(٥) البخاري (١٠/ ٢٥٨)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٦) أبو داود (٤٠٦٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤٣٠).

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء[١].

٤ - النهي عن الإسبال وتحريمه:

عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**الإسبال في الإزار والقميص والعمامة من جرَّ شيئًا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[٢].

٥ - ترك الترفع في الثياب تواضعًا:

عن معاذ بن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من ترك اللباس تواضعًا وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يُخيِّره من أي حُلل الإيمان شاء يلبسها**»[٣].

٦ - اجتناب الرجال لبس الحرير والجلوس عليه، وهو حلالٌ للنساء:

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تلبسوا الحرير، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»[٤].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**حُرِّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم**»[٥].

وعن حذيفة ﷺ قال: نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه[٦].

٧ - جواز لبس الحرير لمن به حكة أو جرب:

عن أنس ﷺ قال: رخصَّ رسول الله ﷺ للزبير وعبد الرحمن بن عوف ﷺ في لبس الحرير لحكةٍ بهما[٧].

---

(١) مسلم (١٣٥٨).
(٢) أبو داود (٤٠٩٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤٥٠).
(٣) الترمذي (٢٤٨٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠١٧).
(٤) البخاري (١٠/ ٢٤٣)، ومسلم (٢٠٦٩).
(٥) الترمذي (١٧٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٤٠٤).
(٦) البخاري (١٠/ ٢٤٦).
(٧) البخاري (١٠/ ٢٤٩)، ومسلم (٢٠٧٦).

٨- استحباب الدعاء عن لبس الثوب الجديد:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه عمامة، أو قميصًا، أو رداءً، يقول: «**اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صُنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صُنع له**»[١].

آداب النوم

١-٢ النوم على طهارة والاضطجاع على الشق الأيمن:

عن البراء بن عازب ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن**...»[٢].

قال ابن عثيمين رحمه الله: ومن آداب النوم أن ينام الإنسان على الشق الأيمن؛ لأن هذا فعل النبي ﷺ وأمره، وقال: بعض الناس اعتاد أن ينام على الجانب الأيسر، ولو نام على الأيمن ربما لا يأتيه النوم، لكن عليه أن يُعوِّد نفسه؛ لأن المسألة ليست بالأمر الهيِّن، ثبتت عن فعل الرسول ﷺ وأمره.

فأنت إذا نمت على الجنب الأيمن تشعر بأنك متبعٌ للرسول -عليه الصلاة والسلام- حيث كان ينام على جنبه الأيمن، ومتمثلٌ لأمره حيث أمر به -عليه الصلاة والسلام- فَعوِّد نفسك وجاهدها على ذلك يومًا أو يومين أو أسبوعًا؛ حتى تستطيع النوم وأنت متمثلٌ لسُنَّة نبيك ﷺ[٣].

٣، ٤،٥ – وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن وذكر الله عند النوم وعند التَّيقظ:

عن حذيفة ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده، ثم يقول: «**اللهم باسمك أموت وأحيا**» وإذا استيقظ، قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»[٤].

---

(١) أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧)، وصححه الألباني في المشكاة (٤٣٤٢).

(٢) البخاري (١١/ ٩٣).

(٣) شرح رياض الصالحين (٢/ ٦٥٥،٦٥٤).

(٤) البخاري (١١/ ٩٨).

قال ابن عثيمين رحمه الله: ومن السنن أيضًا إذا تيسَّر أن تضع يدك اليمنى تحت خدك الأيمن؛ لأن هذا ثبت من فعل الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فإن تيسَّر لك ذلك فهو جيدٌ وأفضل، وإن لم يتيسَّر فليس هو بالتأكيد كمثل النوم على الجنب الأيمن[(١)].

٦- جواز الاستلقاء على القفا:

عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه أنه رأى رسول الله ﷺ مستلقيًا في المسجد واضعًا إحدى رجليه على الأخرى[(٢)].

٧- عدم النوم على البطن، وتحريم ذلك:

عن يعيش بن طخفة الغفاري رضي الله عنه قال: قال أبي: بينما أنا مضطجعٌ في المسجد على بطني إذا رجلٌ يحركني برجله، فقال: «**إن هذه ضجعة يُبغضها الله**»، قال: فنظرت فإذا رسول الله ﷺ[(٣)].

قال ابن عثيمين رحمه الله:

ففي الحديث دليلٌ على أنه لا ينبغي للإنسان أن ينام على بطنه لا سيما في الأماكن التي يغشاها الناس؛ لأن الناس إذا رأوه على هذه الحال، فهي رؤية مكروهة، لكن إذا كان في الإنسان وجعٌ في بطنه وأراد أن ينام على هذه الكيفية؛ لأنه أريح له، فإن هذا لا بأس به؛ لأن هذا لحاجة[(٤)].

هدي النبي ﷺ في النوم

قال ابن القيم رحمه الله: مَنْ تدبَّر نومه ويقظته ﷺ وجده أعدل نومٍ وأنفعه للبدن والأعضاء والقوى، فإنه كان ينام أول الليل، ويستيقظ في أول النصف الثاني فيقوم ويستاك ويتوضأ ويُصلي ما كتب اللهُ له فيأخذ البدن والأعضاءُ والقوى حظَّها من النوم والراحة وحظَّها من الرياضة مع وفور الأجر، وهذا غاية صلاح القلب والبدن في الدنيا

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٦٥٥).

(٢) البخاري (١٠/ ٣٣٤)، ومسلم (٢١٠٠).

(٣) أبو داود (٥٠٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٧١)، والمشكاة (٤٧١٩).

(٤) شرح رياض الصالحين (٢/ ٦٥٩).

والآخرة.

ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج إليه، ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه منه، وكان يفعله على أكمل الوجوه، فينام إذا دعته الحاجةُ إلى النوم على شِقِّه الأيمن، ذاكرًا الله -تعالى- حتى تغلبه عيناه، غير ممتلئ البدن من الطعام والشراب، ولا مباشر بجنبه الأرض، ولا متخذ للفرش المرتفعة، بل له ضجاع من أُدمٍ حشوه ليفٌ، وكان يضطجع على الوسادة، ويضع يده تحت خدِّه أحيانًا.

أنواع النوم

قال ابن القيم رحمه الله: النومُ حالةٌ للبدن يتبعها غوُر الحرارة الغريزية والقوى إلى باطن البدن لطلب الراحة، وهو نوعان؛ طبيعي. وغير طبيعي.

فالطبيعي: إمساك القوى النفسانية عن أفعالها، وهي قوى الحسِّ والحركة الإرادية، ومتى أمسكت هذه القوى عن تحريك البدن استرخى، واجتمعت الرطوبات والأبخرة التي كانت تتحلل وتتفرق بالحركات واليقظة في الدماغ الذي هو مبدأ هذه القوى، فيتخدَّر ويسترخي، وذلك النوم الطبيعي.

وأما النومُ غير الطبيعي: فيكون لعرضٍ أو مرضٍ، وذلك بأن تستولي الرطوبات على الدماغ استيلاءً لا تقدر اليقظة على تفريقها، أو تصعد أبخرةٌ رطبةٌ كثيرةٌ كما يكون عقيب الامتلاء من الطعام والشراب؛ فتُثقل الدماغ وترخيه فيتخدَّر، ويقع إمساك القوى النفسانية عن أفعالها، فيكون النوم.

فوائد النوم

قال ابن القيم رحمه الله: وللنوم فائدتان جليلتان:

١ - إحداهما: سكون الجوارح وراحتها مما يعرض لها من التعب، فيُريح الحواس من نصب اليقظة، ويُزيل الإعياء والكلال.

٢- والثانية: هضم الغذاء ونضج الأخلاط؛ لأن الحرارة الغريزية في وقت النوم تغور إلى باطن البدن، فتُعين على ذلك؛ ولهذا يبرد ظاهره ويحتاج النائم إلى فضل دثار.

أنفعُ النوم

قال ابن القيم رحمه الله: وأنفع النوم أن ينام على الشقِّ الأيمن؛ ليستقر الطعامُ بهذه الهيئة في المعدة استقرارًا حسنًا فإن المعدة أميلُ إلى الجانب الأيسر قليلًا، ثم يتحول إلى الشق الأيسر قليلًا ليسرع الهضمُ بذلك؛ لاستمالة المعدة على الكبد. ثم يستقر نومُهُ على الجانب الأيمن؛ ليكون الغذاء أسرع انحدارًا عن المعدة، فيكون النوم على الجانب الأيمن بُداءة نومه ونهايته وكثرة النوم على الجانب الأيسر مضرٌّ بالقلب؛ بسبب ميل الأعضاء إليه فتنصب إليه المواد.

نومةُ القيلولة وفوائدها

قال رسول الله ﷺ: «**قيلوا فإن الشياطين لا تقيل**»[١].

١- أكَّد الباحثون في دراسةٍ نُشرت في مجلة العلوم النفسية عام ٢٠٠٢م أن القيلولة لمدة أربعين دقيقة، لا أكثر، تُكْسِب الجسم راحة كافية، وتُخفف من مستوى هرمونات التوتر المرتفعة في الدم؛ نتيجة للنشاط البدني والذهني الذي بذله الإنسانُ في بداية اليوم.

٢- ويرى العلماءُ أن النوم لفترة قصيرةٍ في النهار يُريح ذهن الإنسان وعضلاته، ويُعيد شحن قدراته على التفكير والتركيز، ويزيد إنتاجيته وحماسه للعمل.

٣- وأكَّد الباحثون أن القيلولة في النهار لمدة لا تتجاوز أربعين دقيقة لا تُؤثر على فترة النوم في الليل، أما إذا امتدت لأكثر من ذلك فقد تُسبِّب الأرق وصعوبة النوم.

٤- أجريت دراسة إسبانية على يد الدكتور إيسكالانتي، وأكَّد أن القيلولة تُعزِّز الذاكرة والتركيز، وتُفسح المجال أمام دورات جديدة من النشاط المُخِّي في نمط أكثر ارتياحًا، وأشار الدكتور إيسكالانتي إلى أن الدول الغربية بدأت تُدرج القيلولة في أنظمتها اليومية، وأوصى بقيلولة تتراوح بين (عشرة إلى أربعين) دقيقة[٢].

البُكورُ وفائدتُهُ

قال رسول الله ﷺ «**بُورك لأمتي في بكورها**».

---

(١) الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٣١).

(٢) صورة من إعجاز الطب الوقائي- للدكتور حسان شمسي.

قال الدكتور الراوي:

١- عند شروق الشمس فإنها تكون قريبة إلى اللون الأحمر، ومعروفٌ تأثير هذا اللون المثير للأعصاب، والباعث على اليقظة والحركة، كما أن نسبة الأشعة فوق البنفسجية تكون أكبر ما يمكن عند شروق الشمس، وهذه الأشعة تحثُّ الجلد وتُنبهُهُ على تصنيع وتكوين فيتامين (D).

٢- الاستيقاظ المبكر يقطع النوم الطويل، وقد تبيَّن أن الإنسان الذي ينام ساعاتٍ طويلة وعلى وتيرة واحدة؛ يتعرَّض للإصابة بأمراض القلب وخاصة مرض العصيدة الشرياني الذي يُؤذن بهجمات خناق الصدر (الذبحة الصدرية).

٣- تكون أعلى نسبة من غاز الأوزون في الجو عند الفجر، وتقلُّ تدريجيًّا حتى تضمحلَّ عند طلوع الشمس، ولهذا الغاز تأثيرٌ مفيدٌ للجهاز العصبي، ومُنشِّطٌ للعمل الفكري والعضلي، ويجعل ذروة نشاط الإنسان الفكرية والعضلية تكون في الصباح الباكر، ويستشعر الإنسان عندما يستنشق نسيم الفجر الجميل المُسمَّى برياح الصبا، يشعر بلذة ونشوة لا شبيه لها في أي ساعة من ساعات النهار والليل[1].

قال ابن القيم رحمه الله:

وأما هديُهُ في يقظته فكان يستيقظ إذا صاح الصارخُ -وهو الديك- فيحمد الله -تعالى- ويكبِّره ويُهلله ويدعوه، ثم يستاك، ثم يقوم إلى وضوئه، ثم يقف للصلاة بين يدي ربه مناجيًا له بكلامه، مُثنيًا عليه، راجيًا له، راغبًا راهبًا، فأي حفظ لصحة القلب والبدن والروح والقوى ولنعيم الدنيا والآخرة فوق هذا[2].

---

(١) مجلة الحضارة، العددان (٦، ١٠) بتصرف.

(٢) الطب النبوي (٢٣٩-٢٤٦).

هدي النبي ﷺ في الجماع[١]

قال ابن القيم رحمه الله: وأما الجماع والباه، فكان هديُهُ فيه أكمل هديٍ يحفظ به الصحة، وتتمُّ به اللذة وسرور النفس، ويحصل به مقاصدُهُ التي وُضع لأجلها، فإن الجماع وُضع في الأصل لثلاثة أمور هي مقاصده الأصلية:

مقاصدُ الجماع

أحدها: حفظ النسل، ودوام النوع إلى أن تتكامل العدة التي قدَّر الله بروزها إلى هذا العالم.

الثاني: إخراجُ الماء الذي يضرُّ احتباسه واحتقانه بجملة البدن.

الثالث: قضاءُ الوطر، ونيلُ اللَّذة والتمتع بالنعمة، وهذه وحدها هي الفائدة التي في الجنة إذ لا تناسل هناك ولا احتقان يستفرغه الإنزال.

الجماعُ أحد أسباب حفظ الصحة

قال ابن القيم رحمه الله: وفضلاء الأطباء يرون أن الجماع من أحد أسباب حفظ الصحة.

قال جالينوس: الغالبُ على جوهر المني النار والهواء، ومزاجه حارٌّ رطبٌ؛ لأن كونه من الدم الصافي الذي تغتذي به الأعضاء الأصلية وإذا ثبت فضلُ المني، فاعلم أنه لا ينبغي إخراجه إلا في طلب النسل، أو إخراج المحتقن منه، فإنه إذا دام احتقانه، أحدث أمراضًا رديئة، منها: الوسواس، والجنون، والصرع وغير ذلك، وقد يُبرئ استعماله من هذه الأمراض كثيرًا، فإنه إذا طال احتباسه فَسُدَ واستحال إلى كيفية سُمِّية توجب أمراضًا رديئة كما ذكرنا؛ ولذلك تدفعه الطبيعةُ بالاحتلام إذا كثر عندها من غير جماع.

مقدمات الجماع

قال ابن القيم رحمه الله: ومما ينبغي تقديمه على الجماع ملاعبة المرأة، وتقبيلها، ومصّ لسانها، وكان رسول الله ﷺ يُلاعب أهله وُيقبِّلها.

جواز جماع النساء بغُسلٍ واحدٍ

عن أنس رضي الله عنه النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغُسلٍ واحدٍ[٢].

---

(١) يُعلَّم الولد هذا الهدي عند زواجه لا قبل ذلك.

(٢) مسلم (٣٠٩).

وصية السلف بالجماع والتحذير من مخاطر تركه والزهد فيه

قال بعضُ السلف: ينبغي للرجل أن يتعاهد من نفسه ثلاثًا:

١ - أن لا يدع المشي، فإن احتاج إليه يومًا قدر عليه.

٢- وينبغي أن لا يدع الأكل، فإن أمعاءه تضيق.

٣- وينبغي أن لا يدع الجماع، فإن البئر إذا لم تُنزح ذهب ماؤه.

وقال محمد بن زكريا:

١ - مَنْ ترك الجماع مدةً طويلةً ضعفت قوى أعصابه.

٢- وأنسَّدتَ مجاريها.

٣- وتقلَّص ذَكَرُهُ.

قال: ورأيتُ جماعةً تركوه لنوع من التقشُّفِ فبردت أبدانهم، وعسرت حركاتهم، ووقعت عليهم كآبة بلا سبب، وقلَّت شهواتهم وهضمهم.

منافعُ الجماع

قال ابن القيم رحمه الله: من منافعه:

١ - غضُّ البصر.

٢- وكفُّ النفس[1].

٣- والقدرةُ على العفة عن الحرام، وتحصيل ذلك للمرأة، فهو ينفع نفسه في دنياه وأخراه، وينفع المرأة، ولذلك كان ﷺ يتعاهده ويحبه، ويقول: «**حُبِّب إليَّ من دنياكم: النساء والطيب**»[2].

الأمر النبوي بالوضوء إذا أراد معاودة الجماع

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتى أحدُكم أهله، ثم أراد أن يعود فليتوضَّأ**»[3].

قال ابن القيم رحمه الله: وفي الغسل والوضوء بعد الوطء من النشاط، وطيب النفس،

---

(١) يعني: كف النفس عن الحرام والتفكير فيه.

(٢) النسائي (٧/ ٦١) من حديث أنس، وقال الأرناؤوط: وسنده حسن، وصححه الألباني... انظر: صحيح الجامع (٣١٢٤)، والحديث بطوله: «حُبِّب إليَّ من دنياكم النساء والطيب وجُعلت قرةُ عيني في الصلاة».

(٣) مسلم (٣٠٨).



وإخلاف بعض ما تحلل بالجماع، وكمال الطهر والنظافة، واجتماع الحار الغريزي إلى داخل البدن بعد انتشاره بالجماع، وحصول النظافة التي يُحبُّها اللهُ، ويُبغض خلافها ما هو من أحسن التدبير في الجماع، وحفظ الصحة والقوى فيه.

أنفعُ الجماع

قال ابن القيم رحمه الله: وأنفعُ الجماع ما حصل بعد الهضم، وعند اعتدال البدن في حرِّه وبرده، ويبوسته ورطوبته، وخلائه وامتلائه.

تعليمات ومحاذير عن الجماع

قال ابن القيم -رحمه الله- عن الجماع ومحاذيره:

١- وضرره عند امتلاء البدن أسهلُ وأقلُّ من ضرره عند خُلوه.

٢- وكذلك ضرره عند كثرة الرطوبة أقل منه عند اليبوسة.

٣- وعند حرارته أقل منه عند برودته.

٤- وإنما ينبغي أن يجامع إذا اشتدَّت الشهوة، وحصل الانتشار التام الذي ليس عن تكلف ولا فكرٍ في صورة، ولا نظر متتابع.

٥- ولا ينبغي أن يستدعي شهوة الجماع، ويتكلَّفها ويحمل نفسه عليها.

٦- وليبادر إليه إذا هاجت به كثرةُ المني واشتدَّ شبقُهُ.

٧- وليحذر جماع العجوز والصغيرة التي لا يوطأ مثلها، ولا شهوة لها.

٨- والمريضة والقبيحة المنظر والبغيضة فوطءُ هؤلاء يوُهن القوى، ويضُعف الجماع بالخاصية.

جماع البكر أنفع

قال ابن القيم رحمه الله: وغلط مَنْ قال من الأطباء: إن جماع الثيب أنفع من جماع البكر، وأحفظ للصحة، وهذا من القياس الفاسد، حتى ربما حذَّر منه بعضُهم، وهو مخالفٌ لما عليه عقلاء الناس، ولما اتفقت عليه الطبيعة والشريعة.

وفي جماع البكر من الخاصية وكمال التعلق بينها وبين مجُامعها وامتلاء قلبه من محبته، وعدم تقسيم هواها بينه وبين غيره، ما ليس للثيب، وقد جعل اللهُ -سبحانه- من كمال نساء أهل الجنة من الحور العين أنهن لم يطمثهنَّ أحدٌ قبل مَنْ جُعلن له من أهل الجنة، وقالت عائشةُ للنبيﷺ: أرأيت لو مررت بشجرة قد أرتع فيها، وشجرة لم يُرتع فيها، ففي

أيهما كنت ترتع بعيرك؟ قال: «**في التي لم يُرتع فيها**»[١].

جماعُ المرأة المحبوبة

قال ابن القيم رحمه الله: وجماعُ المحبوبة في النفس يقلُّ إضعافُهُ للبدن مع كثرة استفراغه للمني، وجماع البغيضة يحلُّ البدن، ويوهن القوى، مع قلة استفراغه.

أنفع أوقات الجماع

قال ابن القيم رحمه الله: وأنفعُ أوقاته ما كان بعد انهضام الغذاء في المعدة، وفي زمان معتدل لا على جوع، فإنه يضعف الحار الغريزي، ولا على شبع فإنه يُوجب أمراضًا شديدة[٢]. ولا على تعب، ولا على إثر حمام[٣]، ولا استفراغ[٤]، ولا انفعال نفساني، كالغمِّ والهمِّ والحزن، وشدة الفرح.

أجود أوقات الجماع

وأجودُ أوقاته بعد هزيع من الليل إذا صادف انهضام الطعام، ثم يغتسل أو يتوضأ، وينام عليه، وينام عقبه، فتراجع إليه قواه، وليحذر الحركة والرياضة عقبه، فإنها مضرةٌ جدًّا[٥].

(١) البخاري (٩/ ١٠٤).

(٢) يعني: الجماع بعد الأكل وامتلاء المعدة.

(٣) إثر حمام: يعني بعد الاغتسال.

(٤) ولا استفراغ: يعني كالقيء والإسهال.

(٥) الطب النبوي (٢٦٥).

السلام وآدابه

أ- الترغيب في السلام والحثُّ عليه

١ - السلام خير

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: **أي الإسلام خير؟** قال: «**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»[١].

٢ - السلام سبيلٌ للمحبة ولدخول الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**»[٢].

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام، وصلُّوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»[٣].

٣- (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) بثلاثين حسنة

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فردَّ عليه ثم جلس، فقال النبي ﷺ: «**عشرٌ**»، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فجلس، فقال: «**عشرون**»، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس، فقال: «**ثلاثون**»[٤].

ب- الأمر النبوي بإفشاء السلام

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع: بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المقسم[٥].

---

(١) البخاري (١١/ ١٨)، ومسلم (٣٩).

(٢) مسلم (٥٤).

(٣) الترمذي (٢٤٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٦٥).

(٤) أبو داود (٥١٩٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٣٢٧).

(٥) البخاري (٣/ ٩٠، ١١/ ١٥، ١٦)، ومسلم (٢٠٦٦).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يُسلِّمُ الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليلُ على الكثير**»[١]. وفي رواية للبخاري «**والصغير على الكبير**».

د- أَوْلى الناس بالله من بدأ بالسلام:

عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أَوْلى الناس بالله من بدأهم بالسلام**»[٢].

هـ- استحباب السلام عند كل لقاء

عن أبي هريرة ﷺ قال: إذا لقي أحدكم أخاه فليُسلِّم عليه، فإن حالت بينهما شجرةٌ أو جدار، أو حجرٌ ثم لقيه فليُسلِّم عليه[٣].

و- استحباب السلام على الصبيان:

عن أنس ﷺ أنه مرَّ على صبيان فسلَّم عليهم، وقال: كان رسول الله ﷺ يفعله[٤].

ز- جواز السلام على العجائز والنساء اللاتي لا يُخاف الفتنة منهن:

عن سهل بن سعد ﷺ قال: كانت فينا امرأة، وفي رواية: كانت لنا عجوزٌ، تأخذ من أصول السلق فتطرحه في القدر، وتكركر حبات من شعير، فإذا صلينا الجمعة وانصرفنا نسلم عليها، فتقدمه إلينا[٥].

وعن أسماء بنت يزيد ﷺ قالت: مرَّ علينا النبيُّ ﷺ في نسوةٍ فسلَّم علينا[٦].

حـ- استحباب السلام إذا قام من المجلس:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليُسلِّم، فإذا أراد أن يقوم فليُسلِّم فليست الأولى بأحقَّ من الآخرة**»[٧].

---

(١) البخاري (١١/ ١٣)، ومسلم (٢١٦٠).
(٢) أبو داود (٥١٩٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٣٢٨).
(٣) أبو داود (٥٢٠٠)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٣٣٢): صحيح موقوفًا ومرفوعًا.
(٤) البخاري (١١/ ٢٧)، ومسلم (٢١٦٨).
(٥) البخاري (١١/ ٢٨، ٢٩).
(٦) أبو داود (٥٢٠)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٣٣٦).
(٧) أبو داود (٥٢٠٨)، والترمذي (٢٧٠٧)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٣٤٠)، حسن صحيح.

ط- استحباب السلام بالليل بصوت يُسمع اليقظان ولا يوقظ النائم

وعن المقداد ﷺ في حديث طويل، قال: كنا نرفع للنبيﷺ نصيبه من اللبن، فيجيء من الليل فيُسلِّم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويُسمع اليقظان فجاء النبي ﷺ فسلم كما كان يُسلم[١].

ي- جواز إلقاء السلام على المسلمين إذا كانوا في مجلس فيه أخلاط منهم ومن الكافرين

عن أسامة ﷺ أن النبيﷺ مرَّ على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين – عبدة الأوثان واليهود- فسلَّم عليهم النبيﷺ[٢]

ك- تحريم ابتداء الكافرين بالسلام

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «**لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريقٍ فاضطروه إلى أضيقه**»[٣].

ل- إذا سلم أهل الكتاب جاز الرد عليهم بقولك: (وعليكم)

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سلَّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم**»[٤].

---

(١) مسلم (٢٠٥٥).

(٢) البخاري (١١/ ٣٢)، ومسلم (١٧٩٨).

(٣) مسلم (٢١٦٧).

(٤) البخاري (١١/ ٣٦)، ومسلم (٢١٦٣).

آداب الاستئذان

١- إلقاء السلام ثم الاستئذان:

عن ربعي بن حراش قال: حدثنا رجلٌ من بني عامر استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت، فقال: أألج؟[١]، فقال رسول الله ﷺ لخادمه: «**اخرج إلى هذا فعلِّمه، الاستئذان، فقل له: قل: السلام عليكم، أأدخل؟**»، فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل[٢].

٢- ذكر اسم الطارق أو كنيته، وكراهية قوله: (أنا)، ونحوها:

عن أنس ﷺ في حديثه المشهور في الإسراء قال: قال رسول الله ﷺ: « **ثم صعد بي جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، ثم صعد إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة وسائرهن، ويُقال في باب كل سماء: من هذا ؟ فيقول: جبريل**»[٣].

وعن أم هانئ ﷺ قالت: أتيتُ النبي ﷺ وهو يغتسل وفاطمة تستره، فقال: «**من هذه؟**» فقلت: أنا أم هانئ[٤].

وعن جابر ﷺ قال: أتيتُ النبي ﷺ، فدققتُ الباب، فقال: «**من ذا**» فقلت: أنا، فقال: «**أنا أنا!!**» كأنه كرهها[٥].

٣- الاستئذان ثلاث:

عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الاستئذان ثلاث، فإن أُذن لك وإلا فارجع**»[٦].

---

(١) أألج: أأدخل.

(٢) أبو داود (٥١٧٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٣١٢).

(٣) البخاري (٧/ ١٥٥، ١٦٨)، ومسلم (١٦٢).

(٤) البخاري (١/ ٣٣١)، ومسلم (٣٣٦).

(٥) البخاري (١١/ ٣٠)، ومسلم (٢١٥٥).

(٦) البخاري (١١/ ٢٣)، ومسلم (٢١٥٣).

٤- التلطف في طرق الباب عند الاستئذان

عن أنس ﷺ أن أبواب رسول الله ﷺ كانت تقرع بالأصابع(١).

٥- استحباب الوقوف بجانب الباب لا أمامه

وذلك تجنبًا لرؤية امرأة أجنبية تفتح الباب، وأيضًا لعدم الاطلاع على عورات البيوت، وذلك أكثر سترًا وألطف أدبًا وفيه إعانة على غضِّ البصر.

٦- الرجوع إذا لم يؤذن له بعد ثلاث -للحديث السابق آنفًا- والرجوع إن قيل: ارجع أو نحوه

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢٧-٢٨].

قال السعدي في تفسيره: أي: فلا تمتنعوا من الرجوع ولا تغضبوا منه فإن صاحب المنزل لم يمنعكم حقًا واجبًا لكم، وإنما هو متبرعٌ، فإن شاء أذن أو منع، فلا يأخذ أحدكم الكبر والاشمئزاز من هذه الحال(٢).

آداب المجلس

١- إلقاء السلام إذا انتهى إلى المجلس وإذا قام عنه

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة»**(٣).

٢- الجلوس حيث ينتهي به المجلس وعدم تخطي الرقاب

عن جابر بن سمرة ﷺ قال: كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي (٤).

قال ابن عثيمين رحمه الله: فمن آداب المجلس أن الإنسان إذا دخل على جماعة يجلس

---

(١) البخاري في الأدب المفرد.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥٦٥).

(٣) أبو داود (٥٢٠٨)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٣٤٠): حسن صحيح.

(٤) أبو داود (٤٨٢٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٤٠).

حيث ينتهي به المجلس، هكذا كان فعل النبيﷺ، وفعل الصحابة إذا أتوا مجلس النبيﷺ، يعني لا يتقدم إلى صدر المجلس إلا إذا آثره أحدٌ بمكانه، أو كان قد تُرِك له مكانٌ في صدر المجلس فلا بأس.

وأما أن يشق المجلس، وكأنه يقول للناس ابتعدوا وأجلس أنا في صدر المجلس فهذا خلاف هدي النبيﷺ وهدي أصحابه رضي الله عنهم وهو يدل على أن الإنسان عنده شيءٌ من الكبرياء، والإعجاب بالنفس.

ثم إن كان الرجل صاحب خيرٍ وتذكيرٍ وعلمٍ فإن مكانه الذي هو فيه سيكون هو صدر المجلس، فسوف يتجه الناس إليه إن تكلم أو يسألونه إذا أرادوا سؤاله، ولهذا كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- إذا دخل المجلس جلس حيث ينتهي به، ثم يكون المكان الذي هو فيه الرسولﷺ هو صدر المجلس[(١)] .

٣- عدم التفريق بين اثنين إلا بإذنهما

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال:« **لا يحلُّ لرجل أن يفرِّق بين اثنين إلا بإذنهما**»[(٢)] .

قال ابن عثيمين رحمه الله: كذلك أيضًا من آداب المجلس ألا يُفَرَّق بين اثنين يعني: لا يجلس بينهما فيضيق عليهما[(٣)] .

يعني: إذا جئت ووجدت شخصين جلس أحدهما إلى جنب الآخر فلا تفرِّق بينهما إلا إذا أذنا لك في هذا، إما باللسان، يعني: إذا قال أحدهما: تعالَ اجلس هنا، أو بالفعل: بأن يتفرق بعضهما عن بعض، إشارة إلى أنك تجلس بينهما، وإلا فلا تفرِّق بينهما؛ لأن هذا من سوء الأدب وإن قلت: تفسَّح؛ ومن الأذية إن جلست وضيقت عليهما.

٤- عدم الجلوس وسط الحلقة

قال ابن عثيمين رحمه الله: ومن الآداب أيضًا أن يجلس الإنسان حيث انتهى به

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٦٦٥).

(٢) أبو داود (٤٨٤٥)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٥٥): حسن صحيح.

(٣) شرح رياض الصالحين (٢/ ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٦٨).

المجلس كما سبق، فلا يجوز للإنسان أن يجلس وسط الحلقة، يعني إذا رأيت جماعة متحلقين، سواء كانوا متحلقين على من يعلِّمهم، أو على من يتكلم معهم، المهم إذا كانوا حلقة فلا تجلس في وسط الحلقة؛ وذلك لأنك تحول بينهم وبين من يتكلم معهم، ثم إنهم لا يرضون في الغالب أن يجلس أحدٌ في الحلقة يتقدم عليهم، فيكون في ذلك عدوان عليهم، وعلى حقوقهم، إلا إذا أذنوا لك: بأن وقفت مثلًا وكان المكان ضيقًا، وقالوا: تفضل اجلس هنا؛ فلا حرج، أما بدون إذن فلا [1].

٥- من قام من مجلسه ثم عاد إليه فهو أحقُّ الناس به

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه فهو أحقُّ به**» [2].

قال ابن عثيمين رحمه الله: كان ابن عمر ﷺ إذا قام أحدٌ له، وقال له: اجلس في مكاني لا يجلس فيه، كلُّ هذا من الورع، يخشى أن هذا الذي قام قام خجلًا وحياءً من ابن عمر، ومعلوم أن الذي يُهْدي إليك أو يعطيك شيئًا خجلًا وحياءً أنك لا تقبل منه؛ لأن هذا كالمكره. ولهذا قال العلماء رحمهم الله: يحرم قبول الهدية إذا علمت أنه أهداك حياءً أو خجلًا، ومن ذلك أيضًا إذا مررت ببيتٍ وفيه صاحبه وقال: تفضل وأنت تعرف أنه إنما قال ذلك حياءً أو خجلًا فلا تدخل عليه؛ لأن هذا يكون كالمكره [3].

٦- استحباب الاستغفار قبل القيام من المجلس

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن الله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**» [4].

قال ابن عثيمين رحمه الله: كذلك أيضًا من آداب المجالس أن الإنسان إذا جلس مجلسًا فكثر فيه لغطه، فإنه يكفِّره أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٦٦٨).

(٢) مسلم (٢١٧٩).

(٣) شرح رياض الصالحين (٢/ ٦٦٤).

(٤) الترمذي (٣٤٢٩)، وصححه الألباني في المشكاة (٢٤٣٣).

أنت أستغفرك وأتوب إليك، قبل أن يقوم من مجلسه، فإذا قال ذلك، فإن هذا يمحو ما كان منه من لغطٍ وعليه فيُستحبُّ أن يُختم المجلس الذي كثر فيه اللغط بهذا الدعاء وقال رحمه الله: وقلما يجلس الإنسان مجلسًا إلا ويحصل له فيه شيءٌ من اللغط، أو من اللغو، أو من ضياع الوقت؛ فيحسن أن يقول ذلك كلما قام من مجلسه: (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك) حتى يكون كفارة للمجلس[1].

آداب الحديث

١ - التحدث باللغة العربية الفصحى

ينبغي التحدث إلى الناس خاصة في الوعظ والإرشاد باللغة العربية الفصحى والتي هي لغة القرآن والسُّنَّة مع انتقاء الكلمات البسيطة التي يفهمها الجميع من صغارٍ وكبارٍ، وذكورٍ وإناثٍ، ومتعلمين وأُمِّيين، ولكن إن دعت الضرورة إلى التحدث باللغات الأجنبية: كالإنجليزية والفرنسية وغيرها، كأن يتحدث إلى أجانب -إنجليز أو فرنسيين أو غيرهم- فلا بأس، لكن ينبغي أن تُتلى آياتُ القرآن باللغة العربية وبأحكام التجويد، ولا بأس إن فُسرت باللغات الأخرى بعد ذلك، كترجمةٍ لمعاني الآيات لضرورة التفهيم.

٢ - ترك التكلف في الكلام والتشدُّق فيه

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يُبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة**»[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم منِّي مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقًا وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم منِّي يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون**»[3].

والثرثار: كثير الكلام تكلفًا، **والمتشدق**: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحًا تعظيمًا لكلامه. **والمتفيهق**: الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه، ويُغرِّب به تكبرًا، وإظهارًا للفضيلة على غيره.

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٦٦٨، ٦٦٩)

(٢) أبو داود (٥٠٠٥)، الترمذي (٢٨٥٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤١٨٥)

(٣) الترمذي (٦٣١)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٧٩١).

٣- تحديث الناس ومخاطبتهم بما يفهمون

قال علي بن أبي طالب ﷺ حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله[١].

وقال ابن مسعود ﷺ ما أنت بمحدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة[٢].

٤- تفهيم الناس وجواز إعادة الكلام ثلاثًا

عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمةٍ أعادها ثلاثًا؛ حتى تُفْهم عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلَّم عليهم سلَّم عليهم ثلاثًا[٣].

وعن عائشة ﷺ قالت: كان كلام رسول الله كلامًا فصلًا يفهمه كلُّ من يسمعه[٤].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: والمعنى أنه ينبغي للإنسان إذا تكلم وخاطب الناس أن يكلمهم بكلام بيِّنٍ، لا يستعجل في إلقاء الكلمات، ولا يدغم شيئًا في شيءٍ ويكون حقه الإظهار، بل يكون كلامه فصلًا بيِّنًا واضحًا حتى يفهم المخاطب بدون مشقة وبدون كلفة. فبعض الناس تجده يُسرع في الكلام ويأكل الكلام حتى إن الإنسان يحتاج إلى أن يقول له: ماذا تقول؟

فهذا خلاف السُّنَّة، فالسُّنَّة أن يكون الكلام بيِّنًا واضحًا يفهمه المخاطب، فعليك أن تخاطب الناس بلسانهم وليكن كلامك بيِّنًا واضحًا، كما في حديث أنسٍ، فقوله: (حتى تفهم عنه) يدلُّ على أنها إذا فهمت بدون تكرار فإنه لا يكررها، وهذا هو الواقع، فإن الرسول -عليه الصلاة والسلام- نسمع عنه أحاديث كثيرة، يقولها في خطبته وفي المجتمعات ولا يكرر ذلك. لكن إذا لم يفهم الإنسان بأن كان لا يعرف المعنى جيدًا فكرِّر عليه حتى يفهم أو كان سمعه ثقيلًا لا يسمع، أو كان هناك ضجة حوله لا يسمع، فهنا يُستحبُّ أن تكرر حتى يفهم عنك[٥].

---

(١) البخاري.

(٢) مسلم.

(٣) البخاري (١/ ١٩٣، ١٩٤)، ومسلم (٦٥).

(٤) أبو داود (٤٨٣١)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٥١).

(٥) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٠٢، ٥٠٣).

٥- اقتصاد في الموعظة وتخوُّل الناس بها

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن طُول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنةٌ من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة**»[(١)].

وعن شفيق بين سلمة قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكِّرنا في كل خميس، فقال له الرجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، فقال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلَّكم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا[(٢)] بها مخافة السآمة علينا[(٣)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: ينبغي الاقتصاد في الموعظة، فلا تكثر على الناس فتملهم، وتُكَرِّه إليهم القرآن والسُّنَّة وكلام أهل العلم؛ لأن النفوس إذا ملَّت كلَّت، وتعبت، وسئمت، وكرهت الحق وإن كان حقًّا، ولهذا كان خير الواعظين من الخلق محمد ﷺ يتخوَّل الناس بالموعظة، وما يكثر عليهم؛ لئلا يملُّوا ويسأموا ويكرهوا ما يُقال من الحق[(٤)].

٦- إصغاء الجلساء إلى الوعَّاظ والعلماء

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، في حجة الوداع: اسْتَنصِتِ النَّاس[(٥)]، ثم قال: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[(٦)].

قال ابن عثيمين رحمه الله: ينبغي للإنسان أن يكون حَسَن الإصغاء إلى كلام جليسه إذا لم يكن يتكلم بمحرَّم.

---

(١) مسلم (٨٦٩).

(٢) يتخولنا: يتعاهدنا.

(٣) البخاري (١/ ١٥٠)، ومسلم (٢٨٢١).

(٤) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٠٧).

(٥) أي: مُرهم بالإنصات.

(٦) البخاري (١/ ١٩٣، ١٩٤)، ومسلم (٦٥).

وحسن الإصغاء يكون بالقول وبالفعل

أ- أما بالقول

فبألا يتكلم إذا كان جليسه يتكلم، فيحصل بذلك التشويش بأن يكون الكلام كلامًا واحدًا حتى ينتفع الناس جميعًا بما يتكلم به بعضهم.

ب- وأما الإصغاء بالفعل

فينبغي إذا كان الإنسان يُحدثك أن تقبل إليه بوجهك، وألا تلتفت يمينًا وشمالًا؛ لأنك إذا التفت يمينًا وشمالًا وهو يحدثك نسبك إلى الكبرياء، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨]. فينبغي أن تُصغي إليه وأن تقابله بوجهك حتى يعرف أنك قد أحسست به، وأنك قد اهتممت بكلامه، إلا إذا كان يتكلم بشيء محرَّم: كغيبةٍ أو كلامِ لغوٍ أو ما أشبه ذلك من الأشياء المحرمة فإنك لا تُصغي إليه، بل انهه عن ذلك الشيء؛ فإن استمرَّ يتكلم بالكلام المحرَّم ولم يُصغِ إلى قولك وإلى نصحك؛ فالواجبُ عليك أن تقوم من مكانك وأن تفارقه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[1] [النساء: ١٤٠].

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٠٤، ٥٠٥).

آداب العطاس والتثاؤب

أ- آداب العطاس

١- وضع يد العاطس أو ثوبه على فيه وخفض صوته به

عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده، أو ثوبه على فيه وخفض أو غضَّ بها صوته[1].

٢- حمد الله عند العطاس، والدعاء له بالرحمة ممن سمعه، ورد العاطس عليهم بالدعاء بالهداية، وإصلاح البال

عن أبي هريرة ﷺ قال: إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويُصلح بالكم[2].

٣- تشميت العاطس إذا حمد الله وعدم تشميته إذا لم يحمد الله

عن أبي موسى ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمِّتوه، فإذا لم يحمد الله فلا تشمتوه**»[3].

٤- تشميت العاطس حتى ثلاث مرات

عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: عطس رجلٌ عند رسول الله ﷺ وأنا شاهدٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**يرحمك الله**» ثم عطس الثانية أو الثالثة، فقال رسول الله ﷺ: «**يرحمك الله، هذا رجلٌ مزكوم**»[4].

٥- تشميت غير المسلمين بقول: يهديكم الله ويُصلح بالكم

عن أبي موسى ﷺ قال: كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله ﷺ، يرجون أن يقول لهم: يرحمكم الله، فيقول: «**يهديكم الله ويُصلح بالكم**»[5].

---

(١) الترمذي (٢٧٤٦)، وأبو داود (٥٠٢٩)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٢٠٧): حسن صحيح.

(٢) البخاري (١٠/ ٥٠٢).

(٣) مسلم (٢٩٩٢).

(٤) مسلم.

(٥) أبو داود (٥٠٣٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٢١٣).

ب- آداب التثاؤب

١ - رد التثاؤب ما استطاع

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قـال: «**إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله تعالى كان حقًّا على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإن تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان**»[(١)] .

٢- وضع اليد على الفم عند التثاؤب:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**إذا تثاءب أحدكم فليُمسك بيده على فيه، فإن الشيطان يدخل**»[(٢)] .

---

(١) البخاري (١٠/ ٥٠١).

(٢) مسلم (٢٩٩٥).

آدب حفظ اللسان والصمت

الصمت لغةً واصطلاحًا

الصمتُ لُغَةً

مصدرُ قولهم: صَمَتَ يَصْمُتُ إذا سَكَتَ، وهو مأخوذٌ من مادة (ص م ت) التي تدلُّ على إبهامٍ وإغلاقٍ، يقال من ذلك: صَمَتَ الرجلُ وأصمت إذا سكت، ومنه قولهم: ما لـه صامتٌ ولا ناطقٌ، فالصامتُ: الذهبُ والفضَّةُ، والناطقُ: الإبلُ والغَنَمُ والخيلُ.

وبابٌ مُصْمَتٌ: قد أُبهم إغلاقُهُ، والصامتُ من اللَّبنِ: الخاثِرُ؛ لأنـه إذا كـان كـذلك فأفرغ في إناءٍ لم يُسمع له صوتٌ.

قال الجوهري: يُقال: صَمَتَ يَصْمُتُ صمتًا وصُمُوتًا وصُمَاتًا، وأصمت.

وقيل: أَصْمَتَ: معناه أطال السكوت مثله، والتصميتُ: التسكيتُ ومثلُهُ السكوتُ، ورجلٌ صِمِّيتٌ أي: سِكِّيتٌ والصُّمْتَةُ: مثل السكْتَة.

قال ابنُ الأثير: يُقال: صَمَتَ العليلُ وأصـمت فهـو صـامتٌ ومُـصِمتٌ إذا اعتُقـل لسانُه، والصُّمْتَةُ: هي الاسم من صَمَتَ، وقيل: الصَّمْتُ المصدرُ، وما سـوى ذلـك فهـو اسمٌ[1].

الصمتُ اصطلاحًا

قال المناوي: الصَّمْتُ: فقدُ الخاطرِ بِوَجْدٍ حاضرٍ، وقيل: سوق النطـق بظهـور الحـقّ وقيل: انقطاعُ اللسان بظهور العيان[2].

قال الكفوي: الصَّمْتُ: إمساكٌ عن قولِ الباطلِ دون الحَقِّ[3].

---

(١) لسان العرب (٣/ ٢٤٩٢)، والصحاح (١/ ٢٥٦)، والمقاييس (٣/ ٣٠٨)، والنهاية (٣/ ٥١).

(٢) التوقيف (٢١٨).

(٣) الكليات للكفوي (٥٠٧).

حفظُ اللسَانِ لغةً واصطلاحًا

الحفظ لُغةً

(انظر صفة حفظ الفرج).

اللسانُ لغةً

اللسان في اللغة هو جارحةُ الكلام ومنْ ذَكَّرَهُ قال في الجمع ثلاثة ألسنةٍ ومَنْ أنَّثهُ قال: ثلاثُ أَلْسُنٍ، لأن ذلك قياس ما جاء على فعال (من المذكر والمؤنث).

واللَّسَنُ: الفصاحةُ، وقد لَسِنَ فهو لَسِنٌ وألْسَنُ، وقومٌ لُسْنٌ، ويُقال: لسنتُهُ، إذا أخذتَهُ بلسانك، والملسُونُ: الكذَّابُ، واللِّسْنُ: الكلامُ واللُّغَةُ، ولكل قوم لِسْنٌ: أي لُغةٌ يتكلمون بها، واللسانُ: اللُّغَةُ، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]، ومن ذلك قولهم: فلانٌ يتكلَّمُ بلسانِ قومه: أي بلُغتهم، واللّسانُ (أيضًا): الرسالةُ، واللسانُ (أيضًا): المِقْوَلُ، واللّسانُ (أيضًا): الثناءُ، والإلسانُ: إبلاغُ الرسالةَ، وألْسَنَهُ ما يقول: أي أبْلَغَهُ، وألْسَنَ منه: بَلَّغَ، ولَسَنَهُ يَلْسُنُهُ لَسْنًا: كان أجود لسانًا منه، ولَسَنَهُ: كَلَّمَهُ، ولَسَنَهُ: أخذ بلسانه، ولسانُ القوم: المتكلِّمُ بلسانهم، واللسانُ (أيضًا): التقاضي، ولسانُ الميزان: عَذَبَتُهُ، ولسانُ النار: ما يتشكَّلُ منها على شكل اللسان[١].

حفظُ اللِّسانِ اصطلاحًا

قال الجاحظُ: ومن الأخلاق الفاضلة: اللهجةُ، وهي الإخبارُ عن الشيء على ما هو به، وهذا الخلقُ مُستحسنٌ ما لم يؤدِّ إلى ضررٍ مجحفٍ فإنه ليس بمستحسن صدقُ اللسان إن سُئل عن فاحشةٍ كان قد ارتكبها إذ لا يفي صدقُهُ بما يلحقه في ذلك من العار والمنقصةِ الباقية اللازمة[٢]. إذن حفظ اللسان عن طريق اجتناب آفاته من الكذب، والغيبة، والنميمة، وقول الزور، وجميع ما نهى عنه الله ورسولهُ.

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٣٨٧)، الصحاح (٦/ ٢١٩٥).

(٢) تهذيب الأخلاق (٢٦) بتصرف.

الأحاديثُ الواردةُ في الصَّمْتِ وحفظِ اللسان

١ - عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسولُ الله ﷺ: «منْ كان يـؤمن بـالله واليـوم الآخـر فلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَصْمُتْ، ومَنْ كان يؤمن باللهُ واليوم الآخر فليُكرم جاره، ومَنْ كان يـؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفَه»[١].

٢ - وعن أبي أمامة ﷺ قال، قال رسولُ الله ﷺ: «أنا زعيمٌ ببيت في ربض[٢] الجنة لمن ترك المراءَ وإن كان مُحقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حَسُنَ خُلُقُهُ»[٣].

٣- وعن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «إن اللهَ يـرضى لكـم ثلاثًـا، ويكـره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبلِ الله جميعًـا ولا تفرَّقوا، ويكره لكم قيل وقال[٤]، وكثرة السؤال[٥]، وإضاعة المال»[٦].

٤ - وعن عبد الله ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه أدرك عمر بن الخطاب في رَكْـبٍ، وعمُـر يحلفُ بأبيه، فناداهم رسولُ الله ﷺ: «ألا إن الله -عز وجل- ينهـاكم أن تحلفـوا بآبـائكم، فمَنْ كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[٧].

٥- وعن سفيان بن عبد الله الثقفـي ﷺ قـال، قلـتُ: يـا رسـول الله، حـدِّثني بـأمرٍ أعتصمُ به، قال، قُل: «ربِّيَ اللهُ ثم استقم»، قلتُ: يا رسول الله، ما أكثـرُ مـا تخـافُ علـيَّ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «هذا»[٨].

---

(١) البخاري -الفتح (١٠/ ٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) واللفظ له.
(٢) ربض: كل ما تأوي إليه وتستريح لديه.
(٣) أبو داود (٤/ ٤٨٠٠) واللفظ له، والترمذي (١٩٩٣).
(٤) قيل وقال: أي الخوض في أعراض الناس.
(٥) كثرة السؤال: أي التنطُّعُ في المسائل والسؤال عما لا يعني
(٦) مسلم (١٧١٥).
(٧) البخاري- الفتح (١٠/ ١٦٠٨)، ومسلم (١٩٤٦) واللفظ له.
(٨) الترمذي (٢٥٢٢) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وابن ماجه (٣٩٧٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٠٨).

٦- وعن سهل بن سعد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يضمنْ لي ما بين لحييه[1]، وما بين رجليه أضمنْ له الجنَّةَ»[2].

٧- وعن عمرو بن عَبَسَةَ ﷺ قال: قال رجلٌ: يا رسول الله، ما الإسلامُ؟ قال: «أن يُسلمَ قلبُكَ لله -عزَّ وجلَّ- وأن يَسْلَمَ المسلمون من لسانك ويدك» قال: فأيُّ الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمانُ» قال: وما الإيمانُ؟، قال: «تؤمنُ بالله وملائكته وكُتُبِه، ورُسُلِهِ، والبعثِ بعد الموت» قال: فأيُّ الإيمان أفضل؟ قال: «الهجرةُ» قال: فما الهجرةُ؟ قال: «تهجرُ السوء» قال: فأيُّ الهجرة أفضل؟ قال: «الجهادُ» قال: وما الجهادُ؟ قال: «أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم» قال: فأيُّ الجهاد أفضل؟ قال: «مَنْ عُقِرَ[3] جوادُهُ وأهريق[4] دمُهُ» قال رسولُ الله ﷺ: «ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا مَنْ عمل بمثلهما: حجةٌ مبرورةٌ أو عمرةٌ مبرورةٌ»[5].

٨- وعن معاذ بن جبلٍ ﷺ قال: كنتُ مع النبي ﷺ في سفر فأصبحتُ يومًا قريبًا منه ونحن نسيرُ، فقلتُ: يا رسول الله، أخبرني بعملٍ يدخلني الجنَّة، ويُباعدني من النار. قال: «لقد سألتني عن عظيم! وإنه ليسيرٌ على مَنْ يسَّرَهُ اللهُ عليه، تعبدُ الله ولا تُشركُ به شيئًا، وتقيمُ الصلاةَ، وتُؤتي الزكاة، وتصومُ رمضان، وتحجُّ البيت». ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصومُ جُنَّةٌ، والصدقةُ تُطفئُ الخطيئة كما يُطفئ الماءُ النارَ، وصلاةُ الرجل في جوف الليل» قال: ثم تلا ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦] ثم قال: «ألا أخبرك برأسِ الأمر كُلِّهِ وعمودهِ وذروةِ سنامه؟» قلتُ: بلى، يا رسول الله، قال: «رأس الأمرِ الإسلامُ، وعمودُه الصلاةُ، وذِروةُ سَنَامِهِ الجهادُ»، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كُلِّهِ؟» قلتُ: بلى، يا نبي الله، فأخذ بلسانه؛ قال: «كُفَّ عليك هذا» فقلتُ: يا نبي الله، وإنا لمُؤَاخَذُون بما نتكلَّمُ به قال: «ثكلتك أُمُّكَ يا معاذ، وهل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم»[6].

---

(١) ما بين لحييه، أي: ما بين فَكَّيْه. أي: اللسان.

(٢) البخاري- الفتح (١١/ ٦٤٧٤) واللفظ له، والترمذي (٢٤٠٨).

(٣) عُقر: قُطعت رجلُه في المعركة.

(٤) أهريق: لغة من أُريق. أي: أُسيل.

(٥) أحمد (٤/ ١١٤) واللفظ له، انظر الصحيحة للألباني (٥٥١)، وأصل الحديث في مسلم

(٦) الترمذي (٢٦١٦) واللفظ له، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣/ ٢٩،٣٠).

٩- وعن علي ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة غُرَفًا يُرَى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدَّها اللهُ لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلَّى بالليل والناسُ نيام»[1].

١٠- وعن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسولُ الله ﷺ: «أطبِ الكلامَ، وأفشِ السلامَ، وصِلِ الأرحامَ، وصَلِّ بالليل والناسُ نيام، ثم ادخل الجنة بسلام»[2].

١١- وقال ﷺ: «إن الرجل ليتكلَّمُ بالكلمةِ من رضوان الله تعالى، ما كان يظنُّ أن تَبْلُغَ ما بلغت، يكتبُ اللهُ له بها رضوانَه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلّمُ بالكلمة من سخط الله، ما كان يظنُّ أن تبلُغَ ما بلغت، يكتبُ اللهُ له بها سُخطه إلى يوم يلقاه»[3].

١٢- وعن أنس ﷺ قال، قال رسولُ الله ﷺ: «عليك بُحسنِ الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما تجمَّلَ الخلائقُ بمثلهما»[4].

١٣- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال سألت رسول الله ﷺ فقلتُ يا رسول الله، أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاةُ على ميقاتها» قلتُ: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: «أن يسلم المسلمون من لسانك»[5].

١٤- وعن البراء بن عازب ﷺ قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، عَلِّمني عملًا يُدخلني الجنَّةَ؟ قال: «إن كنتَ أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة، وفكَّ الرقبة، فإن لم تُطق ذلك فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وأمُر بالمعروفِ، وانه عن المنكر، فإن لم تُطق ذلك، فكُفَّ لسانك إلا عن خير»[6].

---

(١) الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١١٩).

(٢) ابن حبان، وأبو نعيم في الحلية، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٣٠)، والصحيحة (٥٦٩، ١٤٦٦).

(٣) مالك، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٨٨).

(٤) البيهقي في الشعب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٢٧).

(٥) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٦) أحمد، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

١٥- وعن عقبة بن عامر ﷺ قال، قلتُ: يا رسول الله، ما النجاةُ؟ قال: **«أمسكْ عليك لسانَك، وليسعك بيتُك، وابكِ على خطيئتك»**(١).

١٦- وعن أنس ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: **«لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيم قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُه، ولا يدخل الجنة رجلٌ لا يأمنُ جارُهُ بوائقه»**(٢).

١٧- وعن معاذ بن جبل ﷺ قال، قال رسولُ الله ﷺ: **«إنك لا تزال سالمًا ما سكتَّ، فإذا تكلَّمتَ كُتبَ لك أو عليك»**(٣).

١٨- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: **«إذا أصبحَ ابنُ آدم فإن الأعضاءَ كُلَّها تُكفِّرُ اللسان، فتقول: اتَّقِ الله فينا، فإنما نحنُ بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»**(٤).

١٩- وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَنْ صمت نجا»**(٥).

٢٠- وعن أم حبيبة ﷺ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: **«كُلُّ كلامِ ابن آدم عليه لا له، إلا أمرٌ بمعروفٍ أو نهيٌ عن منكر، أو ذكر الله»**(٦).

٢١- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»**(٧).

٢٢- وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أفضلُ الجهادِ أن تُجاهد نفسَك وهواك في ذات الله عز وجل»**(٨).

---

(١) أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٩٠).

(٢) أحمد، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٣) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٤) الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٥) الترمذي، وأحمد، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٣٥)، وصحيح الجامع (٦٢٤٣).

(٦) الترمذي، وابن ماجة، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، وصحيح ابن ماجه، وصحيح الترغيب والترهيب.

(٧) جزء من حديث أخرجه الطبراني وابن عساكر، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٣٤).

(٨) أبو نعيم في الحلية، والديلمي، وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٩٦).

٢٣- وقال رسول الله ﷺ: «أفضلُ المؤمنين إسلامًا مَنْ سلم المسلمون من لسانه ويده، وأفضلُ المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وأفضلُ المهاجرين مَنْ هجر ما نهى اللهُ تعالى عنه، وأفضلُ الجهادِ مَنْ جاهد نفسه في ذات الله عز وجل»(١).

٢٤- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الرجلَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ لا يرى بها بأسًا، يهوي بها سبعين خريفًا في النار»(٢).

٢٥- وقال رسول الله ﷺ: «سيكون قومٌ يأكلون بألسنتهم كما تأكلُ البقرةُ من الأرض»(٣).

٢٦- وقال ﷺ: «إن الله عَزَّ وجَلَّ يبغضُ البليغ من الرجال، الذي يتخلَّلُ بلسانه تَخَلُّلَ البقرة بلسانها»(٤).

٢٧- وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون المُتشدِّقون، والمُتفيهقون» قالوا: قد علمنا الثرثارون المُتشدِّقون، فما المُتفيهقون؟ قال: «المُتكبرون»(٥).

٢٨- وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليس المؤمنُ بالطَّعَّان، ولا باللَّعَّانِ، ولا بالفاحش، ولا بالبذيّ»(٦).

٢٩- وعن أنس ﷺ قال: «ما كان الفُحشُ في شيءٍ إلا شانه، وما كان الحياءُ في شيءٍ إلا زانه»(٧).

٣٠- وعن البراء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الربا اثنان وسبعون بابًا، أدناها مثل إتيان الرجلِ أُمَّهُ، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عِرض أخيه»(٨).

---

(١) الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٩١).

(٢) متفق عليه.

(٣) الترمذي، وأحمد، انظر الصحيحة (٤٢٠).

(٤) الترمذي، وأبو داود، انظر الصحيحة (٤٢١).

(٥) أحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا، والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٩١).

(٦) البخاري.

(٧) الترمذي، وأحمد، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٣١).

(٨) البيهقي في الشعب وعبد الرازق في الجامع، وصححه الألباني في الصحيحة، (١٤٣٣)، وصحيح الجامع (٨٨٥).

أقوال العلماء في الصمت وحفظ اللسان

١ - قال عمر بن الخطاب ﷺ: «مَنْ كَثُرَ كلامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ»[(١)].

٢ - وقالَ عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ: «اللسانُ قوامُ البدن، فإذا استقام اللسانُ استقامت الجوارحُ، وإذا اضطرب اللسانُ لم تَقُمْ له جارحةٌ»[(٢)].

٣ - وقال عبدُ الله بن عمرو -رضي اللهُ عنهما: «دَعْ ما لست منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعنيك، واخْزِنْ لسانك كما تخزنُ وَرِقَكَ»[(٣)].

٤ - وقال عبد الله بن مسعود ﷺ «والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طُولِ سجنٍ من اللسان»[(٤)].

٥ - وقال أيضًا: «أنذرتُكم فضولَ الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته»[(٥)].

٦ - وعن أنس ﷺ قال: «لا يَتَّقِي اللهَ -عز وجل- رجلٌ أو أحدٌ حقَّ تُقاته حتى يَخْزِنَ من لسانَه»[(٦)].

٧ - وعن ابن عباس ﷺ قال: خمسٌ لهن أحبُّ إليَّ من الدُّهْمِ الموقوفة:

- لا تتكلَّمْ فيما لا يَعنيك فإنه فضلٌ، ولا آمنُ عليك الوزرَ.
- ولا تتكلَّمْ فيما يعنيك حتى تجد له موضعًا، فإنه رُبَّ مُتكلِّم في أمر يعنيه، قد وضعه في غير موضعه فعنت.
- ولا تُمار حليمًا ولا سفيهًا، فإن الحليم يقليك، والسفيه يُؤذيك.
- واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحبُّ أن يذكرك به، وأعْفه مما تُحبُّ أن يُعفيَك منه

---

(١) الصمت لابن أبي الدنيا (٢٤١).

(٢) المرجع السابق (٢٤٩).

(٣) الإحياء (٣/ ١٢٢).

(٤) المرجع السابق (٣/ ١٢٠).

(٥) الصمت (٢٣٩-٢٤٠).

(٦) حسنُ السمت في الصمت (٥٣).

وعَامَل أخاك بما تحبُّ أن يُعاملك به.

- واعمل عملَ رَجُل يعلمُ أنه مجازى بالإحسان مأخوذٌ بالاحترام(١).

٨- وعن يعلى بن عبيد -رحمه الله- قال: دخلنا على محمد بن سُوقة فقال: أحدثكم بحديث لعلَّهُ ينفعكم فإنه قد نفعني، قال لنا عطاء بنُ أبي رباح: يا بني أخي، إن مَنْ كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعُدُّون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن تقرأه، أو تأمر بمعروف، أو تنهى عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بدَّ لك منها. أتنكرون: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٢] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨] أما يستحي أحدُكم أن لو نشرت عليه صحيفتُه التي أملي صدرَ نهاره، كان أكثرُ ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه(٢).

٩- قال طاوس رحمه الله: لساني سَبْعٌ إن أرسلته أكلني(٣).

١٠- وقال محمُد بنُ واسع لمالك بن دينار: يا أبا يحيى حفظ اللسان أشدُّ على الناسِ من حفظ الدينار والدرهم(٤).

١١- وقال الحسنُ رحمه الله: ما عَقَلَ دينَهُ مَنْ لم يحفظ لسانَه(٥).

١٢- وعن الأوزاعي قال: كتب إلينا عمُر بن عبد العزيز -رحمه الله- برسالة لم يحفظها غيري، وغير مكحولٍ: أما بعدُ، فإنه من أكثر ذكر الموت، رضي من الدنيا باليسير، ومَنْ عَدَّ كلامَهُ من عملِهِ قَلَّ كلامُهُ فيما لا ينفعه(٦).

١٣- وعن يزيد بن أبي حبيب -رحمه الله- قال: من فتنة العالم أن يكون الكلام أحبَّ

---

(١) الإحياء (٣/ ١٢٢).
(٢) الصمت (٢٤٠، ٢٤١)، والإحياء (٣/ ١٢٣، ١٢٤).
(٣) الإحياء (٣/ ١٢٠).
(٤) المرجع السابق (٣/ ١٢٠).
(٥) المرجع السابق (٣/ ١٢٠).
(٦) المرجع السابق (٣/ ١١٢).

إليه من الاستماع، وإن وجد مَنْ يكفيه، فإن في الاستماع سلامة وزيادة في العلم والمستمعُ شريكُ المتكلِّم في الكلام إلا مَنْ عصمَ اللهُ ترمُّق، وتزيُّنٌ، وزيادةٌ، ونقصانٌ[١].

١٤ - وقال عبيدُ الله بنُ أبي جعفر: إذا كان المرءُ يُحدِّث في مجلس فأعجبه الحديثُ فلْيَسْكُتْ، وإن كان ساكتًا فأعجبه السكوتُ فليُحدِّثْ[٢].

١٥ - وعن عبد الله بن المبارك -رحمه الله- قال: قال بعضهم في تفسير العُزلة: هو أن يكون مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله فخُضْ معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسْكُتْ[٣].

١٦ - وعن إبراهيم بن عبد العزيز التيمي قال: المؤمنُ إذا أراد أن يتكلَّم نظر، فإن كان كلامُهُ له تكلَّمَ، وإن كان عليه أمسك عنه، والفاجرُ إنما لسانُهُ رَسْلًا رسْلًا[٤].

١٧ - وعن الربيع بن خثيم قال: لا خير في الكلام إلا في تسع: تهليلٌ، وتكبيرٌ، وتسبيحٌ، وتحميدٌ، وسؤالك عن الخيرٌ، وتعوُّذُك من الشر، وأمرك بالمعروف، ومنهيك عن المنكر، وقراءُتك القرآن[٥].

١٨ - وعن يونس بن عبيد قال: ما من الناس أحدٌ يكونُ لسانُه منه على بالٍ إلا رأيت صلاحَ ذلك في سائر عمله[٦].

١٩ - وقال محمد بن الفضل الحارثي رحمه الله: كان يُقال: كثرةُ الكلام تُذهبُ الوقار[٧].

٢٠ - وعن عبد العزيز بن أبي روَّاد قال: قال رجلٌ لسلمان ﷺ أوصني؟ قال: لا تكلَّم، قال: وكيف يصبر رجلٌ على أن لا يتكلَّم؟ قال: فإن كنت لا تصبرُ على الكلام، فلا

(١) الصمت (٢٥٣).
(٢) المرجع السابق (٢٥٢).
(٣) المرجع السابق (٢٤١).
(٤) المرجع السابق (٢٤٧).
(٥) الصمت (٢٥٣).
(٦) المرجع السابق (٢٥٧).
(٧) حسنُ السمت في الصمت (٢٨) للسيوطي.

تتكلَّمْ إلا بخيرٍ أو اصْمُت[١].

٢١- وقال أبو بكر بن عَيَّاش: اجتمع أربعة ملوكٍ، فقال أحدُهم: أنا أندمُ على ما قلتُ، ولا أندمُ على ما لم أقل، وقال آخر: إني إذا تكلَّمتُ بكلمةٍ ملكتني ولم أملكها وإذا لم أتكلَّمْ بها ملكتُها ولم تملكني، وقال ثالثٌ: عجبتُ للمتكلم إن رجعت عليه كلمتُه ضَرَّتْهُ، وإن لم ترجعْ لم تنفعْهُ! وقال الرابعُ: أنا على ردِّ ما لم أقلْ أقدرُ مني على ردِّ ما قلتُ[٢].

٢٢- وقال بعضُهم: الصمتُ يجمع للرجل فضيلتين: السلامة في دينه، والفهم عند صاحبه[٣].

٢٣- وعن ميمون بن مهران قال: جاء رجلٌ إلى سلمان فقال: أوصني، قال: لا تكلَّمْ، قال: لا يستطيع مَنْ عاش في الناس أن لا يتكلَّم، قال: فإن تكلمت، فتكلَّمْ بحقٍّ أو اسْكُتْ، قال: زدني، قال: لا تغضب، قال: إنه ليغشاني ما لا أملكه، قال: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك، قال: زدني، قال: لا تُلابس الناس، قال: لا يستطيع مَنْ عاش في الناس أن لا يلابسهم، قال: فإن لابستهم فاصْدُقِ الحديث وأدِّ الأمانة[٤].

٢٤- وعن معاذ بن سعيد قال: كُنَّا عند عطاء بن أبي رباح فتحدَّث رجلٌ بحديث فاعترض له آخرُ في حديثه فقال عطاء: سبحان الله، ما هذه الأخلاق؟! ما هذه الأخلاق؟! إني لأسمعُ الحديث من الرجل وأنا أعلمُ به فأريه أني لا أحسنُ منه شيئًا.

وعن عثمان بن الأسود قال: قلتُ لعطاء: الرجلُ يمرُّ بالقوم فيقذفُهُ بعضُهم، أَيُخْبِرُهُ؟ قال: لا، المجالسُ بالأمانة[٥].

٢٥- وعن أبي بكر بن عيَّاش قال: أدنى نفع السكوتِ السلامةُ وكفى بها عافية،

---

(١) الصمت (٢١٥).

(٢) الإحياء (٣/ ١٣٣).

(٣) المرجع السابق (٣/ ١١١).

(٤) صفة الصفوة (١/ ٥٤٩).

(٥) صفة الصفوة (٢/ ٢١٤).

وأدنى ضرر المنطق الشهرة وكفى بها بَلِيَّة (١).

٢٦- وقال فيض بن وثيق: سمعتُ الفضيل يقول: إن استطعت أن لا تكون مُحدِّثًا ولا قارئًا، ولا مُتكلمًا إن كنت بليغًا قالوا: ما أبلغه، وأحسن حديثه، وأحسن صوته، فيعجبك ذلك فتنتفخ، وإن لم تكن بليغًا، ولا حسنَ الصوت، قالوا: ليس يحسن يُحدِّثُ وليس صوته بحسن، أحزنك ذلك، وشقَّ عليك، فتكون مرائيًا، وإذا جلست، فتكلَّمت، فلم تُبال من ذَمَّك ومن مدحك، فتكلَّمْ (٢).

٢٧- وقيل للفضيل بن عياض: ما الزهد؟ قال: القنوع. قيل: وما الورع؟ قال: اجتناب المحارم، قيل: وما العبادة؟ قال: أداءُ الفرائض، قيل: وما التواضع؟ قال: أن تخضع للحق، وقال: أشدُّ الورع في اللسان.

٢٨- وقال الذهبي: هكذا هو، فقد ترى الرجلَ وَرِعًا في مأكله وملبسه ومعاملته، وإذا تحدَّث يدخل عليه الداخل من حديثه، فإما أن يتحرَّى الصدق، فلا يكمل الصدق، وإما أن يصدقَ، فينمِّق حديثه، ليمُدح على الفصاحة وإما أن يُظهر أحسن ما عنده ليُعظَّم، وإما أن يسكت في موضع الكلام ليُثْن عليه، ودواء ذلك كله الانقطاعُ عن الناس إلا من الجماعة (٣).

٢٩- وعن عبادة بن كليب قال: سمعتُ ابن السَّماك يقول: سَبُعُك بين لحَيَيْك تأكل به كُلَّ من مَرَّ عليك، قد آذيت أهل الدور في الدور حتى تعاطيت أهل القبور، فما ترثي لهم وقد جرى البلى عليهم، وأنت ها هنا تنبشهم، إنما نرى أن نبشهم أخذُ الخِرقَ عنهم، إذا ذكرت مساوئهم فقد نبشتهم، إنه ينبغي لك أن يدلك على ترك القول في أخيك ثلاث خلال، أما واحدة فلعلك أن تذكره بأمر هو فيك فما ظَنُّك بربك إذا ذكرت أخاك بأمر هو فيك؟

ولعلك تذكره بأمرٍ فيك أعظمُ منه فذلك أشدُّ استحكامًا لمقته إياك، ولعلك تذكره

---

(١) السير (٨/ ٥٠١).
(٢) السير (٨/ ٤٣٣).
(٣) السير (٨/ ٤٣٤).

بأمر قد عافاك الله منه فهذا جزاؤه إذ عافاك أما سمعت: ارحم أخاك واحمد الذي عافاك؟[١].

٣٠- وقال بكر بن منير: سمعتُ أبا عبد الله البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبتُ أحدًا.

قال الذهبي: صَدَقَ -رحمه الله- ومَنْ نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يُضعِّفُه، فإن أكثر ما يقول: منكر الحديث سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وقلَّ أن يقول: فلانٌ كذَّاب، أو كان يضع الحديث، حتى إنه قال: إذا قلتُ: فلانٌ في حديثه نظر، فهو مُتَّهمٌ. وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبتُ أحدًا، وهذا هو والله -غايةُ الورع[٢].

٣١- وعن سهل بن عبد الله التستري قال: من أخلاق الصديقين أن لا يحلفوا بالله، وأن لا يغتابوا، ولا يُغتاب عندهم، وأن لا يشبعوا، وإذا وعدوا لم يُخلفوا، ولا يمزحون أصلًا[٣].

٣٢- وقال الحكماء: الصمت على خمسٍ: على علمٍ، وحلمٍ وعِيٍّ، وجهلٍ، وعظيمةٍ.

٣٣- وسمع الربيعُ بن خثيم يُلاحي رجلًا، فقال: مه!! لا تلفظ إلا بخير، ولا تقُلْ لأخيك إلا ما تحبُّ أن تسمعه من غيرك، فإن العبد مسئولٌ عن لفظه محصيّ عليه ذلك كله، ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

٣٤- وقال خُصيف، وعبدُ الكريم بنُ مالك: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة، ولكن في الكَفِّ عن أعراض الناس.

٣٥- وقال عون بن عبد الله: ما أحسب أحدًا تفرَّغ لعيوب الناس إلا من غفلةٍ غفلها عن نفسه.

٣٦- وقال الحسن: يا ابن آدم، بُسطت لك صحيفةٌ، وَوُكِّلَ بك ملكان كريمان

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٧٦).
(٢) السير (١٢/ ٤٣٩، ٤٤١).
(٣) السير (١٣/ ٣٣٢).

يكتبان عمَلك فأكثر ما شئت أو أقل.

٣٧- وقال رحمه الله: مَنْ كثر ماله كثرت ذنوبُه، ومَنْ كَثُر كلامُه كَثُرَ كذبُه، ومَنْ ساء خلقُه عذَّبَ نفسَه.

٣٨- وقال كعب: قِلَّةُ المنطق حُكمٌ عظيمٌ، فعليكم بالصمت، فإنـه رعـةٌ(١) حـسنةٌ، وقلَّةُ وزر وخِفَّةٌ في الذنوب(٢).

٣٩- وقال سفيانُ بنُ عيينه: طول الصمت مفتاحُ العبادة.

٤٠- وقال الفضيلُ بن عياض: ما حـجٌ، ولا ربـاطٌ ولا اجتهـادٌ، أشـدُّ مـن حـبس اللسان، ولو أصبحتَ يُهمُّك لسانك أصبحت في غمٍّ شديدٍ(٣).

٤١- وقال رحمه الله: سجنُ اللسان سجنُ المؤمن وليس أحدٌ أشـدَّ غـمًّا ممـن سـجن لسانه(٤).

٤٢- وقال عُمر بن عبد العزيز: إذا رأيتم الرجل يطيلُ الصمت ويهرب من الناس، فاقتربوا منه، فإنه يُلَقَّن الحِكْمَةَ(٥).

٤٣- وقال رجلٌ لعبد الله بن المبـارك رحمـه الله: ربـما أردتُ أن أتكَلـمَ بكـلام حـسنٍ، أو أُحدِّث بحديثٍ فأسكتُ، أريد أن أُعوِّد نفسي السكوت، قال: تؤجر في ذلك وتشرفُ به(٦).

٤٤- قال مُوَرقٌ العجلي: أمرٌ أنا أطلب منذ عشر سنين، لم أقدر عليه، ولستُ بتـاركٍ طلبه قيل: ما هو يا أبا المعتمر؟ قال: الصمتُ عما لا يعنيني(٧).

---

(١) رعة: من الورع، ويقصد به الكف عن القبيح من الكلام وسوء الأدب.
(٢) الصمت (٢٢٠، ٢٢١).
(٣) الصمت (٢٨١، ٢٨٣، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٠٣).
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.
(٦) المرجع السابق.
(٧) الزهد لابن حنبل (٣٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٣٥)، والصمت (٧٧).

من قصص الصالحين في حفظ اللسان

الأحنفُ بنُ قيس

عن الحسن -رحمه الله- قال: كانوا يتكلمون عند معاوية ﷺ والأحنف ساكت، فقالوا: ما لك لا تكلَّمُ يا أبا بَحْرٍ؟ قال: أخشى الله إن كذبتُ، وأخشاكم إن صدقتُ[1].

طاوسُ اليمانيُّ

قال عبدُ الله بنُ طاوس رحمه الله: كان طاوس -رحمه الله- يتعذَّر من طول السكوت ويقول: إني جرَّبتُ لساني فوجدتُه لئيمًا[2].

الربيعُ بنُ خثيم

عن أبي عمرو بن حيويه، وأبي بكر الوراق، قالا: أخبرنا يحيى قال: حدثنا الحسين، قال: أخبرنا ابنُ المبارك، قال: أخبرنا يونس بنُ أبي إسحاق، قال: أخبرنا بكر بن ماعز أن الربيع بن خثيم أتته ابنةٌ له فقالت: يا أبتاه، أذهب وألعب؟ فلما أكثرت عليه، قال له بعضُ جلسائه: لو أمرتها فذهبت، قال: لا يُكتب عليَّ اليوم أني آمرها تلعب[3].

مُوَرِّقُ العجلي

قال رحمه الله: تعلمَّتُ الصمت في عشر سنين، وما قلتُ شيئًا قطُّ إذا غضبتُ، أندمُ عليه إذا زال غضبي[4].

إبراهيم بنُ أدهم

قال أبو إسحاق الفزاري: كان إبراهيمُ بنُ أدهم - رحمه الله- يطيلُ السكوت، فإذا تكلَّم ربما انبسط، قال: فأطال ذات يوم السكوت، فقلتُ: لو تكلّمت؟ فقال: الكلام على أربعة وجوه:

- فمن الكلام كلامٌ ترجو منفعته، وتخشى عاقبته: والفضل في هذا السلامة منه.

---

(١) الصمت لابن أبي الدنيا (٢٢٦).

(٢) المرجع السابق (٢٤٨).

(٣) الزهد لابن المبارك (٧٩).

(٤) السير (٤/ ٣٥٣-٣٥٥).

- ومن الكلام كلامٌ لا ترجو منفعته، ولا تخشى عاقبته: فأقلُّ ما لك في تركه خِفَّة المؤنة على بدنك ولسانك.

- ومن الكلام كلامٌ لا ترجو منفعته، وتأمن عاقبته: فهذا قد كفى العاقل مؤنته.

- ومن الكلام كلامٌ ترجو منفعته وتأمن عاقبته.

- قال خلفُ بنُ تميم: فقلتُ لأبي إسحاق: أراه قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام؟! قال: نعم(١).

إبراهيم التيمي

قال العوَّام بنُ حوشب: ما رأيتُ إبراهيم التيمي رافعًا رأسه إلى السماء في الصلاة، ولا في غيرها، ولا سمعتُه قطُّ يخوض في شيء من أمر الدنيا (٢).

ميمونُ بنُ سياه

قال ميمونُ بن سياه: ما تكلَّمتُ بكلمةٍ منذ عشرين سنة لم أتدبرها قبل أن أتكلَّم بها، إلا ندمتُ عليها، إلا ما كان من ذكر الله (٣).

داود المديني

قيل: لداود المديني من أهل مرو: لِمَ لا تتكلَّمُ؟! فسكت طويلًا، ثم رفع رأسه كأنه غائبٌ. فقيل له: ألا تتكلّمُ؟! قال: انتظر رسول رب العالمين، وأنا مُفكِّرٌ في الجواب، فالذي يكون مشغولًا بذلك كيف يقدر أن يتكلَّمَ ؟! (٤)

عبد الله بنُ أبي زكريا

عن الوليد بن سليمان بن السائب قال: كان عبد الله بن أبي زكريا إذا خاض جلساؤه في غير ذكر الله، رأيته كالساهي، فإذا خاضوا في ذكر الله، كان أحسن الناس استماعًا (٥).

---

(١) الصمت لابن أبي الدنيا (٥٠).

(٢) الصمت (٢١٩).

(٣) المرجع السابق (٢٢٠، ٢٢١).

(٤) المرجع السابق (٣٠٢).

(٥) المرجع السابق (٣٠٥).

من فتاوى التربية الأدبية

س١ سئل الإمام السيوطي: رجلٌ سلم على جماعة من المسلمين وفيهم نصراني فأُنكر عليه ذلك، فقال: ما قصدت إلا المسلمين، فقيل له: من حقك أن تقول السلام على من اتبع الهدى، فهل يجزئ اللفظ الأول أو يتعين الثاني؟

ج١ فأجاب: لا يُجزئ في السلام إلا اللفظ الأول، ولا يستحق الردُّ إلا به، ويجوز السلام على المسلمين وفيهم نصراني إذا قصد المسلمين فقط، وأما السلام على من اتبع الهدى فإنما شُرع في صدور الكتب إذا كتبت للكافر كما ثبت في الحديث الصحيح[(١)][(٢)].

س٢ هل يجوز للرجل الأجنبي أن يبتدئ المرأة الأجنبية بالسلام؟

ج٢ فأجاب العلامة شمس الدين محمد الرملي قائلًا: ففي الروضة ذكر الكراهة، وعبارة الروضة: ولو سلم رجلٌ على امرأة أو عكسه فإن كان بينهما زوجية أو محرمة جاز، ووجب الرد وإلا فلا يجب إلا أن تكون عجوزًا خارجة عن مظنة الفتنة، وفهم صاحب الروضة من ذلك الجواز، وعبارة الأذكار (للنووي): فإن كانت أجنبية فإن كانت جميلة يخاف الافتتان بها لم يُسلِّم الرجل عليها ولو سلم لم يجز لها رد الجواب ولم تسلم عليه ابتداء، فإن سلّمت لم تستحق جوابًا، فإن أجابها كُره له، وأن كانت عجوزًا لا يُفتتن بها جاز أن تُسلّم على الرجل، وعلى الرجل ردُّ السلام عليها.

قلتُ: وإن كانت النساء جميعًا فسلم عليهن الرجل أو كان الرجال جميعًا فسلّموا على المرأة الواحدة جاز، إذا لم يخف عليه ولا عليهن ولا عليها ولا عليهم فتنة[(٣)].

س٣: هل يجوز للمرأة إلقاء السلام على الرجال دون مصافحة؟

ج٣: فأجاب الألباني قائلًا: المسألة فيها تفصيل، والراجح والله أعلم أنه لا يجوز للمرأة الشابة أن تُلقي السلام على الرجال، أما إذا كانت مسنة حيث يغلب الظنُّ أنه لا

---

(١) كما في قصة هرقل في صحيح البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما.

(٢) الحاوي للفتاوي للسيوطي (٢٥٢).

(٣) فتاوي العلامة شمس الدين الرملي (٤/ ٥٠-٥٢).

يترتب من إلقائها السلام شيءٌ من الفتنة فلا بأس من إلقائها السلام.

س٤: هل تأثم المرأة إذا صافحت رجلًا وهي ترتدي قفازًا؟

ج٤: فأجاب ابن جبرين قائلًا: لا يجوز للمرأة أن تصافح الأجانب منها غير المحارم، ولو كانت قد لبست قفازًا وصافحت من وراء الكم أو العباءة فكله مصافحة، ولو من وراء حائل[1].

س٥: هل يجوز للرجل أن يسلم على أقاربه من النساء مثل زوجة العم والخال وبنت العم والخال وغير ذلك؟

ج٥: فأجابت لجنة الفتوى بجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر: إن السلام بالقول دون المصافحة جائزٌ لمثل هؤلاء اللاتي ذُكرن في السؤال، أما المحارم كالأم والأخت والبنت والعمة والخالة، وبنت الأخ وبنت الأخت من النسب أو من الرضاع فتجوز الخلوة بهن وكذلك النظر إلى الزينة الظاهرة وكذلك المصافحة، والله أعلم[2].

س٦: إذا غلب على ظنه أنه إذا سلَّم لا يردُّ عليه السلام، فهل يُسلِّم أم لا؟

ج٦: فأجاب النووي رحمه الله: نعم، يُسلِّم.

س٧: يوجد معي زميلات في العمل أغلب كلامهن عن الطالبات والمدرسات نصحتهن أكثر من مرة فأعرضن عني ماذا عليَّ أن أفعل؟

ج٧: فأجاب ابن عثيمين رحمه الله: ما دمتي تنصحنهن عن الكلام الذي لا يحل ولا يجوز في المدرسات والطالبات فأنت على خيرٍ، وإن امتثلن صار الخير لهن أيضًا، وإن لم يمتثلن فأنت على خيرٍ وهن اللائي أسأن وأذنبن، ولكن مع ذلك استمري في نصيحتهن حتى ولو عُدن إلى ما كُنَّ عليه، لأن مع كثرة النصيحة والدعوة إلى الله ربما يحصل الإقلاع التام، والواجب عليهن أن يحفظن ألسنتهن من القول المحرم.

س٨: سئل ابن الصلاح رحمه الله: هل تجوز غيبة المبتدع ابتداءً وانتهاءً، والمحدِّث المجرِّح بالكذب تجوز غيبته ابتداءً وانتهاءً، وهل تجوز غيبة الفاسق المتظاهر بفسقه كشرب

---

(١) فتاوى المرأة (٢٣١).

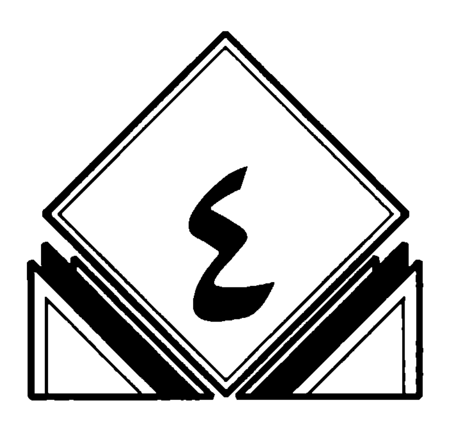
(٢) فتاوى لجنة الفتوى بأنصار السنة (١٢٦، ١٢٧).

الخمر وغيره، وهو يحب التظاهر، وهل تجوز غيبة المتعرض لأعراض المسلمين بنقص الناس ويمدح نفسه لهم؟

ج٨: فأجاب: تجوز غيبة المبتدع، بل ذكره بما هو عليه مطلقًا غائبًا وحاضرًا إذا كان المقصود التنبيه على حاله ليحذروا، على هذا مضى السلف الصالحون أو من فعل ذلك منهم، ثم يجوز ذلك ابتداءً يبتدئ به، وإن لم يُسأل، ويجوز عند جريان سبب من سؤال وغيره، وهكذا الحال في المحدث المتصف بما يسقط أهليته من كذبٍ وغيره، فقد كان بعض الأئمة يطوف بالكعبة ويقول: فلانٌ ضعيف، فلانٌ كذا، ويرى ذلك من القربان.

وكذلك غيبة الفاسق تجوز على وجه التنبيه لمن يجهل حاله سواء كان متظاهرًا أو غير متظاهر، والذي لا تجوز غيبتُهُ ابتداءً، وتجوز جوابًا، وعند سبب: أن لا يوجد في الفاسق ما يقتضي نصح الغير بسببه، فإذا رأى أحدًا يُخشى عليه أن يغتر به مثل من يريد مزاوجته فحينئذ يتوجه وجه النصيحة فذكره بما فيه لئلا يغترّ به، والمتعرض لأعراض الناس، ينقسم الأمرُ فيه على ما تقدم والذي تشرع غيبته ابتداءً وغير ذلك من يكون بحيث يُقتدى به من المبتدعة وغيرهم من أهل المعاصي، والله أعلم.





التربية الأخلاقية

مقدمة

الحمد لله الذي أسرى لطفه ففك الأسرى[١]، وأجرى بإنعامه للعاملين أجرًا[٢]، وأسبل بكرمه على العاصين سترًا[٣]، وقسَّم بني آدم عبدًا وحرًا[٤]، ودبَّر أحوالهم غنىً وفقرًا[٥]، ورتَّب البسيطة عامرًا وقفرًا.

أحمده حمدًا يكون لي عنده ذخرًا[٦]، وأصلي على النبي المصطفى مقدم الأنبياء في الدنيا والأخرى[٧]، وعلى أبي بكر الذي أنفق المال حتى مال الكف صفرًا[٨]، وعلى عمر الذي كسرت هيبته كسرى، وعلى عثمان المقتول بغير جُرمٍ صبرًا، وعلى عليٍّ الذي أعزَّه النبي بالعلم عِزًّا[٩].

---

(١) ما فُكَّ أسير إلا بفضل من الله ورحمة ولطف.

(٢) من عمل صالحًا أُجِرَ على عمله نعمة من الله وفضلًا.

(٣) ستر العصاة حال معصيتهم عساهم يتوبوا ويعودوا.

(٤) فمنهم العبيد ومنهم الأحرار.

(٥) فمنهم الغني ومنهم الفقير.

(٦) أي: يوم القيامة.

(٧) فالنبي ﷺ سيد الأولين والآخرين.

(٨) حتى أصبح صفر اليدين بعد إنفاق ماله كله على الإسلام في سبيل الله.

(٩) التبصرة (١/ ٢٠٨) بتصرف.



أهداف التربية الأخلاقية

١- إخراج أجيال مسلمة ذات أخلاق زكية، وصفات نديَّة.
٢- صلاح الأفراد بصلاح أخلاقها.
٣- تقدم المجتمعات وسيادة الأمم واستقرار الحكومات بالأخلاق السوية والصفات الزكية.
٤- صاحب الخلق القويم محبوب من ربه مرضي عنه بإذن الله.
٥- الخلق الكريم علامة على التأسي بالنبي الأمين.
٦- الحث على الأخلاق الفاضلة من خلال ذكر آثار السلف الصالح وقصصه عليهم رحمة الله.
٧- إعلاء الهمم بالتخلق بالأخلاق الكريمة والصفات الفاضلة عن طريق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.
٨- وضع منهج مبسط وطريق ميسر للوقوف على ماهية الأخلاق وفضائلها ومآثرها.
٩- إرشاد الآباء إلى الطريق العلمي (عن طريق الآيات والأحاديث والآثار والمعاني اللغوية للأخلاق) والعملي (عن طريق القصص الصحيحة والروايات الثابتة الصحيحة) حتى يكون ذلك نبراسًا للآباء ومنبع خير يُربى به الأبناء.
١٠- الأخلاق الفاضلة سبيل للصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، مما تسمو به النفوس وتزداد به العزمات، ثم التطبيق العملي من قبل الآباء، فإذا ما رأى الولد أباه يحرص على الإسرار بعمل الخير والبر كقيام الليل وقراءة القرآن والصدقات وغيرها، تربى في نفس الولد هذا الخلق الكريم: خلق الإخلاص، وإذا ما رأى أباه أمينًا في معاملاته مع غيره شب الولد أميناً، وإذا ما وجد في أبيه أو أمه صفة الإيثار، تربى الولد على الإيثار، فإذا ما لمس الولد في أبيه صفة التوكل تأثر به وتعودت نفسه على ذلك.

فإذا ما ألف الولد أباه على الصدق والصبر والحلم والحياء والتواضع، شب الولد على هذه الصفات، حتى يكون الولد حسن الخلق لأنه تربى في بيئة من الأخلاق الكريمة العملية الإسلامية الفاضلة.

٤- على الآباء أن ينتهزوا الفرص والمناسبات لتعويد أبنائهم وترويض أولادهم على الأخلاق الزكية، فإذا ما أصيب الولد مثلًا بكربة أو بلية، ذكَّره أبوه أو أمه بالصبر وجزائه حتى يتصبر الولد، وإذا ما غضب الولد يومًا ما ذكره أبوه بصفة الحلم وجزائه وفضله، فتخلق الولد بخلق الحلم، وهكذا.

هذا، وإن ما سبق من توجيهات تربوية أخلاقية لهو على سبيل الإيجاز والإشارة، أما التفصيل والتفسير ففي الصفحات التالية أحسبه ذا صورة شافية كافية بإذن الله تعالى.

الأخلاق لغةً واصطلاحًا

الخلق لغة

الخلق: اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خُلق عليها.

وقال الراغب: الخَلْقُ والخُلْقُ والخُلُقُ في الأصل واحد.

ولكن خص الخَلْقُ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلُقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والخلاق: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه. قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠][1].

والخليقة: الطبيعة، والجمع: الخلائق. والخِلقة (بالكسر) الفطرة. ويقال: خلق فلان لذلك بالضم كأنه ممن يقدَّر فيه ذلك مخائله.

والخُلْقُ والخُلُقُ: السجية. يقال: خالص المؤمن وخالق الفاجر. ويقال: فلان يتخلق بغير خلقه، أي: يتكلفه[2].

الخلق اصطلاحًا

قال الجرجاني: الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية. فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة سميت الهيئة خلقًا حسنًا. وإن كان الصادر فيها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقًا سيئًا[3].

---

(١) المفردات للراغب (١٥٨).

(٢) الصحاح (٤/ ١٤٧١).

(٣) التعريفات (١٠٤).

حسن الخلق في القرآن

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣].

قال السعدي رحمه الله: ثم أمر (الله) بالإحسان إلى الناس عمومًا فقال: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ومن القول الحسن: أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم وبذل السلام والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب. ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول.

فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

ومن أدب الإنسان الذي أدَّب الله به عباده أن يكون الإنسان نزيهًا في أقواله وأفعاله غير فاحش ولا بذيء ولا شاتم ولا مخاصم.

بل يكون حسن الخُلق واسع الحلم مجاملًا لكل أحد، صبورًا على ما يناله من أذى الخلق امتثالًا لأمر الله ورجاء لثوابه[1].

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣]

قال السعدي رحمه الله: وهذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله من قراءة وذكر وعلم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وكلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، وأنه إذا دار الأمر بين أمرين حَسَنين فإنه يؤمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بينهما.

والقول الحسن داعٍ لكل خلقٍ جميل وعملٍ صالحٍ، فإنه مَن ملك لسانه ملك جميع أمره[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٨، ٧٥)

(٢) السابق (٤٦٠).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٣-٣٤]

قال السعدي رحمه الله: لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] ثم أمر بإحسان خاص له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾.

أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك كالأقارب والأصحاب ونحوهم إساءةً بالقول أو بالفعل فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فصله، وإن ظلمك فاعفُ عنه، وإن تكلم فيك غائبًا أو حاضرًا فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين، وإن هجرك، وترك خطابك فطيِّب له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان حصل فائدة عظيمة ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤] أي كأنه قريبٌ شفيقٌ(١).

وقال تعالى حكاية عن لقمان وابنه: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٧-١٨].

قال السعدي رحمه الله: وهذه الوصايا التي وصَّى بها لقمان لابنه تجمع أمهات الحكم وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمرًا، وإلى تركها إن كانت نهيًا.

وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة أنها العلم بالأحكام وحِكَمِهَا ومناسباتها، فأمره بأصل الدين، وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك. وبيَّن له السبب الموجب لتركه، وأمره ببر الوالدين، وبيَّن له السبب الموجب لبرهما وأمره بشكره وشكرهما، ثم احترز بأن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٧٤٩).

محل برهما وامتثال أوامرهما ما لم يأمرا بمعصية ومع ذلك فلا يعقهما، بل يحسن إليهما، وإن كان لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك، وأمره بمراقبة الله وخوفه القدوم عليه، وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشرك إلا أتى بها.

ونهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك.

وأمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة وبالصبر اللذين يسهل بهما إقامة كل أمر، كما قال تعالى فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا أن يكون مخصوصًا أن يكون مخصوصًا مشهورًا بها، ولهذا من منَّة الله عليه وعلى سائر عباده أن قصَّ عليهم من حكمته ما يكون لهم به أسوة حسنة[1].

حسن الخلق في السنة

عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**»[2].

وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن**»[3].

وعن أسامة بن شريك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقًا**»[4].

وعن علي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم خلقًا**»[5].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»[6].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٤٩)

(٢) الترمذي وحسنه الألباني. انظر صحيح الجامع (٩٦).

(٣) ابن حبان وصححه الألباني. انظر صحيح الجامع (١٣٣).

(٤) الطبراني في الكبير وصححه الألباني. انظر صحيح الجامع (١٧٧).

(٥) حسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٨٧).

(٦) أبو داود، وأحمد، والحاكم، وابن حبان، وصححه الألباني. انظر صحيح الجامع (١٢٤١)

وعن أبي ثعلبة الخشني ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحبكم إليَّ وأقربكم مني في الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقًا وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم في الآخرة أسوأكم أخلاقًا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون**»(١).

وعن أبي أمامة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار**»(٢).

وعن الحسين بن علي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها**»(٣).

وعن أسامة بن شريك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الناس لم يعطوا شيئًا خيرًا من خلق حسن**»(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة، فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**».

وسئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار، فقال: «**الفم والفرج**»(٥).

وعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**خياركم أحاسنكم أخلاقًا الموطئون أكنافًا، وشراركم الثرثارون المتفيهقون، المتشدقون**»(٦).

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**عليك بحسن الخلق، وطول الصمت فوالذي نفسي بيده ما تجمَّل الخلائق بمثلهما**»(٧).

---

(١) أحمد والبيهقي في الشعب والطبراني في الكبير وصححه الألباني. انظر صحيح الجامع (١٥٣١)

(٢) الطبراني في الكبير وحسنه الألباني. انظر صحيح الجامع (١٦١٧).

(٣) الطبراني في الكبير وصححه الألباني. انظر صحيح الجامع (١٨٨٦).

(٤) الطبراني في الكبير وصححه الألباني. انظر صحيح الجامع (١٩٧٣).

(٥) الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٠٤).

(٦) البيهقي في الشعب وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٥٥).

(٧) أبو يعلى في مسنده وحسنه الألباني. انظر صحيح الجامع (٣٩٢٧).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من كان سهلًا هينًا لينًا حرَّمه الله على النار**»[١].

وعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف**[٢] **إن قيد انقاد، وإذا أنيخ على صخرة استناخ**»[٣][٤].

كلمات في حسن الخلق

قال علي بن أبي طالب ﷺ: **حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة على العيال**[٥].

وقال الحسن البصري رحمه الله: **حسن الخلق الكرم والبذلة والاحتمال**[٦].

وقال أيضًا: **حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى**[٧].

وقال عبد الله بن المبارك -رحمه الله- عن حسن الخلق: **هو طلاقة الوجه وبذل المعروف وكف الأذى.**

وقال: **حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس**[٨].

وقال الأحنف بن قيس رحمه الله: **ألا أخبركم بأدوأ الدواء؟ قالوا: بلى. قال: الخلق الدنيُّ واللسان البذيُّ**[٩].

والخلق الحسن خلاف ذلك باتفاق.

---

(١) الحاكم في المستدرك، والبيهقي في السنن، وصححه الألباني. انظر صحيح الجامع (٦٣٦٠).

(٢) الجمل الأنف: الذلول المنقاد.

(٣) إذا أُنيخ استناخ: أي إذا مال به صاحبه على صخرة انقاد له.

(٤) البيهقي في الشعب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٤٥).

(٥) الإحياء (٣/ ٥٧).

(٦) جامع العلوم والحكم (١٦٠).

(٧) الإحياء (٣/ ٥٧).

(٨) جامع العلوم والحكم (١٦٠).

(٩) أدب الدنيا والدين (٢٣٦).

قال الإمام أحمد رحمه الله: حسن الخلق ألا تغضب ولا تحقد.

وقال محمد بن نصر المروزي: قال بعض أهل العلم: حسن الخلق كظم الغيظ لله، وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر، والعفو عن الزالين إلا تأديبًا، وإقامة الحد وكف الأذى عن كل مسلم ومعاهد إلا تغيير منكر، وأخذ بمظلمة من غير تعدٍّ(١).

وقال ابن رجب: إن حسن الخلق يراد به التخلق بأخلاق الشريعة والتأدب بآداب الله التي أدَّب بها عباده في كتابه، كما قال لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤](٢).

وقال الماوردي: إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقلَّ معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب(٣).

وقال ابن القيم: جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته(٤).

وقال الجنيد: أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الدين(٥).

وقال سهل التستري عن أقل درجات حسن الخلق: أدناه الاحتمال وترك المكافأة، والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه.

وقيل: التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل.

وقال بعض البلغاء: الحسنُ الخلق من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة، والسيئ الخلق الناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء(٦).

---

(١) جامع العلوم والحكم (١٦٠).
(٢) جامع العلوم والحكم (٢٢١).
(٣) أدب الدنيا والدين (٢٣٧).
(٤) الفوائد (٧٥).
(٥) إحياء علوم الدين (٣/ ٥٧)
(٦) أدب الدنيا والدين (٢٣٦، ٢٣٧).

علامات حسن الخلق

جمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون:

١ - كثير الحياء
٢- قليل الأذى
٣- كثير الصلاح
٤- صَدوق اللسان
٥- قليل الكلام
٦- كثير العمل
٧- قليل الزلل
٨- قليل الفضول
٩- بَرًّا وصولًا
١٠- وقورًا صبورًا شكورًا
١١- رضيًّا حليمًا
١٢- رفيقًا عفيفًا شفيقًا
١٣- لا لعانًا ولا سبابًا
١٤- ولا نمامًا ولا مغتابًا
١٥- ولا عجولًا ولا حقودًا
١٦- ولا بخيلًا ولا حسودًا
١٧- بشَّاشا هشَّاشا
١٨- يحب في الله ويبغض في الله
١٩- ويرضى في الله
٢٠- ويغضب في الله

فهذا هو حسن الخلق[1].

---

(١) الإحياء (٣/ ٧٥).

من أخلاقنا الإسلامية
الإخلاص لغةً واصطلاحًا

الإخلاص لغةً

مصدر أَخْلَصَ يُخْلِصُ وهو مأخوذ من مادة (خ ل ص) التي تدل على تنقية الشيء وتهذيبه[(١)].

قال ابن منظور: خلص الشيء بالفتح، يخلص خلوصًا وخلاصًا: إذا كان قد نَشِبَ ثم نجا وسلم. وأخلصه وخلصه، وأخلص الله دينه: أمحضه. وأخلص الشيء: اختاره.وقرئ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[الحجر: ٤٠].

قال ثعلب: يعني بالمخلصين: الذين أخلصوا العبادة لله تعالى، وبالمخلصين: الذين أخلصهم الله عز وجل. فالمخلصون: المختارون. والمخلصون: الموحدون.

قال ابن الأثير: كلمة الإخلاص: كلمة التوحيد. والإخلاص في الطاعة: ترك الرياء[(٢)].

الإخلاص اصطلاحًا

قال الجرجاني: الإخلاص: ألا تطلب لعملك شاهدًا غير الله تعالى. وقيل: هو تخليص القلب من شائبة الشوب المكدر لصفائه- الفطري[(٣)].

قال الكفوي: الإخلاص: هو القصد بالعبادة إلى أن يُعبد المعبود بها وحده. وقيل: تصفية السر والقول والعمل[(٤)].

قال المناوي: الإخلاص: تخليص القلب من كل شوب يكدِّر صفاءه. فكل ما يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلُص منه يسمى خالصًا. وقيل: الإخلاص عمل

---

(١) المفردات للراغب (١٥٤).

(٢) لسان العرب (٧/ ٢٦).

(٣) التعريفات (١٣، ١٤).

(٤) الكليات (٤٩).

يعين على الخلاص. وقيل: الخلاص عن رؤية الأشخاص. وقيل: تصفية العمل من التهمة والخلل[(١)].

قال الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجلهم شرك. والإخلاص: الخلاص من هذين. وفي رواية: والإخلاص أن يعافيك الله منهما[(٢)].

قال الراغب: إخلاص المسلمين أنهم قد تبرَّءوا مما يدَّعي اليهود من التشبيه، والنصارى من التثليث. قال تعالى: ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [الأعراف: ٢٩- غافر: ١٤]. وقال عز وجل: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ [النساء: ١٤٦] وأجمعوا على أن الإخلاص في الطاعة ترك الرياء[(٣)].

الآيات الواردة في الإخلاص

الأمر بالإخلاص

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٩] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [سورة الزمر: ٢-٣] .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الزمر: ١١-١٢] .

وقال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ۝ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الزمر: ١٤-١٥] .

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٤٢).

(٢) المدارج (٣/ ٩٥)

(٣) التعريفات (١٣)

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[غافر: ١٣-١٤] .

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[غافر: ٦٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٤-٥] .

جزاء المخلَصين

النجاة من مكايد الشياطين

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[الحجر: ٣٦-٤٠] .

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٧٩-٨٣] .

النجاة من عذاب الله في الآخرة

وقال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الصافات: ٣٨-٤٣] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[الصافات: ٦٩-٧٤] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ

لَمُحۡضَرُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[الصافات: ١٢٣-١٢٨]

وقال تعالى: ﴿ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ۝ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ۝ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[الصافات: ١٥٦-١٦٠].

الأحاديث الواردة في الإخلاص

عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قيل: يا رسول الله: مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟. قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي مَنْ قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه**»[١].

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلًا غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا شيء له**». فأعاد ثلاث مرات. يقول له رسول الله ﷺ: «**لا شيء له**» ثم قال: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتغى به وجهه**»[٢].

وعن عثمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًا من قلبه إلا حُرِّمَ على النار**». فقال له عمر بن الخطاب ﷺ: **أنا أحدِّثك ما هي؟ هي كلمة الإخلاص التي أعز الله -تبارك وتعالى- بها محمدًا ﷺ وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألاص[٣] عليها نبيُّ الله ﷺ عمَّه أبا طالب عند الموت: شهادة أن لا إله إلا الله**[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت أبا بكر الصديق ﷺ على هذا المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ في هذا اليوم من عام الأول، ثم استعبر أبو بكر وبكى، ثم قال: سمعت

---

(١) البخاري - الفتح (١/ ٩٩).

(٢) النسائي (٦/ ٥٦) واللفظ له، وحسنه الألباني في الصحيحة (٥٢).

(٣) ألاص الإنسان: إذا حركه عن موضعه وأداره ليتنزعه.

(٤) أحمد (١/ ٦٣) وصححه أحمد شاكر (١/ ٣٥٣).

رسول الله ﷺ يقول: «**لم تؤتوا شيئًا بعد كلمة الإخلاص مثل العافية، فاسألوا الله العافية**»(١).

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة يقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**المُدعي البينة، فلم يكن له بينة، فاستحلف المطلوب**». فحلف بالله الذي لا إله إلا هو. فقال رسول الله ﷺ: «**إنك قد فعلت، ولكن غُفر لك بإخلاصك قول لا إله إلا الله**»(٣).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومَنْ كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال: «**إن أقوامًا خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبًا ولا واديًا إلا وهم معنا حبسهم العذر**»(٥).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**»(٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى**

---

(١) مسند أبي يعلى (١/ ٧٦، ٧٧)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٨٦)، وصححه أحمد شاكر (١/ ١٥٨، ١٥٩).

(٢) أبو داود (١٥٠٦)، وصححه الألباني (١/ ٢٨١) رقم (١٣٣٤)، ونحوه عند مسلم.

(٣) أحمد (١/ ٢٥٣، ٢٨٨) وصححه أحمد شاكر (٤/ ٧٥، ٧٦) رقم (٢٢٨٠).

(٤) البخاري (٦٦٨٩) ومسلم (١٩٠٧).

(٥) البخاري (٢٨٣٩).

(٦) البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٨٦٤)، وأحمد في المسند (١/ ٢٦٦).

صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه -تبارك وتعالى- قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك: فمَنْ همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة»[٢].

أقوال العلماء في الإخلاص

قال يحيى بن كثير: تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل[٣].

وقال إبراهيم بن أدهم: كان العلماء إذا علموا عملوا، وإذا عملوا شُغِلوا، فإن شُغِلوا فُقِدوا، فإن فُقدوا طُلبوا، فإن طلبوا هربوا.

وقال أبو عثمان المغربي: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

وقال سهل بن عبد الله التستري: نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى، لا يمازجه شيء، لا نفس، ولا هوى، ولا دنيا.

وقيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام سلفنا أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس، وطلب الدنيا، ورضا الخلق[٤].

وقال إبراهيم بن أدهم: لا تسأل أخاك عن صيامه، فإن قال: أنا صائم فرحت نفسه بذلك. وإن قال : أنا غير صائم حزنت نفسه. وكلاهما من علامات الرياء، وفي ذلك

---

(١) مسلم (٢٥٦٤)، وابن ماجه في الزهد (٤١٤٣) وأحمد في المسند (٢/ ٢٨٥) رقم (٧٨١٤)

(٢) البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

(٣) الحلية (٣/ ٧٠).

(٤) صفة الصفوة (٤/ ١٢٢).

فضيحة للمسئول، واطلاع على عوراته من السائل.

وقال أبو سليمان الداراني: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء[(١)].

وقال أبو يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت على لون آخر[(٢)].

وقال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢]: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه، وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا وصوابًا.

الخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السُّنَّة. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠][(٣)].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ[(٤)].

قال الجنيد رحمه الله: الإخلاص سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله[(٥)].

وقال ابن القيم رحمه الله: العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابة رملًا ينقله ولا ينفعه[(٦)].

---

(١) المدارج (٢/ ٩٦).
(٢) المدارج (٢/ ٩٦).
(٣) المدارج (٢/ ٩٣).
(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ١١٤).
(٥) المدارج (٢/ ٥٩).
(٦) الفوائد (٦٧).

من قصص المخلصين

كأنه قام تلك الساعة

قال أبو نعيم في الحلية: وهذا سيد الفتيان، وفتى العباد والرهبان، السختياني، أيوب بن كيسان، يقوم الليل كله، فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته، كأنه قام تلك الساعة [١].

يخادعني كما تخادع المرأة صبيها

تقول زوجة حسان بن أبي سنان عنه: كان يجيء فيدخل في فراشي ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيها، فإذا علم أني نمت سلَّ نفسه فخرج، ثم يقوم فيصلي، قالت: فقلت له: يا أبا عبد الله، كم تعذب نفسك، ارفق بنفسك. فقال: اسكتي، ويحك، فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زمانًا [٢].

فغالط السائل

سئل معروف الكرخي: كيف تصوم؟ فغالط السائل، وقال: صوم نبينا ﷺ كان كذا وكذا، وصوم داود كذا وكذا فألح عليه (السائل) فقال: أصبح دهري صائمًا، فمن دعاني أكلت، ولم أقل إني صائم [٣].

لا يعلم به أهله

صام داود بن أبي هند أربعين سنة، لا يعلم به أهله، ولا أحد، وكان خزازًا يحمل معه غداءه من عندهم، فيتصدق به في الطريق ويرجع عشيًّا فيفطر معهم.

فيظن أهل السوق أنه قد أكل في البيت، ويظن أهله أنه قد أكل في السوق [٤].

---

(١) الحلية (٣/ ٨).

(٢) الحلية (٣/ ١١٧).

(٣) السير (٦/ ٣٤١).

(٤) صفة الصفوة (٣/ ٣٠٠)

ما أشد الزكام!!

عمرو بن قيس الملائي، أقام عشرين سنة صائمًا، ما يعلم به أهله، ويأخذ غداءه (كل يوم) ويغدو إلى الحانوت (أي الدكان) فيتصدق بغدائه، ويصوم، وأهله لا يدرون، وكان إذا حضرته الرِّقَّة (أي غلبته عيناه) يحول وجهه إلى الحائط (ليخفى بكاءه من خشية الله) ويقول لجلسائه: ما أشد الزكام[(١)][(٢)].

آثار سواد بظهره

يقول أبو حمزة الثمالي رحمه الله: كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدق به، ويقول: إن صدقة السر، تطفئ غضب الرب -عز وجل.

وقال عمرو بن ثابت رحمه الله: لما مات علي بن الحسين فغسلوه، جعلوا ينظرون إلى آثار سواء بظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقيل: كان يحمل جرب الدقيق ليلًا على ظهره فيعطيه فقراء المدينة[(٣)].

كان عمله كله سرًّا

قالت زوجة الربيع بن خثيم عن الربيع: كان عمل الربيع كله سرًّا، إن كان ليجيء الرجل، وقد نُشر المصحف فيغطيه بثوبه[(٤)].

---

(١) أي: يوهم جلساءه أنه مصاب بالزكام.

(٢) صفة الصفوة (٣/ ١٢٤).

(٣) الحلية (٣/ ١٣٥، ١٣٦).

(٤) الحلية (٢/ ١٠٧).

الاستقامة

لغةً واصطلاحًا

الاستقامة لغةً

قام قومًا وقيامًا: انتصب واقفًا. قام الحق: ظهر واستقر. قام الأمر: اعتدل. قام على الأمر: دام وثبت. أقام الشيء: أنشأه ووفَّى حقه. أقام الشرع: أظهره وعمل به. قوَّم المعوج: عدَّله وأزال عوجه. استقام الشيء: اعتدل واستوى. القوام: العدل. استقام المؤمن: سلك الطريق المستقيم.

الاستقامة اصطلاحًا

سئل أبو بكر الصديق عن الاستقامة، فقال: أن لا تشرك بالله شيئًا.

وقال عمر ﷺ: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب.

وقال عثمان بن عفان ﷺ: استقاموا: أخلصوا العمل لله.

وقال علي بن أبي طالب وابن عباس ﷺ: استقاموا: أدوا الفرائض.

وقال الحسن البصري رحمه الله: استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته[1].

الله يهدي إلى الصراط المستقيم

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[البقرة: ١٤٢].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[المائدة: ١٥ - ١٦].

---

(١) الموسوعة الذهبية في الأخلاق الإسلامية للمؤلف.

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النور: ٤٦].

الاعتصامُ بالله طريقُ الاستقامة

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ۝ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: ١٧٥].

الأمر بالاستقامة

أمر الله تعالى بالاستقامة

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقال تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢] وقال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١٥]

أمر النبي ﷺ بالاستقامة

عن ثوبان ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[١].

---

(١) أحمد في المسند (٥/ ٢٧٧، ٢٨٢)، والحاكم (١/ ١٣٠) وصححه الألباني (١/ ٣٢٥) رقم (٩٥٢) في صحيح الجامع.

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ أنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك. قال: «قل آمنت بالله ثم استقم»(١).

كلمات في الاستقامة

قال عمر بن الخطاب ﷺ: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب(٢).

وقال ابن عباس ﷺ: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ [الأحقاف: ١٣]. استقاموا على أداء الفرائض.

وقال أيضًا: أخلصوا له الدين والعمل. وقال أيضًا: استقامة على طاعة الله(٣).

وقال الحسن البصري رحمه الله: استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: استقاموا على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة(٥). وقال أيضًا: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة(٦).

وقال حذيفة بن اليمان ﷺ: يا معشر القراء، استقيموا، فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا(٧).

---

(١) مسلم (٣٨).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٠٩).
(٣) جامع العلوم والحكم (١٩٢).
(٤) المدارج (٢/ ١٠٩).
(٥) المرجع السابق (٢/ ١٠٩).
(٦) المرجع السابق (٢/ ١١٠).
(٧) المرجع السابق (٢/ ١٠٩).

من قصص الاستقامة

ما سمعت منه كلمة تُعاب

عن رجل من بني تميم قال: جالست الربيع عشر سنين، فما سمعته يسأل عن شيء من أمر الدنيا إلا مرتين، قال مرة: والدتك حيَّة؟ وقال مرة: كم لك مسجدًا..؟

وقال بعضهم: صحبت الربيع عشرين عامًا ما سمعت منه كلمة تُعاب(١).

ما عُرف له غيبة لمسلم

قال إبراهيم الحربي عن أستاذه بشر الحافي: ما أخرجت بغداد أتمَّ عقلًا منه، ولا أحفظ للسانه من بِشر، ما عُرف له غيبة لمسلم.

وقال محمد بن المثنى: قلتُ لأحمد: ما تقول في هذا الرجل؟. فقال لي: أي الرجال؟ قلت: بشر. فقال لي: ما مثله عندي إلا مثل رجل ركزَّ رُمحًا في الأرض، ثم قعد منه على السنان، فهل ترك لأحد موضعًا يقعد فيه؟!(٢).

أحب إليَّ من أن يكون لي الدنيا

قال وهيب بن الورد رحمه الله: لأن أدع الغيبة إليَّ من أن يكون لي الدنيا منذ خُلقت إلى أن تفنى فأجعلها في سبيل الله.

ولأن أغضّ بصري أحب إليَّ من أن يكون لي الدنيا منذ خُلقت إلى أن تفنى فأجعلها في سبيل الله. ثم تلا: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[النور: ٣٠]

وكان يقول: اتق الله أن تسب إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر(٣).

أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبتُ أحدًا

قال البخاري رحمه الله: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا.

---

(١) الموسوعة الذهبية في الأخلاق الإسلامية. للمؤلف.

(٢) السير (٢/١٥٨، ١٥٩).

(٣) الحلية (٨/ ١٥٤).

قال الذهبي -رحمه الله -معلقًا: صدق رحمه الله، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يُضعفه.

فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وقلَّ أن يقول: فلان كذاب، أو كان يضع الحديث.

حتى إنه قال: إذا قلت: فلان في حديثه نظر فهو متهم واه[(١)] .

فلما أمسى لم يكن له عشاء

قال أبو حفص النيسابوري رحمه الله: مَنْ لم يزن أحواله كل وقت بالكتاب والسُّنَّة ولم يتهم خواطره فلا تعده.

وقد أنفق أبو حفص في يوم واحد بضعة عشر ألف دينار يفك بها أسرى، فلما أمسى لم يكن له عشاء[(٢)] .

أعددت له جوابًا

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: ما تكلمت ولا فعلت فعلًا إلا وأعددتُ له جوابًا بين يدي الله عز وجل[(٣)] .

---

(١) السير (١٢/ ٤٤١).

(٢) الموسوعة الذهبية في الأخلاق الإسلامية. للمؤلف

(٣) طبقات الشافعية (٩/ ٢١٢).

الأمانة لغة واصطلاحًا

الأمانة لغةً

أمِنَ يأمن أمْنًا وأمَنًا وأمانًا وأمنةً: اطمأن ولم يخف. أمن الشر: لم يخفه. وأمن منه: سلم. وأمَّن فلانًا على كذا، اطمأن إليه ووثق به. والمأمن: اسم المكان من أمِنَ. والمأمون: اسم مفعول من أمِنَ. آمِنٌ: اسم فاعل. أمَّنَهُ من الخوف: جعله آمنًا غير خائفٍ(١).

الأمانة اصطلاحًا

قال القرطبي رحمه الله: الأمانة تعمُّ جميع وظائف الدين. فالأمانة هي الفرائض التي ائتمن الله عليها العباد، واختُلف في تفصيل بعضها على أقوال:

١- فقيل: هي أمانات الأموال كالودائع وغيرها.
٢- وقيل: في كل الفرائض، وأشدها أمانة المال.
٣- وقيل: من الأمانة، ما ائتمنت المرأة على فرجها.
٤- وقال بعضهم: غسل الجنابة أمانة.
٥- وقيل: الأمانة هي الصلاة، وكذلك الصيام وغسل الجنابة.
٦- وقيل: ولا إيمان لمن لا أمانة له.
٧- وقيل: هذه الأمانة ما أودعه الله تعالى في السماوات والأرض والجبال والخلق من الدلائل على ربوبيته(٢).

الأمانة في القرآن الكريم

ذكر ابن الجوزي نقلًا عن بعض المفسرين أن الأمانة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

١- أحدها: الفرائض. ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧]

٢- الثاني: الوديعة. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]

٣- الثالث: العِفَّة. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦](٣)

---

(١) القاموس القويم (١/ ٣٤، ٣٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٥٣، ٢٥٦) باختصار.

(٣) نزهة الأعين النواظر (١/ ١٠٥، ١٠٦).

الأمانة من صفات النبيين وصالحي المؤمنين

نوح عليه السلام

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[الشعراء: ١٠٥-١٠٨]

هود عليه السلام

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٢٦]

موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ أَنْ أَدُّوٓا إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الدخان: ١٧-١٨]

وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾

[القصص: ٢٦]

يوسف عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف: ٥٤]

صالحو المؤمنين

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-١١]

أمر الله تعالى بالأمانة

قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٣]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]

أمر النبي ﷺ بالأمانة

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. قال: وهذه صفة نبي[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن مَنْ خانك**»[٢].

خيانة الأمانة من علامات النفاق

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومَنْ كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا ائتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»[٤].

---

(١) البخاري- الفتح (١/ ٦١)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤).

(٣) البخاري (الفتح ١/ ٣٤) واللفظ له، ومسلم (٥٨).

(٤) البخاري (الفتح ١/ ٣٣)، ومسلم (٥٩).

ضياع الأمانة من علامات الساعة

عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما النبيﷺ في مجلس يُحدِّث القوم جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول اللهﷺ يُحدِّث. فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: «**أين أراه السائل عن الساعة؟**» . قال: هأنا يا رسول الله. قال: «**فإذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة**» . قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[(١)] .

قصة في الأمانة

جاء إلى عمر بن العزيز رسولٌ من أحد عماله، فوصل ليلًا، فلما دخل عليه أمر عمر بشمعة غليظة فأضاءت المكان. ثم راح يسأل الرسول عن أحوال المسلمين وأهل البلد، وكيف سيرة العمال فيهم، وعن الأسعار، وأبناء المهاجرين والأنصار، وأبناء السبيل والفقراء.

وهل كل مسلم هناك يأخذ حقه؟ وهل هناك شكوى من أحد؟ أو ظلم وقع على أحد؟ وراح يستفسر عن كل كبيرة وصغيرة حتى فرغ من معرفة كل شيء، فسأله الرجل (بعد ذلك): يا أمير المؤمنين، كيف حالك، في نفسك وبدنك، وعيالك؟ وجميع أهلك؟ ومَنْ تعنى بشأنه؟

عند ذلك نفخ عمر الشمعة فأطفأها، ثم أمر بسراج، فجاءوه بسراج لا يكاد يضيء، فقال للرجل: سل عما أحببت. فسأله عن حاله، فأخبره عمر عن كل ما سأل. ثم قال الرجل بتعجب: يا أمير المؤمنين، رأيتك فعلت أمرًا، ما رأيتك فعلت مثله!! قال: وما هو؟ قال: إطفاؤك الشمعة عند مسألتي إياك عن حالك وشأنك. فقال عمر: يا عبد الله، إن الشمعة التي رأيتني أطفأتها من مال المسلمين، وكنت أسألك عن حوائجهم وأمرهم، فكانت هذه الشمعة تنير بين يدي فيما يصلحهم وهي لهم، فلما صرت لشأني وأمر عيالي ونفسي أطفأت نار المسلمين[(٢)].

---

(١) البخاري (الفتح ١/ ٥٩).

(٢) الموسوعة الذهبية في الأخلاق الإسلامية. للمؤلف، وانظر المزيد من القصص هناك.

الإيثار لغة واصطلاحًا

الإيثار لغةً

الإيثار: تفضيل المرء غيره على نفسه. الإيثارية: مذهب يعارض الأثرة ويرمي إلى تفضيل خير الآخرين على الخير الشخصي. المأثرة: المكرمة المتوارثة، والجمع مآثر[1]. آثره: اختاره وفضله. قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: ٩١] وقوله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩] أي يُفضِّلون غيرهم على أنفسهم كرمًا ومروءة وتقوى[2].

الإيثار اصطلاحًا

قال ابن القيم في المدارج: الإيثار ضد الشح، فإن المؤثر على نفسه تارك لما هو محتاج إليه. والشحيح حريص على ما ليس بيده، فإذا حصل بيده شيء شح عليه، وبخل بإخراجه، فالبخل ثمرة الشح، والشح يأمر بالبخل. فالبخيل من أجاب داعي الشح. والمؤثر من أجاب داعي الجود[3].

من خصال المؤمنين

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]

الترغيب في الإيثار

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**أنا أولى الناس بالمؤمنين في كتاب الله عز وجل، فأيُّكم ما ترك دينًا أو ضيعة فادعوني أنا وليُّه، وأيكم ما ترك مالًا فليؤثر بماله عصبته من كان**»[4].

---

(١) المعجم الوجيز (٦).

(٢) القاموس القويم (١/ ٦، ٧).

(٣) المدارج (٢/ ٢٢٤).

(٤) مسلم (١٦١٩).

سبل تحقيق الإيثار

قال ابن القيم رحمه الله: **ثلاثة أشياء:**

١- تعظيم الحقوق: **فإن عظمت الحقوق عنده، قام بواجبها ورعاها حق رعايتها، واستعظم إضاعتها، وعلم أنه إن لم يبلغ درجة الإيثار لم يؤدها كما ينبغي، فيجعل إيثاره احتياطًا لأدائها.**

٢- مقت الشح: **فإنه إذا مقته وأبغضه التزم الإيثار، فإنه يرى أنه لا خلاص له من هذا المقت البغيض إلا بالإيثار.**

٣- الرغبة في مكارم الأخلاق: **وبحسب رغبته فيها يكون إيثاره، لأن الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق**[١].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٢٤- ٢٣٠) باختصار.

من قصص الإيثار

لعلي أُكَفَّنُ فيها

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة، فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة. فقال سهل: شملة منسوجة فيها حاشيتها.

فقلت: يا رسول الله ﷺ، أكسوك هذه. فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها، فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه، فاكسنيها. فقال: نعم، فلما قام النبي ﷺ أخذها محتاجًا إليها ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئًا فيمنعه.

فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ، لعلي أُكَفَّنُ فيها[1] فكانت كفنه.

أعطوه إياه

عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما اشتكى واشتهى عنبا، فاشترى له عنقودًا بدرهم، فجاء مسكين فسأل، فقال: أعطوه إياه.

فخالف إنسان[2]، فاشتراه بدرهم، ثم جاء به إلى ابن عمر. فجاء المسكين فسأل. فقال: أعطوه إياه. ثم خالف إنسان فاشتراه بدرهم، ثم جاء به إليه. فأراد السائل أن يرجع[3] فمُنع، ولو علم ابن عمر أنه ذلك العنقود ما ذاقه، لأن ما خرج لله، لا رجعة فيه[4].

رحمة الله عليهم أجمعين

عن حذيفة العدوي قال: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء، وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه. فإذا أنا به، فقلتُ: أسقيك، فأشار إليَّ: أن نعم.

---

(١) البخاري (فتح ١٠/ ٦٠٣٦).

(٢) أي: اشتراه من يعلم اشتهاء ابن عمر له.

(٣) أي يعود إلى ابن عمر يسأله.

(٤) القرطبي (١٨/ ١٩).

فإذا رجل يقول: آه، فأشار ابن عمي إليه: أن انطلق به إليه، فجئته فإذا هو هشام بن العامي، فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر، فقال: آه.

فأشار هشام: انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات، رحمة الله عليهم أجمعين[1].

إن الله قد أوجب لها بها الجنة

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات.

فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها.

فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ، فقال: إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار[2][3].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٥٨).

(٢) مسلم (٢٦٣٠).

(٣) راجع المزيد من القصص في الموسوعة الذهبية في الأخلاق الإسلامية. للمؤلف

البرُّ لغة واصطلاحًا

البر لغة

البر: مصدر بَرَّ يَبَرُّ وهو مأخوذ من مادة (ب ر ر) التي تدل على معان عديدة، ومن هذه المعاني الصدق.

قال ابن فارس: فأما الصدق فقولهم: صدق فلان وبر ، وبرت يمينه: صدقت. وأبرها: أمضاها على الصدق. وتقول: بر الله حجك وأبره. وحجة مبرورة: أي قُبلت قبول العمل الصادق. ومن ذلك قولهم: يَبَرُّ ربه أي يطيعه وهو من الصدق. ومنه قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ ٱلْمَغْرِبِ ﴾[البقرة: ١٧٧] .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: البر هنا اسم جامع للخير. وتقدير الآية: ولكن البر بر من آمن. حذف المضاف كما حذف في قوله سبحانه: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[يوسف: ٨٢] أي: أهل القرية. وقيل المعنى: ولكن ذا البر كما في قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ١٦٣]. ومن معاني البر أيضًا: حسن الخلق. كما جاء في الحديث: «**البر حسن الخلق**». والبر: الخير، والبر: الصلاح. يقال: بر يبر: إذا صلح. والبر: الصلة. يقال بر رحمه يبره: إذا وصله. والبر: الطاعة، كما في قولهم: بر ربه. وبار من قوم بررة وأبرار. والمصدر: البر. وتباروا: تفاعلوا من البر. والبرّ: الصادق[1] .

البر اصطلاحًا

اختلف العلماء في تفسير البر فقال بعضهم: البر الصلاح. وقال بعضهم: البر الخير.

وقال أبو منصور: البر خير الدنيا والآخرة فخير الدنيا ما ييسره الله تعالى للعبد من الهدي والنعمة والخيرات. وخير الآخرة الفوز بالنعيم الدائم في الجنة، جمع الله لنا بينهما بكرمه ورحمته.

قال ابن منظور: ولا أعلم تفسيرًا أجمع منه، لأنه يحيط بجميع ما قالوا.

وقال ابن الأثير في اسم الله تعالى (البر): هو العطوف على عباده ببِرّه ولطفه[2] .

والأبرار : معناها المتقون[3] .

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ١٧٦)، وتفسير القرطبي (٢/ ٢٣٨)، والصحاح للجوهري (٢/ ٥٨٨) والنهاية لابن الأثير (١/ ١١٦)، ولسان العرب (٤/ ٥١-٥٤).

(٢) النهاية لابن الأثير (١/ ١١٦).

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ١٧١).

مباحث هامة

وجوه استعمال (البر) في القرآن الكريم

ورد البر في القرآن الكريم على أوجه منها:

أولًا: البَرُّ بالفتح أربعة:

الأول: بمعنى الصادق جل اسمه وعلا: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

الثاني: في مدح عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾ [مريم: ٣٢].

الثالث: في مدح يحيى بن زكريا: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [مريم: ١٤].

الرابع: في ساكني ملكوت السماء: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥-١٦].

ثانيًا: أما البِرُّ بالكسر فأربعة:

الأول: بمعنى البار: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

الثاني: بمعنى الخير: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

الثالث: بمعنى الطاعة والخير: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ [البقرة: ٤٤].

الرابع: بمعنى تصديق اليمين: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وقد جاء البر في معنى صلة الرحم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [الممتحنة: ٨] أي: تصلوا أرحامكم[1].

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٢١١).

الأحاديث الواردة في (البر)

١- عن النواس بن سمعان ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس**»(١).

٢- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا.**

وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»(٢).

٣- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»(٣).

٤- وعن رفاعة ﷺ أنه خرج مع النبي ﷺ إلى المصلى فإذا الناس يتبايعون بُكرة فناداهم: «**يا معشر التجار**» فلما رفعوا أبصارهم ومدوا أعناقهم قال: «**إن التجار يُبعثون يوم القيامة فجارًا إلا من اتقى الله وبر وصدق**»(٤).

٥- وعن ابن عباس ﷺ أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة فسمع النبي ﷺ وراءه زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبل، فأشار بسوطه إليهم وقال: «**أيها الناس، عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع**(٥)»(٦).

٦- وعن البراء بن عازب ﷺ قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المرضى، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار القسم أو المقسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام.

---

(١) مسلم (٢٥٥٣).

(٢) البخاري- الفتح (١٠/ ٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) واللفظ له.

(٣) البخاري- الفتح (٣/ ٤٣٧٢)، ومسلم (١٣٤٩) واللفظ له.

(٤) ابن ماجه (٢١٤٦)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٧٥٨)، والصحيحة (١٤٥٨).

(٥) الإيضاع: الإسراع.

(٦) البخاري – الفتح (٣/ ١٦٧١) واللفظ له، ومسلم (١٢٨٢).

ونهانا عن خواتيم أو عن تختم بالذهب، وعن شرب بالفضة، وعن المياثر[١]، وعن القِسِيِّ[٢]، وعن لبس الحرير والإستبرق والديباج[٣].

٧- وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[٤].

٨- وعن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبَّر ثلاثًا ثم قال: «**سبحان الله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل. اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل**».

وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «**آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون**»[٥].

٩- وعن ثوبان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها**»[٦].

---

(١) المياثر: من ميثرة وهي مراكب للعجم تعمل من ديباج أو حرير سواء أكانت على رجل أو سرج.

(٢) القِسِيّ: وهي ثيابٌ من حرير تجلب من مصر وتنسب إلى اسم القرية التي جُلبت منها واسمها القس [لسان العرب (٤/ ٣٦٥٢)]. (والقسي بفتح القاف وكسرها).

(٣) البخاري- الفتح (١١/ ٦٢٣٥)، ومسلم (٢٠٦٦) واللفظ له.

(٤) مسلم (٧٩٨).

(٥) مسلم (١٣٤٢).

(٦) الترمذي (٢١٣٩)، وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٧٣).

أقوال العلماء في (البر)

قال عمر بن الخطاب ﷺ: توشك القرى أن تخرب وهي عامرة.

قيل: وكيف تخرب وهي عامرة؟

قال: إذا علا فجارها أبرارها وساد القبيلة منافقوها [١].

وقال كعب الأحبار: لولا كلمات أقولهن لجعلتني يهود حمارًا.

فقيل له: وما هن؟

قال: أعوذ بوجه الله العظيم. الذي ليس شيء أعظم منه، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ [٢].

وعن الحسن البصري -رحمه الله- قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وقال: كانوا يعملون ما عملوا من أنواع البِر وهم مشفقون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله [٣].

---

(١) الجواب الكافي (٥٣).

(٢) جامع الأصول (٤/ ٣٧٢).

(٣) الزهد لوكيع بن الجراح (١/ ٣٩٠).



التقوىٰ لغة واصطلاحًا

التقوى لغةً

قال الفيروزآبادي: وهي مشتقة من الوقاية. وهي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره. ويقال: وقاه وقيًا ووقاية. والتوقية: الكلاءة والحفظ. والوقاية: ما وقيت بها شيئًا. والتقوى والتقى واحد. والتَّقِي: المتقي، وهو من جعل بينه وبين المعاصي وقاية تحول بينه وبينها[(١)].

وقاه المكروه يقيه وقاية: حماه منه وحفظه أن يناله وأبعده عنه. قال تعالى: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧]. وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: ٦]. أي: احفظوا أنفسكم وأهليكم من النار بطاعة الله. والواقي: الحافظ. قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٤]. أي: من حافظ. اتقى الشيء: جعل بينه وبينه وقاية وحاجزًا يحجب عنه أذاه وشره. واتقى فلانًا: تحفظ منه حتى لا يصيبه منه ضرر[(٢)].

التقوى اصطلاحًا

سأل رجل أبا هريرة ﷺ: ما التقوى؟ قال: هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم. قال: فكيف صنعت. قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه. قال: ذاك التقوى.

وقال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى. قالوا: ما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله. وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

وقال الغزالي: اعلم أولًا -بارك الله في دينك وزاد في يقينك- أن التقوى في قول شيوخنا -رحمهم الله- هي تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق عنك مثله حتى تحصل لك من القوة والعزم على تركه ووقاية بينك وبين المعاصي.

---

(١)البصائر (٢/ ٢٩٩، ٣٠٠) باختصار.

(٢)القاموس القويم (٢/ ٣٥٢) باختصار.

قال الإمام أحمد: التقوى هي ترك ما تهوى لما تخشى[١].

قال إبراهيم أحمد عبد الفتاح: اتقى الله: تجنب ما يُغضبه وما يُسبب عذابه وذلك بطاعة الله وبالبعد عن معصيته. قال تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي: تحفظون أنفسكم من عذاب الله بطاعته وترك معصيته.

قال: وهي في الاصطلاح الإسلامي: اتقاء عذاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ . قال تعالى: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ هي كلمة التوحيد والإخلاص: شهادة أن لا إله إلا الله.

والتقى: هو مَنْ يتقي الله ويلازم الطاعة ويجتنب المعصية. قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾[مريم: ٦٣].

وأتقى: اسم تفضيل، أي أكثر تقوى من غيره. قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات: ١٣]. أي أكثركم تقوى[٢].

وقيل: هي (أي التقوى): الخوف من الجليل والرضا بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل. وقيل: هي أن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك.

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص ١٤٠- ١٥٠) باختصار.

(٢) القاموس القويم (٢/ ٣٥٣) باختصار.

الأمر بالتقوى

أمر الله تعالى بالتقوى

أمر الله تعالى عباده بالتقوى في أكثر من آية منها:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١].

أمر النبيﷺ بالتقوى

عن أبي أمامة ﷺ أن رسول اللهﷺ قال: «**اتقوا الله ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم**»[1].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «**مَنْ يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم مَنْ يعمل بهن**»؟ فقال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله. فأخذ بيدي فعد خمسًا وقال: «**اتق الله تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تُميت القلب**»[3].

---

(١) الترمذي (٦١٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٦١٦).

(٢) الترمذي (٢٠٥٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٨).

(٣) أحمد في المسند (٢/ ٣١٠)، والترمذي (٢٣٠٥) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٨٧٦).

جزاء المتقين

معية الله تعالى للمتقين

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

محبة الله للمتقين

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»(١).

تفريج الكربات ونيل الأرزاق

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

مغفرة الذنوب وتكفير السيئات

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

دخول الجنات والتنعم بطعام الجنة وشرابها ولباسها والحور العين

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الدخان: ٥١-٥٧].

---

(١) مسلم (٢٩٦٥).

من قصص المتقين

عثمان بن عفان

عن ميمون بن مهران قال: أخبرني الهمداني أنه رأى عثمان بن عفان -رحمه الله- على بغلة وخلفه عليها غلامه نائل وهو خليفة[(١)].

وقال فياض عن جعفر بن برقان عن الهمداني في حديثه قال: رأيت عثمان نائمًا في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين[(٢)].

وعن شرحبيل بن مسلم: أن عثمان بن عفان ﷺ كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل إلى بيته فيأكل الخل والزيت[(٣)].

وعن عبد الله الرومي قال: بلغني أن عثمان ﷺ قال: لو أني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيهما أصير[(٤)].

وعن عمرة بنت قيس العدوية قالت: خرجت مع عائشة -رحمها الله- سنة قتل عثمان إلى مكة فمررنا بالمدينة فرأينا المصحف الذي قُتل وهو في حجره فكانت أول قطرة قطرت من دمه على هذه الآية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

قالت عمرة: فما مات منهم رجل سويًا[(٥)].

علي بن أبي طالب

عن الأجلح بن أبي مليكة قال: لما أرسل عثمان إلى علي -رحمه الله- في التعاقب وجده متزِّرا بعباءة محتجزًا بعقال وهو يهنأ بعيرًا له[(٦)].

---

(١) الزهد لابن حنبل (١٥٧-١٦٠).
(٢) كسابقه.
(٣) كسابقه.
(٤) كسابقه.
(٥) كسابقه.
(٦) الزهد لابن حنبل (١٦٢-١٦٦).

وعن يزيد بن محجن قال: كنا مع علي ﷺ بالرحبة فدعا بسيف فسلَّه فقال: من يشتري هذا فوالله لو كان عندي ثمن إزار ما بعتُهُ(١).

وعن علي بن هشام عن صالح (بياع الأكسية) عن أمه أو جدته قالت: رأيت علي بن أبي طالب ﷺ اشترى تمرًا بدرهم فحمله في ملحفة فقالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين. قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل(٢).

أبو ذر الغفاري

عن عبد الله بن عبادة بن الصامت قال: كنت مع أبي ذر -رحمه الله- وقد خرج عطاؤه ومعه جارية فجعل يقضي حوائجه. قال: ففضل معه. قال: أحسبه. قال: سبع فأمرها أن تشتري بها فلوسًا. فقلت: يا أبا ذر لو ادخرته لحاجة تنوبك ولضيف يأتيك. فقال: إن خليلي ﷺ عهد إليّ أيما ذهب أو فضة أُوكيَ عليه فهو جمرٌ على صاحبه يوم القيامة حتى يفرغه إفراغًا في سبيل الله(٣).

وعن أبي بكر بن المنكدر قال: بعث حبيب بن أبي سلمة إلى أبي ذر وهو أمير الشام بثلاثمائة دينار. قال: استعن بها على حاجتك.

فقال أبو ذر رحمه الله: ارجع بها إليه. أما وجد أحدًا أغرَّ بالله منا. ما لنا إلا ظل نتوارى به وثُلةٌ من غنم تروح علينا ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها ثم أنا أتخوف الفضل(٤).

وعن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رحمه الله: قال: قيل: ألا تتخذ ضيعة كما اتخذ فلان وفلان. قال: ما أصنع بأن أكون أميرًا وإنما يكفيني في كل يوم شربة ماء أو لبن وفي الجمعة قفيز من قمح(٥).

---

(١) كسابقه.

(٢) كسابقه.

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل (١٨٣).

(٤) نفس المصدر (١٨٣).

(٥) نفس المصدر (١٨٤).

سلمان الفارسي

عن الحسن قال: كان عطاء سلمان -رحمه الله- خمسة آلاف درهم وكان أميرًا على زهاء ثلاثين ألفًا من المسلمين، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها.

فإذا خرج عطاؤه أمضاه ويأكل من سفيف يده[1].

وعن أبي سفيان عن أشياخه قال: دخل سعد على سلمان يعوده. قال: فبكى سلمان. فقال له سعد: يا أبا عبد الله ما يبكيك تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ. وترد عليه الحوض وتلقى أصحابك؟

قال: فقال سلمان: أما إني لم أبك جزعًا من الموت ولا حِرصًا على الدنيا ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا. قال: لتكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب.

وحولي هذه الأساود: قال: وإنما حوله إنجانة وجفنة ومطهرة.

فقال سعد: يا أبا عبد الله. اعهد إلينا عهدًا نأخذ به بعدك. فقال: يا سعد، اذكر الله عند همِّك إذا هممت وعند يدك إذا قسمت وعند حكمك إذا حكمت[2].

(١) الزهد لأحمد بن حنبل (١٨٩-١٩٠).

(٢) كسابقه.

التواضع لغةً واصطلاحًا

التواضع لغةً

مصدر تواضع، أي: أظهر الضعة وهو مأخوذ من مادة (و ض ع) التي تدل على الخفض للشيء وحطِّه. يقال: وضعته بالأرض وضعًا، ووضعت المرأة ولدها. والوضائع: قوم ينقلون من أرض إلى أرض يسكنون بها. والوضيع: الرجل الدنيّ. والدابة تضع في سيرها وضعًا: وهو سير سهل يخالف المرفوع.

وقال الراغب في مفرداته: الوضع أعم من الحط ومنه الموضع. قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]. وقد يستعمل هذا في الإيجاد والخلق. كما في قوله سبحانه: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠]. ويقال: رجل وضيع بيِّن الضَّعة في مقابل: رفيع بيِّن الرفعة. والتواضع: التذلل. والاتضاع: أن تخفض رأس البعير لتضع قدمك على عنقه فتركب. ورجل مُوَضَّعٌ: أي مطرح ليس بمستحكم الخلق[1].

التواضع اصطلاحًا

إظهار التنزل عن المرتبة لمن يُراد تعظيمه. وقيل: هو تعظيم من فوقه لفضله.

وفي الرسالة القشيرية: التواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض في الحكم[2].

الآيات الواردة في (التواضع)

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة: ٥٤].

---

(١) المقاييس لابن فارس (٦/ ١١٨)، والمفردات (٥٢٥)، والصحاح (٣/ ١٣٠٠).

(٢) مدارج السالكين (٦/ ١٣٤)، فتح الباري (١١/ ٣٤١)، دليل الفالحين لابن علان (٣/ ٥٠).

وقال تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣- ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧].

قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨].

الأحاديث الواردة في (التواضع)

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ما من امرئ إلا وفي رأسه حَكَمَة**(١) **والحكمة بيد ملك إن تواضع قيل للملك: ارفع الحكمة، وإن أراد أن يرفع قيل للملك: ضع الحكمة أو حكمته**»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحد لله إلا رفعه**»(٣).

وعن عياض بن حمار المجاشعي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا..**» الحديث. وفيه: «**وإن الله أوحى**

---

(١) الحَكَمَة: حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه تمنعه عن مخالفة راكبه.

(٢) الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٨)، وقال: رواه البزار وإسناده حسن. وحسنه الألباني في الصحيحة (٥٣٨).

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٨).

إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد»[١].

وعن معاذ بن أنس الجهني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك اللباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيّره من أي حُلل الإيمان شاء يلبسها»[٢].

وعن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه أن يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة»[٣].

وعن أبي أمامة الحارثي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «البذاذة من الإيمان». قال: البذاذة: القضافة يعني التقشف.

وفي لفظ لأبي داود: ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يومًا عنده الدنيا فقال رسول الله ﷺ: «ألا تسمعون، إن البذاذة[٤] من الإيمان إن البذاذة من الإيمان» يعني التقحل[٥].

وعن حارثة بن وهب الخزاعي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟». قالوا: بلى. قال: «كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبرَّه». ثم قال: «ألا أخبركم بأهل النار؟». قالوا: بلى. قال: «كل عُتُل[٦] جواظ[٧] مستكبر»[٨].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) أحمد في المسند (٣/ ٤٣٩)، والترمذي (٢٤٨١) واللفظ له. وقال: حديث حسن. وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٨١).

(٣) مسلم (٢٠٣٣) والصحيحة (٧١٧).

(٤) البذاذة: رثاثة الهيئة وترك الزينة. (والمراد: التواضع في اللباس وترك التبجح به).

(٥) رواه أبو داود (٤١٦١)، وابن ماجه (٤١١٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٣٢٤) والتقحل: سوء الحال.

(٦) العتل: الجافي الشديد الخصومة. وقيل: الفظ الغليظ.

(٧) الجواظ: الضخم المختال في مشيته.

(٨) البخاري (الفتح ١/ ٦٠٧١)، ومسلم (٢٨٥٣).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أُعطي رضى وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس[١] وإذا شيك فلا انتقش[٢]، طوبى لعبد آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع»**[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه»**[٤].

وعن أنس ﷺ قال: كانت ناقة لرسول الله ﷺ **تسمى العضباء وكانت لا تُسبق فجاء** أعرابي على قَعود له فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين. وقالوا: **سُبقت العضباء. فقال** رسول الله ﷺ: **«إن حقًا على الله أن لا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه»**[٥].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«رب أشعث[٦] مدفوع بالأبواب[٧] لو أقسم على الله لأبرَّه»**[٨].

---

(١) انتكس: انقلب على رأسه.

(٢) إذا شيك فلا انتقش: أي إذا أصابته شوكة لا يستطيع إخراجها.

(٣) البخاري (الفتح ٦/ ٢٨٨٧).

(٤) مسلم (٢٦٢٢).

(٥) البخاري (الفتح ١١/ ٦٥٠١).

قال ابن حجر تعليقًا على هذا الحديث: فيه إشارة إلى الحث على عدم الترفع والحث على التواضع والإعلام بأن أمور الدنيا ناقصة غير كاملة.

قال ابن بطال: فيه هوان الدنيا على الله والتنبيه على ترك المباهاة والمفاخرة وأن كل شيء هان على الله فهو محل الضيعة.

فحقٌ على كل ذي عقل أن يزهد فيه ويقلل منافسته في طلبه.

وقال ابن حجر فيه أيضًا: حسن خلق النبي ﷺ وتواضعه لكونه رضي أن أعرابيًا يسابقه.. فتح الباري (١١/ ٣٤٩).

(٦) أشعث: الأشعث الملبد الشعر المغبر.

(٧) مدفوع الأبواب: لا قدر له عند الناس.

(٨) مسلم (٢٦٢٢).

أقوال العلماء في التواضع

قال أبو بكر الصديق ﷺ: وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع[١].

وعن عائشة ﷺ قالت: تغفلون عن أفضل العبادة: التواضع[٢].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: من تواضع لله تخشعًا رفعه الله يوم القيامة ومن تطاول تعظمًا وضعه الله يوم القيامة[٣].

وعن جرير بن عبد الله ﷺ أنه قال له سلمان ﷺ: يا جرير، تواضع لله فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة[٤].

وسُئل الحسن البصري عن التواضع فقال: التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلمًا إلا رأيت له عليك فضلًا[٥].

وسُئل الفضيل بن عياض -رحمه الله- عن التواضع: فقال: يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله ولو سمعه من صبي قبله ولو سمعه من أجهل الناس قبله[٦].

وقيل لعبد الملك بن مروان: أي الرجال أفضل؟ قال: من تواضع من قدرة وزهد عن رغبة[٧].

وقال الجنيد بن محمد: التواضع هو خفض الجناح ولين الجانب[٨].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٣).
(٢) وكيع في الزهد (٢/ ٤٦٣) ورجاله ثقات.
(٣) وكيع في الزهد (٢/ ٤٦٧).
(٤) وكيع في الزهد (٢/ ٤٦٦) ورجاله ثقات.
(٥) إحياء علوم الدين (٣٤٢).
(٦) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٢).
(٧) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٢).
(٨) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٢).

وقال عروة بن الورد: **التواضع أحد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع**(١).

وقال عبد الله بن المبارك ﷺ: **رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تُعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تُعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل**(٢).

قال كعب: **ما أنعم الله على عبد من نعمة فبرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورُفع بها درجة في الآخرة**(٣).

وقال إبراهيم بن شيبان: **الشرف في التواضع والعز في التقوى والحرية في القناعة**(٤).

من قصص المتواضعين

تواضع محمد بن مقاتل

قال موسى بن القاسم: كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبتُ إلى محمد بن مقاتل. فقلت: يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله -عز وجل- لنا فبكى ثم قال: ليتني لم أكن سبب هلاككم.

قال: فرأيت النبيﷺ في النوم. فقال: «**إن الله -عز وجل- رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل**».

تواضع إبراهيم النخعي

وقال المغيرة: كنا نهاب إبراهيم النخعي هيبة الأمير وكان يقول: **إن زمانًا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء.**

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٢).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٣).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٣).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٢).

تواضع أحمد بن حنبل

قال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل، صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير.

وقال خراسني للإمام أحمد: الحمد لله الذي رأيتك. فقال له: اقعد أي شيء ذا؟! من أنا؟!

وكان الإمام أحمد -رحمه الله- يقول: نحن قوم مساكين.

وقال أبو بكر المروزي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وذكر أخلاق الورعين. فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء ؟!

وقال محمد بن أحمد بن واصل: سمعت أبا عبد الله غير مرة يقول: من أنا حتى تجيئون إليّ؟! ما أنا حتى تجيئون إليَّ؟! اذهبوا اطلبوا الحديث.

وقال أبو بكر المروزي: قلتُ لأبي عبد الله: الرجل يقال له في وجهه: أحييت السُّنَّة؟ قال: هذا فساد لقلب الرجل.

وقلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعين لك، فتغرغرت عينه وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجًا أسأل الله أن يجعلنا خيرًا مما يظنون ويغفر لنا ما لا يعلمون.

وقلت لأبي عبد الله: إن بعض المحدثين قال لي: أبو عبد الله لم يزهد في الدراهم وحدها قد زهد في الناس.

فقال أبو عبد الله: ومن أنا حتى أزهد في الناس؟! الناس يريدون يزهدون فِيَّ.

وعن المروزي قال: لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أبي عبد الله كان مائلًا إليهم مقصرًا عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع تعلوه السكينة والوقار، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر، يقعد حيث انتهى به المجلس[1].

(١) ترجمة الإمام أحمد (من تاريخ الإسلام ص ٣١).

وقال أحمد بن الحسين بن حسان: دخلنا على أبي عبد الله. فقال له شيخ من أهل خراسان: يا أبا عبد الله. الله الله فإن الناس يحتاجون إليك. قد ذهب الناس فإن كان الحديث لا يمكن فمسائل فإن الناس مضطرون إليك.

فقال أبو عبد الله: إليَّ أنا؟ واغتمَّ من قوله وتنفس الصعداء ورأيت في وجهه أثر الغمِّ.

قال محمد بن طارق البغدادي: كنت جالسًا إلى جنب أحمد بن حنبل فقلت: يا أبا عبد الله أستمد من محبرتك؟

فنظر إليّ وقال: لم يبلغ ورعي ورعك هذا، وتبسم.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: رأيتُ أبي إذا جاءه الشيخ والحدث من قريش أو غيرهم من الأشراف لا يخرج من باب المسجد حتى يُخرجهم فيكونوا هم يتقدمونه ثم يخرج بعدهم.

وقيل لأبي عبد الله: جزاك الله عن الإسلام خيرًا. فقال: لا. بل جزى الله الإسلام عني خيرًا، ثم قال: ومن أنا؟! ومن أنا؟!

وقال أحمد بن علي الأبَّار: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وسأله رجل: حلفت بيمين ما أرى أي شيء هي؟ فقال: ليت أنك إذا دريتَ دريتُ أنا.

وقال أبو عثمان الشافعي لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: لا يزال الناس بخير ما مَنَّ الله عليهم ببقائك. وكلام من هذا النحو كثير. فقال له: لا تقل هذا يا أبا عثمان. لا تقل هذا يا أبا عثمان. ومن أنا في الناس؟!

وقال خطاب: وسألته عن شيء من الورع فرأيته قد أظهر الاغتمام وتبيَّن عليه في وجهه إزراء على نفسه واغتمام بأمره. حتى شق عليَّ؛ فقلت لرجل كان معي حين خرجنا: ما أراه ينتفع بنفسه أيامًا جددنا عليه غمًا[1].

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ٣٣٤- ٣٤٧).

تواضع مالك بن دينار

قال مالك بن دينار: لو أن مناديًا ينادي بباب المسجد: ليخرج شركم رجلًا والله ما كان أحد يسبقني إلى الباب إلا رجلًا بفضل قوة أو سعي.

قال: فلما بلغ ابن المبارك قوله قال: بهذا صار مالك مالكًا.

تواضع أحمد الرفاعي

كان -رحمه الله- يقول: أقرب الطريق: الانكسار والذل والافتقار تعظم أمر الله وتشفق على خلق الله وتقتدي بسنة رسول الله ﷺ. أُحضر بين يديه طبق تمر فبقى ينقِّي لنفسه الحشف ليأكله. ويقول: أنا أحق بالدون، فإني مثله دون.

وجاء في السير[1]: كان رحمه الله يجمع الحطب ويجيء به إلى بيوت الأرامل ويملأ لهم بالجرة.

تواضع سفيان الثوري

قدم سفيان الثوري (الرملة) فبعث إليه إبراهيم بن أدهم: أن تعال فحدثنا، فجاء سفيان. فقيل له: يا أبا إسحاق تبعث إليه بمثل هذا ؟! فقال: أردت أن أنظر كيف تواضعه.

تواضع عبد العزيز بن أبي رواد

قال ابن وهب: جلستُ إلى عبد العزيز بن أبي رواد فمسَّ فخذي فخذه فنحَّيتُ نفسي عنه فأخذ بثيابي فجرني إلى نفسه، وقال لي: لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة، وإني لا أعرف رجلًا منكم شرًا مني!!

---

(١) السير (٢١/ ٧٧-٨٠).

التوبة (لغةً واصطلاحًا)

التوبة لغةً

التوبة مصدر قولك: تاب يتوب. وهو مأخوذ من مادة (ت و ب) التي تدل على الرجوع. يُقال: تاب من ذنبه أي رجع عنه توبة ومتابًا. والوصف منه تائب. والتوب: ترك الذنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار. يقال: تاب إلى الله أي تذكر ما يقتضي الإنابة. نحو قوله سبحانه: ﴿ وَتُوبُوٓا إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[النور: ٣١]. أي: عودوا إلى طاعته وأنيبوا إليه.

ويقال: تاب الله عليه. أي: قبل منه التوبة. والتائب: (يقال لباذل التوبة ولقابل التوبة). فالعبد تائب إلى الله والله تائب على عبده. والتواب: العبد الكثير التوبة. وقد يقال لله -عز وجل- ذلك (أي تواب). وذلك لكثرة قبوله توبة العباد حالًا بعد حال.

والمتاب في قوله تعالى: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾[الفرقان: ٧١]. يقصد به التوبة التامة وهي الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل.

وجاء في الصحاح: التوبة الرجوع من الذنب[١].

التوبة اصطلاحًا

قال الراغب: التوبة في الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة.

وقال الجرجاني: التوبة هي الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب.

وقيل: التوبة الاعتراف والندم والإقلاع.

وقيل: التوبة في الشرع: الندم على معصيته من حيث هي معصية مع عزم ألا يعود إليها إذا قدر عليها[٢].

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٣٥٧)، مفردات الراغب (٧٥)، الصحاح (١/ ٩٢)، لسان العرب (١/ ٤٥٤).

(٢) مفردات الراغب (ص ٧٦)، التعريفات الجرجاني (ص ٧٤).

معاني التوبة وأنواعها

قال صاحب التعريفات: التوبة على ثلاثة معان: أولها: الندم. وثانيها: العزم على ترك العودة إلى ما نهى الله عنه. وثالثها: السعي في أداء المظالم.

أما أنواعها؛ فقيل هي نوعان: توبة الإنابة وتوبة الاستجابة.

فتوبة الإنابة أن تخاف من الله -عز وجل- من أجل قدرته عليك، وتوبة الاستجابة أن تستحي من الله لقربه منك. قال تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

وقيل: بل ثلاثة؛ التوبة الصحيحة: وهي أنه إذا اقترف العبد ذنبًا تاب عنه بصدق في الحال. والتوبة الأصح: وهي التوبة النصوح. والتوبة الفاسدة: هي التوبة باللسان مع بقاء لذة المعصية في الخاطر[١].

الأحاديث الواردة في (التوبة)

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله -عز وجل- يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»[٢].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[٣].

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ: حدَّث أن النبي ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**» وقال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**»[٤].

---

(١) التعريفات (ص ٧٤).

(٢) مسلم (٢٧٥٩).

(٣) الترمذي (٣٥٣٧) وابن ماجه (٤٢٥٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٩٠٣).

(٤) مسلم (٩٣٤) وأحمد (٦١١٠) وصححه أحمد شاكر (١/ ١٧) حديث (٦١٦٠).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاة الرجل في سوقه بضعًا وعشرين درجة. وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة لا يريد إلا الصلاة فلم يخط خطوة إلا رُفع له بها درجة وحُطَّ عنه بها خطيئة. حتى يدخل المسجد فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه. يقولون: اللهم ارحمه. اللهم اغفر له. اللهم تب عليه. ما لم يؤذ فيه. ما لم يحدث فيه**»[١].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يُسمي لنا نفسه أسماء. فقال: أنا محمد وأحمد والمقفى[٢] والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة[٣].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلًا وبه مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله. قال: أرجع إلى مكاني فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده**»[٤].

وعن أنس ﷺ قال: وقال رسول الله ﷺ: «**لو كان لابن آدم واد من ذهب أحب أن له واديًا آخر ولن يملأ فاه إلا التراب والله يتوب على من تاب**»[٥].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**»[٦].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم**

---

(١) البخاري (الفتح ١/ ٤٤٥) ومسلم (٦٤٩) واللفظ له.

(٢) المقفى: الآخر والمتبع للأنبياء.

(٣) مسلم (٢٣٥٥).

(٤) البخاري (الفتح ١١/ ٦٣٠٨) واللفظ له، ومسلم (٣٧٤٤).

(٥) البخاري (الفتح ١١/ ٦٤٣٩)، ومسلم (١٠٤٨).

(٦) مسلم (٢٧٠٣).

اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين. فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك**»(٢).

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حُرِمَها في الآخرة**»(٣).

وعن ابن مسعود الهُذلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الندم توبة**»(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة**».

فقالوا: كيف يا رسول الله؟.

قال: «**يُقاتل هذا في سبيل الله -عز وجل- فيستشهد ثم يتوب الله على القاتل فيسلم. فيقاتل في سبيل الله -عز وجل- فيستشهد**»(٥).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ فيما كان يحكيه عن ربه -عز وجل- قال: «**أذنب عبد ذنبًا. فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا. فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب. فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب. فقال:**

---

(١) الترمذي (٥٥) واللفظ له وصححه أحمد شاكر.

(٢) أبو داود (٤٨٥٨)، ومسلم (٢٣٤) بلفظ مختلف، والترمذي (٣٤٣٣) واللفظ له وحسنه محقق جامع الأصول. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٩٢).

(٣) البخاري (الفتح ١٠/ ٥٥٧٥)، ومسلم (٢٠٠٣).

(٤) ابن ماجه (٤٢٥٢) وأحمد (١/ ٣٧٦)، وصححه أحمد شاكر (٥/ ١٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٨٠٢).

(٥) مسلم (١٨٩٠).

أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك»[١].

وعن شداد بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وعلى عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»**[٢].

شمولية التوبة لكل مراتب الدين
(الإسلام- الإيمان- الإحسان)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: **التوبة هي حقيقة دين الإسلام والدين كله داخل في** مسمى التوبة وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله. **فإن الله يحب التوابين ويحب** المتطهرين وإنما يحب الله من فعل ما أُمر به، وترك ما نُهي عنه.

فإذًا التوبة هي الرجوع عما يكرهه الله ظاهرًا وباطنًا إلى ما يحبه ظاهرًا وباطنًا. ويدخل في مسماها الإسلام والإيمان والإحسان وتتناول جميع المقامات. ولهذا كانت غاية كل مؤمن وبداية الأمر وخاتمته وهي الغاية التي وُجد لأجلها الخلق.

والأمر والتوحيد جزء منها بل هو جزؤها الأعظم الذي عليه بناؤها. وأكثر الناس لا يعرفون قدر التوبة ولا حقيقتها فضلًا عن القيام بها علمًا وعملًا وحالًا ولم يجعل -الله تعالى- محبته للتوابين إلا وهم خواص الخلق لديه، ولولا أن التوبة اسم جامع لشرائع الإسلام وحقائق الإيمان لم يكن الرب تعالى يفرح بتوبة عبده ذلك الفرح العظيم. فجميع ما يتكلم فيه الناس من المقامات والأصول هو تفاصيلها وآثارها[٣].

---

(١)البخاري (الفتح ١٣/ ٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨) واللفظ له.

(٢)البخاري (الفتح ١١/ ٦٣٠٦).

(٣)مدارج السالكين (١/ ٣٠٦، ٣٠٧).

التوبة من ترك المأمور أولى من التوبة من فعل المحظور

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: من تاب توبة عامة كانت هذه التوبة مقتضية لغفران الذنوب، وإن لم يستحضر أعيان الذنوب إلا أن يعارض هذا العام معارض يوجب التخصيص مثل أن يكون بعض الذنوب لو استحضره لم يتب منه لقوة حبه إياه أو لاعتقاده أنه حسن ليسْ بقبيح، فما كان من ذنب لو استحضره لم يتب منه لم يدخل في التوبة، وأما ما كان لو استحضره بعينه لكان مما يتوب منه، فإن التوبة العامة شاملة له.

وأما التوبة المطلقة: وهي أن يتوب توبة مجملة فإنها لا تستلزم التوبة من كل ذنب، فهذه لا توجب دخول كل فرد من أفراد الذنوب فيها ولا تمنع دخوله كاللفظ المطلق، لكن هذه تصلح أن تكون سببًا لغفران المعين كما تصلح سببًا لغفران الجميع، بخلاف التوبة العامة فإنها مقتضية للغفران العام.

وكثير من الناس لا يستحضر عند التوبة إلا بعض المعاصي المتصفات بالفاحشة أو مقدماتها أو بعض الظلم باللسان أو اليد، وقد يكون ما تركهَ من المأمور الذي يجب عليه في باطنه وظاهره من شعب الإيمان وحقائقه أعظم ضررا عليه مما فعله من بعض الفواحش، فإن ما أمر الله به من حقائق الإيمان التي بها يصير العبد من المؤمنين حقًا أعظم نفعًا من نفع ترك بعض الذنوب الظاهرة كحب الله ورسوله، فإن هذا أعظم الحسنات الفعلية، والناس في غالب أحوالهم لا يتوبون توبة عامة مع حاجتهم إلى ذلك، فإن التوبة واجبة على كل عبد في كل حال، لأنه دائمًا يظهر له ما فرَّط فيه من ترك مأمور أو ما اعتدى فيه من فعل محظور فعليه أن يتوب دائمًا[1].

إطلاقات كلمة (التوبة) في القرآن الكريم

وردت كلمة التوبة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

١- بمعنى التجاوز والعفو وهذا مقيد بـ (على) كقوله تعالى: ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤].

٢- بمعنى الندامة: وهذا غير مقيد لا بـ (إلى) ولا بـ (على) كقوله تعالى: ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [التوبة: ٣].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٣٢٨- ٣٣٠) بتصرف.

٣- بمعنى الرجوع والإنابة: وهذا مقيد بـ (إلى) كقوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [النور: ٣١].

أقوال العلماء في (التوبة)

قال عمر بن الخطاب: اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة[١].

وقال أيضًا: في معنى قوله تعالى: ﴿ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨]. يذنب العبد ثم يتوب فلا يعود فيه[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ [النجم: ٣٢]. قال: هو الرجل يصيب الفاحشة يُلم بها ثم يتوب منها. قال: يقول:

إن تغفر اللهم تغفر جمًّا ... وأي عبد لك لا ألمَّا[٣]

وقال الحسن البصري: يا ابن آدم ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة[٤].

وقال أيضًا -رحمه الله- في معنى التوبة النصوح: أن يكون العبد نادمًا على ما مضى مجمعًا على أن لا يعود فيه[٥].

وقال فيها أيضًا: ندمٌ بالقلب، واستغفارٌ باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار ألا يعود[٦].

وقال الكلبي: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن[٧].

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ١٥).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٠٩، ٣١٠).

(٣) الترمذي (٣٢٨٤) مرفوعًا.

(٤) الزهد لأحمد (٣٤٠).

(٥) مدارج السالكين (١/ ٣٠٩-٣١٠).

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

وقال سعيد بن المسيب: **التوبة النصوح ما تنصحون بها أنفسكم**[١].

وقال محمد بن كعب القرظي: **التوبة يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيئ الإخوان**[٢].

وقال أبو حازم رحمه الله: **عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر إذا عزم العبد على ترك الآثام أمه الفتوح**[٣].[٤]

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى: **الذي حجب الناس عن التوبة طول الأمل، وعلامة التائب إسبال الدمعة وحب الخلوة والمحاسبة للنفس عند كل هِمَّة**[٥].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: **التوبة من أفضل مقامات السالكين لأنها أوَّل المنازل وأوسطها وآخرها، فلا يُفارقها العبد أبدًا ولا يزال فيها إلى الممات، وإن ارتحل السالك منها إلى منزل آخر ارتحل به ونزل به، فهي بداية العبد ونهايته وحاجته إليها في النهاية ضرورية كما حاجته إليها في البداية كذلك**[٦].

وقال بعض أهل العلم: **من أُعطي أربعًا لم يمنع أربعًا: من أُعطى الشكر لم يمنع المزيد، ومن أُعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أُعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أُعطي المشورة لم يمنع الصواب**[٧].

وعن النعمان بن بشير قال: **سُئل عمر بن الخطاب عن التوبة النصوح قال: التوبة النصوح أن يتوب الرجل من العمل السيئ ثم لا يعود إليه أبدًا**[٨].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الآداب الشرعية (١/ ٨٦).

(٣) أمه الفتوح: أتاه.

(٤) حلية الأولياء (٢/ ٢٣٠).

(٥) ذم الهوى لابن الجوزي (ص ١٧٤).

(٦) مدارج السالكين (١/ ١٩٨).

(٧) إحياء علوم الدين (١/ ٢٠٦).

(٨) تفسير الطبري (٢٨/ ١٠٧، ١٠٨).

وعن سماك بن حرب قال: سمعت النعمان بن بشير يخطب قال: سمعتُ عمر بن الخطاب ﷺ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨]. وعن ابن عباس ﷺ قال: قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ ألا يعود صاحبها لذلك الذنب الذي يتوب منه[١].

وعن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: التوبة النصوح الرجل يذنب الذنب ثم لا يعود فيه[٢].

وعن مجاهد قوله: ﴿ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ : قال: يستغفرون ثم لا يعودون[٣].

وعن الضحاك في قوله: ﴿ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾: قال :النصوح أن تتحول عن الذنب ثم لا تعود له أبدًا[٤].

وعن قتادة قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ : قال: هي الصادقة الناصحة[٥].

شروط التوبة

قال النووي رحمه الله: التوبة واجبة من كل ذنب؛ فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط وهي:

١- أن يقلع عن المعصية.
٢- أن يندم على فعلها.
٣- أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدًا.

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته[٦]. وإن كانت المعصية متعلقة بحق آدمي زيد

---

(١) كسابقه.
(٢) كسابقه.
(٣) كسابقه.
(٤) كسابقه.
(٥) كسابقه.
(٦) كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٢٣٣).

شرطٌ رابع وهو: رد الحقوق إلى أهلها أو طلب البراءة منهم[١].

وذكر بعض أهل العلم شروطًا للتوبة النصوح، وهي:

(١) أن يكون ترك الذنب لله خالصًا لوجهه، لا لشيء آخر لعدم استطاعته فعل الـذنب أو لخوفه من الناس.

(٢) أن يستشعر قبح الذنب وضرره.

وذكر ابن القيم -رحمه الله- أضرارًا كثيرة للذنوب منها:

١- حرمان العلم ٢- الوحشة في القلب ٣- تعسير الأمور

٤- حرمان الطاعة ٥- وهن البدن ٦- محق البركة

٧- قلة التوفيق ٨- ضيق الصدر ٩- اعتياد الذنوب

١٠- منع إجابة الدعاء ١١- الفساد في البر والبحر

١٢- ذهاب الحياء ١٣- زوال النعم ١٤- نزول النقم

١٥- سوء الخاتمة ١٦- عذاب في الآخرة

(٣) المبادرة إلى التوبة

(٤) الخوف من عدم قبول التوبة

(٥) استدراك ما فات في حق الله

(٦) مفارقة مكان المعصية

(٧) مفارقة أصدقاء السوء

(٨) اختيار الرفقاء الصالحين ومجالسة المتقين

(٩) صرف الطاقات إلى الطاعات بعد صرفها إلى المعاصي والسيئات

(١٠) التوبة قبل الغرغرة، وقبل طلوع الشمس من مغربها[٢]

---

(١) أي: الصفح والعفو والمسامحة.

(٢) أريد أن أتوب ولكن -محمد صالح المنجد- باختصار وتصرف.

صلاة التوبة

عن أبي بكر ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر له**»(١). ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران: ١٣٥].

سيد الاستغفار

عن شداد بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.**

قال: ومَنْ قالها مِنْ النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومَنْ قالها مِنْ الليل وهو موقنٌ بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»(٢).

جزاء التائبين

محبة الله

قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

الفلاح

قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ [القصص: ٦٧].

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٨٤).

(٢) البخاري (الفتح ١١/ ٦٣٠٦).

غفران الذنوب

قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢].

تبديل السيئات حسنات

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الفرقان: ٦٨-٧٠].

تكفير السيئات ودخول الجنات

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[التحريم: ٨].

من قصص التائبين

توبة دينار العيار عن المعاصي[١]

كانت له والدة تعظه ولا يتعظ، فمرَّ في بعض الأيام بمقبرة كثيرة العظام فأخذ منها عظمًا نخرًا فانفتَّ في يده ففكَّر في نفسه وقال لها:

ويحك كأني بك غدًا قد صار عظمك هكذا رفاتًا والجسم ترابًا. وأنا اليوم أقدم على المعاصي فندم وعزم على التوبة. ورفع رأسه إلى السماء. وقال: إلهي. إليك ألقيتُ مقاليد أمري فاقبلني وارحمني، ثم مضى نحو أمه متغير اللون منكسر القلب. فقال: يا أماه ما يصنع بالعبد الآبق إذا أخذه سيده؟ فقالت: يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يده وقدمه. فقال: تفعلين بي كما يُفعل بالآبق لعل مولاي يرى ذُلي فيرحمني، ففعلت ما طلب فكان إذا جنَّه الليل أخذ في البكاء والعويل. ويقول لنفسه: ويحك يا دينار ألك قوة على النار؟ كيف تعرضت لغضب الجبار؟ وكذلك إلى الصباح.

فقالت له أمه في بعض الليالي: ارفق بنفسك. فقال: دعيني أتعب قليلًا لعلي أستريح طويلًا يا أمي، إن لي موقفًا طويلًا بين يدي رب جليل ولا أدري أيؤمر بي إلى الظل الظليل أو إلى شر مقيل، إني أخاف عناء لا راحة بعده وتوبيخًا لا عفو معه. قالت: فاسترح قليلًا. فقال: الراحة أطلب؟ أتضمنين لي الخلاص؟ قالت: فمن يضمنه لي؟ قال: فدعيني وما أنا عليه كأنك يا أماه غدًا بالخلائق يساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار.

فمرَّت به في بعض الليالي في قراءته: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢- ٩٣]. ففكر فيها وبكى وجعل يضطرب كالحية حتى خرَّ مغشيًا فجاءت أمه إليه ونادته فلم يجبها.

فقالت: قرة عيني.. أين الملتقي؟ فقال بصوت ضعيف: إن لم تجديني في عرصة القيامة فاسألي مالكًا عني.

---

(١) هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي. ثقة ثبت خرَّج له البخاري ومسلم، وتوفي سنة (٢٢١هـ).

ثم شهق شهقة مات فيها فجهزته وغسلته وخرجت تنادي: أيها الناس هلموا إلى الصلاة على قتيل النار.

فجاء الناس فلم يُرَ أكثر جمعًا ولا أغزر دمعًا من ذلك اليوم[1].

توبة أعرابي لسماع آية من القرآن

قال الأصمعي: أقبلتُ ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة فبينا أنا في بعض سككها إذ طلع أعرابي جلف جاف على قعود له متقلد سيفه وبيده قوس فدنا وسلَّم وقال لي: ممن الرجل؟ قلت: من بني الأصمع. قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يُتلى فيه كلام الرحمن.

قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟! قلت: نعم. قال: اتل عليَّ شيئًا منه. فقلتُ له: انزل عن قعودك. فنزل وابتدأت بسورة الذاريات، فلما انتهيتُ إلى قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢].

قال: يا أصمعي هذا كلام الرحمن؟ قلتُ: إي والذي بعث محمدًا بالحق إنه لكلامه أنزله على نبيه ﷺ. فقال لي: حسبك. ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها.

قال: أعني على تفريقها ففرقناها على من أقبل وأدبر. ثم عمج إلى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرحل. وولى مدبرًا نحو البادية وهو يقول: ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ فأقبلتُ على نفسي باللوم وقلتُ: لم تنتبه لما أنتبه له الأعرابي فلما حججتُ مع الرشيد دخلتُ مكة. فبينا أنا أطوف بالكعبة إذ هتف بي هاتف دقيق. فالتفتُ فإذا أنا بالأعرابي نحيلًا مصفرًا فسلَّم عليَّ وأخذ برأسي بيدي وأجلسني من وراء المقام وقال لي: اتل كلام الرحمن. فأخذتُ في سورة الذاريات. فلما انتهيتُ إلى قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ صاح الأعرابي وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا. ثم قال: وهل غير ذلك؟ قلتُ: نعم. يقول الله عز وجل: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٣].

---

(١) التوابين (ص ١٦٥).

فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله. من الذي أغضب الجليل حتى حلف؟!

ألم يصدقوه حتى حلف، قالها ثلاثًا وخرجت روحه[١].

توبة عاصٍ في جوف الليل لسماع آية من القرآن

عن منصور بن عمار قال: حججت حجة فنزلتُ سكة من سكك الكوفة فخرجت في ليلة مظلمة فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول: إلهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك. وقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل، ولكن خطيئة عرضت لي أعانني عليها شقائي وغرني سترك المرخي عليّ وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي. ولك الحجة عليَّ. فالآن من عذابك مَنْ يستنقذني؟ وبحبل من أتصل إذا قطعت حبلك مني؟ واشباباه.. واشباباه.. قال: فلما فرغ من قوله تلوتُ آية من كتاب الله: ﴿ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ [التحريم: ٦]

فسمعت حركة شديدة ثم لم أسمع بعدها حِسًّا فمضيت، فلما كان من الغد رجعت في مدرجتي[٢] وإذا أنا بجنازة قد وُضعت وإذا بعجوز كبيرة فسألتها عن أمر الميت ولم تكن تعرفني فقالت: هذا رجل لا جزاه الله إلا جزاءه. مرَّ بابني البارحة وهو قائم يصلي فتلا آية من كتاب الله. فلما سمعها ابني تفطَّرت مرارته فوقع ميتًا[٣].

توبة عاصٍ على يد إبراهيم بن أدهم

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم فقال له: يا أبا إسحاق إني مسرف على نفسي فاعرض عليَّ ما يكون لها زاجرًا ومستنقذًا لقلبي. قال: إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك المعصية ولم توبقك لذة. قال: هات يا أبا إسحاق.

قال: أما الأولى: فإذا أردت أن تعصي الله -عز وجل- فلا تأكل رزقه.

قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه؟

---

(١) التوابين (ص ١٧٥، ١٧٦) بتصرف.

(٢) المدرجة: الطريق.

(٣) التوابين (ص ١٨٥، ١٨٦).

قال له: يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه؟

قال: لا. هات الثانية.

قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئًا من بلاده.

قال الرجل: هذه أعظم من الأولى. يا هذا إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن؟

قال: يا هذا. أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟!

قال: لا. هات الثالثة.

قال: إذا أردت أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده فانظر موضعًا لا يراك فيه مبارزًا له فاعصه فيه.

قال: يا إبراهيم، كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر؟!

قال: يا هذا، أفيحسن أن تأكل من رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك. ويرى ما تجاهره؟!.

قال: لا. هات الرابعة.

قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك. فقل له: أخِّرني حتى أتوب توبة نصوحًا وأعمل لله عملًا صالحًا.

قال: لا يقبل مني. قال: يا هذا، فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير. فكيف ترجو وجه الخلاص؟

قال: هات الخامسة.

قال: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم.

قال: لا يدعونني ولا يقبلون مني.

قال: فكيف ترجو النجاة إذًا ؟!

قال له: يا إبراهيم، حسبي... حسبي... أنا أستغفر الله وأتوب إليه ولزم العبادة حتى فرق الموت بينهما[١].

توبة امرأة جميلة أرادت أن تفتن الربيع

أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم لعلها تفتنه وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم.

فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه ثم تعرضت له حين خرج من مسجده. فنظر فراعه أمرُها. فأقبلت عليه وهي سافرة.

فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيَّرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟

فصرخت صرخة فسقطت مغشيًا عليها. فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق[٢].

---

(١) التوابين (ص ١٨٣، ١٨٤).

(٢) التوابين (ص ١٦٩).

التوكل لغةً واصطلاحًا

التوكل لغةً

التوكل: مصدر توكل يتوكل وهو مأخوذ من مادة (و ك ل) التي تدل على الاعتماد على الغير في أمر ما.

ومن ذلك التوكل وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك. وواكل فلان إذا ضيَّع أمره متكلًا على غيره.

وقال الراغب: التوكيل: أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبًا عنك. وتواكل القوم إذا اتكل كل على الآخر. والاسم من التوكيل: الوكالة (بالفتح والكسر) والاسم التكلان. وتقول: اتكلت على فلان في أمري إذا اعتمدته. والمتوكل على الله: الذي علم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره.

قال ابن سِيدَه: يقال: وكل بالله وتوكل عليه واتكل بمعنى استسلم إليه. ويقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به. ووكلتُ أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدتُ فيه عليه. ووكل فلانًا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه. ووكل إليه الأمر: سلَّمه. ووكله إلى رأيه وكلًا ووكولًا: تركه[١].

التوكل اصطلاحًا

صدق اعتماد القلب على الله -عز وجل- في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة وكِلة الأمور كلها إليه. وتحقيق الإيمان بأنه لا يُعطي ولا يمنع ولا يَضر ولا ينفع سواه[٢].

وقال الجرجاني: التوكل: هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس[٣].

---

(١) مقاييس اللغة (٦/ ١٣٦) مع التصرف، والمفردات للراغب (ص ٥٣١)، والصحاح (٥/ ١٨٤٥)، ولسان العرب (٨/ ٤٩٠٩).

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ٤٠٩).

(٣) التعريفات (ص ٧٤).

التوكل من صفات النبيين والصالحين

نوح عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس: ٧١]

موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يونس: ٨٦]

هود عليه السلام

قال تعالى: ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٦]

شعيب عليه السلام

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨]

يعقوب عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف: ٦٧]

محمد صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠]

الأمر بالتوكل

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[المائدة: ١١]

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[التوبة: ٥١]

وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾[إبراهيم: ١٢]

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾[الفرقان: ٥٨]

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[الشعراء: ٢١٧- ٢٢٠]

وقال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴾[النمل: ٧٩]

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[الأحزاب: ٣]

الأحاديث الواردة في (التوكل)

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: يقال حينئذ: هُديت وكُفيت ووُقيت فتتنحى له الشياطين. فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووقي**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: إن هذه الآية التي في القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥]

قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظٍ ولا غليظٍ ولا سخَّاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلفًا(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل. قالها إبراهيم -عليه السلام- حين أُلقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣](٣).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطيرة(٤) شرك**» وما منا إلا... ولكن الله يذهبه بالتوكل»(٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو من الليل: «**اللهم لك الحمد أنت رب**

---

(١) أبو داود (٥٠٩٥) واللفظ له، والترمذي (٢٤٢٦). وقال: حديث حسن صحيح غريب. وقال محقق جامع الأصول (٤/ ٢٧٤). وهو حديث صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٩)

(٢) البخاري -الفتح (٨/ ٤٨٣٨).

(٣) البخاري -الفتح (٨/ ٤٥٦٣).

(٤) الطيرة: التشاؤم.

(٥) الترمذي (١٦١٤)، ابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (١/ ٣٨٩)، وصححه أحمد شاكر، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٣١٤).

السموات والأرض، لك الحمد أنت قيِّم السموات والأرض ومن فيهن، لك الحمد أنت نور السموات والأرض، قولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدَّمت وأخَّرت وأسررت وأعلنت، أنت إلهي لا إله لي غيرك»[1].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يُؤمر بالنفخ فينفخ**» فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ. فقال لهم: «**قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا**»[2].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله، أعقلها وأتوكل أو أُطلقها وأتوكل؟ قال: «**اعقلها وتوكل**»[3].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»[4].

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرُّهَيْط[5] والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد، إذ رُفع لي سواد عظيم فظننتُ أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى ﷺ وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سوادٌ عظيمٌ فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**» ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

---

(١) البخاري- فتح (١٣/ ٧٣٨٥)، ومسلم (٧٦٩).

(٢) الترمذي (٢٤٣١) قال الحافظ في الفتح (١/ ٣٧٦): حسنه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٩٢).

(٣) الترمذي (٢٥١٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٠٩).

(٤) الترمذي (٢٣٢٤) وصححه أحمد شاكر (١/ ٣٤٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٥٤).

(٥) الرهيط: تصغير رهط (وهم الجماعة دون العشرة).

فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله وذكر أشياء.

فخرج عليهم رسول الله ﷺ. فقال: «**ما الذي تخوضون فيه؟**».فأخبروه فقال: «**هم الذين لا يرقون ولا يسترقون**[١] **ولا يتطيرون**[٢] **وعلى ربهم يتوكلون**».

فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم.

فقال: «**أنت منهم**». ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم.

فقال: «**سبقك بها عكاشة**»[٣].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت. فإن متَّ من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به**».

قال: فرددتُها على النبي ﷺ فلما بلغتُ: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت. قلتُ: ورسولك. قال: لا، ونبيك الذي أرسلت[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج**[٥] **(ثلاثًا) غير تمام**». فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام.

فقال: اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين. قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي. وإذا**

---

(١) لا يسترقون: لا يطلبون من أحد أن يرقيهم.

(٢) لا يتطيرون: لا يتشاءمون.

(٣) البخاري -الفتح (٦٥٤١، ٥٧٠٥)، مسلم (٢٢٠) واللفظ له.

(٤) البخاري -الفتح (١/ ٢٤٧) واللفظ له، مسلم (٢٧١٠).

(٥) خداج: أي ناقصة.

قال: مالك يوم الدين. قال الله تعالى: مجدني عبدي (وقال مرة: فوض إلي عبدي) فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[١].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقته ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل»[٢].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل. الكلمة الحسنة. الكلمة الطيبة»[٣].

وعن عبد الله بن عباس ﷺ أنه قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفت الصحف»[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير»[٥].

وعن ابن عباس ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»[٦].

---

(١) مسلم (٣٩٥).

(٢) الترمذي (٢٣٢٦) وقال: حسن صحيح غريب. أبو داود (١٦٤٥)، أحمد (٥/ ٢٥٧)، وصححه أحمد شاكر (٣٦٩٦).

(٣) البخاري- الفتح (١٠/ ٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٤) الترمذي (٢٥١٦)، أحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣)، وصححه أحمد شاكر (٤/ ٢٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٥) مسلم (٢٨٤٠).

(٦) مسلم (٢٧١٧).

أقوال العلماء في التوكل

قال سعيد بن جبير رحمه الله: التوكل على الله -عز وجل- جماع الإيمان[١].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: ينبغي للناس كلهم يتوكلون على الله -عز وجل- ولكن يعودون أنفسهم بالكسب فمن قال بخلاف هذا القول فهذا قول إنسان أحمق[٢].

وقال أيضًا: الاستغناء عن الناس بطلب العمل أعجب إلينا من الجلوس وانتظار ما في أيدي الناس[٣].

وقال أيضًا: صدق المتوكل على الله -عز وجل- أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيئه بشيء فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلًا[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله: التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم[٥].

وقال ابن القيم والفيروزآبادي رحمهما الله: التوكل نصف الدين والنصف الثاني الإنابة؛ فإن الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة[٦].

وقال سهل: التوكل: الاسترسال مع الله مع ما يريد[٧].

وقال بشر الحافي: يقول أحدهم: توكلت على الله. يكذب على الله لو توكل على الله رضي بما يفعل الله[٨].

---

(١) الزهد لهناد بن السري (١/ ٣٠٤).
(٢) الآداب الشرعية (٣/ ٢٧٠).
(٣) الآداب الشرعية (٣/ ٢٧٠).
(٤) الآداب الشرعية (٣/ ٢٧٠).
(٥) التفسير القيم -لابن القيم (٥٨٧).
(٦) مدارج السالكين (٢/ ١١٨).
(٧) المدارج (٢/ ٨٨).
(٨) المدارج (٢/ ٨٨).

وسُئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلًا؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلًا[١].

وقال ابن عطاء:التوكل: أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها[٢].

وقال ذو النون: هو ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة. وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الحق -سبحانه- يعلم ويرى ما هو فيه[٣].

وقال أيضًا: خلع الأرباب، وقطع الأسباب[٤].

(يريد قطعها من تعلق القلب بها لا من ملابسة الجوارح لها).

وقال أبو سعيد الخراز: التوكل: اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب[٥].

(يريد حركة ذاته في الأسباب بالظاهر والباطن وسكون إلى المسبب وركون إليه ولا يضطرب قلبه معه ولا تسكن حركته عن الأسباب الموصلة إلى رضاه).

وقال أبو تراب النخشبي: هو طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطي شكر وإن منع صبر[٦].

(فجعله مركبًا من خمسة أمور: القيام بحركات العبودية، وتعلق القلب بتدبير الرب وسكونه إلى قضائه وقدره وطمأنينته وكفايته له وشكره إذا أعطى وصبره إذا مُنع).

قال أبو يعقوب النهرحوري: التوكل على الله بكمال الحقيقة كما وقع لإبراهيم الخليل -عليه السلام- في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام: أما إليك فلا لأنه غائب عن نفسه بالله فلم ير مع الله غير الله[٧].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).
(٤) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).
(٥) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).
(٦) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).
(٧) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).

وقال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السُّنَّة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان[(١)].

وسئل سهل عن التوكل فقال: قلب عاش مع الله بلا علاقة[(٢)].

وقال أبو علي الدقاق: التوكل ثلاث درجات: الدرجة الأولى: التوكل ثم التسليم ثم التفويض، فالمتوكل يسكن إلى وعده وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه.

فالتوكل بداية، والتسليم واسطة، والتفويض نهاية.

فالتوكل صفة المؤمنين، والتسليم صفة الأولياء، والتفويض صفة الموحدين.

التوكل صفة العوام، والتسليم صفة الخواص، والتفويض صفة خاصة الخاصة.

التوكل صفة الأنبياء، والتسليم صفة إبراهيم الخليل، والتفويض صفة نبينا محمد ﷺ وعليهم أجمعين[(٣)].

وقال ابن القيم: ومعنى هذا التوكل: اعتماد على الوكيل وقد يعتمد الرجل على وكيله مع نوح اقتراح عليه وإرادة وشائبة منازعة، فإذا سلم إليه زال عنه ذلك ورضي بما يفعله وكيله.

وحال المفوض فوق هذا فإنه طلب مريد ممن فوض إليه ملتمس منه أن يتولى أموره فهو رضيّ واختيار وتسليم واعتماد.

فالتوكل يندرج في التسليم، وهو والتسليم يندرجان في التفويض والله -سبحانه وتعالى- أعلم[(٤)].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠).

وقيل عن التوكل: هو علم القلب بكفاية الرب للعبد[(١)]

وقيل: التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب كانطراح الميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف يشاء، وهو ترك الاختيار والاسترسال مع مجاري الأقدار[(٢)]

وقيل: هو الرضى بالمقدور[(٣)] وقيل: الثقة بالله والاطمئنان إليه والسكون إليه[(٤)]
وقيل: التوكل التعلق بالله في كل حال[(٥)]

وقيل: التوكل أن ترد عليك موارد الفاقات فلا تسمو إلى من عاليه الكفايات[(٦)]

وقيل: نفي الشكوك والتفويض إلى مالك الملوك[(٧)]

وقيل: قطع علائق القلب بغير الله[(٨)]

وقيل: التوكل هجر العلائق ومواصلة الحقائق[(٩)]

وقيل: أن يستوي عندك الإكثار والإقلال[(١٠)]

وقيل: هو ترك كل سبب يوصلك إلى مسبب حتى يكون الحق هو المتولي ذلك[(١١)]

قال ابن القيم: وهذا صحيح من وجه، باطل من وجه فترك الأسباب المأمور بها قادح في التوكل وقد تولى الحق إيصال العبد بها، وأما ترك الأسباب المباحة فإن تركها لما

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠).
(٤) مدارج السالكين (٢/ ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠).
(٥) مدارج السالكين (٢/ ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠).
(٦) مدارج السالكين (٢/ ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠).
(٧) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).
(٨) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).
(٩) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).
(١٠) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).
(١١) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).

هو أرجح منها مصلحةً ممدوح وإلا فهو مذموم[(١)].

وقيل: هو إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية. يريد استرسالها مع الأمر وبراءتها من حولها وقوتها وشهود ذلك بها بل بالرب وحده[(٢)].

وقيل: التوكل هو التسليم لأمر الرب وقضائه[(٣)].

وقيل: هو التفويض إليه في كل حال[(٤)].

وقال شميط بن عجلان: إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي ثلاثة أيام فقد مضى أمس بما فيه وغدًا أمل لعلك لا تدركه، إنك إن كنت من أهل غد فإن غدًا يجيء برزق غد، دون غدٍ يوم وليله تخترم فيها أنفاس كثيرة ولعلك المخترم فيها، كفى كل يوم همَّه.

سُئل أبو بكر الواسطي عن ماهية التوكل فقال: الصبر على طوارق المحن ثم التفويض ثم التسليم ثم الرضا ثم الثقة، وأما صدق التوكل فهو صدق الفاقة والافتقار، يعني إلى الله -عز وجل.

وقال بعض الحكماء: التوكل على ثلاث درجات؛ أولها: ترك الشكاية. الثانية: الرضا. والثالثة: المحبة.

فترك الشكاية درجة الصبر. والرضا سكون القلب بما قسم الله -عز وجل- له. وهي أرفع من الأولى. والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله -عز وجل- به، فالأولى للزاهدين. والثانية للصادقين. والثالثة للمرسلين.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة: ١١] وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ

(١) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).
(٤) مدارج السالكين (٢/ ٨٨، ٨٩).

فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وقال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١] وقال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤] وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف: ٦٧] وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢] وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٨] وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء: ٢١٧- ٢٢٠] وقال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩] وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٣] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة: ١٠] وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن: ١٣] وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل:٨- ٩]

مواطن التوكل

إن التوكل على الله -عز وجل- مطلوب في كل شئون الحياة. بيد أن هناك مواطن كثيرة ورد فيها الحض على التوكل والأمر به للمصطفى ﷺ والمؤمنين وقد ذكر الفيروزآبادي من ذلك:

١ - إن طلبتم النصر والفرج فتوكلوا عليه

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠]

٢ـ إذا أعرضت عن أعدائك فليكن رفيقك التوكل

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء: ٨١]

٣ـ إذا اعرض عنك الخلق فاعتمد على الله

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [التوبة: ١٢٩]

٤ـ إذا تُلي القرآن عليك أو تلوته فاستند على التوكل

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]

٥ـ إذا طلبت الصُلح والإصلاح بين قوم لا تتوسل إلى ذلك إلا بالتوكل

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٦١]

٦ـ إذا وصلت قوافل القضاء فاستقبلها بالتوكل

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١]

٧ـ إذا نصبت الأعداء حبالات المكر فادخل أنت في أرض التوكل

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [يونس: ٧١]

٨ـ إذا عرفت أن مرجع الكل إلى الله وتقدير الكل فيها لله فوطّن نفسك على فرش التوكل

﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣]

٩ـ إذا علمت أن الله هو الواحد على الحقيقة فلا يكن اتكالك إلا عليه

﴿ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠]

١٠ـ إذا كانت الهداية من الله فاستقبلها بالشكر والتوكل

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢]

١١ـ إذا خشيت بأس أعداء الله والشيطان والغدار فلا تلتجئ إلا إلى باب الله

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٩]

١٢ - إذا أردت أن يكون الله وكيلك في كل حال فتمسك بالتوكل في كل حال
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء: ٨١]

١٣ - إذا أردت أن يكون الفردوس الأعلى منزلك فانزل في مقام التوكل
﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٤٢]

١٤ - إن شئت أن تنال محبة الله فانزل أولًا في مقام التوكل
﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

١٥ - إذا أردت أن يكون الله لك وتكون لله خالصًا فعليك بالتوكل
﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣]

من فوائد التوكل

١ - التوكل يحقق طاعة الله ورسوله ﷺ.
٢ - التوكل يجلب محبة الله تعالى ومعونته ونصره وتأييده.
٣ - التوكل يحقق رضا الله فيجعل للعبد مخرجًا ويكفر عنه سيئاته.
٤ - التوكل يحقق دوام طلب المعونة من الله؛ ليقين المتوكل بالعجز التام عن تحصيل ما يريد وتمام قدرة الله على إنجاز كل ما يريد وفوق ما يريد.
٥ - التوكل به تمام المعونة من الله -عز وجل- مما يدفع عن المتوكل شر الأشرار من الشيطان ومن كل من يريده.
٦ - التوكل يؤدي إلى قطع الطمع فيما في أيدي الناس توكلًا على ما عند الله.
٧ - التوكل من كمال الإيمان وحسن الإسلام.
٨ - التوكل راحة للبال واستقرار للحال.
٩ - التوكل سبب من أسباب سعة الرزق.
١٠ - التوكل سبب في حفظ العبد من وساوس الشيطان.
١١ - التوكل سبب في ترك مزاحمة الناس لأن المتوكل لا يخاف فوات شيء قُدِّر له.
١٢ - التوكل لا يمنع الأخذ بالأسباب المشروعة المباحة ولكن يخرج المتوكل من أسرها.
١٣ - التوكل يُهيئ لصاحبه الفوز بصحبة النبيين في جنات النعيم.

قصة في التوكل

حاتم الأصم

كان رجلًا كثير العيال، وكان له أولاد ذكور وإناث، ولم يكن يملك حبة واحدة، وكان خلقه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فتعرضوا لذكر الحج فداخل الشوق قلبه، ثم دخل على أولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم:

لو أذنتم لأبيكم أن يذهب إلى بيت ربه في هذا العام حاجًا ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم؟ فقالت زوجته وأولاده: أنت على هذه الحالة لا تملك شيئًا ونحن على ما ترى من الفاقة، فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة ؟!

وكان له ابنة صغيرة. فقالت: ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك، دعوه يذهب حيث شاء فإنه مناول للرزق وليس برزاق فذكرتهم ذلك. فقالوا: صدقت والله أيتها الصغيرة.

يا أبانا انطلق حيث أحببت، فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافرًا، وأصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم: كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه.

فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون: لو سكتِّ ما تكلمنا فرفعت الصغيرة طرفها إلى السماء وقالت: إلهي وسيدي ومولاي عودت القوم بفضلك وأنت لا تضيعهم فلا تخيبهم ولا تخجلني معهم، فبينما هم على هذه الحالة إذ خرج أمير البلدة متصيدًا فانقطع عن عسكره وأصحابه، فحصل له عطش شديد فاجتاز بيت الرجل الصالح حاتم الأصم فاستقى منهم ماء وقرع الباب فقالوا: من أنت؟

قال: الأمير ببابكم يستسقيكم، فرفعت زوجة حاتم رأسها إلى السماء وقالت: إلهي وسيدي سبحانك البارحة بتنا جياعًا واليوم يقف الأمير على بابنا يستسقينا، ثم إنها أخذت كوزًا جديدًا وملأته ماء.

وقالت للمتناول منها: اعذرونا، فأخذ الأمير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب

من ذلك الماء فقال: هذه الدار لأمير؟ فقالوا: لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يُعرف بحاتم الأصم.

فقال الأمير: لقد سمعت به. فقال الوزير: يا سيدي، لقد سمعت البارحة أنه أحرم للحج وسافر ولم يخلف لعياله شيئًا، وأخبرت أنهم البارحة باتوا جياعًا.

فقال الأمير: ونحن أيضًا قد أثقلنا عليهم اليوم وليس من المروءة أن يثقل مثلنا على مثلهم ثم حل الأمير منطقته من وسطه ورمى بها في الدار ثم قال لأصحابه: من أحبني فليلق منطقته. فحلَّ جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها إليهم ثم انصرفوا.

فقال الوزير: السلام عليكم أهل البيت لآتينكم الساعة بثمن هذه المناطق، فلما أنزل الأمير رجع إليهم الوزير ودفع إليهم ثمن المناطق مالًا جزيلًا واستردها منهم.

فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاءً شديدًا. فقالوا لها: ما هذا البكاء؟ إنما يجب أن تفرحي فإن الله قد وسَّع علينا، فقالت: يا أم. والله إنما بكائي كيف بتنا البارحة جياعًا فنظر إلينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا الله بعد فقرنا، فالكريم الخالق إذا نظر إلينا لا يكلنا إلى أحد طرفة عين. اللهم انظر إلى أبينا ودبره بأحسن التدبير.

هذا ما كان من أمرهم، وأما ما كان من أمر حاتم أبيهم فإنه لما خرج محرمًا ولحق بالقوم توجع أمير الركب فطلبوا له طبيبًا فلم يجدوا، فقال: هل من عبد صالح فدُلَّ على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفي الأمير من وقته، فأمر له بما يركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة مفكرًا في أمر عياله فقيل له في منامه:

يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه، ثم أخبر بما كان من أمر عياله فأكثر الثناء على الله تعالى، فلما قضى حجه ورجع تلقاه أولاده فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال: صغار قوم كبار قوم آخرين.

إن الله لا ينظر إلى أكبركم ولكن ينظر إلى أعرفكم به، فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فإنه من توكل على الله فهو حسبه[1].

---

(١) ال[illegible] (ص ٧٤، ٧٥)

حفظ الوقت وتعريفه

أما (حفظ) فقد تمَّ توضيحه في (حفظ الفرج).

وأما (الوقت) فقد قال صاحب المعجم: وَقَتَ العمل يَقِتُهُ وقتًا: جعل له وقتًا يُؤدَّى فيه. وقَّتَهُ: جعل له وقتًا يفعل فيه. ووقَّته: بيَّن له مقدار المدة. ووقَّت الشيء ليوم كذا: أجَّله. المُوَقِّت: من يُراعي الأوقات والأهلَّة.

الميقات: الوقت المضروب للفعل. والموعد الذي جُعل له وقت. والموضع الذي جُعل للشيء يُؤدَّى فيه، والجمع: مواقيت. مواقيت الحج: الأماكن التي تبدأ منها مناسكه. الوقت: مقدار من الزمان قُدِّر لأمر ما، والجمع: أوقات[1].

كلمات في حفظ الوقت

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: الفوت[2] أشدُّ من الموت لأن الفوت انقطاع عن الحق والموت انقطاع عن الخلق[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: إضاعة القلب وإضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتماع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهُدَى والاستعداد للقاء الله المستعان[4].

وقال أيضًا: السَّنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة[5].

وقال الغزالي رحمه الله: ويحك يا نفس، ما لك إلا أيام معدودة هي بضاعتك إن تجرت فيها وقد ضَيِّعت أكثرها. فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيَّعت منها لكنت مقصرة

---

(١) المعجم الوجيز (٦٧٧).

(٢) الفوت: إضاعة الوقت.

(٣) لطائف المعارف (١١/ ١٣).

(٤) الفوائد (١١٢، ١٦٤).

(٥) الفوائد (١١٢، ١٦٤).

في حق نفسك. فكيف إذا ضيِّعت البقية، وأصررت على عادتك. ما أنت إلا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك.

فابن على وجه الأرض قصدك. فإن بطنها عن قليل يكون قبرك.

تفرحين كل يوم بزيادة مالك، ولا تحزنين بنقصان عمرك. وما نفع مال يزيد وعمر ينقص؟!

كم من مستقبل يومًا لا يستكمله!! كم من مؤمل لغد لا يبلغه!!

اعملي بقية عمرك في أيام قصار لأيام طوال.

ومَنْ كانت مطيته الليل والنهار فإنه يُسار به و إن لم يسر[1].

وقال أحد الحكماء: من أمضى يومًا من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أدَّاه، أو مجد أثله (أي ورثه)، أو حمد حصَّله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه فقد عقَّ يومه، وظلم نفسه.

كيفية استغلال الوقت

١- اتباع السلف

قال الأوزاعي -رحمه الله- واصفًا حالهم واستغلالهم لأوقاتهم: لزوم الجماعة، واتباع السلف، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله[2].

٢- القراءة:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]

وقال الإمام أحمد رحمه الله: الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه[3].

---

(١) الإحياء (٤/ ٤٤٥، ٤٤٦).

(٢) بهجة المجالس للقرطبي (٣/ ١٤٠).

(٣) تهذيب مدارج السالكين (٤٨٥).

٣- الحركة الهادفة:

قال محمد أحمد الراشد: على الداعية اليوم أن يكون رحَّاله سائحًا في محلات مدينته ومدن قطره يُبلِّغ دعوة الإسلام.

انظر -مثلًا- كيف كانت رسل رسول الله ﷺ تسيح في البوادي تُبلِّغ الأعراب كلمة الإسلام وتُبشر به ولم يكن ثمة انتظار ورودهم إلى المدينة ... ومن انتظر أن يأتيه الناس فليس بداعية(١).

٤- المخالطة الهادفة:

فلا بد للإنسان من خليل، ولا بد له من مجتمع ينخرط فيه ويُخالط أبناءه مخالطة قلبية أو خلقية.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خالط المؤمن بقلبك، وخالط الفاجر بخلقك(٢).

وقال سيد قطب رحمه الله: إننا لا نكون قد صنعنا شيئًا كبيرًا. لقد اخترنا لأنفسنا أيسر السُبُل، وأقلَّها مؤنة. العظمة الحقيقية أن نخالط هؤلاء الناس مشيعين بروح السماحة والعطف(٣).

٥- مساعدة الآخرين وقضاء حاجتهم:

قال أبو عثمان شيخ البخاري: ما سألني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي، فإن تمَّ وإلا قمت له بمالي، فإن تمَّ وإلا استعنا له بالإخوان، فإن تمَّ وإلا استعنتُ له بالسلطان(٤).

العوامل المساعدة على استغلال الأوقات

١- معرفة أهمية الوقت

قال ابن الجوزي: ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته؛ فلا يضيع منه لحظة من غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل(٥).

---

(١) المنطلق (١١٩).

(٢) بهجة المجالس (٢/ ٤٥١).

(٣) أفراح الروح (١٤).

(٤) الآداب الشرعية للمقدسي (٢/ ١٨٩).

(٥) صيد الخاطر (٢٠).

٢- الزهد في الدنيا

قال أحد الصالحين: ما علمتُ أن أحدًا سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو قراءة أو إحسان[١].

٣- تذكر الموت

٤- الخوف من الله

قال ابن السماك رحمه الله: خف الله كأنك لم تطعه، وارجُ الله كأنك لم تعصه[٢].

٥- تنويع البرامج التي تُستغل

٦- الدعاء

قال ابن الجوزي رحمه الله: إذا وقعت في محنة يصعب الخلاص منها فليس لك إلا الدعاء بعد أن تقدم التوبة من الذنوب، فإن الزلل يُوجبُ العقوبة، فإذا زال الزلل بالتوبة من الذنوب ارتفع السبب[٣].

٧- تنمية الهمة العالية

قال ابن القيم رحمه الله: لذة كل أحد على حسب قدره وهمته وشرف نفسه، فأشرف الناس نفسًا وأعلاهم همَّة وأرفعهم قدرًا مَنْ لذتهم في معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه والتودد إليه بما يحبه ويرضاه.

٨- معرفة أثر البطالة والفراغ

فاعلم أن الفراغ والصحة والمال ثالوثٌ مدمر إذا لم يُوجَّه التوجيه السليم. قال رسول الله ﷺ: «**ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا ساعة مرَّت بهم لم يذكروا الله -عز وجل- فيها**»[٤].

قال ابن الجوزي رحمه الله: فكأني بهذا الذي أضاع الساعات، بل أضاع الشهور

---

(١) خلق المسلم للغزالي (٢٧٩).

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٣٠٢).

(٣) صيد الخاطر (٣٤).

(٤) الطبراني والبيهقي، وصححه الألباني انظر صحيح الجامع (٥٣٢٢).

والسنين بل أضاع العمر كله... كأني به كما قال ابن الجوزي: قام من قبره وقد قربت نجائب النجاة لأقوام وتعثر هو. وأسرعت أقدام الصالحين على الصراط وتخبَّط هو. هيهات.. ذهبت حلاوة البطالة وبقيت مرارة الأسف، ونضب ماء كأس الكسل وبقي رسوب الندامة(١).

من قصص حفظ الصالحين أوقاتهم

الشمس الأصبهاني

مما يُحكى عنه من حرصه على العلم وشُحِّه بضياع أوقاته أن بعض أصحابه كان يذكر أنه كان يمتنع كثيرًا من الأكل لئلا يحتاج إلى الشراب، فيحتاج إلى دخول الخلاء فيضيع عليه الزمان(٢).

ابن النفيس

قال عنه الإمام برهان الدين إبراهيم الرشيدي: كان العلاء بن النفيس إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام مبرية ويدير وجهه إلى الحائط ويأخذ في التصنيف إملاء من خاطره ويكتب مثل السيل إذا انحدر.

فإذا كلَّ القلم وحفي رمى به وتناول غيره لئلا يضيع عليه الزمان في بري الأقلام(٣).

أبو بكر الأنباري

دخل الطبيب على أبي بكر الأنباري في مرض موته فنظر إلى مائه "بوله". وقال: قد كنت تفعل شيئًا لا يفعله أحد، ثم خرج. فقال: ما يجيء منه شيء. قال له: ما الذي كنت تفعل؟ قال (الأنباري) رحمه الله: كنت أعيد كل أسبوع عشرة آلاف ورقة(٤).

إسحاق بن إبراهيم بن عيسى

يقول الشيخ عبد العظيم نقلًا عن إسحاق بن إبراهيم بن عيسى المرادي: ولم أر ولم

---

(١) صيد الخاطر (٣٢٩) بتصرف.

(٢) البدر الطالع (٢/ ٢٩٨).

(٣) الدرر الكامنة (٦/ ٨٥).

(٤) وصايا ونصائح لطالب العلم (١٤).

أسمع أحدًا أكثر اجتهادًا منه في الاشتغال؛ كان دائم الاشتغال في الليل والنهار.

وقال: جاورتُه في المدرسة يعني القاهرة، بيتي فوق بيته اثنتي عشرة سنة، فلم أستيقظ في ليلة من الليالي، في ساعة من ساعات الليل إلا وجدتُ ضوء السراج في بيته، وهو مشتغل بالعلم حتى كان في حال الأكل والكتب عنده يشتغل فيها[١].

محمد بن الحسن

قال أسد بن الفرات: كنتُ أبيت في سقيفة بيت يسكن (فيه) محمد بن الحسن في علوه فكان ينزل ويضع بين يديه قدحًا فيه ماء.

ثم يأخذ في القراءة فإذا طال الليل ورآني نعستُ ملأ يده ماء ونضح به على وجهي فانتبهتُ. فكان كذلك دأبي ودأبه حتى أتيتُ على ما أريد من السماع عليه[٢].

الزهريُّ

كان -رحمه الله- محافظًا على الأوقات، ويكثر القراءة والمطالعة للكتب حتى اشتكت من ذلك زوجته فقالت: والله إن هذه الكتب أشد عليَّ من ثلاث ضرائر[٣]. سبحان الله... تُفَضِّل زوجته زواجه بثلاث نساء أخريات عليها أكثر من اعتكافه على قراءة الكتب. فرحمة الله عليه.

عليُّ الطنطاويُّ

قال الشيخ علي الطنطاوي متحدِّثًا عن قراءته: لو أحصيتُ معدل الساعات التي كنتُ أطالع فيها لزادت على عشر في اليوم لأنني منذ الصغر شبه معتزل بعيدًا عن المجتمع[٤]. فلو جعلتُ لكل ساعة عشرين صفحة، أقرأ من الكتب الدسمة نصفها، ومن الكتب السهلة نصفها، لكان لي في كل يوم مائتا صفحة في اليوم. فاحسبوا كم صفحة قرأتُ من يوم تعلمتُ النظر في الكتب، وامتدت يدي إليها سبعين سنة، في كل سنة

---

(١) بستان العارفين للنووي (٧٩).

(٢) أسد بن الفرات (٢١).

(٣) شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي (١/ ١٥٠).

(٤) يعني: بُعده عن الفضول والمضيعين للأوقات وأصحاب الهمم الدنيئة.

اثنا عشر شهرًا، في كل شهر ثلاثون يومًا، في كل يوم مائة صفحة.

فإن هالكم الرقم فاحسموا منه نصفه فكم يبقى. كنت ولا أزال أقرأ في كل علم في التفسير وفي الحديث وفي الفقه وفي التاريخ وفي الأدب (الأدب العربي، والأدب الفرنسي)، وفي العلوم على تنوعها وتعددها[١].

عمر التلمساني

كان يقول عن نفسه: أقبلتُ على القراءة الدينية، فقرأتُ تفسير الزمخشري، وابن كثير، والقرطبي، وسيرة ابن هشام، وغيرها من السير...

قرأتُ أسد الغابة، والطبقات الكبرى، ونهج البلاغة، والأمالي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والمخصص لابن سِيدَه، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم من جلده إلى جلده[٢].

مصاب بالصداع والحُمَّى يقرأ عندما يفيق من المرض

قال ابن القيم رحمه الله: وأعرفُ مَنْ أصابه مرض من صداع وحُمَّى وكان الكتابُ عند رأسه فإذا وجد إفاقة قرأ فيه، فإذا غلب وضعه.

فدخل عليه الطبيب يومًا وهو كذلك. فقال: إن هذا لا يحلُّ لك، فإنك تعينُ على نفسك وتكون سببًا لفوات مطلوبك[٣].

---

(١) سوانح وتأملات في قيمة الزمن د. خلدون الأحدب (٣٤) نقلًا عن كتاب (ذكريات علي الطنطاوي ٤/ ٧٧).

(٢) مجلة الاعتصام (عدد ١، ٢) رمضان وشوال ١٤٠٦هـ مايو ويونيو ١٩٨٦م (ص١٧).

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (٧٠).

الحكمة لغةً واصطلاحًا

الحكمة لغةً

قال الراغب: الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل. فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات.

وإذا وصف به القرآن فلتضمنه الحكمة نحو ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ وقيل: معنى الحكيم: المحكم نحو ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ وكلاهما صحيح فإنه محكم ومفيد للحكم ففيه المعنيان جميعًا[١].

الحكمة اصطلاحًا

قال ابن عباس ﵄: هي علم القرآن: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.

قال الضحاك: هي القرآن والفهم فيه.

وقال مجاهد: هي القرآن والعلم والفقه، وفي رواية (هي الإصابة في القول والفعل).

وقال الحسن البصري: (هي) الورع في دين الله (كأنه فسرها بثمرتها ومقتضاها).

وقال النخعي: هي معاني الأشياء وفهمها.

وقال مالك: إنها معرفة الحق والعمل به والإصابة في القول والعمل

وأما الحكمة المقرونة بالكتاب: فهي السُّنَّة، كذا قال الشافعي وغيره من الأئمة.

وقيل: فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي[٢].

---

(١) المفردات (١٢٧).

(٢) المدارج (٢/ ٣٦٢، ٣٦٣) باختصار.

الحكمة من صفات الله تعالى

الله عليم حكيم

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء: ٢٦]

الله عزيز حكيم

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]

الله عليٌّ حكيم

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١]

الله حكيم خبير

قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [سبأ: ١]

الله واسع حكيم

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠]

الله حكيم حميد

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]

الله تواب حكيم

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ١٠]

كلمات في الحكمة

قال ابن القيم رحمه الله: (الحكمة) حكمتان: علمية وعملية؛ فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقًا وأمرًا. قدرًا وشرعًا. والعملية (كما قال صاحب المنازل): وهي وضع الشيء في موضعه[1].

وقال رحمه الله: ولها ثلاثة أركان: ١- العلم ٢- الحلم ٣- الأناة

وآفاتها وأضدادها: ١- الجهل ٢- الطيش ٣- العجلة

فلا حكمة لجاهل ولا لطائش ولا لعجول[2].

وعن السكن بن عمير، قال: سمعت وهب بن منبه يقول: يا بني، عليك بالحكمة فإن الخير في الحكمة كلها، وتشرِّف الصغير على الكبير، والعبد على الحر، وتزيد السيد سؤددًا، وتجلس الفقير مجالس الملوك[3].

وعن كثير بن مُرَّة قال: لا تُحدِّث الباطل للحكماء فيمقتوك، ولا تُحدِّث الحكمة للسفهاء فيكذبوك، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تضعه في غير أهله فتجهل، إن عليك في علمك حقًّا كما أن عليك في مالك حقًّا[4].

وعن أحمد بن خالد عن أبيه قال: أدنى نفع الصمت السلامة، وأدنى ضرر (المنطق) الندامة، والصمت عما لا يعني من أبلغ الحِكَم[5].

وعن كعب قال: عليكم بالقرآن فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث كتب الرحمن عهدًا[6].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٦٢- ٣٦٤).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٦٢- ٣٦٤).

(٣) الدارمي (١/ ٩٠) رقم (٣٩٥).

(٤) الدارمي (١/ ٨٨) رقم (٣٨٤).

(٥) حسن السمت في الصمت (٣٢) للسيوطي.

(٦) الدارمي (٢/ ٣١٢) رقم (٣٣٢٧).

من قصص الحكمة

أسامة بن زيد ﷺ

جاء في حديث الإفك أن عائشة ﵂ زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهنَّ خرج سهمُها خرج بها رسول الله ﷺ معه.

قالت عائشة ﵂: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعد ما أنزل الحجاب... الحديث.

وفيه: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي[١] يستشيرهما في فراق أهله.

قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الودِّ.

فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرًا.

وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يُضيِّق الله عليك والنساء سواها كثير. وإن تسأل الجارية تصدقك.

قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟» قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا قط أغمصه عليها[٢] أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن[٣] فتأكله... الحديث[٤].

الأحنف بن قيس رحمه الله

عن هشام بن عقبة أخي ذي الرُّمَّة: قال: شهدت الأحنف بن قيس وقد جاء إلى قوم

---

(١) استلبث الوحي: أي أبطأ.

(٢) أغمصه عليها: أي أعيبها به.

(٣) الداجن: الشاة التي تألف البيت ولا تخرج للمرعى.

(٤) البخاري- الفتح (٧/ ٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠) واللفظ له.

في دم، فتكلم فيه، وقال: احتكموا. قالوا: نحتكم ديتين. قال: ذاك لكم. فلما سكتوا. قال: أنا أعطيكم ما سألتم.

فاسمعوا: إن الله قضى بدية واحدة، وإن النبي ﷺ قضى بدية واحدة، وإن العرب تعاطى بينها دية واحدة، وأنتم اليوم تطالبون، وأخشى أن تكونوا غدًا مطلوبين، فلا ترضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم، قالوا: رُدَّها إلى دية[1].

أبو حازم (سلمة بن دينار) رحمه الله

عن الضحاك بن موسى قال: مَرَّ سليمان بن عبد الملك بالمدينة وهو يريد مكة، فأقام بها أيامًا، فقال: هل بالمدينة أحد أدرك أحدًا من أصحاب النبي ﷺ؟

فقالوا له: أبو حازم.

فأرسل إليه، فلما دخل عليه، قال له: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين، وأيُّ جفاء رأيت مني؟

قال: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني.

قال: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن، ما عرفتني قبل هذا اليوم، ولا أنا رأيتك.

قال: فالتفت سليمان إلى محمد بن شهاب الزهري. فقال: أصاب الشيخ وأخطات.

قال سليمان: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟

قال: لأنكم أخربتم الآخرة وعمرتم الدنيا، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

قال: أصبت يا أبا حازم، فكيف القدوم غدًا على الله؟

قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه، فبكى سليمان وقال: ليت شعري ما لنا عند الله؟

---

(١) نزهة الفضلاء (١/ ٣٤٠).

قال: اعرض عملك على كتاب الله.

قال: وأيُّ مكان أجده؟

قال: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]

قال سليمان: فأين رحمة الله يا أبا حازم؟

قال: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦]

قال له سليمان: يا أبا حازم، فأيُّ عباد الله أكرم؟

قال: أولو المروءة والنُّهى.

قال له سليمان: فأي الدعاء أسمع؟

قال أبو حازم: دعاء المحسَن إليه للمحسن.

قال: فأي الصدقة أفضل؟

قال: للسائل البائس وجُهد المُقلِّ ليس فيها مَنٌّ ولا أذى.

قال: فأي القول أعدل؟

قال: قول الحق عند من تخافه أو ترجوه.

قال: فأي المؤمنين أكيس؟

قال: رجل عمل بطاعة الله ودلَّ الناس عليها.

قال: فأي المؤمنين أحمق؟

قال: رجل انحطَّ في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره.

قال له سليمان: أصبت، فما تقول فيما نحن فيه؟

قال: يا أمير المؤمنين، إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عَنْوَة على غير مشورة من المسلمين ولا رضا لهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، فقد ارتحلوا عنها، فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم.

فقال له رجل من جلسائه: بئس ما قلت يا أبا حازم.

قال أبو حازم: كذبت إن الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننُّه للناس ولا يكتمونه.

قال له سليمان: فكيف لنا أن نُصلح؟

قال: تدعون الصَّلف وتمسكون بالمروءة وتقسمون بالسوية.

قال له سليمان: كيف لنا بالمأخذ به؟

قال أبو حازم: تأخذه من حِلِّه وتضعه في أهله.

قال له سليمان: هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك؟

قال: أعوذ بالله.

قال له سليمان: ولم ذلك؟

قال: أخشى أن أركن إليكم شيئًا قليلًا فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات.

قال له سليمان: ارفع إلينا حوائجك.

قال: تُنجّيني من النار وتدخلني الجنة؟

قال له سليمان: ليس ذاك إليَّ.

قال أبو حازم: فما لي إليك حاجة غيرها.

قال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى.

فقال له سليمان: قط

قال أبو حازم: قد أوجزت وأكثرت إن كنت من أهله، وإن لم تكن من أهله فما ينفعني أن أرمي عن قوس ليس لها وتر.

قال له سليمان: أوصني.

قال: سأوصيك وأوجز: عَظِّم ربك ونزِّه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك.

فلما خرج من عنده بعث إليه بمائة دينار وكتب إليه أن أنفقها ولك عندي مثلها كثير.

قال: فردَّها عليه وكتب إليه:

أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلًا أو رَدِّي عليك بذلًا، وما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي[١].

الإمام مالك رحمه الله

عن عبد الله بن عبد الحكم: قال: سمعت مالكًا يقول: شاورني (الخليفة) في ثلاثة: في أن يعلِّق الموطأ في الكعبة، ويحمل الناس على ما فيه. وفي أن ينقض منبر رسول الله ﷺ ويجعله من ذهب وفضة وجوهر. وفي أن يُقدِّم نافعًا إمامًا في مسجد النبي ﷺ.

فقلتُ: أما تعليق (الموطأ) فإن الصحابة اختلفوا في الفروع وتفرَّقوا وكُلٌّ عند نفسه مصيب. وأما نقض المنبر فلا أرى أن يُحْرَم الناس أثر رسول الله ﷺ. وأما تقدمتُك نافعًا فإنه إمام في القراءة لا يؤمن أن تبدر منه بادرة في المحراب فتحفظ عليه.

فقال: وفقك الله يا أبا عبد الله[٢].

---

(١)الدارمي (١/ ١٢٥- ١٢٦) رقم (٦٥٣).

(٢)نزهة الفضلاء (٢/ ٦٢٢).

الحِلم لغةً واصطلاحًا

الحِلم لغةً

مصدر حَلُمَ فلانٌ: أي صار حليمًا، وهو مأخوذ من مادة (ح ل م) التي تدل على ترك العجلة[١]. يقال: حلمتُ عنه أحلم فأنا حليم.

قال ابن فارس: الحلم خلاف الطيش.

وقال الجوهري: الحِلم (بالكسر): الأناة. وقيل: هو الأناة والعقل وهو نقيض السفه، وجمعه أحلام وحلوم، وفي التنزيل العزيز ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَـٰمُهُم بِهَـٰذَآ﴾[الطور: ٣٢] وقولك: حَلُم (بالضم) يحلم يحلم حلمًا: أي صار حليمًا. وتقول: تحلَّم (مشددًا) أي تكلَّف الحلم. وأحلمت المرأة: إذا ولدت الحُلماء. والرجل المحلِّم: الذي يُعلِّم الحلم. ويقال: حَلَمَ الرجل في منامه يحلم حُلمًا إذا رأى رؤيا. وحَلُمَ يحلم حلمًا: تأنّى وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوة[٢].

الحِلم اصطلاحًا

قال الراغب: الحلم ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب[٣].

وقال الجاحظ: الحلم ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك[٤].

وقال الجرجاني: الحلم هو الطمأنينة عند سَوْرة الغضب. وقيل: تأخير مكافأة الظالم (أي: مجازاته بظلمه)[٥].

وقال ابن المناوي: الحلم هو احتمال الأعلى الأذى من الأدنى أو رفع المؤاخذة عن مستحقها بالجناية في حق مستعظم. أو هو رزانة في البدن يقتضيها وفور العقل[٦].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٩٣).

(٢) مفردات الراغب (١٢٩).

(٣) مفردات الراغب (١٢٩).

(٤) تهذيب الأخلاق (٢٣).

(٥) التعريفات للجرجاني (٩٢).

(٦) التوقيف على مهمات التعريف (١٤٦).

الآيات الواردة في الحِلم

(١) الحِلم صفة من صفات الله عز وجل

قال تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٥]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقال تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [النساء: ١٢].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٨-٥٩]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ

يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٠- ٥١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٥- ١٧].

(٢) الحلم صفة من صفات الأنبياء والمرسلين

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود: ٧٤- ٧٥].

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات: ٩٥- ١٠١].

الأحاديث الواردة في الحِلم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: إن ناسًا من عبد القيس قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا نبي الله، إنا حيٌّ من ربيعة وبيننا وبينك كفار مضر. ولا نقدر عليك إلا في أشهر الحُرُم فمرنا بأمر نأمر به مَنْ وراءنا، وندخل به الجنة إذا نحن أخذنا به.

فقال رسول الله ﷺ : «**آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخُمس من الغنائم. وأنهاكم عن أربع: عن الدُّبَّاء**[١]**، والحَنتَم**[٢]**، والمُزَفَّت**[٣]**، والنَّقير**».

قالوا: يا نبي الله، ما علمك بالنقير؟

قال: «**بلى جذع تنقرونه فتقذفون فيه من القطيعاء**[٤] **ثم تصبُّون فيه من الماء حتى إذا سكن غليانه شربتموه حتى إن أحدكم (أو إن أحدهم) ليضرب ابن عمه بالسيف، وفي القوم رجل أصابته جراحة كذلك**».

قال: وكنت أَخبؤُها حياءً من رسول الله ﷺ.

فقلت: ففيم نشرب يا رسول الله؟

قال: «**في أسقية الأدَم التي يُلاث على أفواهها**»[٥].

قالوا: يا رسول الله، إن أرضنا كثيرة الجِرْذَان، ولا تبقى بها أسقية الأدَم[٦]، فقال نبي الله ﷺ: «**وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان**».

---

(١) الدُّبَّاء: القرع وهو وعاء يُنتبذ فيه.
(٢) الحنتم: الجرَّة كانوا يشربون فيها الخمر.
(٣) المُزفَّت: الإناء الذي طُلي بالزفت.
(٤) القطيعاء: نوع من التمر صغير.
(٥) يُلاث على أفوهها: يلف الخيط على أفواهها ويُربط به.
(٦) الأدم: (بفتح الهمزة والدال) الجلد الذي تمَّ دبغه.

وقال نبي الله ﷺ لأشج عبد القيس: «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحِلم والأناة**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: إن رجلًا قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ.

فقال: «**لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهُم المَلَّ**(٢) **ولا يزال معك من الله ظهير**(٣) **عليهم ما دمت على ذلك**»(٤).

وعن ابن عباس ﷺ أنه قال: كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب يقول: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم**»(٥).

---

(١) مسلم (١٨)، والبخاري –الفتح (١/ ٨٧).

(٢) المَلّ: الرماد الحار.

(٣) الظهير: المُعين.

(٤) مسلم (٢٥٥٨).

(٥) البخاري- الفتح (١١/ ٦٣٤٥) واللفظ له، ومسلم (٢٧٣٠) وتمامه عنده: «**لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**».

أقوال العلماء في الحلم

بلغ عمر بن الخطاب ﷺ أن جماعة من رعيته اشتكوا من عُمّاله، فأمرهم أن يوافوه، فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، أيتها الرعية، إن لنا عليكم حقًّا: النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، أيتها الرُعاة إن للرعية عيكم حقًّا، فاعلموا أنه لا شيء أحبُّ إلى الله ولا أعزُّ من حلم إمام ورفقه، وليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخُرقه[(١)].

وقال عمر: تعلَّموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحِلم[(٢)].

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن لا تُباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى[(٣)].

وقال أيضًا: إن أول ما عوَّض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل[(٤)].

وقال عبد الله بن عمر ﷺ: نحن معاشر قريش نعُدُّ الحلم والجود السؤدُدَ، ونعُدُّ العفاف وإصلاح المال المروءة[(٥)].

وقال ابن مسعود ﷺ: ينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا حكيمًا حليمًا سكينًا ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا ولا غافلًا ولا صخَّابًا ولا صيَّاحًا ولا حديدًا[(٦)].

قال معاوية بن أبي سفيان ﷺ: لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم[(٧)].

---

(١) الإحياء (٣/ ١٧٩).
(٢) الإحياء (٣/ ١٧٩).
(٣) الإحياء (٣/ ١٧٨).
(٤) الإحياء (٣/ ٢٧٨).
(٥) الآداب الشرعية (٢/ ١٥).
(٦) الفوائد (١٤٤).
(٧) الإحياء (٣/ ١٧٨).

وسئل أيضًا عمرو بن الأهتم: أيُّ الرجال أشجع؟ قال: مَنْ ردَّ جهله بحلمه. قال: فأيُّ الرجال أسخى؟ قال: من بذل دنياه لصالح دينه[١].

وقال وهب بن منبه رحمه الله: الرفق ثَنِيُّ الحِلم[٢].

وقال أكثم بن صيفي رحمه الله: دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر[٣].

وقال عامر الشعبي رحمه الله: زين العلم حلم أهله[٤].

وقال المامون رحمه الله: يحسن بالملوك الحلم عن كل أحد إلا عن ثلاثة: قادح في مُلك أو مذيع لسر، أو متعرض لحُرمة[٥].

وقال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله: كان أهل الجاهلية لا يُسوِّدُون إلا من كانت فيه ستُّ خصال وتمامها في الإسلام سابعة: السخاء، والنجدة، والصبر، والحلم، والبيان، والحسب، وفي الإسلام زيادة العفاف[٦].

وقال ابن حبان رحمه الله: الحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام، وهو يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت، ومن يتصف به يكون عظيم الشأن، رفيع المكان، محمود الأجر، مَرْضِيَّ الفعل، ومن أجل نفاسته تسمَّى الله به فسُمِّي حليمًا[٧].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: الكمال عزيز والكامل قليل الوجود، وأول أسباب الكمال تناسب أعضاء البدن، وحسن صورة البطن، فصورة الظاهر تُسمى خَلْقًا، وصورة الباطن تُسمَّى خُلُقًا، ودليل كمال صورة البدن حسن السمت واستعمال الأدب، ودليل كمال صورة الباطن حسن الطبائع والأخلاق. فالطبائع: العفة والنزاهة والأنفة من الجهل

---

(١) الإحياء (٣/ ١٧٨).

(٢) الإحياء (٣/ ١٨٦).

(٣) الإحياء (٣/ ١٧٨).

(٤) الدارمي (١/ ١٥٢) رقم (٥٧٧).

(٥) روضة العقلاء (٢١٤).

(٦) الآداب الشرعية (٢/ ٢١٥).

(٧) روضة العقلاء (٣٠٨).

ومباعدة الشَّرَه. والأخلاق: الكرم والإيثار وستر العيوب وابتداء المعروف، والحِلم عن الجاهل، فمن رُزق هذه الأشياء، رقَّته إلى الكمال وظهر عنه أشرف الخلال، وإن نقصت خَلَّة أوجبت النقص[١].

وقال مرة لعرابة بن أوس: بم سُدت قومك يا عرابة؟ قال: كنت أحلم عن جاهلهم وأُعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو أفضل، ومن قصَّر عني فأنا خيرٌ منه[٢].

وقال أيضًا: عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال[٣].

وقال عطاء بن أبي رباح رحمه الله: ما أدَّى شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم[٤].

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: خمس إذا أخطأ القاضي منهن خُطَّة[٥] كانت فيه وصمة[٦]: أن يكون فَهِمًا[٧] حليمًا عفيفًا[٨] صليبًا[٩] عالمًا سئولًا عن العلم[١٠].

وقال الحسن البصري -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴾: حُلماء، إن جُهل عليهم لم يجهلوا[١١].

---

(١) صيد الخاطر (٢٨٩).

(٢) الإحياء (٣/ ١٧٨)

(٣) الإحياء (٣/ ١٨٤).

(٤) الدارمي: (١/ ١٥٢) رقم (٥٧٦).

(٥) خُطَّة: أي خصلة.

(٦) الوسيمة: العيب.

(٧) فهما: صيغة مبالغة عن الفهم.

(٨) عفيفًا: أي يعف عن الحرام

(٩) صليبًا: قويًا شديدًا.

(١٠) البخاري -الفتح (١٣/ ١٥٦).

(١١) الإحياء (٣/ ١٧٧، ١٧٨).

وقال أيضًا: اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم[١].

وقال طاوس رحمه الله: ما حُمل العلم في مثل جراب حلم[٢].

وقال الأحنف بن قيس رحمه الله: لست بحليم ولكني أتحلَّم[٣].

وقال أيضًا: وجدت العلم أنصر لي من الرجال.

وقال له رجل: علِّمني الحلم يا أبا بحر. فقال: هو الذل يا ابن أخي، أتصبر عليه؟![٤]

وقال أيضًا: من لم يصبر على كلمة سمع كلمات، ورُب غيظ قد تجرَّعته مخافة ما هو أشد منه[٥].

---

(١) الإحياء (٣/ ١٧٧، ١٧٨).

(٢) الدارمي (١/ ١٥٢) رقم (٥٧٨).

(٣) الإحياء (٣/ ١٧٩).

(٤) العقد الفريد (١/ ٢٨٧).

(٥) عيون الأخبار (١٠/ ٢٨٤-٢٨٧).

من قصص الحِلم

علِيُّ بن الحسين

عن علي بن الحسين رضي الله عنه أن رجلًا سَبَّه فرمى إليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم.

فقال بعضهم: جُمع له خمس خصال محمودة: الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يُبعده عن الله -عز وجل- وحمله على الندم والتوبة ورجوعه إلى مدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير[١].

عمر بن عبد العزيز

قال علي بن زيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق زمنًا طويلًا ثم قال: أردت أن يستغرق الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا[٢].

الربيع بن خثيم

وشتم رجل الربيع بن خثيم فقال له: يا هذا، قد سمع الله كلامك، وإن دون الجنة عقبة، إن قطعتها لم يضرني ما تقول، وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول.

وقالت امرأة: يا مرائي. فقال: ما عرفني غيرك[٣].

الأحنف بن قيس

من أخبار حلمه: أن رجلًا شتمه فسكت عنه، وأعاد الرجل فسكت عنه، وأعاد فسكت عنه، فقال الرجل: والهفاه!! ما يمنعه أن يردَّ عليَّ إلا هواني عنده. وشتمه رجل يتبعه حتى بلغ حَيَّه، فقال الأحنف: يا هذا، إن كان بقي في نفسك شيء فهاتِهِ وانصرف، لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره[٤].

---

(١)الإحياء (٣/ ١٨٦).

(٢)صلاح الأمة (٥/ ٢٥٣).

(٣)المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٤)عيون الأخبار (١/ ٢٨٤).

وقد حُكي عن الأحنف بن قيس أنه قال: ما عاداني أحد قط إلا أخذت في أمري بإحدى ثلاث خصال: إن كان أعلى مني عرفت له قدره. وإن كان دوني رفعت قدري عنه. وإن كان نظيري تفضَّلت عليه[1].

قيس بن عاصم المنقري

قال الأحنف بن قيس: ما تعلَّمت العلم إلا من قيس بن عاصم المنقري، لأنه قتل ابن أخٍ له بعض بنيه، فأُتي بالقاتل مكتوفاً يقاد إليه، فقال: ذعرتم الفتى!

ثم أقبل على الفتى فقال: بئس ما فعلت!! نقصت عددك، وأوهنت عَضُدَك، وأشمت عدوَّك، وأسأت بقومك، وأثمت بربك، وقطعت رحمك، ورميت نفسك بسهمك، خلُّوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديته، فإنها غريبة! ثم انصرف القاتل وما حل قيس حبوته ولا تغير وجهه[2].

مالك بن دينار

قال رجل لمالك بن دينار: بلغني أنك ذكرتني بسوء ؟!

قال: أنت أكرم عليّ من نفسي؟! إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي[3].

إبراهيم بن أدهم

خرج -رحمه الله- إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال: أنت عبد؟. قال: نعم. فقال له: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة.

فقال الجندي: إنما أردت العمران !! فقال: هو المقبرة.

فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجَّه وردَّه إلى البلد فاستقبله أصحابه.

فقالوا: ما الخبر؟ فأخبرهم الجندي ما قاله. فقالوا: هذا إبراهيم بن أدهم !! فنزل الجندي عن فرسه وقبَّل يديه ورجليه، وجعل يعتذر إليه، فقيل بعد ذلك له: لِمَ قلت له: أنا عبد؟

---

(١) نضرة النعيم (٥/ ١٧٣٧).

(٢) وفيات الأعيان (٢/ ١٨٨)، البداية والنهاية (٨/ ٣٢٧).

(٣) صلاح الأمة (٥/ ٢٥٦).

فقال: إنه لم يسألني: عبد مَنْ أنت، بل قال: أنت عبد؟

فقلت: نعم لأني عبد الله، فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة.

فقيل: كيف وقد ظلمك؟ فقال: علمتُ أنني أؤجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر[١].

أبو عثمان الحيري

اجتاز -رحمه الله- يومًا في سكة، فطُرحت عليه إجانة رماد فنزل عن دابته فسجد سجدة شكر، ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه، ولم يقل شيئًا فقيل: ألا زبرتهم؟ فقال: إن من استحق النار فصولح على الرماد لم يُجز له أن يغضب.

ودُعي أبو عثمان الحيري إلى دعوة، وكان الداعي قد أراد تجربته، فلما بلغ منزله قال له: ليس لي وجه. فرجع أبو عثمان، فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيًا، فقال له: يا أستاذ، ارجع. فرجع أبو عثمان.

فقال له مثل مقالته الأولى فرجع، ثم دعاه الثالثة وقال: ارجع على ما يُوجب الوقت. فرجع، فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى، فرجع أبو عثمان، ثم جاءه الرابعة فردَّه، حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك، فأكبَّ على رجليه وقال: يا أستاذ، إنما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك!! فقال: إن الذي رأيت مني هو خلق الكلب، إن الكلب إذا دُعي أجاب وإذا زُجر انزجر[٢].

---

(١) السير (١٨/ ٤٥٢- ٤٦٤).

(٢) الإحياء (٣/ ٧٦).

الحياء لغةً واصطلاحًا

الحياء لغةً

مصدر قولهم حَيِيَ، وهو مأخوذ من مادة (ح ي ي) التي تدل على الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة.

قال أبو زيد: يُقال: حييت منه أحيا: إذا استحييتُ.

وقال الجوهري: واستحياه واستحيا منه بمعنى (واحد) من الحياء. ويُقال: استحيْتُ (بياء واحدة) وأصله: أستحييت. والحيا (مقصور): المطر والخطب. والحياء (ممدود): الاستحياء. والحياء أيضًا: رحمُ الناقة، والجمع أحيية، عن الأصمعي(١).

وقال ابن منظور: الحياء: التوبة والحشمة. يقال: حَيِيَ منه حياءً واستحيا واستحى حذفوا الياء الأخيرة كراهية التقاء الياءين، (والصيغتان) الأخيرتان تتعديان بحرف وبغير حرف. يقولون: استحيا منك، واستحياك، واستحى منك، واستحاك. والحياء: يكون بمعنى الاستحياء(٢).

وقال ابن منظور: يقال رجل حييٌّ: أي ذو حياء، ووزنه: فعيل والأنثى بالهاء. يُقال: امرأة حييَّة(٣).

الحياء اصطلاحًا

تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يُعاب به(٤).

وقال الجرجاني: هو انقباض النفس من شيء وتركه حذرًا عن اللوم فيه. ويقال: خلق يبعث على ترك القبح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق(٥).

---

(١) مفرادت الراغب (١٤٠)، مقاييس اللغة (٢/ ١٢٢)، الصحاح (٦/ ٢٣٢٤) باختصار.

(٢) لسان العرب (١٤/ ٢١٧- ٢١٩).

(٣) لسان العرب (١٤/ ٢١٧- ٢١٩).

(٤) الفتح (١/ ٥٢).

(٥) التعريفات (٩٤).

وقال المناوي: الحياء انقباض النفس عن عادة انبساطها في ظاهر البدن لمواجهة ما تراه نقصًا حيث يتعذر عليها الفرار بالبدن. وقيل: هو الترقِّي عن المساوئ خوف الذم.

وقيل: هو انقباض النفس من شيء حذرًا من الملام(١).

وقال الراغب: الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركها(٢).

وقال الجاحظ: الحياء من قبيل الوقار وهو غض الطرف والانقباض عن الكلام حِشمة للمستحيا منه وهو عادة محمودة ما لم تكن عن عيٍّ ولا عَجْز(٣).

وقال النووي: روينا عن أبي القاسم الجنيد -رحمه الله- قوله:

الحياء رؤية الآلاء (النعم) ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء(٤).

وقال فضل الله الجيلاني: الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يُلام به مما كان قبيحًا حقيقة(٥).

وقال ابن مِسْكَوَيْه: إن الحياء من الفضائل التي تدخل تحت العِفَّة، بل هو أولها ثم عرَّفه بقوله: الحياء: هو انحصار النفس خوف إتيان القبائح والحذر من الذم والسَّبِّ(٦).

وقال ابن مفلح الحنبلي: وحقيقة الحياء خلق يبعث على فعل الحسن وترك القبيح(٧).

وقال ابن عَلَّان: خُلُق يبعث على ترك القبيح من الأقوال والأفعال والأخلاق، يمتنع صاحبه من التقصير في حق ذي الحق. وقيل: هو ملكة راسخة للنفس توزعها (تدفعها) على إيفاء الحقوق وترك القطعية والعقوق(٨).

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (١٥٠).

(٢) مفرادت الراغب (١٤٠).

(٣) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٣).

(٤) رياض الصالحين (٢٤٦).

(٥) فضل الله الصمد (٢/ ٥٤).

(٦) تهذيب الأخلاق في التربية لابن مسكويه (١٧) باختصار.

(٧) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٢٢٧).

(٨) دليل الفالحين (٣/ ١٥٨).

الآيات الواردة في الحياء

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[القصص: ٢٣-٢٥]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣]

الأحاديث الواردة في الحياء

عن ابن عمرﷺ أن رسول اللهﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول اللهﷺ: «**دعه فإن الحياء من الإيمان**»[(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[(٢)].

وعن سلمان الفارسي ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «إن ربكم حييٌّ كريمٌ يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه يدعوه أن يرُدَّهما صِفرًا ليس فيهما شيء»[(٣)].

---

(١) البخاري (٤٢) في الإيمان، باب الحياء من الإيمان، ومسلم (٣٦) في الإيمان، باب بيان عدد شُعب الإيمان وأفضلها.

(٢) البخاري (٩) في الإيمان، باب أمور الإيمان، ومسلم (٣٥) في الإيمان، باب بيان عدد شُعب الإيمان.

(٣) الترمذي (٣٥٥٦) وأبو داود (١٤٨٨) وصححه الألباني (١/ ٢٧٩).

وعن أشج عبد القيس أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إن فيك خلَّتين يحبهما الله عز وجل». قلت: ما هما؟ قال: «الحلم والحياء». قلتُ: أقديمًا كان فيَّ أم حديثًا؟ قال: «بل قديمًا» قلتُ: الحمد لله الذي جَبَلني على خلَّتين يحبهما[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحياء والإيمان قُرنا جميعًا، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر»**[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ **أشد** حياء من العذراء في خدرها[3].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: **«الحياء لا يأتي إلا بخير»**.

فقال بشير بن كعب: مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقارًا وإن من الحياء سكينة.

فقال له عمران: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن صحيفتك[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس المسكين الذي تردُّه الأكلة والأكلتان، ولكن المسكين الذي ليس له غِنى ويستحي أن يسأل الناس إلحافًا»**[5].

وعن أبي سعيد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه قال: إن رجلًا قال: يا رسول الله، أوصني.

قال: **«أوصيك أن تستحي من الله - عز وجل - كما تستحي رجلًا من صالحي قومك»**[6].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ: يا رسول الله إن البكر تستحي.

---

(١) أحمد (٤/ ٢٠٦) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٨٨) وأصل الحديث في البخاري (١٠/ ٦١٧٦) ومسلم (٢٣).

(٢) الحاكم (١/ ٢٢) وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم. وقال الألباني: موقوف على ابن عمر وسنده صحيح. صحيح الجامع (١٥٩٩).

(٣) البخاري- الفتح (١٠/ ٦١١٩) واللفظ له، ومسلم (٢٣٢٠).

(٤) البخاري- الفتح (١٠/ ٦١١٧) واللفظ له، ومسلم (٣٧)

(٥) البخاري -الفتح (٣/ ١٤٧٦) واللفظ له، ومسلم (٣٧).

(٦) الزهد لأحمد (٤٦)، والشعب للبيهقي (٢/ ٤٦٢) وذكره الألباني في الصحيحة (٢/ ٣٧٦) برقم (٧٤١) وعزاه للخرائطي في مكارم الأخلاق (٥٠) ومجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٤). وقال: إنه عن سعيد بن يزيد، وقال: رواه الطبراني ورجاله وُثِّقوا على ضعف في بعضهم. وقال الألباني: إسناده جيد.

قال: «**رضاها صمتُها**»(١).

وعن أبي مسعود (وهو البدري) ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**الحياء خير كله**»(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار**»(٤).

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء والعيُّ(٥) شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان(٦) شعبتان من النفاق**»(٧).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما كان الفُحش في شيء قطُّ إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قطُّ إلا زانه**»(٨).

وعن يعلى بن أمية ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى حييٌّ ستِّير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»(٩).

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم لأصحابه: «**استحيوا من الله حق الحياء**».

---

(١) البخاري -الفتح (٩/ ٥١٣٧) واللفظ له، ومسلم (١٤٢٠).
(٢) البخاري -الفتح (١٠/ ٦١٢٠).
(٣) ابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١٤٥).
(٤) الترمذي والبيهقي والحاكم والبخاري في الأدب. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٩٤).

(٥) العيُّ: سكون اللسان خشية الوقوع فيما لا يحل.
(٦) البيان: فصاحته، وإن كان بغير الحق.
(٧) أحمد، والترمذي، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٩٦).
(٨) أحمد، والبخاري في الأدب، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٣١).
(٩) أبو داود، والنسائي، والبيهقي، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١/ ٨٧)، والإرواء (٧/ ٣٦٧).

قالوا: إنا نستحي يا رسول الله. قال: «ليس ذاكم، ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك قد استحيا من الله حق الحياء»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «ما كرهت أن يراه الناس فلا تفعله إذا خلوت»(٢).

أقوال العلماء في الحياء

قال أبو بكر الصديق ﷺ (وهو يخطب الناس): يا معشر المسلمين، استحيوا من الله فوالذي نفسي بيده إني لأظَل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء مُتَقَنِّعًا بثوبي استحياء من ربي عز وجل(٣).

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: مَنْ قَلَّ حياؤه قَلَّ ورعُه، ومَنْ قَلَّ ورعُه مات قلبُه(٤).

وقال ابن مسعود ﷺ: من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله(٥).

وقال ابن جريج: أخبرني محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس ﷺ يقرأ ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ [هود: ٥] قال: سألته عنها، فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلَّوا(٦) فيفضوا إلى السماء أو يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم(٧).

وعن عائشة ﷺ قالت: إن مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث، وصدق التأسي في طاعة الله، وإعطاء السائل، ومكافأة الصنيع، وصلة الأرحام، وأداء الأمانة، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء(٨).

---

(١) أحمد (١/ ٣٨٧)، والترمذي (٢٥٨٨)، والحاكم (٤/ ٣٢٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ٢٩٩).

(٢) ابن حبان في روضة العقلاء (٢٦) وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٥٥).

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (٢٠).

(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٥) أحمد، رواية البغوي (٧٦).

(٦) يتخلَّوا: يقضوا حاجتهم في الخلاء وهم عراة.

(٧) البخاري -الفتح (٨/ ٤٦٨١).

(٨) مكارم الأخلاق (٤٠، ٤١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مُرْن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء فإني أستحييهم منه، إن رسول الله ﷺ كان يفعله[١].

وقال الحسن البصري: الحياء والتكرم خصلتان من خصال الخير، لم يكونا في عبد إلا رفعه الله بهما[٢].

وقال: أربع من كن فيه كان كاملًا، ومن تعلَّق بواحدة منهن كان من صالحي قومه: دِين يرشده، وعقل يسدده، وحسب يصونه، وحياء يقوده[٣].

قال إياس بن قُرَّة: كنت عند عمر بن عبد العزيز فذُكر عنده الحياء، فقالوا: الحياء من الدين. فقال عمر: بل هو الدين كله[٤].

قال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحٍ ولا مستكبر[٥].

وقال أيضًا: لو أن المسلمَ لم يُصب من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي[٦].

وقال الفضيل بن عياض: خمس من علامات الشِقوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقِلَّة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل[٧].

قال السَّريُّ (الرَّفَّاء): إن الحياء والأنس يطرقان القلب، فإن وجدا فيه الزهد والورع (حلّا فيه) وإلا رحلا[٨].

---

(١) الترمذي (١٩). وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي (٤٦) وصححه الألباني في صحيح النسائي (٤٥).
(٢) مكارم الأخلاق (٢٤).
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ٢٧٧).
(٤) مكارم الأخلاق (١٩).
(٥) البخاري –الفتح (١/ ٢٧٦).
(٦) مكارم الأخلاق (٨٤) والمعنى: أن المسلم إذا استحيا من أخيه امتنع عن المعاصي.
(٧) المدارج (٢/ ٢٧١).
(٨) المدارج (٢/ ٢٧٠).

وعن كعب الأحبار قال: لم يكن الحياء في رجل قطُّ فتطعمه النار أبدًا[(١)].

وقال أبو الفدا (إسماعيل الهروي): الحياء من أول مدارج أهل الخصوص يتولد من تعظيم منوط بود[(٢)].

وقال ذو النون المصري: الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك، والحب ينطق، والحياء يسكت، والخوف يقلق[(٣)].

وقال يحيى بن معاذ: ومن استحيا من الله مطيعًا، استحيا الله منه وهو مذنب[(٤)].

عن معبد الجهني قال: في قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] قال: (لباس التقوى الحياء)[(٥)].

وقال الأصمعي: سمعت أعرابيًا يقول: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه[(٦)].

قال الجنيد رحمه الله: الحياء رؤية الآلاء، ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تُسمى الحياء، وحقيقته: خلق يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق[(٧)].

قال ابن القيم رحمه الله: الحياء من الحياة. ومنه (الحيا) للمطر لكن هو مقصور، وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خُلُق الحياة. وقلَّة الحياء من موت القلب والروح. فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم[(٨)].

---

(١) مكارم الأخلاق (٩٢).
(٢) المدارج: (٢/ ٢٧٤).
(٣) نفس المرجع: (٢/ ٢٧٠-٢٧١).
(٤) نفس المرجع (٢/ ٢٧١) واستحياء الخالق ليس كاستحياء المخلوق بل هو استحياء يليق بجلاله لا تكيفه العقول ولا تدركه الأفهام.
(٥) تفسير القرطبي (٨/ ١٨٥).
(٦) الآداب الشرعية (٢/ ٢٨٨).
(٧) المدارج (٢/ ١٩٩).
(٨) المدارج (٢/ ١٩٩).

وقال بعض الحكماء: أحيوا الحياء بمجالسة من يُستحيا منه [١].

وقال ابن عطاء: العلم الأكبر: الهيبة والحياء، فإذا ذهبت الهيبة والحياء لم يبقَ فيه خير، أي: في القلب [٢].

وقال ذو النون: الحب يُنطق، والحياء يُسكت، والخوف يُقلق [٣].

وقال الجريري: تعامل القرن الأول من الناس فيما بينهم بالدين حتى رقَّ الدين، ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء، ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة [٤].

قال أبو عثمان: من تكلَّم في الحياء ولا يستحي من الله - عز وجل- فيما يتكلم به فهو مستدرج [٥].

وقال الواسطي: لم يذق لذعات الحياء من لابَس خَرْق حَدٍّ أو نقض عهد [٦].

وقال أبو علي الدَّقاق: الحياء ترك الدعوى بين يدي الله عز وجل [٧].

وقالوا: الحياء تمام الكرم، وموطن الرضا، وممهد الثناء، وموفِّر العقل، ومعظم القدر، وداعي إلى الرغبة [٨].

وقالوا: كفى بالحياء على الخير دليلًا، وعن السلامة مخبرًا، ومن الذَّمِّ مُجيرًا [٩].

---

(١) المدارج (٢/ ١٩٩).
(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٥٤- ٤٥٩).
(٣) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٥٤- ٤٥٩).
(٤) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٥٤- ٤٥٩).
(٥) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٥٤- ٤٥٩).
(٦) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٥٤- ٤٥٩).
(٧) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٥٤- ٤٥٩).
(٨) لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ (٢٨٤-٢٨٧).
(٩) لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ (٢٨٤-٢٨٧).

من قصص الحياء

أبو موسى الأشعري

قال ﷺ: إني لأغتسل في البيت المظلم، فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي حياء من ربي عز وجل.

وعن قتادة قال: كان أبو موسى إذا اغتسل في بيت مظلم تجاذب وحنى ظهره حتى يأخذ ثوبه ولا ينتصب قائمًا.

وعن أنس ﷺ قال: كان أبو موسى الأشعري ﷺ **إذا نام لبس ثيابًا عند النوم مخافة أن** تنكشف عورته.

وعن عبادة بن نسي قال: رأى أبو موسى **قومًا يقفون في الماء بغير أُزُر فقال: لأن أموت** ثم أُنشر، ثم أموت ثم أنشر، ثم أموت ثم أُنشر **أحب إليّ من أن أفعل مثل هذا**[1].

عبد الله بن عمر

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم، حدِّثوني ما هي؟**». **فوقع الناس في شجر البادية ووقع في نفسي** أنها النخلة. قال عبد الله: فاستحييت. **فقالوا: يا رسول الله أخبرنا بها. فقال رسول الله** ﷺ: «**هي النخلة**». قال عبد الله: **فحدَّثت أبي بما وقع في نفسي فقال: لأن تكون قلتها أحب إليَّ** من أن يكون لي كذا وكذا[2].

الفضيل بن عياض

عن محمد بن حاتم قال: **قال الفضيل بن عياض: لو خُيِّرت بين أن أُبعث فأدخل الجنة وبين أن لا أُبعث لاخترتُ أن لا أُبعث.**

قيل لمحمد بن حاتم: هذا من الحياء؟

قال: نعم، هذا من طريق الحياء من الله عز وجل.

---

(١) الحياء للشيخ محمد أحمد إسماعيل (٢٩).

(٢) رواه البخاري.

وشهد الفضيل -رحمه الله- الموقف الأشرف في عرفات، فرفع رأسه إلى السماء وقد قبض على لحيته وهو يبكي بكاء الثكلى. ويقول: واسوأتاه منك، وإن عفوت !![١]

سفيان الثوري

كان الإمام الجليل سفيان الثوري -رحمه الله- شديد الحياء.

قال الإمام ابن مهدي رحمه الله: ما كنت أقدر أن أنظر إلى سفيان استحياء وهيبة منه.

وقال يحيى بن أبي غنية: ما رأيت رجلًا قطُّ أصفق وجهًا في الله - عز وجل- من سفيان الثوري.

وأنكر مرة على المهدي بعض الأمور واشتد في الإنكار حتى قال له وزير المهدي: شططت، تُكلِّم أمير المؤمنين بمثل هذا؟!

فقال له سفيان: اسكت ما أهلك فرعون إلا هامان.

فلما ولىَّ سفيان قال أبو عبيد الله: يا أمير المؤمنين، ائذن لي أضرب عنقه، فقال له: اسكت، ما بقي على وجه الأرض من يُستحيا منه غير هذا[٢].

الأسود بن يزيد

ولما احتُضر الأسود بن يزيد بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: ما لي لا أجزع؟! ومَنْ أحق بذلك مني؟! والله لو أتيت بالمغفرة من الله - عز وجل- لأهمَّني الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ولا يزال مستحيًا منه[٣].

أبو مسلم الخولاني

قال أبو مسلم الخولاني: من نعمة الله عليّ: أنني منذ ثلاثين ما فعلتُ شيئًا يُستحيا منه إلا قُربى من أهلي[٤].

---

(١) صلاح الأمة (٥/ ٥٣٥).
(٢) نفس المصدر (٥/ ٥٣٧، ٥٣٨).
(٣) صلاح الأمة (٥/ ٥٣٥).
(٤) السير (٥/ ١٨٩- ١٩٠).

أبو عقبة الجراح

قال رحمه الله: تركت الذنوب حياء أربعين سنة، ثم أدركني الورع [١].

محمد بن سيرين

عن محمد بن سيرين أنه -رحمه الله- قال: ما غشيت امرأة قطُّ لا في يقظة ولا في نوم غير أم عبد الله، وإني لأرى المرأة في المنام فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري.

وقال بعضهم: ليت عقلي في اليقظة كعقل ابن سيرين في المنام [٢].

محمد بن الفضل

قال محمد بن الفضل: ما خطوت أربعين سنة خطوة لغير الله، وأربعين سنة ما نظرت في شيء أستحسنه حياء من الله [٣].

عامر بن عبد قيس

قال أبو عمران الجوني: قيل لعامر بن عبد قيس: إنك تبيت خارجًا، أما تخاف الأسد؟

قال: إني لأستحي من ربي أن أخاف شيئًا دونه [٤].

---

(١) السير (٥/ ١٨٩- ١٩٠).
(٢) السير (٥/ ١٨٩- ١٩٠).
(٣) السير (٥/ ١٨٩- ١٩٠).
(٤) السير (٤/ ١٧).

الرجاء لغة واصطلاحًا

الرجاء لغةً

الرجاء مصدر قولهم: رجوت فلانًا أرجوه.

وهو مأخوذ من مادة (ر ج و) التي تدل على الأمل الذي هو نقيض اليأس. يقال: رجوت فلانًا رجوًا ورجاءً ورَجَاوَةً. ويقال: ما أتيتك إلا رجاوة الخير، وترجيتُه تَرْجيةً بمعنى رَجَوْتُه. قيل: الأمل أكبر من الرجاء لأن الرجاء معه خوف.

قال في اللسان: وقد يكون الرجو والرجاء بمعنى الخوف. قال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣] أي: تخافون عظمة الله.

قال الراغب: ووجه ذلك أن الرجاء والخوف متلازمان. قال تعالى: ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾[النساء: ١٤]. وقال عز من قائل: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة: ١٠٦][١].

الرجاء اصطلاحًا

تأمل الخير وقرب وقوعه.

وفي الرسالة القشيرية: الرجاء تعليق القلب بمحبوب في المستقبل.

قال ابن القيم: الرجاء هو النظر إلى سعة رحمة الله.

وقيل: هو الاستبشار بجود الرب وفضله -تبارك وتعالى- والارتياح لمطالعة كرمه.

وقيل: هو الثقة بجُود الرب تعالى.

وقال الراغب: الرجاء يقتضي حصول ما فيه مسرَّة.

وقال المناوي: الرجاء ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما[٢].

---

(١) لسان العرب (١٤/ ٣٠٩- ٣١٠)، المفردات للراغب (١٩٠)، الصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٥٢).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٧)، المفردات للراغب (١٩)، التوقيف على مهمات التعاريف (١٧٤).

الآيات الواردة في الرجاء

معاني كلمة (الرجاء) في القرآن الكريم

١ - الرجاء بمعنى الخوف

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[العنكبوت: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[الممتحنة: ٦].

وقال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾[نوح: ١٣].

٢ - الرجاء بمعنى الطمع في رحمة الله

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: ٢١٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[النساء: ١٠٤].

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[الإسراء: ٥٧].

٣- الرجاء بمعنى توقُّع الثواب

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

٤ - الرجا (المقصور) بمعنى الطرف

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧]

٥ - الرجاء (المهموز) بمعنى الحبس

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١١١].

٦ - الرجاء بمعنى الترك والتأخير

قال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥١].

أقوال العلماء في الرجاء

قال الغزالي رحمه الله: إن الرجاء والخوف مطيتان، بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يُقطع من طرق الآخرة كُلُّ عقبة كئود[١].

قال ابن القيم رحمه الله: الرجاء حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله، والدار الآخرة، ويُطيِّب لها السير[٢].

قال سفيان رحمه الله: من أذنب ذنبًا فعلم أن الله تعالى قدر عليه، ورجا غفرانه، غفر الله له ذنبه[٣].

وقال شاه الكرماني: علامة صحة الرجاء حسن الطاعة[٤].

وقال يحيى بن معاذ الرازي: كيف أخافك وأنت كريم، وكيف لا أرجوك وأنت عزيز، فأنا بين خوف يقطعني، ورجاء يوصلني، فلا رجائي يدعني أموت خوفًا، ولا خوفي يتركني فأحيا فرحًا[٥].

وقال أيضًا: مُستقى الخوف من بحر عدله، ومُستقى الرجاء من بحر فضله، وقد سبق القضاء أن رحمته سبقت غضبه.

وقال أيضًا: إن كان صغر في جنب عطائك عملي، فقد كبر في حسن رجائك أملي.

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني ووقفت عليه وهو لا يراني، فسمعته يقول: لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك، ولئن طالبتني بتوبتي لأطالبنك بسخائك، ولئن أدخلتني النار لأخبرن أهل النار أني أحبك[٦].

---

(١) الإحياء (١/ ١٤٢).
(٢) المدارج (٢/ ٣٦).
(٣) الإحياء (١/ ١٤٥).
(٤) المدارج (٢/ ٣٧).
(٥) شعب الإيمان، صفة الصفوة (٤/ ٩١).
(٦) الحلية (٩/ ٢٥٤)، صفة الصفوة (٤/ ٢٢٦).

وعن عبد الواحد بن زيد قال: **قلت لزياد النميري: ما منتهى الخوف؟**

قال: إجلال الله عن مقامات السوءات.

قال: قلت: فما منتهى الرجاء؟

قال: تأميل الله - عز وجل- على كل الحالات.

وقال البيهقي في الشعب: قال بعض الحكماء في مناجاته: إلهي، لو أتاني الخبر أنك غير قابل دعائي ولا سامع شكواي ما تركتُ دعاءك ما بَلَّ ريقي لساني.

أين يذهب الفقير إلا إلى الغني؟!

وأين يذهب الذليل إلا إلى العزيز؟!

وأنت أغنى الأغنياء، وأعز الأعزاء يا رب.

وقال عمر بن ذر رحمه الله: اللهم ارحم قومًا أطاعوك في أحب طاعتك إليك: الإيمان بك والتوكل عليك، وارحم قومًا أطاعوك في ترك أبغض المعاصي إليك: الشرك بك، والافتراء عليك.

وقال: فكان بعضهم يقول: إن كان كُلُّ ما عُصي الله به عظيًا فإنه في سعة رحمته صغير.

الزهد لغةً واصطلاحًا

الزهد لغةً

تدل مادة (زهد) على القلة في كل شيء.

يقول ابن فارس: (الزاء والهاء والدال) أصل يدل على قلة الشيء. والزهيد: الشيء القليل. وهو مزهد: قليل المال. ويقال: رجل زهيد: قليل المطعم، وهو ضيق الخلق أيضًا. وقال بعضهم: الزهيد: الوادي القليل الآخذ للماء. والزهاد: الأرض التي تسيل من أدنى مطر.

قال الراغب: الزهيد: الشيء القليل. والزاهد في الشيء: الراغب عنه. والراضي منه بالزهيد.

قال صاحب الصحاح: المزهد: القليل المال. والزهيد: القليل.

قال الزمخشري: فلان زاهد زهيد بيِّن الزَّهادة والزهد وهي قلة الطعم. ورجل زهيد: أي قليل الخير (وهو زهيد العين يقنعه القليل). والزهيد: الحقير. وعطاء زهيد: قليل. وازدهد العطاء: استقله. والزهد ضد الرغبة، ويقال: فلان يزهد في الشيء: أي يرغب عنه. وزهَّده في الأمر: رغَّبه عنه[1].

الزهد اصطلاحًا

قيل: هو بغض الدنيا والإعراض عنها.

وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلبًا لراحة الآخرة.

وقيل: هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك[2].

---

(١) المقاييس (٣/ ٣٠)، المفردات (٢٢٠)، الصحاح (٢/ ٤٨١)، أساس البلاغة (١٩٧)، اللسان (٣/ ١٩٧).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص ١١٥).

الآيات الواردة في الزهد

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ [يوسف: ١٩-٢٠]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١ ﴾ [طه: ١٣١]

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ۝٨٠ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ۝٨١ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨٢ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٠-٨٣]

وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠]

وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]

الأحاديث الواردة في الزهد

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أدى العبد حق الله وحق مواليه كان له أجران**». قال: فحدثتُها كعبًا فقال كعب: ليس عليه حساب ولا على مؤمن مزهد(١)(٢).

وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملتُه أحبني الله وأحبني الناس. فقال رسول الله ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبونك**»(٣).

وعن عبد الله بن الشخير ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر: ١] قال: «**يقول ابن آدم: مالي، مالي. قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت**»(٤).

وعن ابن عمر ﷺ قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**». وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك(٥).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»(٦).

وعن عبد الله بن عباس وعمران بن حصين ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «**اطلعتُ في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيتُ أكثر أهلها النساء**»(٧).

---

(١) قال النووي -رحمه الله-: وهذا الذي قاله كعب يحتمل أنه أخذه بتوقيف ويحتمل أنه بالاجتهاد. صحيح مسلم بشرح النووي (١١/ ١٣٦). مزهد: قليل المال.

(٢) مسلم (١٦٦٦).

(٣) ابن ماجه (٤١٠٢) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣١٠).

(٤) مسلم (٢٩٥٨).

(٥) البخاري -الفتح (١١/ ٦٤١٦).

(٦) البخاري -الفتح (١١/ ٦٤٨٩)، ومسلم (٢٢٥٦) واللفظ له.

(٧) البخاري -(١١/ ٦٤٤٩) ومسلم (٢٧٣٧).

وعن جابر بن عبد الله ﵄ قال: أن رسول الله ﷺ مرَّ بالسوق داخلًا من بعض العالية والناس كَنَفَتَهُ[١] فمرَّ بجدي أَسَكَّ[٢] ميت. فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: .

«**أيكم يحب أن هذه له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله لو كان حيًّا، كان عيبًا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت؟ فقال: «**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**»[٣].

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فلم يسأله أحد منهم إلا أعطاه حتى نفد ما عنده. فقال لهم حين نفد كل شيء أنفقه بيديه: «**ما يكون عندي من خير لا أدخره عنكم وإنه من يستعف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله ومن يستغن يغنه الله ولن تعطوا عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**»[٤].

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء وإن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[٥].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄: أنه جاءه ثلاثة نفر فقالوا: يا أبا محمد، إنا والله ما نقدر على شيء لا نفقة ولا دابة ولا متاع. فقال لهم: ما شئتم. إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسر الله لكم. وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان. وإن شئتم صبرتم. فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا**».

قالوا: فإنا نصبر لا نسأل شيئًا[٦].

---

(١) كنفه: يعني جانبه.

(٢) أسك: صغير الأذنين.

(٣) مسلم (٢٩٥٧).

(٤) البخاري -الفتح (١١/ ٦٤٧٠)، واللفظ له، ومسلم (١٥٠٣).

(٥) مسلم (٤/ ٢٧٤٢).

(٦) مسلم (٢٩٧٩).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: قال: «**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطي رضى وإن لم يعطَ لم يرضَ**»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[٢].

وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ليس الغنى عن كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النفس**»[٤].

وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف**[٥]**الخبز والماء**»[٦].

وعن المستورد بن شداد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه** -وأشار يحيى بالسبابة- **في اليم فلينظر بم يرجع؟**»[٧].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: والله إني لأول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ **ما لنا طعام نأكله إلا ورق الحُبْلة**[٨]. **وهذا** السَّمُرُ، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ثم أصبحت بنو أسد تعزِرُني على الدين لقد خبت إذًا وضلَّ عملي[٩].

---

(١) البخاري -الفتح (١١/ ٦٤٣٥).

(٢) مسلم (٤/ ٢٩٥٦).

(٣) الترمذي (٢٣٢٠) وصححه الألباني في الصحيحة (٩٤٠).

(٤) البخاري -فتح (١١/ ٦٤٤٦)، مسلم (١٠٥١) واللفظ له.

(٥) الجلف: الخبز ليس معه إدام. وقيل: غليظ الخبز.

(٦) أحمد (١/ ٦٢) وصححه أحمد شاكر (٤٤٠).

(٧) مسلم (٢٨٥٨).

(٨) ورق الحبلة وهذا السمر: نوعان من شجر البادية.

(٩) البخاري -الفتح (١١/ ٦٤٥٣)، مسلم (٢٩٦٦) واللفظ له.

وعن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**»[١].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قطُّ. هل مرَّ بك نعيم قطٌّ؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قطُّ؟ هل مرَّ بك شدة قطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب ما مرَّ بي بؤس قطُّ ولا رأيت شدة قطُّ**»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا**»[٣]. وفي رواية عمرو: «**اللهم ارزق**» وفي أخرى: «**كفافًا**»[٤].

أقوال العلماء في الزهد

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل[٥].

وعن علي ﷺ قال: طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطًا، وترابها فراشًا، وماءها طيبًا، والكتاب شعارًا، والدعاء دثارًا، ورفضوا الدنيا رفضًا[٦].

وقال ابن مسعود ﷺ: الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا علم له[٧].

وعن عمرو بن العاص ﷺ أنه كان يخطب بمصر يقول: ما أبعد هديكم عن هدي

---

(١) البخاري -الفتح (١١/ ٦٥١٤)، مسلم (٢٩٦٠).
(٢) مسلم (٢٨٠٧).
(٣) يعني: كفايتهم من غير إسراف. وقيل: هو سد الرمق.
(٤) البخاري (الفتح ١١/ ٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥) واللفظ له.
(٥) البخاري -الفتح (١١/ ٢٣٩) كتاب الرقاق.
(٦) شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ٣٧٢).
(٧) المنهاج في شعب الإيمان.

نبيكم ﷺأما هو فكان أزهد الناس في الدنيا وأما أنتم فأرغب الناس فيها[(١)].

وعن موسى بن عتبة قال: كتب أبو الدرداء إلى بعض إخوانه: **أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله، فإنك إذا فعلت ذلك أحبك الله لرغبتك فيما عنده وأحبك الناس لتركك لهم دنياهم. والسلام**[(٢)].

وعن أبي واقد الليثي قال: **تابعنا الأعمال أيها أفضل فلم نجد شيئًا أعون على طلب الآخرة من الزهد في الدنيا**[(٣)].

وعن الحسن ﷺ: **ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال وإضاعة المال ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك. وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أُصبت بها أرغب منك فيها لو لم تصبك**[(٤)].

وسئل الزهري -رحمه الله- عن الزهد في الدنيا فقال: **أن لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره، أي: لا يقصر في شكر الحلال إذا أصابه ويصبر عن الحرام إذا اشتهاه ولا يواقعه**[(٥)].

وعن محمد بن كعب القرظي قال: **إذا أراد الله بعبد خيرًا أزهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصَّره عيوبه، ومن أوتيهن فقد أوتي خيرًا كثيرًا في الدنيا والآخرة**[(٦)].

وعن الربيع بن سليمان عن الشافعي -رحمه الله- قال: **يا ربيع، عليك بالزهد فللزهد على الزاهد أحسن من الحلي على المرأة الناهد**[(٧)].

وقال يحيى بن معاذ: **الزهد يورث السخاء بالملك**[(٨)].

---

(١) شعب الإيمان (٣/ ٣٨٩).
(٢) شعب الإيمان (٧/ ٣٨١).
(٣) أحمد في الزهد (ص ٢٠٠).
(٤) بصائر ذوي التمييز (٣/ ١٤٠).
(٥) المنهاج في شعب الإيمان (٣/ ٣٨٦).
(٦) المنهاج (٣/ ٣٨٩).
(٧) شعب الإيمان (٧/ ٣٨٩).
(٨) بستان العارفين (ص ٤٢).

وقال الجنيد رحمه الله: الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد(١).

وقال سفيان الثوري رحمه الله: الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباءة(٢).

وقال الإمام الغزالي: الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها إلى ما هو خير منها علمًا بأن المتروك حقير بالإضافة إلى المأخوذ(٣).

وقال ابن الجلاء: الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينيك فيتسهل عليك الإعراض عنها(٤).

وقال ابن حفيف رحمه الله: علامة الزهد: وجود الراحة في الخروج من المِلْك(٥).

وقال أيضًا: هو سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدي عن الأملاك.

وقيل: هو عزوف القلب عن الدنيا بلا تكلف(٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الزهد المشروع هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة وهو فضول المباح التي لا يُستعان بها على طاعة الله، كما أن الورع المشروع: هو ترك ما قد يضر في الدار الآخرة. وهو ترك المحرمات والشبهات التي لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها كالواجبات. فأما ما ينفع في الدار الآخرة فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[المائدة: ٨٧].

كما أن الاشتغال بفضول المباحات هو ضد الزهد المشروع فإن اشتغل بها من فعل واجب أو

(١) بستان العارفين (ص ٤٢٠).

(٢) بستان العارفين (ص ٤٢).

(٣) بستان العارفين (ص ٤٢).

(٤) بصائر ذوي التميز (٣/ ١٣٩).

(٥) بصائر ذوي التميز (٣/ ١٣٩).

(٦) بصائر ذوي التميز (٣/ ١٣٩).

فعل محرم كان عاصيًا وإلا كان منقوصًا عن درجة المقربين إلى درجة المقتصدين[(١)].

وقال ابن الجوزي: الزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه. وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبًا بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوبًا فيه ولا مطلوبًا في نفسه لم يُسم زاهدًا.

كمن ترك التراب لا يُسمى زاهدًا، وإنه ليس الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والقوة واستمالة القلوب فحسب، بل الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة[(٢)].

وقال ابن القيم: إن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه في منازل الآخرة. ومتعلقه ستة أشياء لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها وهي: المال والصور والرياسة والناس والنفس وكل ما دون الله.

وليس المراد رفضها من الملك فقد كان سليمان وداود - عليهما السلام- من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما.

وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة وكان علي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير وعثمان ﷺ من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وغيرهم كثير[(٣)].

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢١).

(٢) مختصر منهاج القاصدين بتصرف (ص ٣٢٤).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ١٣، ١٤).

من قصص الزاهدين

عمر بن عبد العزيز

عن عون بن المعمر أن عمر بن عبد العزيز دخل على فاطمة. فقال: يا فاطمة عندك درهم أشتري به عنبًا؟

قالت: لا. قال: فعندك الفلوس أشتري به عنبًا؟

قالت: لا. وأقبلت عليه.

فقالت: أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم تشتري به عنبًا ولا فلوس تشتري به عنبًا ؟!

قال: هذا أهون عليّ من معالجة الأغلال غدًا في جهنم [١].

محمد بن واسع

ذكر ابن كثير (في البداية والنهاية) في أحداث سنة ثمان وتسعين (٩/ ١٨٣) في فتح يزيد بن المهلب لجرجان.

قالوا: أصاب يزيد بن المهلب أموالًا كثيرة جدًّا فكان من جملتها تاج فيه جواهر نفيسة.

فقال: أترون أحدًا يزهد في هذا؟ قالوا: لا نعلمه.

فقال: والله إني لأعلم رجلًا لو عُرض عليه هذا وأمثاله لزهد فيه. ثم دعا بمحمد بن واسع وكان في الجيش مغازيًا فعرض عليه أخذ التاج.

فقال: لا حاجة لي فيه. فقال: أقسمتُ عليك لتأخذنه فأخذه وخرج به من عنده، فأمر يزيد رجلًا أن يتبعه فينظر ماذا يصنع بالتاج، فمرَّ بسائل فطلب منه شيئًا فأعطاه التاج بكماله وانصرف، فبعث يزيد إلى ذلك السائل فأخذ منه التاج وعوَّضه عنه مالًا كثيرًا [٢].

---

(١) الزهد الكبير (١٠٠، ١٠١).

(٢) البداية والنهاية (٩/ ١٨٣).

أويس القرني

قال علقمة بن مَرْثد: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين: عامر بن عبد الله، وأويس القرني، وهرم ابن حيَّان، والربيع بن خثيم، وأبو مسلم الخولاني، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، والحسن بن أبي الحسن[١].

وعن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى عليه أويس.

فقال: أويس بن عامر؟ قال: نعم.

قال: من (مراد) ثم من (قرن)؟ قال: نعم.

قال: فكان بك بَرَص فبرئت منه إلا موضع درهم؟

قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم.

قال: رسول الله ﷺ يقول: يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن. كان به برص فبرئ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بر بها. لو أقسم على الله لأبرَّه. فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل. فاستغفر لي. فاستغفر له.

فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة.

قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إليّ. فلما كان من العام المقبل حج رجلٌ من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس.

قال: تركتُه رثَّ البيت، قليل المتاع.

قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ثم ذكر الحديث الذي تقدَّم فأتى أويسًا. فقال: استغفر لي.

قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح فاستغفر لي.

---

(١) زهد الثمانية من التابعين (علقمة بن أبي مرثد) رواية: ابن أبي حاتم (ص ٣٨).

قال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهد بسفر صالح. فاستغفر لي. قال: لقيت عمر؟ قال: نعم. فاستغفر له.

ففطن له الناس. فانطلق على وجهه. قال أسير: وكسوته بُرْدة. فكان كلما رآه إنسان. قال: من أين لأويس هذه البُرْدة[١].

أبو مسلم الخولاني

عن عطاء قال: كان أبو مسلم الخولاني إذا انصرف إلى منزله من المسجد كبَّر على باب منزله فتكبر امرأته، فإذا كان في صحن داره كبَّر فتجيبه امرأته. فانصرف ذات ليلة فكبَّر عند باب داره فلم يجبه أحد، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعامه. قال: فدخل البيت فإذا البيت ليس فيه سراج وإذا امرأته جالسة في البيت منكسة تنكتُ بعود معها. فقال لها: مالك؟

قالت: أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم فلو سألته فأخذ منا وأعطاك.

فقال: اللهم من أفسد عليّ امرأتي فأعم بصره.

قال: وقد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت لها: زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية يخدمه ويعطيه عِشْتُم. قال: فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها إذ أنكرت بصرها. فقالت: ما لسراجكم طفئ ؟!

قالوا: لا. فعرفت ذنبها. فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله - عز وجل - لها أن يرد عليها بصرها. قال فرحمها أبو مسلم فدعا لها فرُدَّ عليها بصَرُها[٢].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الحلية (٢/ ١٣٠).

الشكر لغة واصطلاحًا

الشكر لغةً

مصدر شكر يشكر، وهو مأخوذ من مادة (ش ك ر) التي تدل على الثناء على الإنسان بمعروف يوليكه. ويقال: إن حقيقة الشكر الرضا باليسير. ومن ذلك: فرس شكور، إذا كفاه لسمنه العلف القليل[(١)].

وقال الراغب: الشكر تصور النعمة وإظهارها. وقيل: هو مقلوب عن الكشر أي الكشف. ويضاده الكفر الذي هو نسيان النعمة وسترها. وقيل: أصله من عين شكرى أي: ممتلئة. فالشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المُنعِم عليه[(٢)].

وقال ابن منظور: الشكر عرفان الإحسان ونشره. وهو مأخوذ من قولك: شكرت الإبل تشكر إذا أصابت مرعى فسمنت عليه. والشكران خلاف النكران. والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل. ويقال: شكره وشكر له، يشكر شكرًا وشكورًا وشكرانًا. ويقال أيضًا: شكرتُ الله وشكرتُ لله وشكرتُ بالله. وكذلك: شكرتُ نعمة الله. ورجلٌ شكورٌ: كثير الشكر. وهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظّف عليه من عبادته[(٣)].

الشكر اصطلاحًا

قال الكفوي: الشكر كل ما هو جزاء للنعمة عُرفًا.

وقال أيضًا: أصل الشكر تصور النعمة وإظهارها. والشكر من العبد: عرفان الإحسان، ومن الله: المجازاة والثناء الجميل[(٤)].

وقال المناوي: الشكر شكران؛ الأول: شكرٌ باللسان: وهو الثناء على المنعم. والآخر: شكرٌ بجميع الجوارح: وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق. والشكور: الباذل وسعه في أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقادًا واعترافًا[(٥)].

وقال ابن القيم: الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافًا. وعلى قلبه:

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٠٧).

(٢) المفردات للراغب (٢٦٥).

(٣) لسان العرب (٤/ ٢٣٠٥- ٢٣٠٨)، والصحاح (٢/ ٧٠٢، ٧٠٣).

(٤) الكليات للكفوي (٥٢٣).

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٠٦، ٢٠٧).

شهودًا ومحبة. وعلى جوارحه: انقيادًا وطاعة [(١)].

وقيل: هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع [(٢)].

الشكر في القرآن

الشكر من صفات الله تعالى

قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧].

قال تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [التغابن: ١٧-١٨].

الشكر من صفات النبيين والصالحين:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِى وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣]

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٨].

الأمر بالشكر

قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة:١٥٢].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [النحل: ١١٤].

---

(١) المدارج (٢/ ٢٤٤).

(٢) البصائر (٣/ ٣٣٩).

الأحاديث الواردة في الشكر

عن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك. فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دُبر كل صلاة تقول: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للطاعم الشاكر من الأجر مثل ما للصائم الصابر**»(٢).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: إن النبي ﷺ كان يلقى رجلًا فيقول: «**يا فلان، كيف أنت؟**».

فيقول: بخير أحمد الله. فيقول له النبي ﷺ: «**جعلك الله بخير**».

فلقيه النبي ﷺ ذات يوم. فقال: «**كيف أنت يا فلان؟**».

فقال: بخير إن شكرت. قال: فسكت عنه. فقال: يا نبي الله إنك كنت تسألني. فتقول: جعلك الله بخير وإنك اليوم تسكت عني.

فقال له: «**إني كنت أسألك تقول: بخير أحمد الله فأقول جعلك الله بخير وإنك اليوم قلت: إن شكرت فشككت فسكت عنك**»(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرًا فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له**».

قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: «**في كل كبد رطبة أجر**»(٤).

---

(١) أبو داود (١٥٢٢) والنسائي (٣/ ٥٣)، وصححه الألباني (١/ ٢٨٠) رقم (١٢٣٦).

(٢) أحمد (٢/ ٢٨٣)، وصححه أحمد شاكر (١٤/ ٢١٢).

(٣) البخاري (٧٠) ومسلم (٥٩).

(٤) البخاري -الفتح (٥/ ٢٣٦٣) واللفظ له، ومسلم (٢٢٤٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك في الطريق فأخَّره فشكر الله له فغفر له. وقال: الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله**»(١).

وعن صهيب الرومي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كل خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: مرَّ النبيﷺ بأناس من اليهود قد صاموا يوم عاشوراء فقال: «**ما هذا من الصوم؟**» قالوا: هذا اليوم الذي نجَّى الله موسى وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجوزي فصامه نوح وموسى شكرًا لله تعالى. فقال النبي ﷺ: «**إننا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم فأمر أصحابه بالصوم**»(٣).

وعن ابن عباس ﷺ قال: مُطر الناس على عهد النبيﷺ فقال النبيﷺ: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر**».

قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢](٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «**لا يدخل أحد الجنة إلا أُري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرًا. ولا يدخل النار أحد إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة**»(٥).

---

(١) البخاري -الفتح (٢/ ٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤).
(٢) مسلم (٢٩٩٩).
(٣) البخاري (٢٤)، ومسلم (١٢٨).
(٤) أبو داود (٤٨١٣)، وحسنه الألباني (٣/ ٩١٤).
(٥) البخاري -الفتح (١١/ ٦٥٦٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة كُن، ورعًا تكن أعبد الناس وكن قنعًا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا وأحسن جوار من جاورك تكن مسلمًا وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**»[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا ابن آدم حملتُك على الخيل والإبل وزوجتك النساء وجعلتك تربع**[٣] **وترأس**[٤] **فأين شكر ذلك**»[٥] .

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»[٦] .

أقوال العلماء في الشكر

كان أبو بكر رضي الله عنه يقول في دعائه: أسألك تمام النعمة في الأشياء كلها والشكر لك عليها حتى ترضى وبعد الرضا والخيرة في جميع ما تكون فيه الخيرة بجميع ميسور الأمور كلها لا معسورها يا كريم[٧] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى فيه أربع نعم:

إذا لم يكن في ديني، إذا لم يكن أعظم، وإذا لم أحرم الرضا به، إذا لم أرجو الثواب عليه[٨] .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن النعمة موصولة بالشكر والشكر يتعلق بالمزيد وهما

---

(١) أحمد (٢/ ٢٥٨، ٢٩٥) وصححه أحمد شاكر.

(٢) ابن ماجه (٤٢١٧)، وحسنه الألباني (٧٧١٠)، الصحيحة (٩٢٧).

(٣) تربع: تأخذ ربع غنيمة القوم.

(٤) ترأس: تكون رئيسًا للقوم.

(٥) مسلم (٢٩٦٨).

(٦) مسلم (٢٧٣٤).

(٧) عدة الصابرين (ص ١٣٣).

(٨) مختصر منهاج القاصدين (٢٩٢، ٢٩٣).

مقرونان في قرن فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد[(١)] .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ما من عبد يشرب القَرَاح فيدخل بغير أذى ويُخرج الأذى إلا وجب عليه الشكر[(٢)] .

وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله: الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح وهذا يُقال لمن هو متلبس بالفعل[(٣)] .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله - عز وجل- شكر، وأفضل الشكر الحمد[(٤)]

وقال أبو حازم -رحمه الله- لرجل سأله: ما شكر العينين يا أبا حازم؟

قال: إن رأيت بهما خيرًا أعلنته وإن رأيت بها شرًّا سترته.

قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيرًا وعيته وإن سمعت بهما شرًّا دفعته.

قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقًّا لله هو فيهما.

قال: فما شكر البطن؟ قال: قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾[(٥)] [المؤمنون: ٧] .

وقال الحسن البصري رحمه الله: الخير الذي لا شر فيه: العافية مع الشكر فكم من مُنْعَم عليه غير شاكر[(٦)] .

وقال أيضًا: إن الله ليُمتِّع بالنعمة ما شاء فإذا لم يُشكر عليها قلبها عذابًا، ولهذا كانوا يسمون

---

(١) عدة الصابرين: (ص ١٢٣).

(٢) أحمد (١/ ٢٥٣).

(٣) عدة الصابرين (ص ١٤٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٨).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٨).

(٦) الإحياء (٤/ ١٣٤).

الشكر الحافظ: لأنه يحفظ النعم الموجودة، والجالب: لأنه يجلب النعم المفقودة(١).

وقال بكر بن عبد الله المزني رحمه الله: **قلتُ لأخ لي: أوصني. فقال: ما أدري ما أقول غير أنه ينبغي أن لا يفتر من الحمد والاستغفار، فإن ابن آدم بين نعمة وذنب ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر ولا يصلح الذنب إلا بالتوبة والاستغفار**(٢).

وقال كعب الأحبار رحمه الله: **ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة، وما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقات من النار يعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه**(٣).

وقال يونس بن عبيد -رحمه الله- لرجل يشكو ضيق حاله: **أيسرك ببصرك هذا مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا. قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا. قال: فبرجليك مائة ألف؟ قال: لا. فذكَّره نعم الله عليه. فقال يونس: أرى عندك مِئين الألوف وأنت تشكو الحاجة**(٤).

وقال مطِرف رحمه الله: **الشكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله**(٥).

كتب ابن السماك إلى محمد بن الحسن -رحمهما الله تعالى- حين ولي القضاء بالرقة: **أما بعد، فلتكن التقوى من بالك على كل حال وخف الله من كل نعمة أنعم بها عليك من قلة الشكر عليها مع المعصية بها، وأما التبعة فيها فقلة الشكر عليها فعفا الله عنك كل ما ضيَّعت من شكر أو ارتكبت من ذنب أو قصَّرت من حق**(٦).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: **عليكم بملازمة الشكر على النعم فقلَّ نعمة زالت**

---

(١) عدة الصابرين (١٢٢، ١٤٠، ١٤٥، ١٣٢).
(٢) عدة الصابرين (١٢٢، ١٤٠، ١٤٥، ١٣٢).
(٣) عدة الصابرين (١٢٢، ١٤٠، ١٤٥، ١٣٢).
(٤) عدة الصابرين (١٢٢، ١٤٠، ١٤٥، ١٣٢).
(٥) مختصر منهاج القاصدين (٢٩٥).
(٦) عدة الصابرين (١٢٤).

عن قوم فعادت إليهم[١].

وقال رحمه الله: من عرف نعمة الله بقلبه وحمده بلسانه لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة لقول الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٢] وإن من شكر النعمة أن يحدِّث بها.

وقال أبو حاتم بن حبان البستي رحمه الله: الواجب على العاقل أن يشكر النعمة ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته إن قدر بالضعف وإلا فبالمثل وإلا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده مع بذل الجزاء له بالشكر[٣].

وقال أيضًا: إني لأستحب للمرء أن يلزم الشكر للصنائع والسعي فيها من غير قضائها إذا كان المنعم من ذوي القدر فيه والاهتمام بالصنائع، لأن الاهتمام ربما فاق المعروف وزاد على فعل الإحسان، إذ المعروف يعمله المرء لنفسه والإحسان يصطنعه إلى الناس وهو غير متهم به ولا مشفق عليه، وربما فعله الإنسان وهو كاره، وأما الاهتمام فلا يكون إلا من فرط عناية وفضل وُدٍّ. فالعاقل يشكر الاهتمام أكثر من شكر المعروف[٤].

وقال آخر: الحر لا يكفر النعمة ولا يتسخط المعصية بل عند النعم يشكر وعند المصائب يصبر ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع أوشك أن لا يشكر الكثير منه. والنعم لا تستجلب زيادتها ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر[٥].

قال ابن بطال: من تفضل الله على عباده أن يجعل للطاعم إذا شكر ربه على ما أنعم به عليه ثواب الصائم الصابر[٦].

وقال أبو حامد الغزالي: إن حقيقة الشكر ترجع إلى كون العبد مستعمَلًا في إتمام

---

(١) عدة الصابرين (١٤٤).

(٢) الإحياء (٤/ ١٢٧).

(٣) روضة العقلاء (٣٥٣).

(٤) روضة العقلاء (٣٥٤).

(٥) روضة العقلاء (٣٥٠).

(٦) الفتح (٩/ ٥٨٣).

حكمة الله تعالى فأشكر العباد أحبهم إلى الله تعالى وأقربهم إليه[١].

وقال أيضًا: لم يُقصِّر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة فإنهم مُنعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه: الحمد لله والشكر لله، ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أُريدت بها وهي طاعة الله - عز وجل- فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان[٢].

قال ابن قدامة رحمه الله: الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، أما بالقلب: فهو أن يقصد الخير ويضمره للخلق كافة، وأما باللسان: فهو إظهار الشكر لله بالتحميد وإظهار الرضا عن الله تعالى. وأما الجوارح: فهو استعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته فمن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه للمسلم، ومن شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه[٣].

وقال الفيروزآبادي: الشكر مع المزيد أبدًا لقوله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ فمتى لم تر حالك في مزيد فاستقبل الشكر[٤].

وقال الحافظ في الفتح: اختلف الناس في: أيهما أفضل: الفقير الصابر أم الغني الشاكر، والتحقيق عند أهل الحِذق أن لا يُجاب في ذلك بجواب كلي بل يختلف الحال باختلاف الأشخاص والأحوال[٥].

وقال بعض أهل العلم: من أُعطي أربعًا لم يُمنع أربعًا: من أُعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أُعطي التوبة لم يُمنع القبول، ومن أُعطي الاستخارة لم يُمنع الخِيرة، ومن أُعطي المشورة لم يُمنع الصواب[٦].

---

(١) الإحياء (٤/ ٩٨٤، ١٢٣).
(٢) الإحياء (٤/ ٩٨٤، ١٢٣).
(٣) مختصر منهاج القاصدين (٢٧٧).
(٤) البصائر (٣/ ٣٣٩).
(٥) الفتح (٩/ ٥٨٣).
(٦) الإحياء (١/ ١٦٠).

مباحث هامة

الفرق بين الشكر والحمد

الشكر كالحمد في أنهما وصف باللسان بإزاء النعمة، إلا أن الحمد يكون باللسان وبالقلب بخلاف الشكر فإنه يقع بالجوارح، والنعمة مقيدة في الشكر بوصولها إلى الشاكر بخلافها في الحمد ويختص الشكر بالله تعالى بخلاف الحمد[١].

العلاقة بين الشكر والصبر

قال ابن حجر رحمه الله: الشكر يتضمن الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية.

وقال بعض الأئمة: الصبر يستلزم الشكر ولا يتم إلا به وبالعكس، فمتى ذهب أحدهما ذهب الآخر.

فمن كان في نعمة ففرضه الشكر والصبر. أما الشكر فواضح وأما الصبر فعن المعصية. ومن كان في بلية ففرضه الصبر والشكر. أما الصبر فواضح وأما الشكر فالقيام بحق الله في تلك البلية.

فإن لله على العبد عبودية في البلاء كما له عليه عبودية في النعماء[٢].

الشكر والابتلاء بالخير

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[الأنبياء: ٣٥] أي: نخبركم بالمصائب تارة وبالنعم تارة أخرى، فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر، ومن يقنط كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ونبلوكم) يقول: نبتليكم بالشر والخير فتنة: بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهوى والضلال[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: كل ما يلقى العبد في هذه الدار لا يخلو من نوعين؛ أحدهما

---

(١) الكليات للكفوي (ص ٥٣٥).

(٢) الفتح (١١/ ٣١١).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ١٧٨).

يوافق هواه ومراده وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما (فإنه مختبر وممتحن).

النوع الأول: الموافق لغرضه فكالصحة والسلامة والجاه والمال وأنواع الملاذ المباحة وهو أحوج بشيء إلى الصبر فيها من وجوه:

أحدهم: أن لا يركن إليها ولا يغتر بها ولا تحمله على البطر والأشر والفرح المذموم الذي لا يحب الله أهله.

الثاني: أن لا ينهمك في نيلها ويُبالغ في استقصائها فإنها تنقلب إلى أضدادها.

الثالث: أن يصبر على أداء حق الله فيها ولا يُضيِّعه فيسلبها.

الرابع: أن يصبر عن صرفها في الحرام فلا يمكن نفسه من كل ما تريده منها فإنها توقعه في الحرام، فإن احترز كل الاحتراز أوقعته في المكروه ولا يصبر على السراء إلا الصديقون. قال بعض السلف: البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر، ولا يصبر على العافية إلا الصديقون.

وقال عبد الرحمن بن عوف: ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر، ولذلك حذَّر الله عباده من فتنة المال والأزواج والأولاد وإنما كان الصبر على فتنة السراء أعظم لأنه مقرون بالقدرة، والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره[١].

(١) عدة الصابرين (٦٦٦٤) بتصرف يسير.

من قصص الشاكرين

الحسن البصري

كان الحسن يقول -إذا ابتدأ حديثه-: الحمد لله اللهم، ربنا لك الحمد كما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرَّجت عنا.

لك الحمد بالإسلام والقرآن ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة. كبتَّ عدونا وبسطت رزقنا وأظهرت أمتنا وجمعت فرقتنا وأحسنت معافاتنا ومن كل -والله- ما سألناك ربنا أعطيتنا فكل الحمد على ذلك حمدًا كثيرًا.

لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث، أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة، أو حي أو ميت، أو شاهد أو غائب. لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت[1].

بكر بن عبد الله المُزني

عن بكر بن عبد الله أنه قال: ما قال عبد قطُّ: الحمد لله إلا وجبت عليه نعمة بقوله: الحمد لله. قلت: فما جزاء تلك النعمة؟ قال: جزاؤها أن يقول: الحمد لله. فجاءت نعمة أخرى، فلا تنفد نعم الله عز وجل. وكان -رحمه الله- يقول: يا ابن آدم إن أردت أن تعلم قدر ما أنعم الله عليك فغمِّض عينيك.

يونس بن عبيد

جاء رجل إلى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله. فقال له يونس: أيسرك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا. قال: فبيديك مائة ألف؟ قال الرجل: لا. قال: فبرجليك؟ قال الرجل: لا.

قال: فذكَّره نعم الله عز وجل. فقال يونس: أرى عندك مئين الألوف وأنت تشكو الحاجة ؟![2]

---

(١) الشكر لابن أبي الدنيا (١٤٦).

(٢) عدة الصابرين (١٢٥).

أبو حازم

قال رجل لأبي حازم: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ قال: إن رأيت بهما خيرًا أعلنته وإن رأيت بهما شرًّا سترته.

قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيرًا وَعَيْته وإن سمعت بهما شرًّا أخفيته.

قال: ما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقًّا لله هو فيهما.

قال: ما شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفله طعامًا وأعلاه علمًا.

قال: ما شكر الفرج؟ قال: كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾.

قال: فما شكر الرجلين؟ قال: إن رأيت حيًّا غبطته واستعملت بهما عمله. وإن رأيت ميتًا مقتَّه كففتهما عن عمله وأنت شاكر لله. وأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه. فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر[1].

شكر (حَمَّال)

عن بكر بن عبد الله أنه لحق حَمَّالًا عليه حِملُهُ وهو يقول: الحمد لله. وأستغفر الله.

قال: فانتظرتُه حتى وضع ما على ظهره وقلتُ له: أما تحسن غير ذي.

قال: بلى أحسن خيرًا كثيرًا. أقرأ كتاب الله غير أن العبد بين نعمة وذنب. فأحمد الله على نعمائه السابقة وأستغفر لذنوبي.

فقلتُ: الحَمَّال فيها أفقهُ من بكر[2].

---

(١) الشكر (١٣٠)، عدة الصابرين (١٢٨ – ١٢٩).

(٢) الشكر لابن أبي الدنيا.

الصبر لغة واصطلاحًا

الصبر لغةً

مصدر صبر يصبر وهو مأخوذ من مادة (ص ب ر) التي تدل بحسب وضع اللغة على معان ثلاثة؛ الأول: الحبس. والثاني: أعالي الشيء. والثالث: جنس من الحجارة.

وقد اشتق الصبر المراد هنا من المعنى الأول وهو الحبس. يقال: صبرتُ نفسي على ذلك الأمر: أي حبستُها. والمصبورة: المحبوسة على الموت. ومن الباب ما ورد عن نهيه ﷺ عن قتل شيء من الدواب صبرًا.

وقال الراغب: الصبر الإمساك في ضيق. يقال: صبرَتُ الدابة: بمعنى حبستها بلا علف. ويقال: صبر فلان عند المصيبة صبرًا وصبَّرته أنا: حبستُه. وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف: ٢٨] أي: احبس نفسك معهم(١).

قال الأصمعي: إذا لقي الرجل الشدة بكمالها قيل: لقيها بأصبارها. وقيل: مأخوذ من الجمع والضم. فالصابر يجمع نفسه ويضمها عن الهلع. والتصبر: تكلف الصبر(٢). أما الصبر الجميل في قوله تعالى على لسان يعقوب -عليه السلام-: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف: ١٨] فالمراد به: الصبر الذي لا جزع فيه ولا شكوى(٣).

وقال ابن جريج عن مجاهد: إن المعنى: لا أشكو ذلك لأحد(٤).

وقال مجاهد: الصبر الجميل الذي لا جزع فيه(٥).

وقال ابن تيمية: الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه(٦).

---

(١) لسان العرب (٤/ ٤٣٨).

(٢) الصحاح للجوهري (٢/ ٧٠٦، ٧٠٧)، ولسان العرب (ص ب ر) (٤/ ٤٣٨)، والمقاييس (٣/ ٣٢٩).

(٣) تفسير القرطبي (٩/ ١٥٢).

(٤) تفسير القرطبي (٩/ ٢٤٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٩).

(٦) المدارج (٢/ ١٦٧).

الصبر اصطلاحًا

قال الراغب: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه.

وقال الجاحظ: الصبر عن الشدائد خلق مركب من الوقار والشجاعة.

وقال المناوي: الصبر قوة مقاومة الأهوال والآلام الحسية والعقلية.

وقيل: هو حبس النفس من الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش.

وقيل: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله لأن الله تعالى أثنى على أيوب -عليه السلام- بقوله: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ﴾ [ص: ٤٤] مع دعائه في دفع الضر عنه بقوله: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

فعلم أن العبد إذا دعا الله تعالى في كشف الضر عنه لا يقدح في صبره.

وقيل: هو خلق فاضل من أخلاق النفس يُمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل. وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

وقيل: هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة.

وقيل: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقيل: هو الثبات مع الله وتلقي بلاءه بالرحب والسعة.

وقيل: هو ثبات القلب عند موارد الاضطراب[١].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٦٢، ١٦٣)، والتوقيف (٢١٢).

الآيات الواردة في الصبر والمصابرة

الصبر سمة النبيين والصالحين

قال تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٥-٨٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[الروم: ٥٨-٦٠] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٣٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[الصافات: ٩٩- ١٠٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[ص: ١٦-١٧] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[ص: ٤١-٤٤] .

وقال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[الشورى: ٤٠-٤٣] .

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا

يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[الأحقاف: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾[ق: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾[الطور: ٤٨-٤٩].

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴾[القمر: ٢٣-٢٧].

وقال تعالى: ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[القلم: ٤٤-٥٠].

وقال تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾[المعارج: ١-٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة: ٢٤٩].

وقال تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

من أنواع الصبر

الصبر على الطاعة

قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۝ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٦].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا

ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْۚ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النساء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٩]

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [هود: ٩-١١].

وقال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٥-٤٩].

وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [هود: ١١٤-١١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۝ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۝ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٠-٦٩].

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٣-٦٥].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ [المدثر: ١-٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ۝ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٣-٢٥].

الصبر على البلاء

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[البقرة: ١٥٣-١٥٧].

وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾[الأنعام: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾[الأعراف:٨٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[الأعراف: ١٢٦].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[الأعراف: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[الأنفال: ٤٥-٤٦].

وقال تعالى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[يوسف: ١٦-١٨] .

وقال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[يوسف: ٨٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[إبراهيم: ١٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[طه: ١٣٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[الحج: ٣٤-٣٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾[الفرقان: ٢٠] .

وقال تعالى: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[لقمان: ١٧] .

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾[غافر: ٥٥] .

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾[غافر: ٧٧] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾[المزمل: ١٠] .

ثمرات الصبر

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٦، ١٧].

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٥، ٦٦].

وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥].

وقال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ۝ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١١].

وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[القصص: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾[القصص: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨-٥٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر: ١٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[فصلت: ٣٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾[الإنسان: ١٢] .

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾[البلد: ١٧، ١٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾[العصر: ١-٣] .

الأحاديث الواردة في الصبر

عن أسيد بن حضير أن رجلًا من الأنصار خلا برسول الله ﷺ فقال: ألا تستعملني كما استعملت فلانًا. فقال: «**إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**»(١).

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ينتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيها فقال: «**يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموه فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**».

ثم قام النبي ﷺ وقال: «**اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم**»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم حتى إذا نفد ما عنده. قال: «**ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يصبر يصبره الله وما أُعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر**»(٣).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: **أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله** تُكفر عني خطاياي؟

فقال له رسول الله ﷺ: «**نعم إن قُتلت في سبيل الله وأنت صابر ومحتسب مقبل غير مدبر**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**كيف قُلت؟**» قال: أرأيت إن قُتلت في سبيل الله أتُكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل -عليه السلام- قال لي ذلك**»(٤).

---

(١) البخاري -الفتح (٧/ ٣٧٩٢)، ومسلم (١٨٤٥) واللفظ له.
(٢) البخاري -الفتح (٦/ ٣٠٢٤، ٣٠٢٥)، ومسلم (١٧٢٤) واللفظ له.
(٣) البخاري -الفتح (١١/ ٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣) واللفظ له.
(٤) مسلم (١٨٨٥).

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها نبي الله ﷺ: أنه كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء فجعله الله رحمة للمؤمنين فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابرًا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له إلا كان مثل أجر الشهيد[1].

وعن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا أحب الله قومًا ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع**»[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن الله - عز وجل- قال: « **إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضتُه منهما الجنة-يريد عينيه-**»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:« **الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر**»[4].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن، أو تملأ، ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**»[5].

وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»[6].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال:« **يا غلام، أو يا غُليم، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟**» فقلت: بلى. فقال:« **احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جفَّ القلم بما هو كائن. فلو أن الخلق كلهم جميعًا أرادوا أن ينفعوك**

---

(١) البخاري (الفتح ١٠/ ٥٧٣٤).

(٢) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٨٣)، الصحيحة (١٤٦).

(٣) البخاري (الفتح ١١/ ٦٢٨٥، ٦٢٨٦)، ومسلم (٢٤٥).

(٤) الترمذي (٢٤٨٦)، وصحيح الترمذي (٢٠٢١).

(٥) مسلم (٢٢٣).

(٦) مسلم (٢٩٩٩).

بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه. وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه. واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا. وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يُسرًا»[1].

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحد، أو ليس شيء، أصبر على أذى سمعه من الله إنهم ليدعون له ولدًا وإنه ليعافيهم ويرزقهم**»[2].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من ابتُلي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجابًا من النار**»[3].

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر فإن من فارق الجماعة شبرًا فمات فميتة جاهلية**»[4].

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرًا من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»[5].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ بصبي لها فقالت: يا نبي الله، ادع الله له فلقد دفنتُ ثلاثة. قال: «**دفنت ثلاثة؟**» قالت: نعم. قال: «**لقد احتظرت بحظار شديد من النار**[6]»[7].

وعن أبي هريرة س أن رسول الله ﷺ قال لنسوة من الأنصار: «**لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة**».

فقالت امرأة منهن: أو اثنين يا رسول الله؟ قال: «**أو اثنين**»[8].

---

(١) أحمد (١/ ٣٠٧)، وصححه أحمد شاكر (٢٨٠٤).

(٢) البخاري (الفتح ١٠/ ٦٠٩٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٠٤).

(٣) صحيح الترمذي (١٥٦١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٣١).

(٤) مسلم (١٨٤٩).

(٥) الترمذي (٢٥٠٧)، ابن ماجه (٤٠٣٢) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٥١).

(٦) أي: احتمت بحمى عظيم من النار.

(٧) مسلم (٢٦٢٦).

(٨) البخاري (الفتح ٣/ ١٢٤٩)، ومسلم (٢٦٣٢) واللفظ له.

أقوال العلماء في الصبر

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: وجدنا خير عيشنا الصبر[١] .

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: الصبر مطية لا تكبو[٢] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله[٣] .

وقال سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز عندما مات ولد سليمان: أيصبر المؤمن حتى لا يجد لمصيبته ألمًا؟

قال: يا أمير المؤمنين، لا يستوي عندك ما تحب وما تكره ولكن الصبر معول المؤمن[٤] .

وقيل لربيعة بن عبد الرحمن: ما منتهى الصبر؟

قال: يكون يوم تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه[٥] .

وقال أبو علي الدقاق: فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله معيته فإن الله مع الصابرين[٦] .

وقيل: الصبر لله غناء، وبالله تعالى بقاء، وفي الله بلاء، ومع الله وفاء، وعن الله جفاء، والصبر على الطلب عنوان الظفر، وفي المحن عنوان الفرج[٧] .

قال ابن تيمية: ذكر الله تعالى في كتابه: الصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل؛ الصبر الجميل: هو الذي لا شكوى فيه ولا معه. والصفح الجميل: هو الذي لا عتاب معه. والهجر الجميل: هو الذي لا أذى معه.

---

(١) الدر المنثور (١/ ١٦٣).

(٢) عدة الصابرين (ص ١٧).

(٣) الزهد لوكيع (٢/ ٤٥٦).

(٤) الدر المنثور (١/ ٣٧٨).

(٥) الدر المنثور (١/ ٣٧٨).

(٦) المدارج (٢/ ١٦٦، ١٦٧).

(٧) المدارج (٢/ ١٦٦، ١٦٧).

وقال ذو النون: الصبر التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غُصص البليات، وإظهار الغنى مع طول الفقر بساحات المعيشة [١].

وقال الفيروزآبادي: قيل الصبر: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب وقيل: هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى. وقيل: إلزام النفس الهجوم على المكاره. وقيل: المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية [٢].

وقيل: الصبر: هو الاستعانة بالله. وقيل: هو ترك الشكوى.

وقيل: الصبر على مثل اسمه مُر مذاقتُه لكن عواقبه أحلى من العسل [٣].

وقال الحريري: الصبر: ألا تفرق بين حال النعمة وحال المحبة مع سكون الخاطر فيهما. والتصبر: السكون مع البلاء مع وجدان أثقال المحنة [٤].

وقال الثوري (عن بعض أصحابه): ثلاثة من الصبر: ألا تحدث بوجعك ولا بمصيبتك ولا تزكي نفسك [٥].

مظاهر المصابرة

١- المثابرة في إنجاز الأعمال والمواظبة عليها طالما أن هذا العمل في طاعة الله تعالى وفي هذا يلتقي معنى الاصطبار مع المصابرة. قال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾ [مريم: ٦٥] وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢][٦].

٢- متابعة الأعمال وعدم اليأس من إنجازها لما في هذا من إدامة للصبر عليها، وانتظار للفرج الموعود في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠].

---

(١) البصائر (٣/ ٣٧٧).
(٢) البصائر (٣/ ٣٧٧).
(٣) البصائر (٣/ ٣٧٨).
(٤) البصائر (٣/ ٣٧٨).
(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٩).
(٦) نضرة النعيم (٦/ ٢٤٤٥).

الصبر والمصابرة في القرآن الكريم

ورد الصبر في القرآن الكريم في سياقات عديدة منها:

١- الثناء على أهله كقوله: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ ﴾[البقرة: ١٧٧].

٢- الاستجابة لأمر الله تعالى بالصبر وإيجاب معيته لهم، تلك المعية التي تتضمن حفظهم لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة: ١٥٣] وقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[الأنفال: ٤٦]

٣- الإخبار أن أهل الصبر مع أهل العزائم: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[الشورى: ٤٣].

٤- يورث الصبر صاحبه الإمامة: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا ﴾[السجدة: ٢٤].

٥- اقتران الصبر بمقامات الإسلام والإيمان.

٦- إطلاق البشرى لأهل الصبر على الابتلاء بمصائب الحياة الدنيا ومصاعبها بأن جزاءهم على صبرهم هو الحصول على صلوات من ربهم ورحمة وهداية إلى الصراط المستقيم بإذن الله. كقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة: ١٥٥].

٧- إن الصابرين بأنفسهم على طاعة الله، والتكاليف المنوطة بهم والتقوى ومجاهدة النفس ونهيها عن الهوى وتزكيتها ومحاسبتها ومراقبتها عند الابتلاءات، جزاؤهم أن يُوفي لهم أجورهم بغير حساب.لقوله تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا ﴾. [الزمر: ٩] وأولئك الصابرون لهم عقبى الدار لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ ﴾. [الرعد: ٢٢-٢٣].

٨- ضمان النصر والمدد للصابرين من رب العالمين لقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٥][1] [2].

---

(١) البصائر (٣/ ٣٧٥).

(٢) البصائر (٣/ ٣٧٥) بتصرف.

من قصص الصابرين

عمار بن ياسر

وكان عمار بن ياسر ﷺ مولى لبني مخزوم أسلم هو وأبوه وأمه فكان المشركون -وعلى رأسهم أبو جهل- يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بحرِّها. ومرَّ بهم النبيﷺ وهم يعذبون فقال: صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة. فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام.

وشدَّدوا العذاب على عمار بالحرِّ تارة وبوضع الصخر الأحمر على صدره أخرى، وبالتغريق أخرى وقالوا: لا نتركك حتى تَسُبَّ محمدًا. أو تقول في اللات والعُزَّى خيرًا. فوافقهم على ذلك مُكرهًا وجاء باكيًا معتذرًا إلى النبيﷺ فأنزل الله ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾[النحل: ١٠٦][(١)].

خباب بن الأرت

وكان خباب بن الأرت مولى لأم أنمار بنت سُباع الخزاعية فكان المشركون يذيقونه أنواعًا من التنكيل.

يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذبًا. ويلوون عنقه تلوية عنيفة وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة ثم وضعوه عليه حجرًا حتى لا يستطيع أن يقوم[(٢)].

وعن أبي عبد الله خباب بن الأرت ﷺ قال: شكونا إلى رسول اللهﷺ وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة. فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا ؟

فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيُجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدُّه ذلك عن دينه. والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»[(٣)].

---

(١) ابن هشام (١/ ٣١٩، ٣٢٠)، الرحيق المختوم (٧٩).

(٢) رحمة للعالمين (١/ ٥٧)، تلقيح فهوم أهل الأثر (٦٠).

(٣) رواه البخاري (٦٩٤٣).

عروة بن الزبير

قال ابن القيم: قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد وكان من أحسن الناس وجهًا فدخل يومًا على الوليد في ثياب وشي وله غديرتان وهو يضرب بيده. فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش، فعانه (أي أصابه بعين حسد) فخرج من عنده متوسنًا فوقع في اصطبل الدواب فلم تزل الدواب تطؤه بأرجلها حتى مات ثم إن الأكلة وقعت في رجل عروة.

فبعث إليه الوليد الأطباء. فقالوا: إن لم تقطعها سرت إلى باقي الجسد فتهلك. فعزم على قطعها فنشروها بالمنشار، فلما صار المنشار إلى القصبة وضع رأسه على الوسادة ساعة فغشي عليه ثم أفاق والعرق يتحدّر على وجهه وهو يُهلل ويُكبر.

فأخذها وجعل يقبلها في يده ثم قال: أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام. ولا إلى معصية ولا إلى ما لا يُرضي الله. ثم أمر بها فغُسِّلت وطُيِّبت وكُفِّنت في قطيفة ثم بُعث بها إلى مقابر المسلمين.

فلما قدم من عند الوليد المدينة تلقاه أهل بيته وأصدقاؤه يُعزُّونه فجعل يقول: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا.

قال ابن القيم: ولما أرادوا قطع رجله قالوا له: لو سقيناك شيئًا كي لا تشعر بالوجع فقال: إنما ابتلاني ليرى صبري. أفأعارض أمره ؟![1].

إن سلبت فلطالما أعطيت، وإن أخذت فلطالما أبقيت وأبقيت لنا فيك الأمل يا برُّ يا وصول.

الأحنف بن قيس

قال مغيرة: ذهبت عين الأحنف فقال: ذهبت من أربعين سنة ما شكوتها إلى أحد.

قال ابن تيمية: الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه[2].

---

(١) عدة الصابرين (٩١-٩٢).

(٢) عدة الصابرين (٩١-٩٢).

مُطرف بن عبد الله

وأُصيب مطرف بن عبد الله في ابن له فأتاه قوم يعزونه فخرج إليهم أحسن ما كان بشرًا. ثم قال: إني لأستحي من الله أن أتضعضع لمصيبة[1].

أحمد بن حنبل

وكان الإمام أحمد يئن في مرضه فلما أخبروه أن طاوسًا يقول: إن أنين المريض شكوى فما أنَّ حتى مات.

وقال أبو غالب ابن بنت معاوية: ضُرب أحمد بن حنبل بالسياط في الله فقام مقام الصديقين في العشر الأواخر من رمضان سنة عشرين ومائتين.

قال الإمام أحمد: كنت أصلي بأهل السجن وأنا مقيد.

لله درُّ ابن حنبل وضعوا في رجله أربعة قيود وهو إمام أهل السُّنَّة.

(١) نفس المصدر (٩٤).

الصدق لغة واصطلاحا

الصدق لغة

مصدر قولهم: صدق يصدق صدقا[١] وهو مأخوذ من مادة (ص د ق) التي تدل على قوة في الشيء قولا أو غير قول. من ذلك الصدق خلاف الكذب لقوته في نفسه ولأن الكذب لا قوة له[٢].

وقال الراغب: الصدق والكذب أصلهما في القول ماضيا كان أو مستقبلا وعدا كان أو غيره، ولا يكونان في القول إلا في الخبر دون غيره من أصناف الكلام ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧].

وقال ابن منظور: الصدق: نقيض الكذب. يقال: صدقه الحديث: أنبأه بالصدق. وصدقت القوم: قلت لهم صدقا. ورجل صدوق أبلغ من الصادق. والصديق: الدائم التصديق. ويكون أيضا الذي يصدق قوله بالعمل، والصديق: المبالغ في الصدق[٣].

والصديقون في قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩] جمع (صديق) وهو المبالغ في الصدق أو التصديق أو هو الذي يحقق بفعله ما يقوله بلسانه. وقيل: هم فضلاء أتباع الأنبياء يسبقون إلى تصديقهم كأبي بكر -رضي الله عنه. أما الصادقون الذين أمرنا المولى بأن نكون معهم في قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] فهم الذين خرجوا مع النبيﷺ لا مع المنافقين.

والمعنى: كونوا على مذهب الصادقين وسبيلهم. وقيل: هم الأنبياء. وقيل: هم الموفون بعهدهم. وقيل: هم المهاجرون. وقيل: هم الذين استوت ظواهرهم مع بواطنهم[٤].

---

(١) لسان العرب (ص د ق) (١٠/ ١٩٣).

(٢) لسان العرب (١٠/ ١٩٦).

(٣) المقاييس (٣/ ٣٣٩)، المفردات للراغب (٢٧٧)، لسان العرب (١٠/ ١٩٢).

(٤) تفسير القرطبي (٥/ ٢٧٢) بتصرف واختصار.

الصدق اصطلاحًا

قال الراغب: الصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معًا ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًّا. بل إما ألا يوصف بالصدق، وإما أن يوصف تارةً بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين. كقول الكافر: محمد رسول الله. فإن هذا يصح أن يُقال: صدق لكون المخبر عنه كذلك. ويجوز أن يُقال كذبٌ لمخالفة قوله ضميره. وبالوجه الثاني: إكذاب الله المنافقين حيث قالوا: ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون: ١][(١)].

وقال الجرجاني: مطابقة الحكم للواقع. وهذا هو ضد الكذب[(٢)].

وقيل: استواء السر والعلانية والظاهر والباطن بألا تكذب أحوال العبد أعماله ولا أعماله أحواله. وجعلوا الإخلاص لازمًا والصدق أعم. فقالوا: كل صادق مخلص. وليس كل مخلص صادقًا.

وسُئل الجنيد -رحمه الله- عن الصدق والإخلاص: أهما واحد أم بينهما فرق؟ فقال: بينهما فرق: الصدق أصل والإخلاص فرع.

والصدق أصل كل شيء، والإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في الأعمال، والأعمال لا تكون مقبولة إلا بهما[(٣)].

قال القشيري: الصدق ألا يكون في أحوالك شوب، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب.

---

(١) المفردات للراغب (٢٧٧).

(٢) التعريفات للجرجاني (١٣٢).

(٣) دليل الفالحين (١/ ٢٠٢).

الآيات الواردة في الصدق

الحق والصدق متلازمان

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩١].

وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[آل عمران: ١-٣]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[الأنعام: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[يوسف: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[يوسف: ١١١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[النور: ٦].

الأحاديث الواردة في الصدق

عن أبي كبشة الأنماري ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه**».

قال: «**ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزًا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر -أو كلمة نحوها- وأحدثكم حديثًا فاحفظوه**».

قال: «**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه. ويعلم لله فيه حقًا فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا فهو صادق النية. يقول: لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان فهو نيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالًا ولم يرزقه علمًا فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالًا ولا لعلمًا فهو يقول: لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان فهو نيته فوزرهما سواء**»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءًا من النبوة.**

والرؤيا ثلاثة: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه. فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس»[2].

وعن طلحة بن عبيد الله ﷺ **أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس** فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصلاة؟ فقال: «**الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئًا**».

فقال: أخبرني بما فرض الله عليّ من الصيام؟ فقال: «**شهر رمضان إلا أن تطوع شيئًا**».

---

(١) أحمد (٤/ ٢٣٠)، والترمذي (٢٣٢٥)، وقال: حديث حسن صحيح وابن ماجه (٤٢٢٨)، وقال محقق الأصول (١١/ ١٠) كما قال الترمذي.

(٢) البخاري (الفتح ١٢/ ٧٠١٧)، ومسلم (٢٢٦٣) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

فقال: أخبرني ما فرض عليَّ من الزكاة؟ قال: فأخبره رسول الله ج بشرائع الإسلام.

قال: والذي أكرمك بالحق لا أتطوع شيئًا ولا أنقص مما فرض الله عليَّ شيئًا.

فقال رسول الله ﷺ: «**أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع من كن فيه فلا عليك ما فاتك في الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة**»(٢).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**أنا أول شفيع في الجنة لم يصدَّق نبي من الأنبياء، ما صُدقت وإن من الأنبياء نبيًا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد**»(٣).

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ صعد أُحدًا وأبو بكر وعثمان فرجف بهم. فقال: «**اثبُت أُحُدُ فإن عليك نبي صدِّيق وشهيدان**»(٤).

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم**»(٥).

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل. قال: «**يا معاذ بن جبل**»

قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: «**يا معاذ**» قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثًا). قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صادقًا من قلبه إلا حرَّمه الله على النار**» قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال: «**إذًا يتكلوا**» وأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا (٦).

---

(١) البخاري –الفتح (٤/ ١٨٩١) واللفظ له، ومسلم (١١).

(٢) أحمد (٢/ ١٧٧) واللفظ له، وصححه أحمد شاكر (١٠/ ٦٦٥٢).

(٣) مسلم (١٩٦).

(٤) البخاري (الفتح ٧/ ٣٦٧٥) واللفظ له، ومسلم (٢٤١٧).

(٥) أحمد (٥/ ٢٣٣، ٣٢٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع والصحيحة (١٤٠٧).

(٦) البخاري (الفتح ١/ ١٢٨).



وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل. فذهب وَهَلِي[1] إلى أنها اليمامة أو هجر. فإذا هي المدينة. يثرب. ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفًا فانقطع صدره. فإذا هو ما أُصيب من المؤمنين يوم أُحد. ثم هززتُه بأخرى فعاد أحسن ما يكون فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين. ورأيت فيها بقرًا. والله خير فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أُحد وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي آتانا الله بعد يوم بدر»[2].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم». قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين»[3].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»[4].

وعن حكيم بن حزام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا». أو قال: «حتى يتفرقا فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما»[5].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدَّقه فله أجران، وعبد مملوك أدَّى حق الله تعالى وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذَّاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن أدبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»[6].

---

(١) وَهَلِي: وهمي واعتقادي.

(٢) البخاري (الفتح ٦/ ٣٦٢٢)، ومسلم (٢٢٧٢) واللفظ له.

(٣) البخاري (الفتح ٦/ ٣٢٥٦) واللفظ له، ومسلم (٢٨٣١).

(٤) البخاري (الفتح ١٠/ ٦٠٩٤) واللفظ له، ومسلم (٢٦٠٧).

(٥) البخاري (الفتح ٤/ ٢٠٧٩) واللفظ له، ومسلم (١٥٢٣).

(٦) البخاري (الفتح ٥/ ٢٥٤٤)، ومسلم (١٥٤) واللفظ له.

وعن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة**»[١].

وعن أبي سفيان صخر بن حرب ﷺ في حديثه في قصة هرقل.

قال هرقل: فماذا يأمركم؟ يعني النبي ﷺ.

قال أبو سفيان: قلتُ: يقول: «**اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.**» الحديث[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله - عز وجل - إلا وأنتم صادقون**»[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعتُ الصادق المصدوق ﷺ صاحب هذه الحجرة يقول: «**لا تُنزع الرحمة إلا من شقي**»[٤].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من طلب الشهادة صادقًا أُعْطِيتها ولو لم تصبه**»[٥].

---

(١) الترمذي (٢٥١٨) واللفظ له. وصححه محقق جامع الأصول (٦/ ٤٤٣، ٤٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٧٨).

(٢) البخاري (الفتح ١/ ٧) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣).

(٣) أبو داود (٣٢٤٨)، وصححه الألباني (٢/ ٦٢٧)، صحيح النسائي (٣٥٢٩).

(٤) أبو داود (٤٩٤٢)، وحسنه الألباني (٣/ ٩٣٣).

(٥) مسلم (١٩٠٨).

أقوال العلماء في الصدق

قال علي بن أبي طالب ﷺ: من كانت له عند الناس ثلاث وجبت له عليهم ثلاث: من إذا حدَّثهم صدقهم، وإذا ائتمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفَّى لهم، وجب له عليهم أن تُحبَّه قلوبُهم، وتنطق بالثناء عليه ألسنتُهم، وتظهر له معونتهم[(١)].

وعن عروة أنه سأل عائشة ﵂: أرأيت قول الله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ ﴾ أوكُذِّبوا؟ قالت: بل كذَّبهم قومُهم. فقلت: والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم وما هو بالظن. فقالت: يا عُريَّة. لقد استيقنوا بذلك. قلت: فلعلها (أو كُذبوا). قالت: معاذ الله. لم تكن الرسل تظن ذلك بربها. وأما هذه الآية. قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأست ممن كذبهم من قومهم وظنوا أن أتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله[(٢)].

وقال نافع مولى ابن عمر: طاف ابن عمر سبعًا وصلى ركعتين. فقال رجل من قريش: ما أسرع ما طُفت وصليت يا أبا عبد الرحمن؟ فقال ابن عمر: أنتم أكثر منا طوافًا وصيامًا ونحن خير منكم بصدق الحديث وأداء الأمانة وإنجاز الوعد[(٣)].

وقال عبد الواحد بن زيد: الصدق الوفاء لله بالعمل[(٤)].

وقال إبراهيم الخواص: الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه[(٥)].

وقال الجنيد: حقيقة الصدق: أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب[(٦)].

وقيل: ثلاث لا تخطئ الصادق: الحلاوة والملاحة والهيبة[(٧)].

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ٢٩).
(٢) البخاري (الفتح ٦/ ٣٣٨٩).
(٣) المدارج (٢/ ٢٩٠).
(٤) المدارج (٢/ ٢٩٠).
(٥) المدارج (٢/ ٢٩٠).
(٦) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٠).
(٧) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٠).

وقال يوسف بن أسباط: لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب إليَّ من أن أضرب بسيفي في سبيل الله [١].

وقال بعضهم: من لم يؤدِّ الفرض الدائم لم يقبل منه الفرض المؤقت.

قيل: وما الفرض الدائم؟ قال: الصدق [٢].

وقيل: من طلب الله بالصدق أعطاه مرآة يبصر فيها الحق والباطل [٣].

وقيل: عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضر بك [٤].

وقيل: ما أملق تاجر صدوق [٥].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٠).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٠).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٠).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٠).

(٥) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٠).



مباحث هامة

دواعي الصدق

قال الماوردي: دواعي الصدق:

١- العقل: من حيث كونه موجبًا لقُبح الكذب.

٢- الشرع: حيث ورد بوجوب اتباع الصدق وحظر الكذب والله -سبحانه- لم يشرع إلا كل خير.

٣- المروءة: لأنها مانعة من الكذب باعثة على الصدق.

٤- حب الاشتهار بالصدق: فمن يتمتع بهذا الاشتهار بين الناس لا يُرد عليه قوله ولا يلحقه ندم[١].

مجالات الصدق

قال ابن القيم رحمه الله: والصدق ثلاثة: قولٌ وعملٌ وحالٌ. فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها. والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد. والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته كما فعل أبو بكر ﷺ[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: وقد أخبر -سبحانه- أنه أكرم عباده المتقين بأن جعل لهم: مدخل صدق ومخرج صدق ولسان صدق ومقعد صدق.

وحقيقة الصدق في هذه الأشياء هو الحق الثابت المتصل بالله والموصل إلى الله، وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال، وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة[٣].

---

(١) أدب الدنيا والدين (٢٦١، ٢٦٢).

(٢) المدارج (٢/ ٢٨١).

(٣) المدارج (٢/ ٢٨٢).

قال الفيروزآبادي: والصدِّيق: الرجل الكثير الصدق. وقيل: الصديق: من لم يصدر منه الكذب أصلًا. وقيل: من صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]

فالصديقون: هم قوم دون الأنبياء في الفضيلة ولكن درجتهم ثاني درجة النبيين. وفي الجملة: منزلة الصدق من أعظم منازل القوم الذي نشأ منه جميع منازل السالكين. وهو الطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين.

وبه تميَّز أهل النفاق من أهل الإيمان وسكان الجنان من أهل النيران. وهو سيف الله في أرضه الذي ما وُضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلًا إلا أزاله وصرعه، فهو روح الأعمال ومحل الأحوال والحامل على اقتحام الأهوال والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال(١).

علامة الصدق

من علامات الصدق طمأنينة القلب إليه ومن علامات الكذب حصول الريبة كما في الترمذي مرفوعًا: «**الصدق طمأنينة والكذب ريبة**».

وفي الصحيحين: «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا**».

فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها وهي غايته فلا ينال درجتها كاذب ألبتة لا في قوله ولا في عمله ولا في حاله. ولا سيما كاذب على الله في أقواله وصفاته بنفي ما أثبته لنفسه أو بإثبات ما نفاه عن نفسه. فليس في هؤلاء صديق أبدًا. وكذلك الكذب عليه في دينه وشرعه بتحليل ما حرَّمه وتحريم ما أحلَّه وإسقاط ما أوجبه وإيجاب ما أسقطه وكراهة ما أحبه واستحباب ما لم يحبه، كل ذلك منافٍ للصديقية(٢).

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٩٧، ٣٩٨).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٣٩٨، ٤٠٣).

فضل الصدق وأثره

قال الفيروزآبادي: أمر الله -سبحانه- أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين وخصص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[التوبة: ١١٩] .

وقال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[النساء: ٦٩] فهم أهل الرفيق الأعلى وحسن أولئك رفيقا، ولا يزال الله يمدهم بنعمه وألطافه، يزيدهم إحسانًا منه وتوفيقًا.

ولهم مَزِيَّة المعية مع الله فإن الله تعالى مع الصادقين وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم من الإيمان والإسلام والصدقة والصبر وبأنهم أهل الصدق.

فقال: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾[البقرة: ١٧٧] وهذا صريح في أن الصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة وأن الصدق هو مقام الإسلام والإيمان.

وقسَّم -سبحانه- الناس إلى صادق ومنافق فقال:﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [الأحزاب: ٢٤] والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب. فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما يحارب الآخر.

وأخبر -سبحانه- أنه في القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه فقال تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[المائدة: ١١٩] .

وقال: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[الزمر: ٣٣-٣٥] والذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله، وقد أمر -سبحانه- رسوله أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق. فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾[الإسراء: ٨٠] .

جزاء الصادقين

دخول الجنة

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٥-١٧].

رفقة النبيين والشهداء والصالحين

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٩-٧٠].

رضوان الله تعالى

قال تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

تيسير الأمور

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-٧]

البركة في البيع

عن حكيم بن حزام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا» أو قال: «حتى يتفرقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما»(١).

---

(١) البخاري -الفتح (٤/ ٢٠٧٩) واللفظ له، ومسلم (١٥٣٢).

من قصص الصادقين

ربعي بن حراش

كان ربعي من (أشجع) زعم قومه أنه لم يكذب قطُّ [١]

قال الأصمعي: أتى رجلٌ الحجَّاجَ فقال: إن ربعي بن حراش زعموا أنه لا يكذب وقد قدِم ولداه عاصيين. قال: فبعث إليه الحجَّاج. فقال: ما فعل ابناك؟ قال: هما في البيت، والله المستعان. فقال الحجَّاج بن يوسف: هما لك وأعجبه صدقُه [٢]

عبد القادر الجيلاني

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني: بنيت أمري على الصدق وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم فأعطتني أمي أربعين دينارًا وعاهدتني على الصدق. ولما وصلنا أرض (همدان) خرج علينا عرب فأخذوا القافلة. فمرَّ واحد منهم وقال: ما معك؟ قلت: أربعون دينارًا، فظن أني أهزأ به فتركني فرآني رجل آخر. فقال: ما معك؟ فأخبرته. فأخذني إلى أميرهم، فسألني فأخبرته. فقال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتني أمي على الصدق فأخاف أن أخون عهدها. فصاح باكيًا. وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله. ثم أمر بردِّ ما أخذوه من القافلة. وقال: أنا تائب لله على يديك. فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا في التوبة فتابوا جميعًا ببركة الصدق وسببه [٣]

---

(١) تاريخ دمشق (٦/ ١٠١).

(٢) السير (٤/ ٣٦٠).

(٣) صلاح الأمة (٥/ ٤٥، ٤٦).

الفطنة لغة واصطلاحًا

الفطنة لغةً

مصدر فَطِنَ للشيء يَفْطَن فِطنة وفطانة.

قال ابن فارس: الفاء والطاء والنون كلمة واحدة تدل على ذكاء وعلم بشيء. يقال: رجل فَطِنٌ وفَطِنٌ (إذا كان ذا فطنة). يقال: فطَنت للشيء وفطِنت له.

قال ابن منظور: الفِطنة كالفهم، والفِطنة: الحِذق والفهم. وقد تُفسر بجودة تهيؤ النفس لتصور ما يرد عليها من الغير، وهي: ضد الغباوة. وقد فَطَنَ لهذا الأمر -بالفتح- يَفْطُن فِطنة. وقد فطن -بالكسر- فِطنة وفطانة وفطانية، والجمع: فُطْن، والأنثى: فَطِنَة. وفَطُنَ -بالضم- إذا صارت الفطانة سجّية له. وأما الفَطِن فذو فطنة للأشياء. وفطَّنَه لهذا الأمر تفطينًا: فهَّمه. ويتعدى بالتضعيف فيقال: فطّنتُه للأمر(١).

الفطنة اصطلاحًا

هي قوة للنفس تشمل الحواس الظاهرة والباطنة مُعدَّة لاكتساب العلوم. وقيل: هي الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر.

وقال الكفوي: هي التنبُّه للشيء الذي يُقصد معرفته(٢).

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٥١١)، لسان العرب (١٣/ ٣٢٣، ٣٢٤).

(٢) الكليات للكفوي (٦٧)، والتعريفات للجرجاني (١٠٨).



أقوال العلماء في (الفطنة)

عن عيسى قال: سمعت الشعبي يقول: إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان: العقل والنُّسُك. فإن كان ناسكًا ولم يكن عاقلًا. قال: هذا أمر لا يناله إلا العقلاء، فلم يطلبه. وإن كان عاقلًا ولم يكن ناسكًا. قال: هذا أمر لا يناله إلا النُّساك، فلم يطلبه.

فقال الشعبي: ولقد رَهِبْتُ أن يكون يطلبه اليوم مَنْ ليست فيه واحدة منهما، لا عقل ولا نُسُك[١].

قال الأبشيهي: قد يخص الله تعالى بألطافه الخفية مَنْ يشاء من عباده، فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تُخرجه عن حدِّ الاكتساب، ويصير بها راجحًا على ذوي التجارب والآداب[٢].

وقال أيضًا: يُستدل على رجاحة عقل الرجل بأمور متعددة منها: ميلُه إلى محاسن الأخلاق، وإعراضه عن رذائل الأعمال، ورغبتُه في إسداء صنائع المعروف، وتجنُّبه ما يكسبه عارًا ويُورثه سوء السُّمعة[٣].

قال علي بن عبيدة: العقل ملك والخصال رعية فإذا ضَعُفَ عن القيام عليها وصل الخلل إليها، فسمعه أعرابي فقال: هذا كلام يقطُرُ عَسَلُهُ[٤]. وقيل: مَنْ بيَّضت الحوادث سواد لِمَّته[٥]، وأخلقت التجارب لباس جِدَّته[٦]، وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته، كان جديرًا برزانة العقل ورجاحة الدراية[٧].

---

(١) الدارمي (٣٧١) المقدمة.
(٢) المستطرف (١/ ٢٣)، (١/ ٢٤).
(٣) المستطرف (١/ ٢٣)، (١/ ٢٤).
(٤) نفس المصدر (١/ ٢٤).
(٥) لمته: شعر الرأس المجاور شحمة الأذن.
(٦) جِدَّته: لباسه الجديد.
(٧) المستطرف (١/ ٢٣).

من قصص الفطنة

والي فَطِنٌ

سُرق من رجل خمسمائة دينار فحُمل المهتمون إلى الوالي. فقال الوالي: أنا ما أضربُ أحدًا منكم، بل عندي خيط ممدود في بيت مظلم. فادخلوا فليمر كُلٌّ منكم يده عليه من أول الخيط إلى آخره، ويلف يده في كمه ويخرج فإن الخيط يَلُفُّ على يد الذي سرق، وكان قد سوَّد الخيط بسُخام. فدخلوا فكلهم جرَّ يده على الخيط في الظلمة إلا واحدًا منهم فلما خرجوا نظر إلى أيديهم مسودة إلا واحدًا، فألزمه بالمال، فأقرَّ به[١] .

رجلٌ فَطِنٌ

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « **اشترى رجل من رجل عقارًا له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرَّة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خُذ ذهبك مني إنما اشتريتُ منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب، وقال الذي له الأرض: إنما بعتُك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل. فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلامٌ، وقال الآخر: لي جاريةٌ، قال: أنكحوا الغلام الجاريةَ، وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدَّقَا**»[٢] .

قاضي قضاة الشام

قال ابن الجوزي في (الأذكياء): حدثنا ابن السماك قال: اختصم إلى قاضي قضاة الشام يومًا رجلان وهو بجامع المنصور. فقال أحدهما: إني أسلمتُ إلى هذا عشرة دنانير. فقال للآخر: ما تقول؟ قال: ما أسلم إليَّ شيئًا. فقال للطالب: هل لك بيِّنة؟ قال: لا. قال: ولا سلمتها إليه بعين أحد؟ قال: لا. لم يكن هناك إلا الله عز وجل. قال: فأين سلَّمتها إليه؟ قال: بمسجد الكرخ. قال للمطلوب: أتحلف؟ قال: نعم. قال للطالب: قم إلى ذلك المسجد الذي سلَّمتها إليه فيه وائتني بورقة من مصحف لأحلفه بها. فمضى الرجل واعتقل القاضي الغريم، فلما مضت ساعة التفت القاضي إليه. فقال: تظن أنه قد بلغ ذلك المسجد؟ فقال: لا ما بلغ إليه.

فكان هذا كالإقرار فألزمه بالذهب فأقرَّ به[٣] .

---

(١) الأذكياء لابن الجوزي (٦٣).

(٢) البخاري -الفتح (٦/ ٣٤٧٢) واللفظ له، ومسلم (٧١٢١).

(٣) الأذكياء (٨٨).

القناعة لغةً واصطلاحًا

القناعة لغة

مصدر قَنَعَ يَقْنَعُ قناعة إذا رضي، ويدل أصل المادة على معنيين؛ الأول: الإقبال بالوجه على الشيء. والآخر: المستدير من الرمل. ومن المعنى الأول أخذت القناعة بمعنى الرضا، وسُمِّيت بذلك لأن القانع يُقبلُ على الشيء الذي له راضيًا.

قال ابن فارس: والإقناع: مَدُّ البعير رأسه إلى الماء ليشرب.

قال الراغب: يقال: قِنِع يقنع قناعة وقنعانًا إذا رضي. وقَنَع يقنع قُنوعًا إذا سأل.

قال ابن منظور: يقال: رجل قانع من قوم قُنَّع. وقِنِعٌ من قنعين. وقنيع من قنيعين وقُنعاء. وامرأة قنيع وقنيعة من نسوة قنائع.

قال الأزهري: رجل مقانع وقُنعان إذا كانوا مرضيين. ورجل قُنعان: يرضى باليسير.

قال بعض أهل العلم: إن القُنُوع يكون بمعنى الرضا والقَانِع بمعنى الراضي[(١)].

قال الأصمعي: القانع: الراضي بما قسم الله ومصدره القناعة. والقانع: السائل، ومصدره القُنُوع[(٢)].

القناعة اصطلاحًا

قال ابن السُّنِّي: القناعة: الرضا بالقسم (أي بالنصيب وبما قُدِّر له)[(٣)].

وقال الراغب: القناعة: الاجتراء باليسير من الأغراض المحتاج إليها[(٤)].

وقال المناوي: القناعة عُرفًا: الاقتصار على الكفاف. وقيل: الاكتفاء بالبُلغة. وقيل: سكون الجأش عند عدم المألوفات. وقيل: الوقوف عند الكفاية[(٥)].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٣)، المفردات للراغب (٢١٤)، لسان العرب (٨/ ٢٩٧، ٢٩٨).

(٢) الأضداد للأصمعي (٥٠)، وللسجستاني (١١٦)، والأضداد للأنباري (٦٦، ٦٧).

(٣) القناعة (٤٠).

(٤) المفردات للراغب (٤١٣).

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف لابن المناوي (٢٧٥).

قال الجاحظ: القناعة: هي الاقتصار على ما سنح من العيش، والرضا بما تسهَّل من المعاش، وترك الحرص على اكتساب الأموال، وطلب المراتب العالية مع الرغبة في جميع ذلك، وإيثاره والميل إليه، وقهر النفس على ذلك والتقنع باليسير منه[1].

الآيات الواردة في (القناعة)

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]

قال تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]

الأحاديث الواردة في القناعة

عن فضالة بن عبيد ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**طوبى لمن هُدي إلا الإسلام وكان عيشه كفافًا وقَنِعَ**»[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنَّعه الله بما آتاه**»[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة، كُن ورعًا تكن أعبد الناس، وكُن قَنِعًا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا وأحسن جوار من جاورك تكن مسلمًا، وأقِلَّ الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب**»[4].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن**

---

(١) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٢).

(٢) الترمذي (٢٣٤٩) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والحاكم (١/ ٣٥)، وقال: صحيح على شرط مسلم. وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٣٤٩)، والصحيحة (١٥٠٦).

(٣) مسلم (١٠٥٤).

(٤) ابن ماجه (٤٢١٧) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤١٧)، والصحيحة (٥٠٦).

الغنى غنى النفس»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«انظروا إلى مَنْ أسفل منكم، ولا تنظروا إلى مَنْ هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»**[٢].

أقوال العلماء في القناعة

قال عمر بن الخطاب: **إن الطمع فقر وإن اليأس غنى، إنه من ييأس عما في أيدي** الناس استغنى عنهم[٣].

وقال ابن القيم: **يكمل غنى القلب بغنى آخر، هو غنى النفس، وآيتُه: سلامتُها من** الحظوظ وبراءتُها من المراءاة[٤].

قال بعض الحكماء: **وجدت أطول الناس غمًّا الحسود، وأهنأهم عيشًا القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع، وأخفضهم عيشًا أرفضهم للدنيا، وأعظمهم** ندامة العالم المفرط[٥].

قال بعضهم: ازهد بما عند الناس يحبك الناس، وارغب فيما عند الله **يحبك الله**[٦].

قيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟

قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك[٧].

وقيل لبعض الحكماء: ما مالك؟

فقال: التجمل في الظاهر والقصد في الباطن، واليأس مما في أيدي الناس[٨].

---

(١) البخاري -الفتح (١١/ ٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٢) البخاري -الفتح (١١/ ٦٤٩٠)، ومسلم (٣٩٦٣) واللفظ له.

(٣) الإحياء (٣/ ٢٩٣).

(٤) تهذيب مدارج السالكين (٤٧٤).

(٥) القناعة لابن السني (٥٨).

(٦) نفس المصدر (٤١).

(٧) الإحياء (٤/ ٢١٢).

(٨) نفس المصدر (٤/ ٢١٣).

الرضا لغةً واصطلاحًا

الرضا لغةً

الرضا مصدر رَضِي يرضى وهو مأخوذ من مادة (ر ض و) التي تدل على خلاف السخط. وتثنية الرضا: رضوان، ورِضَيَان والاسم الرضاء (بالمد) والرضا (بالقصر).

وقال الراغب: رضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرًا بأمره ومنتهيًا عن نهيه. وأرضاه: أعطاه ما يرضى به. وترضَّاه: طلب رضاه.

وفي الصحاح: الرضوان: الرضا. وكذلك الرُّضوان (بالضم) والمرضاة مثله، والمرضاة والرضوان مصدران. وقيل: في عيشة راضية. أي: مرضية (أي: ذات رضى). والرضوان: الرضا الكثير. ويقال: رضيتُ به صاحبًا وأرضيته عني ورضَّيته فرضي وتراضي القوم: أظهر كل واحد منهم الرضا بصاحبه وَرِضيَه[1].

الرضا اصطلاحًا

هو سرور القلب بمُرِّ القضاء. وقيل: الرضا ارتفاع الجزع في أي حكم كان. وقيل: الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلب. فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا. وقيل: استقبال الأحكام بالفرح. وقيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام. وقيل: نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد، فإنه اختار له الأفضل وهو ترك السخط[2].

وقال المناوي: الرضا طيب نفسي للإنسان بما يصيبه أو يفوته مع عدم التغير.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٤/ ٢٢٤)، والصحاح للجوهري (٢٣٥٣)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٠٢)، و مفردات الراغب (ص ١٩٧).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص ١١١)، مدارج السالكين (٢/ ١٨٥).

الآيات الواردة في (الرضا)

رضا الله أعلى مطلوب النبيين والمؤمنين

قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٥،٦].

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: ٨٣، ٨٤].

وقال تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

إرضاء الله - عز وجل - رسوله ﷺ والمؤمنين في الدنيا والآخرة

وقال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢].

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الحج: ٥٨، ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۞ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۞ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٢].

وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۞ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۞ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [الغاشية: ٨-١٠].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۞ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

وقال تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۞ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۞ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۞ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۞ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل: ١٧-٢١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۞ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۞ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۞ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة: ٧،٨].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [القارعة: ٦،٧].

شرع الله - عز وجل - ما ارتضاه لعباده

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وجوب ابتغاء مرضاة الله سبحانه

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

وقال تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ

وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة: ١].

وجوب الرضا بالمعاش

وقال تعالى: ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥١].

الأحاديث الواردة في الرضا

عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأرضاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورِق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: وما ذاك؟ قال: «**ذكر الله**»[١].

وعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبَّر ثلاثًا ثم قال: «**سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا هل مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا واطوِ عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم إني أعوذ بك من**

(١) الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٢/ ٣٧٩٠) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٠٥٧).

وعثاء السفر[١] **وكآبة المنظر**[٢] **وسوء المنقلب**[٣] **في المال والأهل**» وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**»[٤].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟. الحديث.

وفيه: فقالوا: يا رسول الله كأنك، كنت ترعى بالبادية.

قال: «**فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه. ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم. فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين. فيقول: لكم عندي أفضل من هذا. فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»[٥].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»[٦].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال**[٧] **وكثرة السؤال**[٨] **وإضاعة المال**»[٩].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة

---

(١) وعثاء: مشقة وشدة.
(٢) كآبة: تغير النفس من حزن ونحوه.
(٣) المنقلب: المرجع.
(٤) مسلم (١٣٤٢).
(٥) البخاري (الفتح ١٣/ ٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) واللفظ له.
(٦) مسلم (٢٧٣٤).
(٧) قيل وقال: هو الخوض في أخبار الناس.
(٨) كثرة السؤال: التنطع في المسائل.
(٩) مسلم (١٧١٥).

ثلاثين صباحًا يدعو على رعل وذكوان ولحيان وعُصَيَّة عصت الله ورسوله. قال أنس: أنزل الله - عز وجل- في الذين قتلوا في بئر معونة قرآنًا حتى نسخ بعد: أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد**»(٢).

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه يرفعه قال: «**سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟** قال: **هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب. كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟! فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب. قال: رب، فأعلاهم منزلة؟ قال** أولئك: **الذين غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر**». قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٣) [السجدة: ١٧].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**»(٤).

وعن عتبة بن عُويم بن ساعدة الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحامًا وأرضى باليسير**»(٥).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة**».

قال: فكبرنا. ثم قال: «**أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة**».

قال: فكبرنا. ثم قال: «**إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك. ما**

---

(١) البخاري (الفتح ٦/ ٣٠٤٦)، مسلم (٦٧٧).

(٢) الترمذي (١٨٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٤٩).

(٣) مسلم (١٨٩)

(٤) النسائي (١/ ١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٩٥).

(٥) ابن ماجه (١/ ١٨٦١) وحسنه الألباني في الصحيحة (٦٢٣).

المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض»[(١)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن. يقول: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين** من غير الفريضة ثم ليقل: **اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب.**

اللهم فإن كنت تعلم أن هذا الأمر (ثم يسميه بعينه) خيرًا لي في عاجل أمري وآجله. قال: **أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري. أو قال: في عاجل أمري وآجله فاصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به**»[(٢)].

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل الكذب إلا في ثلاث: يُحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس**»[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مكثتُ سنةً أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبةً له. الحديث. وفيه: فقلتُ: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله ﷺ فقال: «**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة**»[(٤)].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**».

قالت عائشة- أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت. قال: «**ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حُضر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما**

---

(١) مسلم (٢٢١).

(٢) البخاري (الفتح ١٣/ ٧٣٩٠).

(٣) الترمذي (٤/ ١٩٣٩) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٠٨٢).

(٤) البخاري (فتح ٨/ ٤٩١٣) واللفظ له، مسلم (١٤٧٩).

أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟**». فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعدَّ خمسًا، وقال: «**اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحبَّ الناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها**»[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، إن البكر تستحي. قال: «**رضاها صمتها**»[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لنسوة من الأنصار: «**لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة**». فقالت امرأة منهن: أو اثنين يا رسول الله؟ قال: «**أو اثنين**»[٦].

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها**»[٧].

---

(١) البخاري (الفتح ١١/ ٦٥٠٧)، مسلم (٢٦٨٣).

(٢) صحيح النسائي (١٩٦٧)، الصحيحة (٢٣١١).

(٣) الترمذي (٢٣٠٥) وحسنه الألباني.

(٤) البخاري (الفتح ٩/ ٥١٩٣)، مسلم (١٤٣٦) واللفظ له.

(٥) البخاري (الفتح ٩/ ٥١٣٧).

(٦) البخاري (الفتح ٣/ ١٢٤٩)، مسلم (٢٦٣٢) واللفظ له.

(٧) مسلم (٩١٨).

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده. فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول: ابنو لعبدي بيتًا في الجنة وسَمُّوه بيت الحمد»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضتُ صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»(٢).

وعن عائشة ﷺ قالت: فقدتُ رسول الله ﷺ ليلة في الفراش فالتمستُه فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(٣).

أقوال العلماء في (الرضا)

قال لقمان لابنه: أوصيك بخصال تقربك من الله وتباعدك من سخطه: أن تعبد الله لا تشرك به شيئًا وأن ترضى بقدر الله فيما أحببت وكرهت(٤).

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى ﷺ: أما بعد، فإن الخير في الرضا فإن استطعت أن ترضى فاصبر(٥).

وعن عائشة ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ [النساء: ١٢٨] قالت: هو الرجل يرى من امرأته ما لا يعجبه كبرًا أو غيرة فيريد فراقها. فتقول: أمسكني أو اقسم لي ما شئت. قالت: ولا بأس إذا تراضيا(٦).

---

(١) الترمذي (١٠٢١) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٢٠١)، والصحيحة (١٤٠٨).

(٢) البخاري (الفتح ١١/ ٦٤٢٤).

(٣) مسلم (٤٨٦).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٢٢٩).

(٥) المدارج (٢/ ١٨٥).

(٦) البخاري (الفتح ٥/ ٢٦٩٤).

وقال ميمون بن مهران:من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء (١).

وقال الربيع بن أنس:علامة حب الله كثرة ذكره فإنك لا تحب شيئًا إلا أكثرت من ذكره. وعلامة الدين: الإخلاص لله في السر والعلانية. وعلامة الشكر: الرضا بقدر الله والتسليم لقضائه (٢).

وعن مالك بن أنس -رحمه الله- قال:بلغني أن رجلًا من بعض الفقهاء كتب إلى ابن الزبير ﷺيقول: ألا إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم: من رضي بالقضاء وصبر على البلاء وشكر على النعماء وصدق باللسان ووفَّى بالوعد والعهد وتلا لأحكام القرآن وإنما الإمام سوقٌ من الأسواق فإن كان من أهل الحق حمل إليه أهل الحق حقهم وإن كان من أهل الباطل حمل إليه أهل الباطل باطلهم (٣).

وقال ابن القيم:ثمرة الرضا: الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالى (٤).

وقال الفيروزآبادي:رضا العبد عن الله ألا يكره ما يجري به قضاؤه، والرضوان: الرضا الكبير ولما كان أعظم الرضا رضا الله خَصَّ لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالى (٥).

---

(١)الإحياء للغزالي (٣/ ٣٤٦).

(٢)المدارج (٢/ ٢٢٧).

(٣)الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٢).

(٤)ابن أبي الدنيا (في التقوى).

(٥)أدب الدنيا والدين للماوردي (ص ٣٢٩).

من قصص القناعة والرضا

مالك بن دينار ومحمد بن واسع

قال ابن شوذب: اجتمع مالك بن دينار ومحمد بن واسع فتذاكرا العيش. فقال مالك: ما شيء أفضل من أن يكون للرجل غلة يعيش فيها. وقال محمد: طوبى لمن وجد غداء ولم يجد عشاء ووجد عشاء ولم يجد غداء وهو عن الله - عز وجل- راضٍ. أو فقال: والله عنه راضٍ (١).

وزاد أبو نعيم: فانصرف القوم وهم يرون أن محمدًا أقوى الرجلين. ونظر رجل إلى قرحة في رجل محمد بن واسع. فقال: إني لأرحمك من هذه القرحة. فقال: إني لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج في عيني (٢).

بشير الطبري

عن أبي عمرو الكندي قال: أغارت الروم على جواميس لبشير الطبري نحوًا من أربعمائة جاموس. قال: فاستركبني فركبتُ معه أنا وابنٌ له. قال: فلقينا عبيده الذين كانوا مع الجواميس معهم عصيهم. قالوا: يا مولانا، ذهبت الجواميس. فقال: وأنتم أيضًا فاذهبوا معه. فأنتم أحرار لوجه الله. فقال له ابنه: يا أباه. أفقرتنا؟ فقال: اسكت يا بني إن ربي - عز وجل- اختبرني فأحببتُ أن أزيده (٣).

عبد العزيز بن أبي رواد

قال عبد العزيز بن أبي رواد: ليس الشأن في أكل خبز الشعير والخل، ولا في لُبس الصوف والشعر، ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل (٤).

أبو سليمان الداراني

عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان الداراني قال: أرجو أن أكون قد رُزقتُ من الرضا طرفا لو أدخلني النار لكنتُ بذلك راضيًا (٥).

---

(١) الرضا عن الله (٥٢، ٥٣).
(٢) الإحياء (٤/ ٣٦٥).
(٣) الرضا عن الله (٥٤، ٥٥).
(٤) الإحياء (٤/ ٣٦٥).
(٥) الرضا عن الله (٥٠).

رضا (أعرابي)

قال الحسن بن علي البصري: أصبح أعرابي وقد مات له أباعر[1] كثير فقال:

لا والـــذي أنـــا عبـــد في عبادتـــه ... لـــولا شـــماتة أعاديـــه أظـــن
مـــا سَرَّني أن إبـــلي في مباركهـــا ... وأن شـــيئًا قـــضاه الله لم يكـــن[2]

رضا (مريض)

عن الحسن قال: كان رجل بالمصيصة ذاهب النصف الأسفل لم يبق منه إلا روحه في بعض جسده، ضرير على سرير مثقوب فدخل عليه داخل فقال له: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ قال: مَلِك الدنيا منقطع إلى الله. ما لي إليه من حاجة إلا أن يتوفاني على الإسلام[3].

رضا (عابد مُبتلَى)

قال محمد بن أبي القاسم مولى بني هاشم: وعظ عابدٌ جبارًا فأمر به فقُطعت يداه ورجلاه وحُمل إلى مُتعبَّده فجاءه إخوانه يُعزُّونه فقال: لا تُعزُّوني ولكن هنئوني بما ساق الله إليَّ. ثم قال: إلهي، أصبحتُ في منزل الرغائب، أنظر إلى العجائب. إلهي أنت تودَّد بنعمتك إلى من يؤذيك فكيف تودُّدك إلى من يؤذَى فيك؟![4].

---

(١) أباعر: جمع بعير.

(٢) الرضا عن الله (٤٨).

(٣) الرضا عن الله (٩٧، ٩٨).

(٤) الرضا عن الله (٩٧، ٩٨).

المسارعة في الخيرات لغةً واصطلاحًا

المسارعة لغةً

مصدر قولنا: سارع فلانٌ إلى كذا. وهو مأخوذ من مادة (س ر ع) التي تدل على خلاف البطء. ومنه قول العرب: لسرعان ما صنعت كذا، أي: ما أسرعَ ما صنعته. وأما السِّرع من الكرم فهو أسرعُ ما يطلُعُ منه (١).

قال الفيروزآبادي:السرعة ضد البُطء، وتستعمل في الأجسام والأفعال. يقال: سَرُعَ فهو سريعٌ، وأسرع فهو مُسرعٌ. كما يقال: سيرٌ سريعٌ، وفرسٌ سريعٌ. والمصدر من سَرُعُ هو السرعة، والسَّراعة، والسَّرَعُ. وسَارَعَ إلى الخير وتسارع (بمعنى). قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ (٢) [المؤمنون: ٦١]

يسارعون: أي يسابقون مَنْ سابقهم إليها. وسَرَعَانُ الناس: أوائلهم الذين يتسارعون إلى الشيء، ويُقبلون عليه بسرعة، ويجوز فيها تسكينُ الراء. والمساريعُ: جمع مِسراع، وهو الشديدُ الإسراع في الأمور، وهو من أبنية المبالغة (٣).

والمُتَسَرِّع: المبادر إلى الشر، يُقال: تَسرَّع إلى الشر. والمِسْرَع: السريعُ إلى خير أو شر. وسارع إلى الأمر كأسْرَعَ إليه، وسارع إلى كذا وتسرَّع إليه (بمعنى). والمسارعة إلى الشيء: المبادرة إليه (٤).

والفرق بين السرعة والإسراع: أن الإسراع فيه طلبٌ وتكلفٌ، وأما السرعة فكأنها غريزة. يُقال: أسرع أي: طلب ذلك من نفسه وتكلَّفه كأنه أسرع المشي أي: عجَّلَهُ. وأما سَرُعَ فلانٌ: فالمعنى أن السرعة فيه طبعٌ وسجيَّةٌ. وأما قوله - عز وجل-: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]فالمعنى: سارعوا إلى ما يوجب المغفرة، وهي الطاعة. وقيل: أداء الفرائض. وقيل: الإخلاص. وقيل: التوبة من الربا. وقيل: الثبات في القتال. وقيل غير هذا.

---

(١)مقاييس اللغة (٣/ ١٥٣).

(٢)تفسير القرطبي (١٢/ ١٣٣) بتصرف.

(٣)النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٦١).

(٤)لسان العرب (٨/ ١٥١).

قال القرطبي: والآية عامة في الجميع، ومعناها معنى ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨] التي تتضمن الحث والاستعجال على جميع الطاعات بالعموم(١).

المسارعة اصطلاحًا

يمكن أن نُعرِّف ذلك من خلال ما كتبه اللغويون والمفسرون فنقول: المسارعة في الخيرات: هي المبادرة إلى الطاعات، والسبق إليها، والاستعجال في أدائها، وعدم الإبطاء فيها أو تأخيرها(٢).

الآيات الواردة في المسارعة في الخيرات

قال تعالى: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[آل عمران: ١١٣-١١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٥].

وقال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٩-٩٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[المؤمنون: ٥٧-٦١].

---

(١) لسان العرب (٨/ ١٥١).

(٢) نضرة النعيم (٨/ ٣٣٨٨).

الأحاديث الواردة في المسارعة في الخيرات

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويُصبح كافرًا، يبيعُ دينه بعرض من الدنيا**»(١).

وعن يزيد بن الأخنس أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تنافس بينكم إلا في اثنتين: رجل أعطاه الله - عز وجل- القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ويسع ما فيه فيقول رجل: لو أن الله تعالى أعطاني مثل ما أعطى فلانًا فأقوم به كما يقوم به، ورجل أعطاه الله مالًا فهو ينفق ويتصدَّق فيقول رجل: لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانًا فأتصدَّق به.**» الحديث(٢).

وعن عبد الله بن شفيق قال: سألتُ ابن عمر عن صلاة الليل، فقال ابن عمر: سأل رجلٌ النبي ﷺ عن صلاة الليل وأنا بينهما فقال: «**صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشيت الصبح فبادر الصبح بركعة، وركعتين قبل صلاة الغداة**»(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة ثم راح فكأنما قرَّب بَدَنَةً، ومَنْ راح في الساعة الثانية فكأنما قَرَّب بقرةً، ومَنْ راح في الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشًا أقرن، ومَنْ راح في الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة، ومَنْ راح في الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضةً، فإذا خرج الإمامُ حضرت الملائكة يستمعون الذكر**»(٤).

---

(١) مسلم (١٨٦).

(٢) البخاري -الفتح (٩/ ٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

(٣) أحمد (٢/ ٧١) في المسند، وصححه أحمد شاكر (٥٣٩٩).

(٤) البخاري -الفتح (٢/ ٨٨١).



أقوال العلماء في (المسارعة في الخيرات)

عن علي ﷺ قال: تقوى الله مفتاح سداد[١]، وذخيرة معاد، وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة. فبادروا بالأعمال عمرًا ناكسًا[٢]، أو مرضًا حابسًا[٣]، أو موتًا خالسًا[٤]. فإنه هادم لذاتكم، ومباعد طيّاتكم[٥]، زائرٌ غير محبوب، وواترٌ غير مطلوب، قد أعلقتكم حبائلُهُ، وتكنَّفتكم[٦]غوائله، وأقصدتكم معابلُهُ[٧]فيوشك أن تغشاكم دواجي ظُلله، واحتدامُ عِلَلِه، وحنادسُ[٨]غمراته، وغواشي سكراته، وأليمُ إرهاقه، ودُحُوُّ إطباقه، وجشوبة[٩]مذاقه، فأسكت نجيّكم[١٠]، وفرّق نديّكم، فلا تغرَّنّكم الدنيا كما غرتَ مَنْ كان قبلكم من الأمم الماضية والقرون الخالية. الذين احتلبوا دِرَّتها[١١]، وأصابوا عِزَّتها، وأفنوا عِدَّتَها، وأخلقوا جدَّتها، أصبحت مساكنهم أجداثًا، وأموالهم ميراثًا، فإنها غرَّارة[١٢]خدوعٌ، مُعطيةٌ منوعٌ، لا يدوم رخاؤها، ولا ينقضي عناؤها، ولا يركدُ بلاؤها[١٣].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ في الآية ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢] قال: سابقُنا سابقٌ[١٤].

---

(١) السداد: ما يسر به الشيء.
(٢) الناكس: الراجع.
(٣) الحابس: الذي يمنع صاحبه من العمل.
(٤) الموت الخالص: الذي يأخذ صاحبه على غفلة.
(٥) الطيات: النيات.
(٦) التكنف: الحلول بالأكناف وهي الضواحي.
(٧) المعابل: نصل عريضٌ طويلٌ.
(٨) الحنادس: الظلم.
(٩) الجشوبة: خشونة المذاق.
(١٠) النجي: القوم يتناجون.
(١١) الدرة: اللبن.
(١٢) غرارة: فعالة من الغرور.
(١٣) منال الطالب لابن الأثير (٣٦٤).
(١٤) الدر المنثور (٥/ ٤٧٣).

وعن عبد الله بن عباس ﷺ قال في الآية السابقة ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ قال: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب[١].

وعن ابن مسعود في الآية ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ قال: يدخلون الجنة بغير حساب[٢].

وعن أبي زيد في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨] قال: فسارعوا في الخيرات[٣].

وعن ابن عباس في قوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦١] قال: سبقت لهم السعادة من الله[٤].

وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] يقول: سارعوا بالأعمال الصالحة إلى مغفرة من ربكم[٥].

عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٥١] قال: كانوا كذلك يومئذ أول مَنْ آمن بآياته حين رآها[٦].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [آل عمران: ١١٤] التي يعملونها مبادرين غير متثاقلين لمعرفتهم بقدر ثوابهم. وقيل: يبادرون بالعمل قبل الفوت[٧].

وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] قال: المسارعة: المبادرة. أي: سارعوا إلى ما يوجب المغفرة وهي الطاعة[٨].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الدر المنثور (١/ ٢٧٢).
(٤) المرجع السابق (٥/ ٢٢).
(٥) المرجع السابق (٢/ ١٢٨).
(٦) المرجع السابق (٥/ ١٦٥).
(٧) تفسير القرطبي (٤/ ١١٣، ٢/ ١١٢).
(٨) تفسير القرطبي (٤/ ١١٣، ٢/ ١١٢).



وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] أي: إلى الخيرات، أي: بادروا ما أمركم به الله - عز وجل- من استقبال البيت الحرام، وإن كان يتضمن الحث على المبادرة والاستعجال إلى جميع الطاعات بالعموم. يقول: والمعنى المراد بالمبادرة بالصلاة أول وقتها(١).

قال أبو حيان الأندلسي في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] هذا أمر بالتبكير إلى فعل الخير والعمل الصالح وناسب هذا أن مَنْ جعل الله له شريعة أو قبلة أو صلاة فينبغي الاهتمام بالمسارعة إليها(٢).

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إن للقلوب شهوة وإدبارًا، فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها(٣).

قال ابن الجوزي: مَنْ علم قرب الرحيل عن مكة استكثر من الطواف، خصوصًا إن كان لا يؤمِّل العودَ لكبر سنه وضعف قوته، فكذلك ينبغي لمنْ قارب ساحل الأجل بعُلُوِّ السنة أن يُبادر اللحظات، وينتظر الهاجم بما يصلح له، فقد كان في قوس الأجل مَنزعٌ زمان الشباب(٤).

وقال: من عجائب ما أرى من نفسي ومن الخلق كلهم الميل إلى الغفلة عما في أيدينا من العلم بقصر العمر، وأن زيادة الثواب هناك بقدر العمل هاهنا. فيا قصير العمر، اغتنم يومي مني، وانتظر ساعة النَّفْر، وإياك أن تشغل قلبك بغير ما خُلق له، واحمل نفسك على المُرِّ. واقمعها إذا أبت، ولا تُسرح لها في الطول، فما أنت إلا في مرعى، وقبيحٌ بمَنْ كان بين الصَّفَّين أن يتشاغل بغير ما هو فيه(٥).

وقال: البدارَ البدارَ يا أرباب الفهوم، فإن الدنيا مَعْبَرٌ إلى دار إقامة، وسفرٌ إلى المستقر

---

(١) تفسير القرطبي (٤/ ١١٣، ٢/ ١١٢).

(٢) البحر المحيط (١/ ١٦٢).

(٣) الفوائد (٢٠٢).

(٤) صيد الخاطر لابن الجوزي (٣٥٤).

(٥) صيد الخاطر لابن الجوزي (٤٩٢).

والقرب من السلطان ومجاورته، فتهيئوا للمجالسة، واستعدوا للمخاطبة، وبالغوا في استعمال الأدب، لتصلحوا للقرب من الحضرة. ولا يشغلنكم عن تضمير الخيل تكاسل، وليحملكم على الجد في ذلك تذكركم يوم السباق. فليتذكر الساعي حلاوة التسليم إلى الأمين، وليتذكر في لذاذة المدح يوم السباق، وليحذر المُسابق من تقصير لا يمكن استدراكه[١].

وقال: كم يُضيِّع الآدمي من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل، وهذه الأيام مثل المزرعة، فكأنه قيل للإنسان: كلما بذرت حبَّةً أخرجنا لك ألفَ كُرٍّ[٢]. فهل يجوز للعاقل أن يتوقف في البذر ويتوانى؟![٣].

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي(٣٧٢).
(٢) الكُرُّ: مكيالٌ ضخمٌ يساوي ستين قفيزًا.
(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي (٦٠٣).

مباحث هامة

المسارعة والمسابقة والمبادرة

هذه الألفاظ الثلاثة متقاربة المعنى إلى حد كبير، ومع أن بينها فروقًا في الاستعمال في كثير من السياقات، إلا أن بينها ما يسميه بعض اللغويين بالترادف الجزئي ويُراد به أن يستعمل اللفظان أو الألفاظ استعمالًا واحدًا في بعض السياقات دون بعضها الآخر، والألفاظ الثلاثة (المسارعة -المسابقة -المبادرة) من هذا القبيل.

أي إنها عند الاقتران بالخيرات أو العمل الصالح يكون لها المعنى نفسه، وقد كثر لفظ (المبادرة) في الحديث الشريف، ولفظ المسارعة في القرآن الكريم، أما المسابقة فقد وردت فيهما على سواء. ومن الألفاظ الحديثية التي تؤدي معنى المسارعة أو المبادرة لفظ التبكير وخاصة إذا اقترن بأداء الصلاة[(١)].

من فوائد المسارعة في الخيرات

١- المسارعة في الخيرات والأعمال الصالحة مرضاة للرب - عز وجل - ومغضبةٌ للشيطان.
٢- المسارعة في الخيرات ترفع صاحبها إلى جنات عدن حيث النعيم المقيم والفضل العظيم.
٣- السبق إلى الخيرات يجعل صاحبه من المفلحين في الدنيا والآخرة.
٤- المبادرة إلى العمل الصالح تُوجد نوعًا من التنافس الحميد الذي يرقي بالمجتمع.
٥- السابق إلى الخيرات يغبطه أصحابه ويتمنون أن يصيروا مثله ويمتدحونه بهذا السبق.
٦- السابقون إلى الخيرات يدركون مقاصدهم ولا يرجعون خائبين أبدًا.
٧- المبادرة إلى الصلاة في أوقاتها وعدم التخلف عن الجماعة الأولى تجعل لصاحبها من الفضيلة ما يسبق به المتخلفين بها هو أبعد مما بين المشرقين والمغربين.
٨- المبادرة بالأعمال الصالحة تجعل صاحبها في مأمن من الفتن أو الأمور التي قد تشغل الإنسان وتلهيه مثل المرض أو الفقر أو الغنى المُطغى أو الهرم.
٩- المسارعة إلى صلاة الجمعة والذهاب إليها في الساعة الأولى يُعظِّم الأجر ويجزل الثواب.
١٠- السابقون إلى الخيرات يدخلون الجنة بغير حساب[(٢)].

---

(١) نضرة النعيم (٨/ ٣٣٨٨).

(٢) نضرة النعيم (٨/ ٣٣٩٩).

قصص وعِبَرٌ في مسارعة السلف إلى الخير

النبي صلى الله عليه وسلم

عن أنس ﷺ قال: كان النبيﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبيﷺ سبقهم على فرس، وقال: «**وجدناه بحرًا**»[١].

أبو بكر الصديق

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: أمرنا رسول اللهﷺ أن نتصدَّق فوافق ذلك مالًا، فقلتُ: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقتُه يومًا. قال: فجئتُ بنصف مالي. فقال رسول اللهﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلتُ: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده. فقال: «**يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلتُ: والله لا أسبقُهُ إلى شيء أبدًا.[٢]

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: مرَّ رسول اللهﷺ وأنا معه وأبو بكر على عبد الله بن مسعود وهو يقرأ، فقام فسمع قراءته، ثم ركع عبد الله وسجد. قال: فقال رسول اللهﷺ: «**سَلْ تُعطه**». قال: ثم مضى رسول اللهﷺ وقال: «**مَنْ سرَّه أن يقرأ القرآن غضًا كما أُنزل فليقرأه من ابن أم عبد**». قال: فأدلجتُ إلى عبد الله بن مسعود لأبشِّرَه بما قال رسول الله ﷺ. قال: فلما ضربتُ الباب، أو قال: لما سمع صوتي. قال: ما جاء بك هذه الساعة؟ قلتُ: لأبشرك بما قال رسول الله ﷺ. قال: قد سبقك أبو بكر. قلتُ: إن يفعل فإنه سبَّاق بالخيرات ما استبقنا خيرًا قطُّ إلا سَبقنا إليه أبو بكر[٣].

عكاشة بن محصن

عن ابن عباسﷺ قال: قال النبيﷺ: «**عُرضت عليّ الأمم فأخذ النبي يمرُّ معه الأمة، والنبي يمرُّ معه العشرة، والنبي يمرُّ معه الخمسة، والنبي يمرُّ وحده، فنظرتُ فإذا سوادٌ كثيرٌ. قلتُ: يا جبريل، هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرتُ فإذا**

---

(١) البخاري –الفتح (٦/ ٢٨٢٠)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٢) الترمذي (٣٦٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أحمد في مسنده (١/ ٣٨، ١/ ٢٦)، وصححه أحمد شاكر (١٧٥)، (٢٦٥).

سوادٌ كثيرٌ. قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب. قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون».

فقام إليه عكاشة بن محصن. فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: **«اللهم اجعله منهم»**. ثم قام إليه رجلٌ آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: **«سبقك بها عكاشة»**[١].

عبد الله بن عمر

عن ابن عمر ﭫ قال: أقبل النبي ﷺ عام الفتح وهو مُردِفٌ أسامة على القصواء، ومعه بلال وعثمان بن طلحة حتى أناخ عند البيت.

ثم قال لعثمان: ائتنا بالمفتاح. فجاءه بالمفتاح ففتح له الباب، فدخل النبي ﷺ وأسامة وبلال وعثمان، ثم أغلقوا عليه الباب.

فمكث نهارًا طويلًا، ثم خرج. وابتدر الناس الدخول فسبقتُهم، فوجدتُ بلالًا قائمًا من وراء الباب. فقلتُ له: أين صلى رسول الله ﷺ ؟

فقال: صلى بين ذنيك العمودين المقدمين. وكان البيتُ على ستة أعمدة سطرين، صلى بين العمودين من السطر المقدَّم. وجعل باب البيت خلف ظهره.

واستقبل بوجهه الذي يستقبلك حين تلجُ البيت، بينه وبين الجدار. قال: ونسيتُ أن أسأله كم صلى. وعند المكان الذي صَلى فيه مرمرةٌ حمراء[٢].

أصحاب النبي ﷺ

عن أنس بن مالك ﭬ قال: كان المؤذن إذا أذن قام ناس من أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري، حتى يخرج النبي ﷺ وهم كذلك يصلون الركعتين قبل المغرب ولم يكن بين الأذان والإقامة شيء.[٣]

(١) البخاري -الفتح (١١/ ٦٥٤١) واللفظ له، ومسلم (٣٦٧).

(٢) البخاري -الفتح (٧/ ٤٤٠٠).

(٣) البخاري -الفتح (٢/ ٦٢٥).

الورع لغة واصطلاحًا

الورع لغةً

مصدر قولهم: وَرِعَ يَرِعُ. وهو مأخوذ من مادة (و ر ع) التي تدل على الكَفِّ والانقباض.

قال ابن فارس: ومنه الوَرَعُ: العفة، وهي الكَفُّ عما لا ينبغي. والورع: الرجل الجبان. والفعل منه وَرُعَ يَوْرُعُ وُرْعًا إذا كان جبانًا، وورَّعتُهُ وأورعتُه: كففتُه.

قال الجوهري: قال ابن السكيت: وأصحابنا (الكوفيون) يذهبون بالورع إلى الجبان وليس كذلك، وإنما الورع: الصغير الضعيف الذي لا غناء عنده، ويقال من ذلك: إنما مال فلان أوراعٌ: أي صغارٌ. والوَرِعُ (بكسر الراء) الرجلُ التقيُّ، وتورَّع من كذا أي: تحرَّجَ.

قال ابن منظور: الوَرَعُ التحرُّجُ، والوَرِعُ بكسر الراء: الرجلُ التقيُّ المُتحرِّجُ.

قال الفيروزآبادي: الوَرَعُ التقوى، وقد وَرِعَ كَوَرِثَ، وَوَجِلَ، وَوَضَعَ، وَكَرُمَ أي تحرَّج. والورع في الأصل: الكفُّ عن المحارم والتحرُّج منها، ثم استُعير للكَفِّ عن المباح والحلال[1].

الورع اصطلاحًا

قال الكفوي: الورع: الاجتناب عن الشهوات سواء كان تحصيلًا أو غير تحصيل إذ قد يفعل المرء فعلًا تورُّعًا، وقد يتركه تورعًا أيضًا، ويُستعمل بمعنى التقوى وهو الكفُّ عن المحرمات مطلقًا.[2].

قال المناوي: قيل: الورع ترك ما يريبك، ونفي ما يعيبك، والأخذ بالأوثق، وحمل النفس على الأشق[3].

وقال الراغب: الورع عبارة عن ترك التسرع إلى تناول أعراض الدنيا[4].

وقال ابن تيمية: هو الورع عما قد تخاف عاقبته وهو ما يُعلمُ تحريمه وما يشك في

---

(١) لسان العرب (٦/ ٤٨١٤)، (٨/ ٣٨٨)، الصحاح (٣/ ١٢٩٧)، مقاييس اللغة (٦/ ١٠٠).

(٢) الكليات للكفوي (٩٤٤).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٣٧).

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٢٣).

تحريمه، وليس في تركه مفسدة أعظم من فعله. وكذلك الاحتيال بفعل ما يُشَكُّ في وجوبه لكن على هذا الوجه[(١)].

وقال ابن القيم: ترك ما يُخشى ضررُه في الآخرة[(٢)].

وقيل: هو ترك الشبهات وهو الورع المندوب، ويطلق على ترك المحرمات[(٣)]. وقيل: ترك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس.

الأحاديث الواردة في الورع

عن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: **«البر حسن الخُلُق، والإثم ما حَاكَ في صدرك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس»**[(٤)].

وعن وابصة بن معبد صاحب النبي ﷺ قال: جئتُ إلى رسول الله ﷺ أسأله عن البر والإثم. فقال: **«جئت تسأل عن البر والإثم؟»** فقلت: والذي بعثك بالحق ما جئتُك أسألك عن غيره. فقال: **«البر ما انشرح له صدرك، والإثم ما حاك في صدرك وإن أفتاك عنه الناس»**[(٥)].

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ: **«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينةٌ وإن الكذب ريبةٌ»**[(٦)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أيها الناس، اتقوا الله، وأجملوا في الطلب، فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب. خذوا ما حَلَّ، ودعوا ما حَرُمَ»**[(٧)].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«الحلال بيِّنٌ، والحرام**

---

(١) الفتاوى (١٠/ ٥١١، ٥١٢).

(٢) الفوائد (١١٨).

(٣) دليل الفالحين لابن علان (٣/ ٦٢).

(٤) مسلم (٢٥٥٣).

(٥) أحمد (٤/ ٢٧٧) واللفظ له، والدارمي (٢/ ٢٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٧٨).

(٦) النسائي (٨/ ٣٢٧، ٣٢٨)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٥٢٦٩) والترمذي (٢٥١٨) واللفظ له، وصححه أحمد شاكر (٣/ ١٦٩) رقم (١٧٢٣).

(٧) ابن ماجه (٢١٤٤) واللفظ له، والحاكم (٢/ ٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٧٥٦).

بَيِّنٌ، وبينهما مشتبهاتٌ لا يعلمها كثيرٌ من الناس، فمن اتقى المُشتبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومَنْ وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمي، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغةٌ إذا صلحت صلح الجسد كُلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كُلُّه، ألا وهي القلب »[١].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع »[٢].

أقوال العلماء في الورع

قال طاوس رحمه الله: مثل الإسلام كمثل الشجرة، فأصلها الشهادة، وساقها كذا وكذا، وورقها كذا -شيء سمّاه- وثمرها الورع، لا خير في شجرة لا ثمر لها، ولا خير في إنسان لا ورع له [٣].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: عليك بالورع يُخفف الله حسابك، ودع ما يريبك إلا ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلمُ لك دينك [٤].

وقال الحسن البصري رحمه الله: أفضل العلم الورع والتوكل [٥].

وقال: ما عبد العابدون بشيء أفضل من ترك ما نهاهم الله عنه [٦].

وقال: الفقيه الورع الزاهد المقيم على سُنَّة محمد ﷺ الذي لا يسخر بمَنْ أسفل منه، ولا يهزأ بمَنْ فوقه، ولا يأخذ على علم علَّمَهُ الله - عز وجل- حُطامًا [٧].

وقال: ما في الأرض شيء أحب للناس من قيام الليل. فقال له قائل: فأين الورع؟

---

(١) البخاري- الفتح (١/ ٥٢) اللفظ له، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) البزار والطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرك عن حذيفة، والحاكم عن سعد بن أبي وقاص، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢١٤).

(٣) الورع لابن أبي الدنيا (١٠٩).

(٤) نفس المصدر (١١٢)، والحلية (٧/ ٢٠).

(٥) الزهد لابن حنبل (٣٢٥).

(٦) الورع لابن أبي الدنيا (٤٢).

(٧) الآداب الشرعية (٢/ ٤٥).

قال: به به، ذلك ملاك الأمر[١].

وقال -رحمه الله- لغُلام: ما ملاك الدين؟ قال: الورع. قال: فما آفتُهُ؟ قال: الطمع. فعجب الحسن منه[٢].

قال حبيب -يعني ابن أبي ثابت- رحمه الله: لا يعجبكم كثرة صلاة امرئ ولا صيامه، ولكن انظروا إلى ورعه، فإن كان ورعًا مع ما رزقه الله من العبادة فهو عبد لله حقًّا[٣].

قال الغزالي: لن يَعْدِمَ الْمُتورّعُ عن الحرام فتوحًا من الحلال[٤].

وقال الشافعي: زينة العلم الورع والحلم[٥].

وقال النضر بن محمد: نُسُكُ الرجل على قدر ورعه.

وقال خالد بن معدان: مَنْ لم يكن له حلم يضبط به جهله، وورع يحجزه عما حرَّم الله عليه، وحسن صحابة عمن يصحبه، فلا حاجة لله فيه[٦].

وقال يحيى بن أبي كثير: يقول الناس: فلان الناسك، فلان الناسك، إنما الناسك الورَع.

وقال سهل التستري: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال:

١- أداء الفرائض بالسُّنَّة ٢- أكل الحلال بالورع

٣- اجتناب النهي من الظاهر والباطن ٤- الصبر على ذلك إلى الموت.

وقال الشبلي: الورع: أن يتورَّع عن كل ما سوى الله.

وقال يونس بن عبيد الله: الورع: الخروج من كل شبهة، ومحاسبة النفس في كل طرفة عين.

---

(١) الورع (٥٠).

(٢) المدارج (٢/ ٢٣).

(٣) الورع (٥١).

(٤) الإحياء (١/ ٢٢٣).

(٥) الآداب الشرعية (٢/ ٤٥)

(٦) الورع لابن أبي الدنيا (١١٧).

وقال يحيى بن معاذ: الورع: الوقوف على حَدِّ العلم من غير تأويل. وقال: الورع على وجهين؛ ورع في الظاهر، وورع في الباطن؛ فورع الظاهر: أن لا يتحرك إلا لله. وورع الباطن: هو أن لا تُدخل قلبك سواه.

وقال: من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء.

وقال الهروي. الورع تَوقٍّ مستقصى على حذر، وتحرُّجٌ على تعظيم.

وقال ابن القيم: يعني أن يتوقَّى الحرام والشُّبَهِ، وما يخاف أن يضره أقصى ما يمكنه من التوقِّي. والتوقِّي: فعل الجوارح. والحذر: فعل القلب. ويكون الباعث على الورع عن المحارم والشُّبَه: إما حذِرُ الوعيد. وإما تعظيم الرب -جل جلاله-، وإجلالًا له أن يتعرض لما نهى عنه، فقد يتوقى العبد شيء لا على وجه الحذر والخوف، ولكن لأمور أخرى، من إظهار نزاهة وعزة وتصوف، أو اعتراض آخر، كتوقي الذين لا يؤمنون بمعاد ولا جنة ولا نار، ما يتوقونه من الفواحش والدناءة تصوُّنًا عنها، ورغبة بنفوسهم عن مواقعتها، وطلبًا للمحمدة ونحو ذلك[١].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٣).

من قصص الورع

علي بن الفضيل بن عياض

كان يحمل على أباعر لأبيه، فنقص الطعام الذي حمله، فحبس عنه الكراء، فأتى الفضيل إليهم. فقال: أتفعلون هذا بعليٍّ، فقد كانت لنا شاة بالكوفة، أكلت شيئًا يسيرًا من علف أمير، فما شرب لها لبنًا بعد. قالوا: لم نعلم يا أبا علي أنه ابنك[١].

وعن عمر بن بشر المكي عن الفضيل قال: أهدى لنا ابن المبارك شاة فكان ابني لا يشرب منها، فقلتُ له في ذلك فقال: إنها قد رعت بالعراق[٢].

حسان بن أبي سنان

قال عبد الله: كتب غلام حسان بن أبي سنان إليه من الأهواز أن قصب السكر أصابته آفة، فاشتر السكر فيما قبلك.

قال: فاشتراه من رجل، فلم يأت عليه إلا قليل، فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفًا، فأتى صاحب السكر فقال: يا هذا، إن غلامي كان كتب إليّ ولم أُعلمك فأقلني فيما اشتريت منك.

فقال الآخر: فقد أعلمتني الآن وطيَّبتُه لك. قال: فرجع فلم يحتمل قلبُه.

قال: فأتاه، فقال: يا هذا، إني لم آت هذا الأمر من قبل وجهه، فأحب أن يُسترد هذا البيع. قال: فما زال به حتى رد عليه[٣].

محمد بن واسع

قال الربيع اليحمدي: رأيتُ محمد بن واسع يبيع حمارًا بسُوق بلخ، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيتُه لم أبعه[٤].

---

(١) الحلية (٨/ ٢٩٨).

(٢) السير (٨/ ٤٤٦).

(٣) الورع لابن أبي الدنيا (١٠٥).

(٤) نفس المصدر (١٠٦).

أبو بكر بن عيَّاش

قال يحيى بن سعيد: زاملتُ أبا بكر بن عياش إلى مكة، فما رأيت أورع منه، لقد أَهدى له رجلٌ رُطبًا، فبلغه أنه من بستان أُخذ من خالد بن سلمة المخزومي، فأتى آل خالد، فاستحلهم، وتصدَّق بثمنه[١].

أبو جميل

قال زكريا المروزي: جاء رجل بكتاب إلى أبي جميل، فقال له: هذا الكتاب تحمله معك. قال: حتى أستأمر الحمَّال. قال: فأتى به عبد الله بن المبارك، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هذا الكتاب تحمله معك. قال: ادفعه إلى الغلام. فقال: إني أتيت أبا جميل. فقال: حتى أستأمر الحمَّال.

قال ابن المبارك: ومن يُطيق ما يطيق أبو جميل، مرتين[٢].

عمرو بن قيس

قال علي بن يزيد: كان عمرو بن قيس إذا باع الثوب -يعني المقطوع- قال: أبرأ إليك من العرض في الطول، ومن الطول في العرض، وما أفسد الحائك والعقد[٣].

أبو داود الحفري

قال الجوهري: رأيتُ أبا داود الحفري وعليه خرقتان: إزارٌ ورداءٌ فيه عِدَّة رقاع، وكان إذا أراد أن ينتثر خرج من المسجد، وكان مسجدهم محصّبًا. فقيل له: أليس كفارتُها دفنُها؟ فيقول: لعلي أؤخذ قبل أن أُكَفِّر[٤].

أبو عبد الله الطوسي

كان لأبي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها على رقبته كُلَّ يوم إلى الصحراء، ويرعاها وهو يصلي، وكان يأكل من لبنها، فغفل عنها ساعة، فتناولت من ورق كرم على طرف بستان، فتركها في البستان ولم يستحل أخذها[٥].

---

(١) السير (٨/ ٤٩٩).

(٢) الورع لابن أبي الدنيا (١٠٢).

(٣) نفس المصدر (١٠٥).

(٤) السير (٩/ ٤١٥).

(٥) الإحياء (٢/ ١٢٥).

أبو العباس الخطاب

قال ابن أبي خالد الخطاب: كنت مع أبي العباس الخطاب، وقد جاء يُعزِّي رجلًا ماتت امرأته، وفي البيت بساط، فقام أبو العباس على باب البيت، فقال: أيها الرجل، معك وارثٌ غيرك؟

قال: نعم. قال: فما قعودك على ما لا تملك، أو كلامًا ذا معناه. قال: فتنحى الرجل عن البساط[1].

(١) الورع لابن حنبل (٢٣).

اليقين لغةً واصطلاحًا

اليقين لغةً

مصدر قولهم (يَقَنَ)، وهو يرجع إلى مادة (ي ق ن) التي تدل على زوال الشك. وقيل: اليقين: صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها. يقال: علم يقين، ولا يقال: معرفة اليقين.

قال ابن منظور: اليقين: هو العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر. يقال من ذلك: أيقن يُوقن إيقانًا فهو مُوقن. ويَقِنَ يَيْقَنُ يَقْنًا فهو يَقِنٌ. واليقين: نقيض الشك، والعلم نقيض الجهل. تقول: علمتُه يقينًا (أي: علمًا لا شك فيه). وفي التنزيل ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الحاقة: ٥١]. أضاف الحق إلى اليقين لا أنه غيرُه، إنما هو خالصه وأصحُّهُ فصار بمنزلة إضافة البعض إلى الكل. واليقين هو الموت في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] وإنما صارت الياء واوًا في قولك مُوقن للضمة قبلها، وإذا صغَّرتها رددتها إلى الأصل في قولك مُيَيْقِنٌ، وربما عبَّروا عن الظن باليقين، وباليقين عن الظن.

قال الجوهري: اليقين: العلم وزوال الشك. يقال منه: يَقِنتُ بالأمر يقنًا (ويقنًا)، وأيقنتُه وأيقنتُ به واستيقنتُه، واستيقنتُ به، وتيقَّنَتُ: كُلُّه بمعنى: أي علمتُه وتحققتُه. ويقال: هو يِقَنٌ، ويقُنٌ، ويَقَنٌ، ويَقَنَةٌ، ومِيقانٌ: إذا كان لا يسمع شيئًا إلا أيقنه[١].

اليقين اصطلاحًا

قال الكفوي: اليقين هو أن تعلم الشيء ولا تتخيل خِلافه[٢].

وقال رحمه الله: اليقين: هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع. وقيل: هو عبارة عن العلم المستقر في القلب لثبوته من سبب متعين له بحيث لا يقبل الانهدام[٣].

قال الجرجاني: اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقًا للواقع غير ممكن الزوال[٤].

---

(١) لسان العرب (٥/ ٤٩٦٤)، الصحاح (٦/ ٢٢١٩)، والمقاييس (٦/ ١٥٧)، بصائر ذوي التميز (٣٩٥).

(٢) الكليات (٦٧).

(٣) الكليات (٩٧٩).

(٤) التعريفات للجرجاني (٢٥٩).

قال المناوي: اليقين هو العلم بالشيء بعد أن كان صاحبه شاكًّا فيه ولذلك لا يُطلق على علمه تعالى [(١)].

قال التهانوي: اليقين هو الاعتقاد الجازم المطابق الثابت، أي: الذي لا يزول بتشكيك المتشكك فبالاعتقاد يخرج عن الشك، وبالجازم يخرج الظن، وبالمطابق يخرج الجهل، وبالثابت يخرج اعتقاد المقلد [(٢)].

قال الراغب: اليقين هو سكون الفهم مع ثبات الحكم [(٣)].

الآيات الواردة في اليقين

اليقين هبة من الله لبعض عباده

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٨].

الاستعداد للآخرة دليل على اليقين

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١-٥].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۝ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠].

وقال تعالى: ﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ١-٣].

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٣٤٧).

(٢) الكليات (٢١٣- ٩٨٠).

(٣) المفردات للراغب (٥٥٢).

وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[لقمان: ١-٤].

اليقين بمعنى الموت

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[الحجر: ٩٧-٩٩].

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾[المدثر: ٣٨- ٤٧].

ثواب المُوقنين

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[السجدة: ٢٣-٢٥].

الأحاديث الواردة في اليقين

عن أبي هريرة ﷺ قال: كنا قعودًا حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا[١] فأبطأ علينا وخشينا أن يُقتطع[٢] دوننا وفزعنا[٣] فقمنا، فكنتُ أول من فزع فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيتُ حائطًا للأنصار لبني النَّجَّار، فدُرتُ به هل أجدُ له بابًا؟

فلم أجد، فإذا ربيعٌ يدخل في جَوف حائط[٤] من بئر خارجة (والربيع: الجدول)

(١) أظهرنا: أي بيننا.

(٢) أن يقتطع: أن يُصاب بمكروه من عدو.

(٣) فزعنا: زعرنا.

(٤) حائطًا: بستانًا.

فاحتفزت كما يحتفزُ الثعلبُ، فدخلتُ على رسول الله ﷺ، فقال: «**أبو هريرة؟**». فقلتُ: نعم، يا رسول الله. قال: «**ما شأنك؟**» قلتُ: كنتَ بين أظهرنا، فقمتَ فأبطأت علينا، فخشينا أن تُقتطع دوننا، ففزعنا، فكنتُ أول مَن فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزتُ[١] كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي. فقال: «**يا أبا هريرة**» (وأعطاني نعليه). قال: «**اذهب بنعلي هاتين فمَنْ لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبُه فبشره بالجنة**» فكان أول مَنْ لقيت عمر. فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلتُ: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما، من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه بشرته بالجنة فضرب عمرُ بيده بين ثدييَّ فخررت لاستي[٢]. فقال: ارجع يا أبا هريرة. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشتُ بكاءً وركبني عمرُ، فإذا هو على إثري.

فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما لك يا أبا هريرة؟**» قلتُ: لقيتُ عمر فأخبرته بالذي بعثتني به، فضربني بين ثديي ضربةً خررتُ لاستي، قال: «**ارجع**». فقال له رسول الله ﷺ: «**يا عمر، ما حملك على ما فعلت؟**» قال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك، مَنْ لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبُه بشَّره بالجنة؟ قال: «**نعم**» قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتَّكِل الناس عليها، فخلِّهم يعملون. قال رسول الله ﷺ: «**فخَلِّهم**»[٣].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي، اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

قال: «**ومَنْ قالها من النهار مُوقنًا بها فمات من يومه قبل أن يُمسي فهو من أهل الجنة، ومَن قالها من الليل وهو مُوقنٌ بها فمات قبل أن يُصبح فهو من أهل الجنة**»[٤].

---

(١) أي: تضاممت ليسعني المدخل.
(٢) أي: سقطت على الأرض.
(٣) مسلم (١/ ٣).
(٤) البخاري -الفتح (١١/ ٦٣٠٦).

أقوال العلماء في اليقين

قال ابن مسعود ﷺ: اليقين الإيمان كُلُّهُ[(١)].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحًا وحُزنًا وشوقًا إلى الجنة، أو خوفًا من النار[(٢)].

وقال سهل رحمه الله: اليقين من زيادة الإيمان، ولا ريب أن الإيمان كسبيٌّ باعتبار أسبابه، موهبيٌّ باعتبار نفسه وذاته[(٣)].

وقال قتادة في قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الواقعة: ٩٥] قال: إن الله - عز وجل- ليس تاركًا أحدًا من خلقه حتى يقفه على اليقين من هذا القرآن، فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حتى لا ينفعه اليقين[(٤)].

وقال في قوله تعالى ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [التكاثر: ٥] قال: كنا نُحدِّث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعثُهُ بعد الموت[(٥)].

وقال مجاهد في قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الواقعة: ٩٥] قال: الخبر اليقين[(٦)].

وقال ابن عطاء: على قدر قربهم من التقوى أدركوا من اليقين، وأصل التقوى مباينة المنهي عنه، فعلى مفارقتهم النفس وصلوا إلى اليقين[(٧)].

وقال الجنيد: اليقين هو استقرار العلم الذي لا يَحُولُ ولا ينقلبُ ولا يتغير في القلب[(٨)].

وقال ابن خفيف: هو تحقُّقُ الأسرار بأحكام المُغيَّبات[(٩)].

---

(١) البخاري -الفتح (١/ ٦٠) كتاب الإيمان، باب (١).
(٢) حلية الأولياء (٧/ ١٧).
(٣) بصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٩٧).
(٤) الدر المنثور (٨/ ٤٠).
(٥) الدر المنثور (٨/ ٦٢١).
(٦) الدر المنثور (٨/ ٦٢٢).
(٧) بصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٩٧)
(٨) بصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٩٧)
(٩) بصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٩٧)



وقال أبو بكر بن طاهر: العلم يعارضه الشكوك، واليقين لا شك فيه. وعند القوم: اليقين لا يُساكن قلبًا فيه سكونٌ إلى غير الله(١).

وقال أبو بكر الورَّاق: اليقينُ مِلَاكُ القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عُرف الله، وبالعقل عُقل عن الله(٢).

وقال ذو النون: ثلاثة من أعلام اليقين: قِلَّة مخالطة الناس في العِشرة، وترك المدح لهم في العطية، والتنزُّه عن ذَمِّهم عند المنع(٣).

وقال رحمه الله: اليقين يدعو إلى قصر الأمل، وقصر الأمل يدعو إلى الزهد، والزهد يورث الحكمة، وهي تورث النظر في العواقب(٤).

وقال ابن تيمية: بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين(٥).

وقال رحمه الله: الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كُلُّهُ(٦).

وقال بعضهم: رأيتُ الجنة والنار حقيقةً. قيل له: وكيف؟ قال: رأيتُها بعيني رسول الله ﷺ ورؤيتي لهما بعينيه أوثق عندي من رؤيتي لهما بعيني، فإن بصري قد يخطئ بخلاف بصره ﷺ(٧).

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٩٧).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٩٧).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٩٧).

(٤) بصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٩٧).

(٥) مجموع الفتاوى.

(٦) مجموع الفتاوى.

(٧) بصائر ذوي التمييز (٥/ ٤٠٠).

من قصص اليقين

عبد الله بن مسعود

تناوله المشركون بالأذى، لأنه أسمعهم القرآن في ناديهم إلى جوار الكعبة، حتى تركوه وهو يترنح لا يصلب قامته. فكان يقول بعد هذا الأذى المنكر الفاجر الذي ناله: والله ما كانوا أهون عليَّ منهم حينذاك!! كان يستيقنُ أن الذي يحادّ الله مغلوبٌ هَيِّنٌ على الله، فينبغي أن يكون مهينًا عند أولياء الله.

عثمان بن مظعون

وهذا عثمان بن مظعون يرد جوار عتبة بن ربيعة، ويضربه المشركون، وآذوه حتى خسروا عينيه، فدعاه عتبة إلى جواره. فقال لعتبة: لأنا في جوار مَنْ هو أعزُّ منك. ولما قال له عتبة: يا بن أخي لقد كانت عينك في غِنىً عما أصابها. فقال: لا والله، وللأُخرى أحق لما يصلحها في سبيل الله.

ثابت بن الدَّحْدَاحَة

عن عبد الله بن عمار الحطمي قال: أقبل ثابتُ بن الدحداحة ﷺ يوم أُحد والمسلمون أوزاعٌ، قد سُقط في أيديهم، فجعل يصيح: يا معشر الأنصار، إليّ إليّ، أنا ثابت بن الدحداحة، إن كان محمدٌ ﷺ قد قُتل، فإن الله حي لا يموت، فقاتلوا عن دينكم، فإن الله مُظهرُكم وناصرُكم.

فنهض إليه نفرٌ من الأنصار فجعل يحمل بمن معه من المسلمين، وقد وقفت له كتيبة خشناء فيها رؤساؤهم: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب، فجعلوا يناوشونهم، وحمل عليهم خالد بن الوليد بالرمح فطعنه فأنفذه، فوقع فيها، وقتل من كان معه من الأنصار.

عُميرُ بنُ الحمام

وهذا عمير بن الحمام لما سمع رسول الله ﷺ يقول لأصحابه يوم بدر: «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**». قالوا: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟! قال: «**نعم**». قال: بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ؟**» قال: لا والله يا

رسول الله ﷺ إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: «**فإنك من أهلها**» فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكلَ تمراتي هذه. إنها لحياةٌ طويلةٌ. قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتِلَ(١).

أنس بن النضر

عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخي بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار ﷺ، وقد ألقوا أيديهم، فقال: فما يُجلسكم؟ قالوا: قُتِلَ رسول الله ﷺ. قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا، فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قُتل(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) البداية والنهاية (٤/ ٣٤).

من فتاوىٰ التربية الأخلاقية

س١ : أيهما أفضل: الغني الشاكر أم الفقير الصابر؟

ج١ : قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الحمد لله رب العالمين، قد تنازع كثير من متأخري المسلمين في الغني الشاكر، والفقير الصابر، أيهما أفضل؟ فرجّح هذا طائفة من العلماء والعباد، ورجّح هذا طائفة من العلماء والعباد، وقد حُكي في ذلك عن الإمام أحمد روايتان، وأما الصحابة والتابعون فلم يُنقل عنهم تفضيل أحد الصنفين على الآخر، وقالت طائفة ثالثة: ليس لأحدهما على الآخر فضيلة إلا بالتقوى، فأيهما كان أعظم إيمانًا وتقوى كان أفضل، وإن استويا في ذلك استويا في الفضيلة، وهذا أصح الأقوال، لأن الكتاب والسُّنَّة إنما تُفضِّل بالإيمان والتقوى[1].

س٢ : أيهما أفضل: الكرم في طاعة الله أم الشجاعة في طاعة الله تعالى؟

ج٢ : قال ابن الصلاح: إن قابلنا بين الكرم المطلق وبين الشجاعة فالكرم المطلق أفضل وأرجح، فإنه يدخل فيه الشجاعة مع سائر أجناس الجود، ثم الكرم من صفات الباري -سبحانه وتعالى-، ولا يوصف -تبارك وتعالى- بالشجاعة، وإذا قابلنا بين الشجاعة على الخصوص وبين الكرم بالمال على الخصوص، أو به مع ما يلتحق به من المنافع فالشجاعة أفضل، فإنها جود بالنفس، والجود بالنفس أقصى غايات الجود، والله أعلم[2].

س٣: أيهما أفضل: الصبر أم الحلم؟

ج٣: أجاب الشوكاني رحمه الله: فالصورة التي يقال لها صبر ويقال لها حلم لا سؤال عنها لأنها تتناولها أدلة الثناء على الصبر وأدلة الثناء على الحلم، كما يصدق عليها أنها حلم، كما يصدق عليها أنها صبر، أما الصور التي هي صبر وليست بحلم، والصور التي هي حلم وليست بصبر فكلها خصال فاضلة، قد ورد الثناء عليها وعلى صاحبها في الكتاب والسنة، وورد الترتيب فيها وكثرة الثواب لفاعلها، لكن الأدلة الواردة في الترغيب في الصبر أكثر لا سيما في الكتاب العزيز فإن الآيات في ذلك كثيرة، لو لم يكن منها إلا قوله تعالى ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الزمر: ٧٠].

فإنه لم يرد في جزاء الحلم وأجره ما يدل هذه الدلالة ويفيد هذه الفائدة، بل لم يرد في غالب القرب التي هي أركان الإسلام وما هو من الواجبات المؤكدة ما يفيد هذه الفائدة، فإن الله -سبحانه وتعالى- قد جعل جزاء الطاعة محدودة، سماها وبيّنها كقوله في أجر الحسنة عشرة أمثالها

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ١١٩-١٢١) باختصار.

(٢) فتاوى ورسائل ابن الصلاح (٢/ ٤٧٥).

إلى سبعمائة ضعف، كما يفيد ذلك نصوص الكتاب والسنة، وأما كون الأجر بغير حساب فهذا جزاء لا يقدر قدره وتفخيم لا يساويه غيره، فإنه لو فرضنا أنه قد ورد النص بأن أجر الطاعة الفلانية ألف ألف ألف ضعف أو أكثر من ذلك، لكن قوله (بغير حساب) أكثر من ذلك وأوسع وأفخم فالحاصل أن خصلتي الصبر والحلم يجتمعان في كون كل واحدة منهما خصلة فاضلة موجبة للأجر محبوبة إلى الله وإلى رسوله، وأما مقدار الأجر والثواب، فالصبر أكثر أجرًا، وأوسع جزاءً، وأعظم مثوبة، والله أعلم[1].

س٤: هل تُقبل توبة الزنديق؟

ج٤: فأجاب ابن الصلاح: يُعزّر وتُقبل توبته، فإن رجع بادرناه بضرب رقبته، لم نمهله مدة الاستجابة، وينبغي أن يكون الفرق بينه وبين غيره في الاستتابة والإمهال في مدتها، والله أعلم[2].

س٥: ماذا نقول لمن ندعوه إلى التوبة والرجوع إلى الله فيقول: إن الله لم يكتب لي الهداية، والثاني يقول: إن الله يهدي من يشاء. ؟

ج٥: أجاب ابن عثيمين رحمه الله: أما الأول فإنه يقول: إن الله لم يكتب لي الهداية. وبكل بساطة نقول: أطلعت الغيب أم اتخذت عند الرحمن عهدًا؟ فإن قال: نعم، فنقول: إذن كفرت. لأنك ادعيت علم الغيب، وإن قال: لا، فنقول: غُلبت، إذا كنت لم تطلع إن الله تعالى لم يكتب الهداية فاهتد، فالله ما منعك من الهداية. بل دعاك إليها ورغبك فيها، وحذرك من الضلالة ونهاك عنها، ولم يشأ الله أن يدع عباده على ضلالة، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء: ٢٦].

فتب إلى الله، والله - عز وجل- أشد فرحًا بتوبتك من رجل أضل راحلته وعليها طعامه وشرابه، وآيس منها ونام تحت شجرة ينتظر الموت فاستيقظ فإذا بخطام ناقته متعلقًا بالشجرة، فأخذ بخطام الناقة، وقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح، فكان يريد أن يقول: اللهم أنت ربي وأنا عبدك. وأما الثاني الذي يقول: (إن الله يهدي من يشاء) فإذا كان الله يهدي من يشاء فهذه حجة عليك، فاهتد حتى تكون ممن يشاء الله هدايته[3].

---

(١) أمناء الشريعة للشوكاني (١٥٥-١٦٠) باختصار.

(٢) فتاوى ورسائل ابن الصلاح (٢/ ٤٦٥، ٤٦٦).

(٣) فتاوى ابن عثيمين (١/ ٥٤).

فهرس

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــوع	صفحة

الموضــــوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة



هذا الكتاب

لقد جاء الإسلام بمنهاج شامل قويم في تربية النفوس ، وتنشئة الأجيال ، وتكوين الأمم وبناء الحضارات .

وظلت الأجيال المسلمة عبر القرون تستقي من معينه وتستضئ بنوره وتنتهج بنهجه في شتى صور التربية.

ولأن تربية الأبناء فرع من تربية الفرد الصالح لتكوين مجتمع مسلم متمسك بكتاب الله عزوجل وسنة رسوله ﷺ قدمنا لك أخي القارئ هذا الكتاب الموسوم بـ

(الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام)

ليعين الآباء والمربين ورجالات التربية والإصلاح لتحقيق هذا الهدف العظيم .

الناشر



القاهرة :٢٢درب الأتراك ـ خلف الجامع الأزهر
ت : ٠٠٢٠٢٥١٤٣١٤١ ـ فاكس: ٠٠٢٠٢٥١١١٧٥٠